سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (٣١)

إتحاف القارئ بالتعليقات على شرح السنة

إتحاف القارئ بالتعليقات على شرح السنة

للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري

المتوفى سنة ٣٢٩ هـ

الشرح

لفضيلة الشيخ العلامة

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

العلامة الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

إتحاف القارئ
بالتعليقات على شرح السنة

ⓒ سلمان جابر عثمان المجلهم، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المجلهم، سلمان جابر بن عثمان

إتحاف القارئ بالتعليق على شرح السنة، / سلمان بن جابر عثمان المجلهم،- الرياض، ١٤٤١ هـ

٦٦٤ ص، ... سم

ردمك: ٤-١-٩١٣٥٨-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الاسلامية ٢- أهل السنة أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٠/١٨٦٤

رقم الإيداع: ١٨٦٤/ ١٤٤٠

ردمك: ٤-١-٩١٣٥٨-٦٠٣-٩٧٨

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَة

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة

(١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م)

الإمام الذهبي

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الفرع الرئيسي: حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦

فرع المصاحف: ت ٢٢٦١٥٠٤٦ - فرع الجهراء: الناصر مول: تلفون: ٩٥٥٥٨٦٠٨

فرع الفحيحيل: البرج الأخضر - شارع الدبوس - تلفون: ٢٥٤٥٦٠٦٩- ٩٥٥٥٨٦٠٧

فرع الرياض: المملكة العربية السعودية العلامه الذهبي - جوال ٠٠٩٦٦ ٥٥٧٧٦٥١٣٨

الخط الساخن: جوال: ٠٠٩٦٥ ٩٤٤٠٥٥٥٩

z.zahby74@yahoo.com Imamzahby

إتحاف القارئ
بالتعليقات على شرح السنة

للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف
البربهاري
المتوفى ٣٢٩ هـ

الشرح
لفضيلة الشيخ العلامة
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه، وبعد:

فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم، بطباعة: **شرح السنة للبربهاري**.

رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله، وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا شرح مبارك نافع لكتاب: «**شرح السنة**»

للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري

المتوفى (٣٢٩) هـ

قام بشرحه فضيلة شيخنا العلامة الحبر/

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

وقد قام فضيلته بشرحه يوم الأحد، الموافق السادس عشر من شهر ذي القعدة، لعام ألف وأربعمائة وستة وعشرين من الهجرة النبوية المباركة، بعد صلاة المغرب في جامع الأمير/ متعب بالرياض، وانتهى هذا الشرح المبارك في يوم الأحد الموافق للرابع عشر من شهر صفر، لعام ألف وأربعمائة وثمانية وعشرين من الهجرة النبوية المباركة.

وقد أتى الإمام البربهاري في كتابه الطيب بجملة مفيدة مختصرة، عبارة عن معظم مسائل الاعتقاد، على ضوء فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين -رضوان الله عليهم-، وقد كان تأليف الكتاب فيما بين خاتمة القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع الهجري -كما ذكره بعض أهل العلم-، وقد

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والسنة هي الطريق المسلوك فيشمل: التمسك بما كان عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وخلفاؤه الراشدون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديمًا لايطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله)، ومن هذا المنطلق نجد اسم كتاب الإمام البربهاري باسم: «شرح السنة»، وقد ذكر العلماء الإمام البربهاري، وترجموا له، فمن ذلك ما قاله الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العالم الزاهد الفقيه الحنبلي الواعظ... وكان شديدًا على أهل البدع والمعاصي، وكان كبير القدر تعظمه الخاصة والعامة...)، وما قاله الإمام ابن الجوزي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (... جمع العلم والزهد....وكان شديدًا على أهل البدع)، ومما ينبغي ذكره أن من تلاميذ الإمام البربهاري تلميذه الإمام ابن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن جميل كلام الإمام البربهاري في كتابه هذا: (واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيرًا)، وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلم أنه لم تجئ بدعة قط، إلا من الهمج الرعاع أتباع كل ناعق)، وقد ذكر شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «شرح الأصفهانية»، ووصف المؤلفات المختصرة في الاعتقاد، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن شأن المصنفين في العقائد المختصرة على مذهب أهل السنة والجماعة أن يذكروا ما يتميز به أهل السنة والجماعة عن الكفار والمبتدعين؛ فيذكروا إثبات الصفات، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى يرى في الآخرة -خلافًا للجهمية من المعتزلة وغيرهم-، ويذكرون أن الله خالق أفعال العباد، وأنه مريد لجميع الكائنات، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن -خلافًا للقدرية من المعتزلة وغيرهم-، ويذكرون مسائل الأسماء والأحكام، والوعد والوعيد، وأن المؤمن لايكفر بمجرد الذنب،

ولا يخلد في النار -خلافًا للخوارج والمعتزلة-، ويحققون القول في الإيمان، ويثبتون الوعيد لأهل الكبائر مجملًا -خلافًا للمرجئة-، ويذكرون إمامة الخلفاء الأربعة وفضائلهم -خلافًا للشيعة من الرافضة وغيرهم-، وأما الإيمان بما اتفق عليه المسلمون من توحيد الله تعالى والإيمان برسله والإيمان باليوم الآخر، فهذا لابد منه، وأما دلائل هذه المسائل، ففي الكتب المبسوطة الكبار...).

فرحم الله المصنف الإمام أبي محمد الحسن بن علي البربهاري، وجزى الله خيرًا الشارح معالي شيخنا العلامة ووالدنا الكريم صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان على بيانه وشرحه لهذا المتن المبارك.

وقد أعد هذا الكتاب على نفقة الشيخ/ أبي عبد الرحمن: مساعد بن علي الشايجي، والشيخ/ أبي وائل: محمد بن أحمد الفرحان وزوجته الكريمة، غفر الله لهم، وتقبل منهم، وجزاهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ومما يشار إليه أن إعداد هذا الكتاب، وريعه والعائد من بيعه، وكل ما بذل فيه هو وقف لله تعالى، وهو مشروع وقفي من أموال وقفية، تقبل الله من الجميع.

والله أعلم وأعظم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

ترجمة الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[١]

هو: الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري الفقيه.

قال الإمام الذهبي: (شيخ الحنابلة، القدوة، كان قوالًا بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، صحب المروذي، وصحب سهل بن عبد الله التستري، فقيل: إن الأشعري لما قدم بغداد، جاء إلى أبي محمد البربهاري، فجعل يقول: رددت على الجبائي، رددت على المجوس، وعلى النصارى. فقال أبو محمد: لا أدري ما تقول، ولا نعرف إلا ما قاله الإمام أحمد. فخرج، وصنف الإبانة، فلم يقبل منه).

ومن عبارة الشيخ البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (احذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغار البدع تعود كبارًا، فالكلام في الرب عَزَّوَجَلَّ محدث، وبدعة، وضلالة، فلا نتكلم فيه، إلا بما وصف به نفسه، ولا نقول في صفاته: لم، ولا كيف. والقرآن كلام الله، وتنزيله، ونوره، ليس مخلوقًا، والمراء فيه كفر).

قال أبو الحسين بن الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كان للبربهاري مجاهدات، ومقامات في الدين، وكان المخالفون يغلظون قلب السلطان عليه، ففي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة أرادوا حبسه، فاختفى، وأخذ كبار أصحابه، وحملوا

---

(١) هذه الترجمة مستفادة من:
١- طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى (٢/ ١٨).
٢- سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٥/ ٩٠).
٣- البداية والنهاية، لابن كثير (١١/ ٢٠١).
٤- الوافي بالوفيات، للصفدي (١٢/ ٩٠).
٥- شذرات الذهب (٢/ ٣١٩).

إلى البصرة، فعاقب الله الوزير ابن مقلة، وأعاد الله البربهاري إلى حشمته، وزادت، وكثر أصحابه، فبلغنا أنه اجتاز بالجانب الغربي، فعطس، فشمته أصحابه، فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة، فأخبر بالحال، فاستهولها، ثم لم تزل المبتدعة توحش قلب الراضي، حتى نودي في بغداد: لا يجتمع اثنان من أصحاب البربهاري. فاختفى، وتوفي مستترًا في رجب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، فدفن بدار أخت توزون.

فقيل: إنه لما كفن، وعنده الخادم، صلى عليه وحده، فنظرت هي من الروشن، فرأت البيت ملآن رجالًا في ثياب بيض يصلون عليه، فخافت، وطلبت الخادم، فحلف أن الباب لم يفتح).

قال ابن النجار: (روى عنه أبو بكر محمد بن محمد بن عثمان، وابن بطة، وأبو الحسين بن سمعون، وعن ابن سمعون: أنه سمع البربهاري يقول: رأيت بالشام راهبًا في صومعة، حوله رهبان يتمسحون بالصومعة، فقلت لحدث منهم: بأي شيء أعطي هذا؟ قال: سبحان الله، متى رأيت الله يعطي شيئا على شيء؟ قلت: هذا يحتاج إلى إيضاح، فقد يعطي الله عبده بلا شيء، وقد يعطيه على شيء، لكن الشيء الذي يعطيه الله عبده، ثم يثيبه عليه هو منه -أيضًا-، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣]).

وفي تاريخ محمد بن مهدي: (أن في سنة ثلاثًا وعشرين أوقع بأصحاب البربهاري، فاستتر، وتتبع أصحابه، ونهبت منازلهم، وعاش سبعًا وسبعين سنة).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العالم الزاهد الفقيه الحنبلي الواعظ، صاحب المروزي، وسهلًا التستري، وتنزه عن ميراث أبيه -وكان سبعين ألفًا- لأمر كرهه، وكان شديدًا على أهل البدع والمعاصي، وكان كبير القدر، تعظمه الخاصة والعامة).

وجاء في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: (الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري، شيخ الطائفة في وقته، ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع، والمباينة لهم باليد واللسان، وكان له صيت عند السلطان، وقدم عند الأصحاب، وكان أحد الأئمة العارفين، والحفاظ للأصول المتقنين، والثقات المؤمنين، صحب جماعة من أصحاب إمامنا أحمد -منهم: المروزي-، وصحب سهلًا التستري).

قال البربهاري: (سمعت سهلًا يقول: إن الله خلق الدنيا، وجعل فيها جهالًا وعلماء، وأفضل العلم ما عمل به، والعلم كله حجة إلا ما عمل به).

وصنف البربهاري مصنفات، منها: «شرح كتاب السنة».

وقال الصفدي: (شيخ الحنابلة، ومقدمهم، الفقيه العابد، كان شديدًا على أهل البدع).

وفاته: توفي البربهاري سنة (٣٢٩هـ) رحمه الله تعالى، وغفر له.



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعلق

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين

هذا الكتاب مؤلفه البربهاري، واسمه: الحسن بن علي بن خلف البربهاري، نسبة إلى بربهار[١]، وهو نوع من الأدوية، التي لعله كان يشتغل بها، أو يبيعها، فنُسب إليها، وهو من كبار الحنابلة، أخذ عمن أخذ عن الإمام أحمد -مثل: المروذي[٢]، وغيره-، وتبحر في العلم، أخذ العقيدة، وأخذ الفقه، وأخذ العلم عن كبار الأئمة.

واسم الكتاب: «شرح السنة»، المراد بالسنة هنا: طريقة الرسول ﷺ، ليس المراد بها المعنى المصطلح عند المحدثين (أنه ما ثبت عن النبي ﷺ من قولٍ، أو فعل، أو تقريرٍ)، وإنما المراد ما هو أعم من

---

(١) قال السمعاني: البربهاري -بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء المهملة، وفتح الباء الثانية -أيضًا-، والراء المهملة -أيضًا- بعد الهاء والألف، هذه النسبة إلى بربهار، وهي: الأدوية التي تجلب من الهند من الحشيش، والعقاقير، والفلوس، وغيرها، يقول البحرية، وأهل البصرة لها: البربهار، ومن يجلبها يقال له: البربهاري. الأنساب (١/ ٣٠٧).

(٢) هو أحمد بن محمد بن الحجاج أبو بكر المروذي الفقيه، أحد الأعلام، وأجل أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، و حمل عن الإمام أحمد علمًا كثيرًا، ولزمه إلى أن مات، وصنف في الحديث والسنة والفقه، توفي في سادس جمادى الأولى سنة خمس وسبعين ومائتين، وكتاب (السنة) له مطبوع ومتداول. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٥٦)، والعبر (٢/ ٦٠)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧٣)، والوافي بالوفيات (٧/ ٢٥٦)، وشذرات الذهب (٢/ ١٦٦).

ذلك، وهو طريقة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطريقة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وطريقة السلف الصالح، هذه هي السنة المأثورة، سواءً في الاعتقاد، أو في العبادة، أو في الفقه، أو في الآداب والأخلاق، كل هذا يسمى بالسنة من حيث العموم.

فقد يذكر مسائل فقهية -مثل: المسح على الخفين، ونكاح المتعة- من باب الرد على الفرق الضالة المخالفة فيها، وقد يكرر بعض المسائل من باب التأكيد، أو لتكرر مناسبة ذكرها، أو لزيادة البيان فيها، أو لغير ذلك من الأغراض العلمية، وبالجملة فهو كتاب مفيد.

وتأتي أهميته من قدمه، فهو من كتب السلف الأقدمين الذين عاصروا الأئمة الكبار، وأخذوا عنهم، ورووا عقيدتهم الصافية، فرحمه الله من إمام جليل.

ومعنى «شرح»، أي: بيان، ليس معناه أنه يشرح كتابًا معينًا، أو يفسر كتابًا معينًا، وإنما معناه أنه يوضح طريقة السنة، هذا معنى شرح السنة.

كانوا الأوائل يسمون كتب العقيدة بـ«السنة»؛ مثل: هذا الكتاب، ومثل: «السنة» للإمام أحمد[١]، و«السنة» لابنه عبد الله[٢]، و«السنة»

---

(١) هو أحد الأعلام من أئمة الإسلام، إمام المحدثين، والناصر للدين، والمناضل عن السنة، والصابر في المحنة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، ولد ببغداد سنة أربع وستين ومائة، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائتين. انظر: سيرة الإمام أحمد بن حنبل لأبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل (ص٢٩ وما بعدها)، وتاريخ دمشق (٥/ ٢٥٢)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٨)، والبداية والنهاية (١٠/ ٣٢٥)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/ ٢٧).

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الذهلي الشيباني، كان إماما خبيرًا بالحديث وعالمًا مقدمًا فيه، وكان من أروى الناس عن أبيه، وقد سمع من صغار شيوخ =

للأثرم[١]، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للَّالكائي[٢]، وكذلك يسمونها «الإيمان»، فيوضع في بعض الكتب كتاب يسمى «كتاب الإيمان»؛ كما هو موجود في صحيح البخاري ومسلم، يعقدون كتابًا، ويسمونه «كتاب الإيمان»، ويوردون فيه ما يختص بالعقيدة -من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره-، فيسمونها «الإيمان»،

=أبيه، وروى عنه أبو القاسم البغوي والمحاملي وأبو بكر الخلال وغيرهم، وكان ثبتًا فهمًا ثقة، ولد في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين، وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة تسعين ومائتين، وكتابه (السنة) الذي أشار إليه شيخ الإسلام مطبوع متداول.
انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٣٧٥)، وطبقات الحنابلة (١/ ١٨٠)، والعبر (٢/ ٩٢)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٠٣).

(١) هو الحافظ الثبت الثقة أحد الأئمة المشاهير أحمد بن محمد بن هاني الطائي الأثرم، تلميذ الإمام أحمد، سمع عفان وأبا الوليد والقعنبي وأبا نعيم وخلقًا كثيرًا، وكان حافظًا صادقًا قوي الذاكرة، وله كتب مصنفة في العلل والناسخ والمنسوخ، وكان من بحور العلم، توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين كذا أرخه ابن قانع، وقيل بعد الستين ومائتين كما أرخه ابن العماد، وله من المصنفات كتاب (السنن)، و(العلل)، و(السنة) وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام، ولم أقف عليه مطبوعًا. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٦٦)، والعبر (٢/ ٢٨)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٢٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٠٨)، وشذرات الذهب (٢/ ١٤١).

(٢) هو الإمام الحافظ المجود المفتي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي، الشافعي، مفيد بغداد في وقته، أحد تلامذة الشيخ أبي حامد الإسفراييني، برع في المذهب، وعني بالحديث فصنف فيه أشياء كثيرة، ولكن عاجلته المنية قبل أن تشتهر كتبه، توفي في رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة، وكتابه المذكور ذكره الذهبي والخطيب البغدادي وغيرهما، وهو كتاب عظيم مطبوع باسم: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، وهو مهم جدًّا لطالب العلم للوقوف على كلام السلف في الاعتقاد بالأسانيد.
انظر لترجمته: تاريخ بغداد (١٤/ ٧٠)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٤١٩)، والوافي بالوفيات (٢٧/ ١٥٤)، والبداية والنهاية (١٢/ ٢٤)، وطبقات الشافعية (٢/ ١٩٧).

وقد يسمونها «الشريعة»؛ ككتاب «الشريعة» للإمام الآجُرِّي الشافعي[١].

وقد يسمونها «التوحيد»؛ مثل: «كتاب التوحيد» لابن خزيمة[٢]، وكتب التوحيد المعروفة، وتسمى «العقيدة»، وهو ما يعتقده القلب، ويدين به، ويجزم به[٣].

---

(١) الإمام، المحدِّث، القدوة، شيخ الحرم الشريف، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، صاحب التواليف، منها: كتاب (الشريعة في السنة) كبير، وكتاب (الرؤية)، وكتاب (الغرباء)، وكتاب (الأربعين)، وكتاب (الثمانين)، وكتاب (آداب العلماء)، وكتاب (مسألة الطائفين)، وكتاب (التهجد)، وغير ذلك.
وكان صدوقًا، خيِّرًا، عابدًا، صاحب سُنَّةٍ واتِّباعٍ قال الخطيب: كان دَيِّنًا ثقةً، له تصانيف.
مات بمكة في المحرم سنة ستين وثلاث مائةٍ وكان من أبناء الثمانين -رحمه الله ورضي عنه-.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣-١٣٦)، تاريخ الإسلام (٨/ ١٥٣)، وتاريخ بغداد (٣/ ٣٥)، والأعلام للزركلي (٦/ ٩٧)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (٦/ ١٣٠)، وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عالم على مدى ١٥ قرنًا) (٥/ ٢٠٧).

(٢) هو الإمام الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف، قال عنه أبو حاتم بن حبان التميمي: (ما رأيت على وجه الأرض من يحفظ صناعة السنن، ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها، حتى كأن السنن كلها بين عينيه، إلا محمد بن إسحاق ابن خزيمة فقط) اهـ، وقال الإمام أبو العباس بن سريج - وذُكر له ابن خزيمة-: (يستخرج النكت من حديث رسول الله بالمنقاش) اهـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥ - ٣٧٣)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٧٢٠ - ٧٢٨)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٦٢، ٢٦٣).

(٣) انظر: مادة (عقد) في: لسان العرب (٣/ ٢٩٦)، ومختار الصحاح (ص١٨٦)، والقاموس المحيط (٣٨٣).

وهذه الأسماء كلها لا اختلاف بينها؛ فهي أسماء متعددة لشيءٍ واحد، فهذه من المترادفات، ولا مشاحة في الأسماء، إذا علم المراد، فليس هذا من الاختلاف، وإنما هذا من الاصطلاح، وكل اصطلاح له وجه، فلا اختلاف بينهم في ذلك، وإن اختلفت الألفاظ والمعنى واحد.

أما من يُنكر هذا، ويقول: («العقيدة والتوحيد» اصطلاح ليس عليه دليل، وليس هو موجودًا في القرآن، ولا في السنة)، فهذا تشكيك، يريدون به أن يجتثوا هذه العقيدة، فجاؤوا بهذا الكلام؛ من أجل ألا يُميز بين الفِرق الضالة، والفِرق المستقيمة، هذا هو الذي غاظهم، ومن أجل ألا يُرد على أهل الباطل، هذا قصد المتعلمين منهم، أما الهمج والرعاع الذين يأخذون من مزابل الأفكار، فهم يرددون هذه الأقوال؛ كما في بعض الصحف، وبعض ما يسمونها مؤلفات!!! فلا يجوز الالتفات إلى هذه التشكيكات، وهذه الأمور.

وهذا شيءٌ درجت عليه الأمة، واهتموا به؛ تمييزًا بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، ولكن أولئك لهم قصد في هذا، هم يريدون أن يدمجوا الناس، ولا يكون هناك فارق بين ملحدٍ وزنديقٍ، ومستقيمٍ ومبتدعٍ، وإنما يبقون تحت مظلة اسم الإسلام، يقولون: لأجل توحيد المسلمين -بزعمهم-!!!، فنقول لهم: المسلمون لا يتحدون إلا على عقيدة صحيحة، العقيدة التي جمعت الصحابة، وكانوا متفرقين؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ما الذي جمع بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الفرقة، والتناحر، إلا هذه العقيدة، التي هي معنى «لا إله إلا الله محمد رسول الله»؟!!!

فلا يجمع الناس إلا العقيدة الصحيحة، وأما أن يكونوا مختلفين في اعتقادهم، فلن يجتمعوا أبدًا.

أما الاختلاف في المسائل الفقهية الاجتهادية التي يحتملها الدليل، فهذا لايؤثر، ولا يحدث فرقة، ولا عداوة؛ لأن هذا اجتهاد سائغ، لكن الاختلاف في العقيدة غير سائغ، ولا يجتمع عليه المختلفون أبدًا، لا يجتمع المختلفون في العقيدة مهما حاول من حاول؛ لأنه يريد أن يجمع بين المتضادات، ولا يمكن الجمع بين المتضادات والمتناقضات.

فإذا كانوا يريدون وحدة المسلمين، فعليهم أن يصححوا العقيدة أولًا، العقيدة التي كان الرسل من أولهم إلى آخرهم يهتمون بها، ويبدؤون بها، عليهم أن يوحدوها أولًا، فإذا وحدوا العقيدة، اتحدت الأمة، هذا إن كانوا جادين وصادقين في دعوتهم، لكن هم يسخرون من الذي يتكلم في العقيدة، ويدعو إلى العقيدة الصحيحة، ويقولون: (هذا يكفر الناس، ويريد أن يفرق المسلمين، ويريد كذا وكذا...) إلى آخر ما يقولون.

فنقول لهم: لن تستطيعوا أن تجمعوا المسلمين على غير العقيدة الصحيحة؛ إذ لو توحدت العقيدة، لاجتمعوا بسهولة، ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣].

فلن يجمع الناس إلا العقيدة الصحيحة التي جاءت بها الرسل من أولهم إلى خاتمهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢]، وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢].

لا يتوحدون إلا على عبادة ربٍّ واحد، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه هو الرب الحق، وغيره باطل، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، فهذا هو مجال توحيد المسلمين.

إن كانوا صادقين، فليصححوا العقيدة، وينفوا عنها الزيغ والدخيل؛ لتكون كما جاء بها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأجل أن المسلمين يتحدون عليها.

وهذا هو الذي أراده السلف -كالبربهاري، وغيره- من تأليف هذه الرسائل، وهذه الكتب في بيان العقيدة الصحيحة.

لما حدثت الفتن، والافتراقات، والضلالات، كتبوا هذه العقائد؛ يشرحون بها السنة التي كان عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والقرون المفضلة التي من لزمها نجا، ومن حاد عنها هلك، التي قال فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا**»(١).

---

(١) هذه إحدى روايات حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهور، وهو حديث صحيح بطرقه. أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد في المسند (٢٨/ ٣٦٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٩)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٤٧، ٢٥٧)، وفي مسند الشاميين (٣/ ١٧٢)، =

ويقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، هذا هو مناط اجتماع الكلمة، وتوحيد الكلمة، أما أن يقال: (نجتمع على ما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه)، فهذا من المحال، إذا كان الاختلاف في العقيدة، أما لو كان الاختلاف في الفقه والمسائل الفقهية المحتملة، فهذا ربما يسوغ، مع أن الواجب اتباع الدليل، حتى في مسائل الفقه، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]، لكن الاختلاف الفقهي الذي له احتمال ووجه لا يحدث التفرق بين المسلمين؛ ولذلك أهل السنة فيهم الحنفي، و فيهم المالكي، و فيهم الشافعي، و فيهم الحنبلي، ولم يختلفوا -ولله الحمد-، ولم يتفرقوا؛ لأن هذه اجتهادات فقهية لها وجوه، و لها احتمالات من الأدلة، أما العقيدة، فعقيدتهم واحدة، وإن كان في أتباعهم من خالفهم في العقيدة، هذا يوجد في الحنابلة، ويوجد في الحنفية، ويوجد في الشافعية، ويوجد في المالكية، يوجد فيهم من خالف الأئمة في عقيدتهم، إنما ينتسب إليهم في الفقه فقط، وأما في العقيدة، فهو مخالفٌ لهم، فهؤلاء لا يعتبرون أتباعًا للأئمة؛ لأنهم اتبعوهم في شيء، وخالفوهم في شيءٍ أهم منه، فلا يعتبرون من أتباع الأئمة، وهم يخالفونهم في العقيدة.

=والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٥)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١/ ١١٥)، والآجري في الشريعة (ص ٥٥)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٧٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠/ ١٨١).

هذا هو الذي حدا بالعلماء -كالبربهاري، وغيره- إلى رسم الطريقة الصحيحة المأخوذة من كتاب الله، وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهدي السلف؛ من أجل أن يسير عليها المسلمون، وهذا من النصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم، أما لو كان الأمر خفيًا، ولم يُبين، ولم تُؤلف هذه المؤلفات، لضلّ كثيرٌ من الناس، فهذه المؤلفات -ولله الحمد- نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ، وحجة من الله على خلقه، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢].



قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ، وَأَخْرَجَنَا فِي خَيْرِ أُمَّةٍ، فَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَالْحِفْظَ مِمَّا يَكْرَهُ وَيَسْخَطُ.

الشَّرْح

هذه خطبة الكتاب؛ فبدأ بـ(**الحَمْدُ للهِ**)؛ عملًا بالسنة، كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحمد الله[1]، ويُثني عليه في كتاباته، ومخاطباته، وهكذا كان السلف الصالح وأهل العلم، يبدؤون كتبهم بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)؛ اقتداءً بالكتاب العزيز[2]، وبـ(الحمد لله رب العالمين)؛ اقتداءً بفعل النبي

(١) ورد الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ في خطب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورسائله، وكتبه، ومن ذلك: خطبة الحاجة التي كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولها بين يدي حاجته.
أخرجها مسلم مختصرة من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٨٦٧)، ومن حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (٨٦٨)، ووردت مطولة ومختصرة من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٦٢)، وأبي داود في سننه (١٠٩٧)، والترمذي في سننه (١١٠٥)، والنسائي في الكبرى (١٧٢١، ٥٥٠٢، ٥٥٠٣، ١٠٢٤٩، ١٠٢٥٠، ١٠٢٥٢، ١٠٢٥٣)، وابن ماجه (١٨٩٢)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرح لها في جزء لطيف، طبعته دار الأضحى بالأردن.

(٢) عملًا بحديث: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فهو أَقْطَعُ**»، ورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة، منها المرفوع إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها المرسل، وقد أخرجه أبو داود (٤٨٤٠)، والنسائي في الكبرى (١٠٢٥٥)، وابن ماجه (١٨٩٤)، وأحمد في المسند (١٤/ ٣٢٩)، وابن حبان في صحيحه (١/ ١٧٣، ١٧٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٣٩)، والدارقطني (١/ ٢٢٩)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢٠٨)، وفي شعب الإيمان (٤/ ٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه كان إذا أراد أن يخطب، أو يتكلم، أو ينبه على شيء، يحمد الله، ويثني عليه، ثم يبين ما يريد بيانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالمؤلف نهج هذا المنهج مقتديًا بمن سلف، وهو البداءة بـ(الْحَمْدُ للهِ)، ومعنى (الْحَمْدُ للهِ) أي: جميع المحامد لله عَزَّوَجَلَّ، والحمد هو: المدح، والثناء على الممدوح، فالله جَلَّوَعَلَا يُحمد لذاته، ويُحمد لأسمائه وصفاته، ويُحمد سبحانه على أفعاله، فله جميع أنواع الحمد؛ لأن جميع النعم منه سبحانه، وأما غيره، فيُحمد على قدر ما يُسدي من الجميل، ولكن الحمد المطلق الكامل الشامل هو لله عَزَّوَجَلَّ، فلا يجوز لك أن تقول: (الحمد لفلان) بمعنى الاستغراق، هذا لا يجوز إلا لله؛ كما في القرآن: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٢-٣]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:١]، أما أن تقول: أشكر فلانًا، أو أحمد فلانًا على كذا وكذا، بمعنى تخصيص الشيء الذي من أجله حمدته، أو شكرته عليه، فلا بأس، أما أن تقول: (الحمد لفلان)، فهذا لا يجوز إلا في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1].

و(الله) اسمٌ من أسمائه تعالى، ومعناه: المألوه المعبود[2]؛ لأن الألوهية

---

(١) انظر: مادة (حمد) في: العين (٣/ ١٨٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٥١)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٠٠)، ولسان العرب (٣/ ١٥٥).
وانظر الكلام على الحمد في: تفسير ابن جرير (١/ ١٣٥)، وزاد المسير (١/ ١٧)، والمفردات للراغب (ص٢٥٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٠١)، وبدائع الفوائد (٢/ ٩٢-٩٦).

(٢) انظر: العين (٤/ ٣٢)، واشتقاق أسماء الله (١/ ٢٤)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٢٧)، وتفسير الطبري (١/ ١٢١)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٣).

معناها العبودية، وهو اسمٌ لا يُطلق إلا على الله، ولم يتسم به أحد غير الله أبدًا حتى الجبابرة، والكفرة، والملاحدة ما منهم أحد سمى نفسه (الله)، فرعون ماقال: (أنا الله)،وإنما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، فهذا اسمٌ خاصٌ بالله عَزَّوَجَلَّ.

و(**رب العالمين**) الرب معناه: المالك المتصرف[١]، (**والعالمين**): جمع عالم، وهو جميع المخلوقات[٢]، والله هو ربها، وخالقها، ومدبرها، ومعبودها، وإلهها.

---

(١) قال أبو السعادات في النهاية في غريب الحديث (٢ / ١٧٩، ١٨٠): (الرَّبُّ يطلق في اللغة على: المالك، والسيد، والمدبِّر، والمربِّي، والقَيِّم، والمنعِم. ويقال: رَبَّهُ يَرُبُّه؛ أي: كان له ربًّا، ويقال: رَبَّ فُلانٌ ولدَه يَرُبُّه ربًّا، ورَبَّبَه، ورَبَّاهُ، كلُّه بمعنًى واحدٍ). اهـ. بتصرف.
وانظر: تفسير الطبري (١/ ١٤٢- ١٤٣).
قال شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوى (٢/ ٣٩٩): (فَهَذِهِ الْمَعَانِي وَمَا أَشْبَهَهَا مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ وَخَلْقِهِ وَرِزْقِهِ وَهِدَايَتِهِ وَنَصْرِهِ وَإِحْسَانِهِ وَبِرِّهِ وَتَدْبِيرِهِ وَصُنْعِهِ، ثُمَّ مَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنْ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، وَلَا تُغَلِّطُهُ الْمَسَائِلُ، وَلَا يَتَبَرَّمُ بِإِلْحَاحِ الْمُلِحِّينَ، يُبْصِرُ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ، فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ... فَهَذَا كُلُّهُ حَقٌّ، وَهُوَ مَحْضُ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ).

(٢) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَقَالَ قَتَادَةُ: الْعَالَمُونَ جَمْعُ عَالَمٍ، وَهُوَ كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللهِ تَعَالَى، وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ؛ مِثْلُ رَهْطٍ، وَقَوْمٍ. وَقِيلَ: أَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ عَالَمٌ، قَالَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:١٦٥] أَيْ: مِنَ النَّاسِ... وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْعَالَمُونَ: الْجِنُّ وَالْإِنْسُ؛ دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾، وَلَمْ يَكُنْ نَذِيرًا لِلْبَهَائِمِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: الْعَالَمُ عِبَارَةٌ عَمَّنْ يَعْقِلُ، وَهُمْ أَرْبَعَةُ أُمَمٍ: الْإِنْسُ، وَالْجِنُّ، وَالْمَلَائِكَةُ، وَالشَّيَاطِينُ. وَلَا يُقَالُ لِلْبَهَائِمِ: عَالَمٌ، لِأَنَّ هَذَا الْجَمْعَ إِنَّمَا هُوَ جَمْعُ مَنْ يَعْقِلُ خَاصَّةً... =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ**)، الإسلام أكبر نعمة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] فبالإسلام تمت النعمة على المسلمين، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس:٥٨] فضل الله: هو الإسلام، والرحمة هي القرآن، فليفرحوا بالإسلام، والقرآن.

وهذا فيه الاعتراف منك بأن الفضل لله في هدايتك للإسلام، بإرشادك إليه، وتثبيتك عليه، هذا فضلٌ من الله لا بحولك، ولا بقوتك، وإنما هو توفيقٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الذي هداك، ولذلك يقول أهل الجنة إذا دخلوا الجنة يوم القيامة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ**)، الإسلام منّة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإلا فالله لايجب عليه شيء لأحد، وإنما هو يتفضل على عباده بالإسلام، وبالنعم، وبالعافية، وبالأرزاق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَخْرَجَنَا فِي خَيْرِ أُمَّةٍ**) أخذًا من قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، فقوله: ﴿كُنتُمْ﴾ هذا خطاب للمسلمين، ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾؛ أي: خير الأمم، والأمة المراد بها الجماعة، ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، تأمل قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾، فخير هذه الأمة لا يقتصر

=قُلْتُ: وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَصَحُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ؛ لِأَنَّهُ شَامِلٌ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ وَمَوْجُودٍ). انظر: تفسير القرطبي (١/ ١٣٨-١٣٩)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٣١-١٣٣).

عليها، وإنما يتعدى للناس في الدعوة، والجهاد، والتعليم، والإرشاد، لا يكفي أن يتعلم الإنسان، ويعمل في نفسه، ويترك الآخرين، بل لابد أن ينشر الدعوة، وينشر العلم، وينشر الخير، ويدعو إلى الله، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فيكون عضوًا عاملًا في مجتمع المسلمين، فقوله: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ معناه: ما أُخرجوا لأنفسهم فقط، وإنما أخرجهم الله للناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى**)، الإنسان يسأل الله الثبات، ولو كان يعرف الحق، ويعمل به، ويعتقده، فلا يأمن أن يزيغ، وأن يُفتن؛ بأن تأتي فتن، وتجتاحه، ويضل عن سبيل الله، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»[1]، وقال الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في دعائه: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦]، خاف على نفسه، وهكذا كلما قوي إيمان الإنسان بالله، فإنه يخاف، ولا يأمن الفتن، ولا يزكى نفسه، بل يسأل الله الثبات وحسن الخاتمة دائمًا وأبدًا، ويخاف من سوء الخاتمة، ويخاف من الفتن، ويخاف من الزيغ والضلال، ومن دعاة السوء.

---

(١) روى هذا الحديث عن عدد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ منهم: أنس، وعائشة، وأم سلمة، وجابر، والنواس بن سمعان، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. أخرجه الترمذي (٢١٤٠) وحسنه، وابن ماجه (١٩٩) وصححه البوصيري، وأحمد (٢٩/ ١٧٨)، وابن حبان (٣/ ٢٢٣)، وابن أبي عاصم (ح٢٢٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢٥)، والطبراني في الكبير (١/ ٢٦١)، والأوسط (٢/ ١٤٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٦، ٧٠٧، ٤/ ٣٥٧)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٤١٤)، وأخرجه البخاري (٧٣٩١) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْلِفُ: **لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالْحِفْظَ مِمَّا يَكْرَهُ وَيَسْخَطُ**)، فيوفقنا لما يحب ويرضى من الأعمال، والأقوال، والاعتقادات، ويجنبنا ما يسخطه من الأقوال، والأعمال، والاعتقادات، فهو الهادي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو ا لموفق، وهو الدال والمرشد.



اِعْلَمُوا أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ السُّنَّةُ، وَالسُّنَّةَ هِيَ الْإِسْلَامُ، وَلَا يَقُومُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْآخَرِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(اِعْلَمُوا)** هذه كلمة للاهتمام، ومعنى (اعلم): أي تعلم، وكيف تعلم أن الإسلام هو السنة؟ إذا تعلمت، علمت ذلك.

فـ(اعلم) كلمة يؤتى بها للاهتمام لما بعدها؛ كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩]؛ يعني: اعلم معنى «لا إله إلا الله»، واعمل به، ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٩٨]، فتأتي كلمة (اعلم)، أو (اعلموا) للاهتمام لما بعدها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الْإِسْلَامَ هُوَ السُّنَّةُ، وَالسُّنَّةَ هِيَ الْإِسْلَامُ)**؛ يعني: الإسلام هو الطريقة التي جاء بها الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وكل الرسل جاؤوا بالإسلام، فكل نبي دعا إلى الله، وجاء بشريعة من عند الله، فذلك هو الإسلام، فالإسلام عبادة الله عَزَّوَجَلَّ وحده في كل وقتٍ بما شرعه، وقد شرع الله للأنبياء شرائع إلى آجال، ثم ينسخها، فإذا نُسخت، كان العمل بالناسخ هو الإسلام، إلى أن نُسخت تلك الشرائع بشريعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد:٣٨-٣٩]، فالإسلام هو ما جاءت به الرسل من الدعوة والعمل في كل وقتٍ بحسبه، إلى أن جاءت بعثة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصار الإسلام هو ما جاء به دون غيره، فمن بقي على الأديان السابقة،

ولم يؤمن بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليس بمسلم؛ حيث لم ينقد لله عَزَّوَجَلَّ، ولم يطع هذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن ما كان عليه قد انتهى، ونُسخ، والبقاء على المنسوخ ليس دينًا لله عَزَّوَجَلَّ، إنما العمل بالناسخ هو الدين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالسُّنَّةَ هِيَ الْإِسْلَامُ**)، لا فرق بينهما، إذا فسرنا السنة بالطريقة، فلافرق بينها وبين الإسلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا يَقُومُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْآخَرِ**)، لا يقوم الإسلام إلا بالسنة، ولاتقوم السنة إلا بالإسلام، فالذي يدّعي الإسلام، ولا يعمل بالسنة -أي: طريقة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليس بمسلم، والذي يعلم السنة، ولا يسلم لله ليس بمسلم -وإن عرف السنة-؛ فلابد من الجمع بينهما.



فَمِنَ السُّنَّةِ: لُزُومُ الجَمَاعَةِ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِ الجَمَاعَةِ وَفَارَقَهَا، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ، وَكَانَ ضَالًّا مُضِلًّا.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَمِنَ السُّنَّةِ: لُزُومُ الجَمَاعَةِ**)، ما دام الأمر كذلك، وأن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، فالسنة أنواع، (فَمِنَ السُّنَّةِ: لُزُومُ الْجَمَاعَةِ)؛ أي: لزوم جماعة المسلمين، والمراد بالجماعة هنا: جماعة المسلمين الذين على الحق، أما الجماعات التي ليست على الحق، فهذه لا تسمى الجماعة الحقيقية، كل جماعة اجتمعت على ضلالة، أو على منهج مخالف للإسلام، أو على طريقة مخالفة للإسلام، فلا تسمى الجماعة الحقيقية المطلوبة الممدوحة.

فالجماعة المرادة هنا: هم أهل الحق، وليس من لازم ذلك أن يكونوا كثيرين، بل لو كان واحدًا على الحق، فإنه يسمى جماعة، فالجماعة هي من كان على الحق، قلَّ أهله أو كثروا، فتلزم من كان على الحق، ولا تخالف الجماعة التي على الحق، بل تكون معهم على الحق، فمن فارق الجماعة، فسيأتي بيانه، ولزوم الجماعة: يعني عدم الخروج عنها والاختلاف عليها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَمَنْ رَغِبَ عَنِ الجَمَاعَةِ وَفَارَقَهَا، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ**)، هذا نص حديث، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ**»[1]، فهذا وعيد شديد، فإن كانت المفارقة في العقيدة

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، والنسائي (٨٨١٥)، وأحمد (٢٨/ ٤٠٦)، وابن حبان (١٤/ ١٢٤)، وابن خزيمة (١/ ٢٤٤)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٨٦)، والحاكم =

بحيث يعبد غير الله، فهذا كفر، وإن كانت المفارقة دون ذلك، فهي ضلال؛ فمفارقة الجماعة لاخير فيها، وفي الحديث: «**عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ**»(١)، ولما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بما يحصل من الفتن والتفرق، قال له حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»(٢)، فالجماعة لا تكون إلا بأمرين:

الأمر الأول: أن يكون منهجها الكتاب والسنة، ليس منهجها مذهب فلان، ولا قول فلان، بل الكتاب والسنة.

الأمر الثاني: أن يكون لها إمام مسلم يقودها، وترجع إليه، ما يمكن أن تجتمع جماعة بدون إمام، لابد من إمام يكون مرجعًا لها، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنْ تَلْزَمَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامَهُمْ**، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: **فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا**»، أمره أن يعتزل تلك الفرق؛

=في المستدرك (١/ ٣٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٧٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٣٦)، وأبو يعلى في المسند (٣/ ١٤٠)، والطيالسي في المسند (٢/ ٤٨١) من حديث الحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ، اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ**». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ**».

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٦، ٢١٦٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٩٩)، والطبراني في الكبير (١/ ١٨٦، ١٧/ ١٤٥)، والشهاب القضاعي في المسند (١/ ١٦٧).

(٢) حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سؤاله عن الخير والشر. أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (٥٢) (١٨٤٧).

فلا يكون إلا مع جماعة المسلمين، ولا يكون مع جماعات غير جماعة المسلمين، بل يبقى وحده على الحق إلى أن يأتيه الموت، وهو على ذلك.

فهذا فيه: أنه لايكون الإنسان مع الجماعات المخالفة لمنهج الحق، ولا يكونون جماعة إلا بشرطين:

أن يكون منهجهم الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح.

وأن يكون لهم إمامٌ مسلم يقودهم، ويرجعون إليه؛ فلا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمام، ولا إمام إلا بسمعٍ وطاعة، هذا منهج المسلمين، وهذا هو السنة التي يشرحها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي هذا نهيٌ عن الشذوذ في الآراء، والمخالفات، وأن الإنسان يلزم الجماعة، ما داموا أنهم ليسوا على ضلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ**)، كان من عادة العرب أنهم يضعون للأغنام رباطًا في رقابها؛ حتى لا تتفرق وتضيع، ويأكلها الذئب، وهذه الأربطة تكون متصلة بحبل واحد يجمعهم؛ من أجل المحافظة عليها، فشبّه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لزوم الجماعة بهذا الأمر، فإن الجماعة هي الرباط الواقي من المهالك؛ كالرباط الذي يكون في رقاب الأغنام، يحفظها من الذئب، ومن الضياع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَانَ ضَالًّا مُضِلًّا**)، ضالًّا في نفسه عن الطريق، (مُضِلًّا) لغيره، ضالًّا في نفسه ومُضِلًّا لمن اقتدى به، واتبعه، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ**

﴿ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، فالواجب على المسلم أن يتبع سبيل المؤمنين، ولا يخالفهم، ولا يشذ عنهم.



وَالْأَسَاسُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الجَمَاعَةُ: هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَرَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ-، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، فَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ عَنْهُمْ، فَقَدْ ضَلَّ وَابْتَدَعَ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالْأَسَاسُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الجَمَاعَةُ**)، من هم الجماعة الذين هذا شأنهم؟ هم أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن جاء بعدهم من التابعين، وأتباع التابعين، والقرون المفضلة، هؤلاء هم الجماعة، ومن اقتدى بهم من المتأخرين، هؤلاء هم الجماعة الذين يجب على المسلم أن يكون معهم، ولو ناله ما ناله من الأذى، ومن التهديد، ومن التعيير، ومن التهجم، يصبر على هذا، ويتحمل ما دام أنه على الحق، فلا ينحرف عن الحق، بل يصبر على ما أصابه، وإلا فإنه سيكون هدفًا للمغرضين ودعاة السوء، ودعاة الضلال، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى -لما ذكر المهاجرين والأنصار في سورة الحشر-: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، فالمتأخر يقتدي بالمتقدم من أهل الحق وأهل الخير، ولو كان بينه وبينهم زمانٌ طويل، يلزم ما كانوا عليه، مهما كلّفه ذلك، فهو يصبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من المهاجرين والأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم هم الذين صحبوا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاهدوا معه، ونصروه، وتحملوا الدين، ونقلوه لنا، فهم الواسطة بيننا وبين رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالذين يسبون الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أو يتنقصونهم يريدون أن يهدموا الإسلام، لكنهم جاؤوا بهذه الحيلة، فإذا تكلموا في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأسقطوا قيمتهم، ماذا يبقى حينئذٍ من الواسطة بيننا وبين الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فقصدهم قطع الصلة بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ حتى تضل الأمة، وإلا فما الذي حملهم على سب الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؟ هل بينهم وبين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مشاحنة في مال، أو نحوه؟ هل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ آذوهم، وبينهم وبين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قرونًا متطاولة؟

فالذي حملهم على هذا بُغض القلوب؛ لأن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم الذين حملوا هذا الدين، فهم يريدون أن يقطعوا الصلة بين الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين أمته؛ حتى يسقط هذا الدين، هذا هو قصدهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**) أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذين جاؤوا من بعدهم، الذين اتبعوهم بإحسان هم أهل السنة؛ أي: أهل الطريقة الصحيحة، وهي السنة التي يشرحها في هذا الكتاب، وهم الجماعة الحقيقية، أما اجتماع غيرهم على أمورٍ باطلة، فهؤلاء لا يسمون الجماعة، وإن كان عددًا كثيرًا، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤]، فالجماعة: من

كانوا على الحق، فالذي يقول: (أنا مع الحزب الفلاني، هذا الحزب جماعة، وأنتم تقولون: الزموا الجماعة، وهؤلاء جماعة)، فنقول لهم: من قال لكم: إن هؤلاء هم الجماعة؟ الجماعة من كانوا على الحق، من كانوا على السنة، هؤلاء هم الجماعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ عَنْهُمْ، فَقَدْ ضَلَّ وَابْتَدَعَ**)، من لم يأخذ دينه عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ الذين هم نقلة الكتاب والسنة؛ فليس هو على الحق، فإذا طعن فيهم، بطل نقلهم -والعياذ بالله-، وقصد أعداء الله ورسوله إبطال الإسلام، لكن جاؤوا بهذه الحيلة الخبيثة؛ لأجل أن يفصلوا بين المتأخرين والمتقدمين من المسلمين؛ حتى يسهل ابتلاع المتأخرين، ويسهل اجترارهم، أما إذا ارتبطوا بالجماعة الأولى وبالكتاب والسنة، فلن يسهل، بل يستحيل اجترارهم -بإذن الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَقَدْ ضَلَّ**)؛ أي: ضاع عن الحق (**وَابْتَدَعَ**)، البدعة: ما كان من العبادات، أو الاعتقادات، أو الأقوال ليس عليه دليل من الكتاب والسنة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»(١)، وفي رواية: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢)، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨)، ورواه البخاري معلقًا في كتاب البيوع - باب النَّجْشِ (٤/ ٣٥٦ مع الفتح)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (١٣/ ٣١٧ مع الفتح).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، واللفظ له، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد في المسند =

فالبدعة: ما أحدث في الدين، وهو ليس منه[1]، وكيف يعرف أنه ليس منه؟ إذا لم يكن عليه دليل، فهو ليس من الدين؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، فالدين كامل -ولله الحمد-، لا يقبل الزيادات، فما علينا إلا أن نعرف الدين الذي أكمله الله عَزَّوَجَلَّ، فنتمسك به، ونترك ما عداه من الزيادات، والاستحسانات، والإضافات، وغير ذلك؛ لأنها تُبعد عن الله جَلَّوَعَلَا، وسيأتي توضيح أن «مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلَّا نُزِعَ مِثْلُهَا مِنَ السُّنَّةِ»، فهذا هو الطريق الصحيح المستقيم: لزوم الجماعة، ولزوم السنة، وترك البدع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**)، فليس هناك بدعة حسنة -كما يقوله بعضهم-، بل البدع كلها ضلالة بنص الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث قال: «**فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، فالبدع في الدين ليس فيها شيء حسن أبدًا، بل كلها ضلالة، وهذا كلام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ**)، الضلال وأهل الضلال في النار؛ إما بكفرهم، وإما بمعصيتهم، فالبدع ليست على حدٍّ سواء؛ منها ما هو كفر صاحبه مخلد في النار، كالاستغاثة بالأموات، ودعاء الأموات، والذبح لغير الله، والنذر لغير الله، فهذه بدع كفرية، وكذا نفي أسماء الله وصفاته -كما

=(٢٨/ ٣٧٣)، والدارمي (٩٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٠، ٢/ ٤٩٦)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٤٩)، وفي الأوسط (١/ ٢٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٤).

(١) انظر: العين (٢/ ٥٤)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٤٢)، والصحاح (٣/ ١١٨٣)، ومقاييس اللغة (١/ ٢٠٩).

قالت الجهمية[١] الذين يجحدون الأسماء والصفات-، فهذا كفر -والعياذ بالله-؛ لأنهم وصفوا الله بأنه ليس له أسماء ولا صفات، فيكون إذًا معدومًا؛ لأن الموجود لابد له من صفات، والذي ليس له صفات هو المعدوم، ولذلك حكم الأئمة بتكفير الجهمية[٢]، الذين قالوا: القرآن مخلوق، فجعلوا القرآن الذي هو كلام الله، ووحيه، وتنزيله، جعلوه مخلوقًا مثل المخلوقات، وقالوا: (الله لا يتكلم)، فشبهوه بالجماد، والذي لا يتكلم لا يكون إلهًا، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف:١٤٨]، فدلّ على أن الذي لا يتكلم لايكون إلهًا، والجهمية يقولون: (الله لا يتكلم)، إذًا ليس هو بإله -تعالى الله

---

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًّا عظيمًا، وهو رأس في التعطيل، قُتل سنة ١٢٨هـ، قتله سَلْم بن أحوز. انظر: المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتاني (١/ ٨٦)، والفَرْق بين الفِرَق (ص١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٥٩)، والتعريفات للجُرجاني (ص١٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٥٣٩).

(٢) ذكر الإمام اللالكائي في شرح السنة (٢/ ٢٥٣-٣٤٤) أقوال العلماء الذين كفّروا الجهمية، ثم قال: (فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسًا، أو أكثر من التابعين، وأتباع التابعين، والأئمة المرضيين، سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار، ومضي السنين، والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم، وتدينوا بمذاهبهم. ولو اشتغلت بنقل أقوال المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة، لكني اختصرت، وحذفت الأسانيد للاختصار، ونقلت عن هؤلاء عصرًا بعد عصر لا ينكر عليهم، ومن أنكر قولهم استتابوه، أو أمروا بقتله، أو نفيه، أو صلبه). اهـ.

لذا قال ابن القيم في النونية (١/ ٢٩٠) بشرح ابن عيسى:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي ... عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

وَاللَّالَكَائِيُّ الْإِمَامُ حَكَاهُ عَنْ ... هُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي

عما يقولون-، وفي سورة طه: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه:٨٩]؛ يعني: العجل، لو كلموه لا يرجع إليهم الجواب، فهل هذا يصلح أن يكون إلهًا؟!!! وقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لعبدة الأصنام: ﴿فَسْئَلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٦٣]، قالوا له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ قال لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء:٦٦-٦٧].

الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠]، وصف نفسه بأنه يقول، ويتكلم، فالذي لا يتكلم ليس بإله، ولذلك كفّر كثيرٌ من الأئمة أئمة الجهمية، دون مقلديهم وأتباعهم الذين لم يتبين لهم الحق، وإنما قلدوا عن جهل، فهؤلاء فيهم نظر، لابد من البيان لهم، فإن أصروا، فإنه يُحكم بكفرهم.



وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي ضَلَالَةٍ رَكِبَهَا حَسِبَهَا هُدًى، وَلَا فِي هُدًى تَرَكَهُ حَسِبَهُ ضَلَالَةً، فَقَدْ بُيِّنَتِ الْأُمُورُ، وَثَبَتَتِ الحُجَّةُ، وَانْقَطَعَ الْعُذْرُ**»(١).

الشَّرْح

قول عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ...**)؛ لأن الله بيّن الحق، وفصّله في القرآن والسنة، فلا عذر لأحد حينئذ في ضلالة؛ لأن التقصير جاء من قِبله؛ حيث لم يبحث عن الحق، ولم يسأل أهل العلم، فالضلال جاء من قبله، فهو الذي فرط.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**حَسِبَهَا هُدًى**) فيه بيان أن الظن لا يغني من الحق شيئًا، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٣٧]، فحسبانهم لا يشفع لهم؛ لأنهم ليس لهم عذر، حيث لم يراجعوا الكتاب والسنة حتى يعرفوا الحق من الباطل، وإنما ركبوا أهواءهم، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، ومع هذا حكم الله بكفرهم، وضلالهم، فبمجرد أن الإنسان يحسب أنه على حق لا يصير هذا عذرًا له، إلا إذا لم يبلغه شيء من الوحي الإلهي المنزل على الرسل؛ لأن الواجب عليه أن يرجع إلى الكتاب والسنة، ولا يبقى على ظنه وحسبانه، وعلى ما يقوله له غيره: إنه حق، فهذا ليس بعذر.

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (١٦٢) (١/ ٣٢١) عن الأوزاعي أنه بلغه عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو منقطع.

وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠]، انظر كيف اتخذوا شياطين الإنس والجن أولياء من دون الله، ويتبعونهم، ويحسبون أنهم مهتدون، فهل الشياطين تريد لهم الخير؟ قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦]، انظر قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا﴾، هذا عقوبة له، ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ﴾؛ أي: الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٣٧]، يحسب الأتباع أنهم مهتدون، فلم ينفعهم ذلك، ولا عذر لهم فيه؛ لأنهم بلغتهم دعوة الرسل، فلم يقبلوها.

وإنما العذر يكون في المسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الاجتهاد، فيجتهد الإنسان، ويبذل وسعه وطاقته في البحث، حتى يظن أن هذا هو الحق، فهذا معذور لقوله ﷺ: «**إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِنِ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ**»[1]، هذا في المسائل الاجتهادية، أما المسائل التوقيفية -وهي أمور العقيدة-، فليس لأحدٍ أن يجتهد فيها، بل الواجب اتباع الدليل، ولا مجال فيها للاجتهاد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا فِي هُدًى تَرَكَهُ حَسِبَهُ ضَلَالَةً**)، ليس الأمر على الحسبان والظن؛ فيأخذ ضلالة يحسبها هدى، أو يترك حقًّا يظنه ضلالة، ظنه لا يشفع له؛ لأن الهدى والضلال قد بيَّنهما الله في القرآن، وبيَّنهما الرسول ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٥) (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

في السنة، وبينهما السلف في سيرتهم وعقيدتهم، فالحق واضح -ولله الحمد-، ومن رحمة الله أن الحق واضح من الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح ليس فيه غموض، ولا لبس؛ كما حصل للأمم السابقة لما طال عليهم الأمد والتبس عليهم الحق، وحُرّفت الكتب وغيرت، أما هذه الأمة، فالحق يبقى واضحًا، والكتاب والسنة محفوظان من التحريف والتغيير؛ فليس لأحد عذر حينئذٍ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَقَدْ بُيِّنَتِ الْأُمُورُ)**، نعم قد بُينت الأمور، لكنها تحتاج إلى بحث وإلى طلب؛ بأن يتعلم الإنسان، ويتفقه، ويأخذ العلم عن العلماء، لايأخذ العلم عن نفسه، أو عن مثله من الجهال أو المتعالمين، أو من الكتب، بل يأخذ العلم عن أهله؛ لأن هذا العلم يُتلقى عن العلماء، فالعلم بالتلقي، وليس بالأخذ من الكتب؛ الكتب إنما هي أدوات فقط للبحث، يشرحها العلماء، وأما الوصول إلى الحق، فهذا يؤخذ عن أهل العلم، ويُروى عنهم خلفًا عن سلف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ وَانْقَطَعَ الْعُذْرُ)**، ما لأحدٍ عذر، فهذا الدين صانه الله من التحريف والتغيير، وصار الحق واضحًا لا لبس فيه، بخلاف الأمم السابقة، فإنها لما طال عليها الأمد، حرّفوا كتبهم، وغيّروها، وبدّلوها، فالتبس الحق، وخفي.



وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ قَد أَحْكَمَا أَمْرَ الدِّينِ كُلَّهُ، وَتَبيَّنَ لِلنَّاسِ، فَعَلَى النَّاسِ الِاتِّبَاعُ.

الشَّرْح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ قَد أَحْكَمَا أَمْرَ الدِّينِ كُلَّهُ)**، (ذَلِكَ) إشارة إلى ما سبق من الحث على لزوم طريقة السنة والجماعة، وقد سبق بأن المراد بأهل السنة: المتمسكون بسنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبطريقته، هؤلاء هم أهل السنة والجماعة، هم الذين اجتمعوا على الحق، ولم يتفرقوا؛ كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣]، اجتمعوا على الحق، ولم يتفرقوا عنه، ولم يختلفوا فيه، هؤلاء هم أهل السنة والجماعة، أما ﴿ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾، فالله جَلَّ وَعَلَا يقول لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٩].

(وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ أَحْكَمَا)؛ أي: أتقنا، فالإحكام معناه: الإتقان. أتقنا أمر الدين كله، فالدين محصورٌ في السنة والجماعة؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**»(١).

لا يقي من شر هذا الاختلاف إلا التمسك بسنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي ما كان عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في العقيدة، والعبادة، والمعاملات، والأخلاق، والآداب، وهم الفرقة الناجية من بين

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ فهذه التي استثنيت من هذه الفِرق -جماعة متميزة-، فمن هي؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيانها: «**مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[1] ما عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه هو السنة، فمن لزمه، نجا، ولذلك سُموا بالفرقة الناجية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَتَبيَّنَ لِلنَّاسِ، فَعَلَى النَّاسِ الِاتِّبَاعُ**)، تبين للناس أن أمر الدين كله في لزوم السنة والجماعة، فلن يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة إلا أهل الضلال، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس:٣٢]، فمن ترك الحق، وقع في الضلال، والحق هو ما عليه أهل السنة والجماعة دون غيرهم.



(١) هذا أحد ألفاظ حديث الافتراق، وهو حديثٌ حسن في الجملة.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد). انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٥).
وهذه الرواية عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجها الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨)، واللالكائي في شرح السنة (١٤٧) (١/ ١١١)، والآجري في الشريعة (١/ ٣٠٧، ٣٠٨)، وابن بطة في الإبانة (٢٦٤، ٢٦٥) (١/ ٣٦٩).

وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَمْ يُوضَعْ عَلَى عُقُولِ الرِّجَالِ وَآرَائِهِمْ، وَعِلْمُهُ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلا تَتْبَعْ شَيْئًا بِهَوَاكَ، فَتَمْرُقَ مِنَ الدِّينِ، فَتَخْرُجَ مِنَ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ لَكَ؛ فَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ السُّنَّةَ، وَأَوْضَحَهَا لِأَصْحَابِهِ، وَهُمُ الجَمَاعَةُ، وَهُمُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ، وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ: الحَقُّ وَأَهْلُهُ، فَمَنْ خَالَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، فَقَدْ كَفَرَ.

الشَّرْح

الدِّينَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ عند اللهِ، فهو الذي شرع الدين سبحانه، ليس لأحدٍ أن يشرع دينًا لم يأذن الله به، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]، هذا استنكار وتحذير، فالدين هو ما شرعه الله، وبلغه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو الدين الذي قال الله جَلَّ وَعَلَا فيه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]، هذا هو شريعة الأنبياء خصوصًا هؤلاء الخمسة أولو العزم، هذا دينهم، فمن حاد عنه، أو اختلف عنه، هلك وضل، وهو مبنيٌّ على توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وترك عبادة ما سواه، والتقيد بما شرعه الله عَزَّوَجَلَّ، والابتعاد عما حرمه الله، هذا هو الدين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لَمْ يُوضَعْ عَلَى عُقُولِ الرِّجَالِ وَآرَائِهِمْ)**، ليس الدين ما استحسنه الرجال، أو رأوه، فإن هذا ليس دين الله، هذا دين الناس الذي

أحدثوه، أما دين الله عَزَّوَجَلَّ، فهو الذي شرعه، أما ما رآه الرجال بآرائهم، فهذا ليس هو دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنما هو دين من رآه، فلايُنسب إلى الله من الدين إلا ما شرعه على لسان رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. وما شرعه غيره، لا ينسب إلى الله، وإنما ينسب إلى من شرعه، والله بريء منه، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعِلْمُهُ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)، أمور الدين توقيفية، لابد من الأدلة عن الله ورسوله في أمور الدين، يتقيد بما جاء في الكتاب والسنة من أمور الدين، وتترك المحدثات، والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، وإن كان أهلها يرونها دينًا، ويتقربون إلى الله بها، فنحن لا نلتفت إليها، ولانؤمن بها؛ لأن دين الله هو ما شرعه هو ورسوله؛ لأن الدين مبني على العلم الذي جاء من عند الله ورسوله، ولا تتبع أهواء الناس، وآراء الناس، وما استحسنوه، وما تتابعوا عليه، وهو ليس له أصلٌ في كتاب الله، أو سنة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ كما قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»(١)، وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

فالذي يريد أن يكون عمله صالحًا مفيدًا، فعليه بأمرين:

الأمر الأول: إخلاص دينه لله من الشرك.

والأمر الثاني: اتباعه سنة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإخلاصه من البدع والمحدثات.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٧).

وسيجد الإنسان مخالفات في العقيدة، مخالفات في العبادات كثيرة، الناس لهم أهواء، ولهم رغبات، ولهم آراء، ولهم طرق، فنحن لا نتبع الناس، بل نعرض ما عليه الناس على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة، فهو حق، وما خالفها، فهو باطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَلا تَتْبَعْ شَيْئًا بِهَوَاكَ)**، لا تتبع شيئًا بهواك ورغبتك، ولكن يكون هواك ورغبتك تابعين لما جاء عن الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا تهوى إلا ما جاء عن الله ورسوله، ولا ترغب إلا ما جاء عن الله ورسوله، هذا هو سبيل النجاة، إذا اتبعت هواك، صرت من الذين اتبعوا أهواءهم، ولم يتبعوا الوحي المُنزّل، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠]، وقال تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٤٨]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨-١٩]، فأنت بين أمرين: إما أن تتبع الدين الصحيح، وإما أن تتبع الهوى، ولا ثالث لهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَتَمْرُقَ مِنَ الدِّينِ فَتَخْرُجَ مِنَ الْإِسْلَامِ)**، من اتبع هواه، فإنه يمرق من الدين، ولو على المدى البعيد؛ أول شيء يتساهل في المخالفة والهوى، ثم يتعاظم اتباع الهوى إلى أن يخرج من الدين، فيصير دينه هواه؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ

﴿وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية:٢٣]، فالهوى إلهٌ آخر، وليس الشرك مقصورًا على عبادة الصنم، أو الوثن، أو غيره، بل هناك شيءٌ آخر، وهو الهوى، فقد لا يعبد الإنسان الأصنام، والأشجار، والأحجار، ولايعبد القبور، لكن يتبع هواه؛ فهو عبدٌ لهواه، فعلى الإنسان أن يحذر، ولا يتبع إلا ما وافق الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ لَكَ فَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ السُّنَّةَ، وَأَوْضَحَهَا لِأَصْحَابِهِ)**، لا حجة لمن خالف، واتبع هواه؛ لأنه ضلَّ بعد البيان، وبعد العلم، ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣]، ليس جاهلًا، بل يعرف الكتاب والسنة، ويعرف أقوال أهل العلم، لكنها لاتوافق هواه، فيتركها، ويأخذ ما يوافق هواه، هذا هو الضلال -والعياذ بالله-، فاتباع الهوى خطير جدًّا، فعلى الإنسان أن يحذر من اتباع الهوى.

قال الله جَلَّ وَعَلَا لنبيه داود عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦]، ولابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب في مجلد ضخم اسمه «ذم الهوى»[1]، أورد فيه من الأدلة، وأقوال أهل العلم، والحكم التي تحذر من اتباع الهوى.

فالواجب على الإنسان أن يحذر من هواه؛ فإنه قد يسلم من عبادة الأصنام، والأحجار، والأشجار، والقبور، ويعرف التوحيد، ويعرف السنة، لكن لم يسلم من اتباع هواه، وهذه مصيبة عظيمة؛ فعلى المسلم أن يحذر من اتباع هواه،

---

(١) كتاب ذم الهوى مطبوع ومتداول، طبعته دار الكتاب العربي.

ويكون هواه تبعًا لما جاء عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما جاء في الحديث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»، صححه النووي في الأربعين، وقال: (رويناه من كتاب الحجة بإسنادٍ صحيح)[١].

والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ترك شيئًا إلا وبيَّنه لأمته، حتى قال بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا»[٢]، ما ترك شيئًا مما تحتاجه البشرية مما يقربها إلى الله، ويبعدها عن الكفر والضلال، إلا بينه، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي تَارِكٌ فيكم مَا إِنْ تَمسَّكتم بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَي: كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّتِي**»[٣]، ترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها[٤]، ولما أكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، انتقل إلى جوار ربه بعدما بلّغ البلاغ المبين، وأوضح السنة لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقال في خطبة حجة الوداع: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
ذكره النووي في الأربعين النووية ثم قال: (حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح). وتعقبه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم وقال: (تصحيح هذا الحديث بعيدٌ جدًا). انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣٥/ ٣٤٦)، والطيالسي (١/ ٣٨٥)، والبزار (٩/ ٣٤١)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٥٥) من قول أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الدارقطني (٥/ ٤٤٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٥)، والحاكم (١/ ١٧٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) كما في الحديث الذي سبق تخريجه (ص١٩).

(٥) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهُمُ الجَمَاعَةُ، وَهُمُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ**)، أصحابه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الجماعة؛ أي: هم أصل الجماعة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١) الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون، وأتباع التابعين، وهم القرون المفضلة، هؤلاء هم الجماعة، ومن جاء بعدهم، فهو تابعٌ لهم، يتبع الأصل الذي عليه صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، هم الجماعة الذين أمرنا الله أن نكون معهم، وأمرنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نكون معهم، ونهانا عن مفارقتهم، وهم السواد الأعظم الذي على الحق وعلى الهدى، فالذين يجهّلون السلف، ويقللون من شأنهم، ويقولون: هم رجال ونحن رجال. ويقولون: لا مانع من أن نُحدث أشياء، ولسنا ملزمين باتباع السلف وأقوال السلف. فهذا ضلال -والعياذ بالله-، هذا فصلٌ لآخر هذه الأمة عن أولها، وإذا انفصل آخرها عن أولها، هلكت، وهم يريدون أن يهلكوا الأمة، فجاؤوا بهذه الحيلة -وهي فصل الآخرين عن أول الأمة.

يوجد الآن من يحذر من مذهب السلف، ويحذر من الرجوع إلى أقوالهم، ويقول: هذا زمان مضى. فيحذر مما عليه السلف، ويحث على الابتكار في الدين! الدين توقيفي، وهو اتباع، وليس ابتداعًا وابتكارًا، الابتكار يكون في الصناعات، والمنافع الدنيوية، والأشياء، أما الدين، فلا يُحدث فيه شيء بعد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٠، ٢٦٥١، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٢١٣) (٢٥٣٤).

وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن التشريع انتهى بوفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما علينا إلا الاتباع، وألا نحدث شيئًا من عندنا، ونقول هذا هو الذي يصلح لهذا العصر.

الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «وَلَنْ يَصْلِحَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ إِلَّا بِمَا صَلُحَ بِهِ أَوْلُهَا»[1]، الذي أصلح أولها هو الكتاب والسنة، فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا الكتاب والسنة، واتباع هدي السلف الصالح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ: الحَقُّ وَأَهْلُهُ)**، السواد هم أهل الحق وأهله المتمسكون به، وليس معنى السواد الأعظم مجرد الكثرة، معنى السواد الأعظم: من كان على الحق، ولو كانوا قليلين، فهم السواد الأعظم، حتى ولو كان رجلًا واحدًا من كان على الحق، فهو السواد الأعظم، لا ننظر للكثرة، وإنما ننظر لما هو عليه، فقد تكون الكثرة على ضلال، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٩]،

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ١٠) من كلام الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، انظر: تنقيح تحقيق أحاديث التعليق لابن عبد الهادي (٢/ ٤٢٣). وأخرج الخطيب البغدادي نحوه من كلام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خطبة له، في موضح أوهام الجمع والتفريق (١/ ٢٦٣)، قال:(إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله)، وعند ابن عساكر من كلام أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٥٦)، قال: (إن هذا الأمر الذي هو أملك بنا لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله).

فالكثرة لا يُغتر بها، ولا تتبع إلا إذا كانت على الحق، من كان على الحق، فهم الجماعة، ولو لم يكن عليه إلا واحد، وإن كان باطلًا، فهو الضلال، وإن كان عليه أكثر الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَمَنْ خَالَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَقَدْ كَفَرَ**)، (كَفَرَ): يحتمل الكفر الأكبر، ويحتمل الكفر الأصغر بحسب المخالفة، فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَقَدْ كَفَرَ)، ليس معناه أنه كفر الكفر المخرج من الملة مطلقًا؛ قد يكون هذا، وقد يكون الكفر الأصغر، المهم أن مخالفة السلف كفرٌ، قد يكون أكبر، وقد يكون أصغر، حسب المخالفة أو أن المراد أنه إذا خالفهم في أول الأمر بالشيء اليسير، ثم بالتدرج، يخرج من الدين بالكلية، فيؤول أمره إلى الكفر، إذا استمرأ المخالفة، فيؤول أمره إلى الكفر الأكبر، فيخرج من الدين كله، يتدرج به الشيطان والهوى، والنفس الأمارة بالسوء، حتى يخرج من الدين كله.



وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَبْتَدِعُوا بِدْعَةً قَطُّ، حَتَّى تَرَكُوا مِنَ السُّنَّةِ مِثْلَهَا[1]، فَاحْذَرِ الْمُحَرَّمَاتِ والْمُحْدَثَاتِ مِنَ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ.

الشَّرْح

هذه حكمة عظيمة، وهي مأثورة عن السلف: (أَنَّ النَّاسَ ما أحدثوا بدعة إلا فقدوا مِثْلَهَا مِنَ السُّنَّةِ)؛ لأنه لا تجتمع السنة والبدعة، إلا وتُخرج إحداهما الأخرى، فلا يكون الإنسان مبتدعًا وسُنيًّا، بل إما أن يكون مبتدعًا، وإما أن يكون سنيًّا، لا يجتمعان فيه، فلابد أن تُخرج إحداهما الأخرى، وهذا من مضار البدع.

وهذه الحكمة المأثورة ثابتة بالتجربة، وشاهد هذا ودليله: أنك تجد أصحاب البدع يُبغضون الأحاديث الصحيحة، ويُبغضون السُنن، وأعدى عدو لهم، وأبغض ما يسمعون أن يقال: الحديث الفلاني ينهى عن هذا، أو يحرم هذا، لا يريدون أن يسمعوا الأحاديث والسنن التي تخالف ما هم عليه، فهذه علامة على أنها لا تجتمع السنة والبدعة، أما الذي على السنة، فيفرح؛ فإنه إذا سمع حديثًا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يفرح بذلك، فيضيف خيرًا إلى خير، ويضيف علمًا إلى علم، صاحب السنة يفرح بأحاديث الرسول

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢٢٨) (١/ ٣٥١) بسنده عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: «مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا ثُمَّ لَا يُعِيدُهَا إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وأخرجه اللالكائي في شرح السنة (١٢٩) (١/ ١٠٤)، وكذا أخرجه الدارمي في سننه (٩٩)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٧٣).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بينما صاحب البدعة ينفر من أحاديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا شيء واضح في المبتدعة؛ أنهم يحاربون السنن؛ لأنها تقضي على ما عندهم من البدع، وهذا فيه التنفير من البدع، وأنها ترحّل السنن، و ترحّل محبة السنن من القلوب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَاحْذَرِ الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الْأُمُورِ)**؛ لأن المحرمات لا خير فيها -سواء محرمات الشرك، أو الكفر، أو المعاصي-؛ لأن الله لا يحرم شيئًا وفيه خير، إنما يحرّم ما هو شر محض، أو شر راجح، أو شر مساو، فإذا اجتمع في الشيء خير وشر، فإن كان الشر أكثر، أو مساويًا، فتجنّبه، وإن كان الخير أكثر، فلا مانع من أخذه، ويُغتفر الشر اليسير مع الخير الكثير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)**، هذا نص حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: **أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ**»، وفي رواية: «**عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[1]، «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**» هذا تحذير «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[2].

---

(١) أخرجها البخاري (٧١٤٢).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٧).

وفي رواية: «**وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»[١].

كل محدثة فهي بدعة، والمراد (محدثة) في الدين، أما المحدثات في أمور العادات، والمنافع، والمآكل، والمشارب، والملابس، فهذه بدع لغوية، ليست بدعًا شرعية، لكن المحدثات في الدين هي البدع المحرمة، وهذا فيه ردّ على الذين يقسّمون البدع إلى بدع حسنة، وبدع سيئة، وبدع مباحة، ويقولون: تعتريها الأحكام الخمسة. فهذا غلط[٢]، لأن البدع في الدين كلها ضلالة

---

(١) أخرجه النسائي (١٧٩٩) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: الاعتصام (١/ ٢٤١ - ٢٤٢)، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمِمَّا يُورَدُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ:
أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَسَّمُوا الْبِدَعَ بِأَقْسَامِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ الْخَمْسَةِ، وَلَمْ يَعُدُّوهَا قِسْمًا وَاحِدًا مَذْمُومًا، فَجَعَلُوا مِنْهَا مَا هُوَ وَاجِبٌ وَمَنْدُوبٌ وَمُبَاحٌ وَمَكْرُوهٌ وَمُحَرَّمٌ.
وَبَسَطَ ذَلِكَ الْقَرَافِيُّ بَسْطًا شَافِيًا وَأَصْلُ مَا أَتَى بِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْخُهُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، وَهَا أَنَا آتِي بِهِ عَلَى نَصِّهِ...، فَقَالَ: «... وَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ أَمْرٌ مُخْتَرَعٌ، لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ، بَلْ هُوَ نَفْسُهُ مُتَدَافِعٌ؛ لِأَنَّ مِنْ حَقِيقَةِ الْبِدْعَةِ أَنْ لَا يَدُلَّ عَلَيْهَا دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ؛ لَا مِنْ نُصُوصِ الشَّرْعِ، وَلَا مِنْ قَوَاعِدِهِ.
إِذْ لَوْ كَانَ هُنَالِكَ مَا يَدُلُّ مِنَ الشَّرْعِ عَلَى وُجُوبٍ أَوْ نَدْبٍ أَوْ إِبَاحَةٍ؛ لَمَا كَانَ ثَمَّ بِدْعَةٌ، وَلَكَانَ الْعَمَلُ دَاخِلًا فِي عُمُومِ الْأَعْمَالِ الْمَأْمُورِ بِهَا أَوِ الْمُخَيَّرِ فِيهَا، فَالْجَمْعُ بَيْنَ كَوْنِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ بِدَعًا، وَبَيْنَ كَوْنِ الْأَدِلَّةِ تَدُلُّ عَلَى وُجُوبِهَا أَوْ نَدْبِهَا أَوْ إِبَاحَتِهَا جَمْعٌ بَيْنَ مُتَنَافِيَيْنِ.
أَمَّا الْمَكْرُوهُ مِنْهَا وَالْمُحَرَّمُ؛ فَمُسَلَّمٌ مِنْ جِهَةِ كَوْنِهَا بِدَعًا لَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، إِذْ لَوْ دَلَّ دَلِيلٌ عَلَى مَنْعِ أَمْرٍ أَوْ كَرَاهَتِهِ؛ لَمْ يُثْبِتْ بِذَلِكَ كَوْنَهُ بِدْعَةً؛ لِإِمْكَانِ أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً؛ كَالْقَتْلِ وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَنَحْوِهَا، فَلَا بِدْعَةَ يُتَصَوَّرُ فِيهَا ذَلِكَ التَّقْسِيمُ أَلْبَتَّةَ، إِلَّا الْكَرَاهِيَةَ وَالتَّحْرِيمَ حَسْبَمَا يُذْكَرُ فِي بَابِهِ.
فَمَا ذَكَرَ الْقَرَافِيُّ عَنِ الْأَصْحَابِ مِنَ الِاتِّفَاقِ عَلَى إِنْكَارِ الْبِدَعِ صَحِيحٌ، وَمَا قَسَّمَهُ فِيهَا غَيْرُ صَحِيحٍ). اهـ. بتصرف.

بنص حديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، وأظنهم أدخلوا البدع اللغوية، وسمّوها بدعًا حسنة، والبدع اللغوية مباحة؛ مثل: بناء المدارس، وبناء الأربطة لطلبة العلم، ومثل نقط المصاحف، ونحوها، سموها بدعًا حسنة، وهذه ليست بدعًا، هذه تابعة للسنن، وإحياء للسنن، فبناء المدارس والأربطة لطلبة العلم، وطبع المصاحف ونقطها، هذه كلها من الإعانة على العلم، فهي حسنة، وهي سنن، فهم إما أخذوا السنن الحسنة، وسمّوها بدعًا، وإما أنهم سمّوا الأمور العادية بدعًا، وهي لا تدخل في الدين؛ لأنها من أمور الدنيا ما تدخل في الدين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ**)؛ كما في الحديث: «**وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»[1]، وكما في حديث الفرق: «**سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»[2]، فهذا دليل على أن أهل البدع يكونون في النار، ويتفاوتون؛ منهم من يكون في النار لكفره، ومنهم من يكون في النار لمعصيته، منهم من يخلّد في النار، ومنهم من لا يُخلّد، ويكون حكمه حكم أصحاب الكبائر.



(١) سبق تخريجه (ص٣٧).
(٢) سبق تخريجه (ص٤٥).

وَاحْذَرْ صِغَارَ الْمُحْدَثَاتِ مِنَ الْأُمُورِ، فَإِنَّ صَغِيرَ الْبِدَعِ يَعُودُ حَتَّى يَصِيرَ كَبِيرًا، وَكَذَلِكَ كُلُّ بِدْعَةٍ أُحْدِثَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانَ أَوَّلُهَا صَغِيرًا يُشْبِهُ الحَقَّ، فَاغْتَرَّ بِذَلِكَ مَنْ دَخَلَ فِيهَا، ثُمَّ لَمْ يَسْتَطِعِ الخُرُوجَ مِنْهَا، فَعَظُمَتْ وَصَارَتْ دِينًا يُدَانُ بِهِ، فَخَالَفَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فَخَرَجَ مِنَ الإِسْلَامِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاحْذَرْ صِغَارَ الْمُحْدَثَاتِ مِنَ الْأُمُورِ**)، يقول: لا تتساهل بشيء من البدعة، ولو كان صغيرًا؛ فإنه يكبر، وينضاف إليه غيره؛ وهذا من مفاسد البدع؛ لأنه إذا انفتح باب البدع، زادت، فلا يُتساهل فيها، ويقال: هذه بدعة صغيرة، ولا تضر. البدعة مثل الجمرة، ولو كانت صغيرة، فهي تكبر حتى تُحرق البيت، أو المتجر، أو البلد كله:

..... **وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ**[1]

فلا يتهاون بها، بل يُسد باب البدع نهائيًّا، وقد قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**»[2] (**إِيَّاكُمْ**): تحذير من محدثات البدع مطلقًا، سواء كانت محدثات صغيرة، أو محدثات كبيرة، لم يستثن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا من البدع، فنهيه عامٌ في جميع البدع، وقال: صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا**»[3].

---

(١) عجز بيت، وصدره:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ .....

انظر: الكبائر للذهبي (ص٥٩)، وإعانة الطالبين لأبي بكر الدمياطي (٣/ ٢٥٨).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٣) سبق تخريجه (ص٣٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَذَلِكَ كُلُّ بِدْعَةٍ أُحْدِثَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانَ أَوَّلُهَا صَغِيرًا يُشْبِهُ الحَقَّ فَاغْتَرَّ بِذَلِكَ مَنْ دَخَلَ فِيهَا، ثُمَّ لَمْ يَسْتَطِعِ الخُرُوجَ مِنْهَا**)، الفتن أول ما حدثت في الأمة بسبب التساهل مع أهل الإفساد، حتى عاثوا في الأرض فسادًا، وغسلوا أدمغة الشباب والعوام، وحشوها من الشر، حتى حصلت الفتن في الإسلام، وبين المسلمين -كما هو معلوم-، هذا كله بسبب التغاضي عن أهل الشر، وتركهم حتى يستفحل الأمر، فلابد من الحزم، وسد الباب في هذا الأمر، ولا يعصم من البدع بعد الله جَلَّ وَعَلَا إلا العلم النافع، أما الذي ليس عنده علم، فهذا ينجرف مع البدع، ويظنها طيبة؛ لأنه لا يدري عن البدع، فلا يُنجي من البدع إلا ما أمر به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قوله: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**»[1]، هذا هو الذي يعصم من البدع، وهذا يحتاج إلى تعلم، وتفقه في دين الله، ولهذا لما كان السلف أفقه الأمة، كانوا أشد حذرًا من البدع، وأشد تحذيرًا من البدع؛ لعلمهم بما تجره إليه الفتن، إذا اشتعلت، فإنها تأتي على الرطب واليابس، تأتي على الكبير والصغير، تأتي على العلماء وعلى غيرهم، تأتي على جميع الناس، ولا يستطيعون الخلاص منها، ولو تخلصوا منها، ما تخلص منها أهلهم، وأولادهم، ومن حولهم، فهي مثل النار إذا اشتعلت في الحطب الهشيم، يصعب إطفاؤها، لكن القضاء عليها أول ما تحدث سهل، أما القضاء عليها بعد ما تعظم وتتغلظ، فإنه صعب، فيجب الحزم معها، وعدم التساهل فيها.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

ولما كان السلف في القرون المفضلة محاصرين للبدع، ولا يسمحون بشيء منها، كانت القرون المفضلة أنقى عصور الأمة، ولهذا أثنى عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١)؛ لأنهم ما كانوا يتساهلون مع البدع، كانوا يحاصرونها، وكان أهلها يختفون من قوة أهل الحق، فلما انقضت القرون المفضلة، نشطت البدع وأهلها، والشرور، واشتعلت الفتن بين المسلمين، لكن الله جَلَّ وَعَلَا تكفل بحفظ هذا الدين، فالدين محفوظ -ولله الحمد-، لكن الهلاك يكون على أهل الدين، هم الذين يهلكون، وأما الدين، فإنه محفوظٌ بحفظ الله عَزَّ وَجَلَّ، ويقيض الله له من ينصره ويقوم به، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨]، وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، فالله لا يضيع دينه، لكن نحن الذين نضيع إذا ضيعنا ديننا، وتمالأنا مع المبتدعة وأصحاب الإحداثات، وتساهلنا معهم، فإننا نحن الذين نضيع، وربما تنشب الفتنة والقتال، وتسفك الدماء بسببها، ولا نستطيع أن نتخلص منها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَعَظُمَتْ، وَصَارَتْ دِينًا يُدَانُ بِهَا**)؛ أي: أن البدع إذا تركت، تصير هي الدين فيما بعد، وقد سبق قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما أحدث الناس بدعة إلا رُفع مثلها من السنة)، حتى تصير البدع هي الدين، وترفع السنن، وتصير البدع هي الدين عند هذا المجتمع، وليس معنى ذلك أن كل الأمة كذلك، لكن المجتمع الذي يسمح للبدع بأن تنتشر فيه، تصير هي الدين فيه،

---

(١) سبق تخريجه (ص٥١).

لكن ليس معنى هذا أن الدين انقضى، بل يقوم أناس آخرون في بقعة ثانية أو في بلد آخر، يقيض الله لهذا الدين من ينصره، ويحميه، ويحافظ عليه، وجاء في الحديث أنه في آخر الزمان تُتَّخَذُ السُّنَنُ بِدَعًا، وَالْبِدَعُ سُنَنًا، حَتَّى إِذَا غُيِّرَتْ، يُقَالُ: غُيِّرَ الدِّينُ. وإذا أنكرتها، قالوا: تنكر الدين[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَخَالَفَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فَخَرَجَ مِنَ الإِسْلَامِ)**؛ يعني: أن صاحب البدعة يتجارى به الأمر، حتى يكون دينه كله بدعًا، ويخرج من الإسلام، إذا لم يبق في دينه شيء من السنن.



(١) أخرجه الدارمي (١٩١)، وعبد الرزاق (١١/ ٣٥٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٥٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٢١٢) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ، يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَتُتَّخَذُ سُنَّةٌ يَجْرِي النَّاسُ عَلَيهَا؛ فَإِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ، قِيلَ: تُرِكَتْ سُنَّةٌ. قِيلَ: مَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: إِذَا كَثُرَ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُكُمْ، وَقَلَّ أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَتُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ».

فَانْظُرْ -رَحِمَكَ اللهُ- كُلَّ مَنْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ خَاصَّةً فَلَا تَعْجَلَنَّ، وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى تَسْأَلَ وَتَنْظُرَ: هَلْ تَكَلَّمَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، أَوْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ؟ فَإِنْ أَصَبْتَ فِيهِ أَثَرًا عَنْهُمْ فَتَمَسَّكْ بِهِ، وَلَا تُجَاوِزْهُ لِشَيْءٍ، وَلَا تَخْتَرْ عَلَيْهِ شَيْئًا فَتَسْقُطَ فِي النَّارِ.

الشَّرْح

لا تستعجل فيما تسمع من الناس، خصوصًا عند تأخر الزمان، وكثرة من يتكلم ويُفتي، وينتصب للعلم والقول، خصوصًا لما جدّت وسائل الإعلام، وصار كلٌ يهذو، ويتكلم باسم العلم و باسم الدين، حتى أهل الضلال والفِرق الضالة والمنحرفة صاروا يتكلمون باسم الدين الآن في الفضائيات، فالخطر عظيم جدًّا، فعليك -أيها المسلم، وطالب العلم بالذات- أن تتثبت، ولاتستعجل مع كل ما تسمع، عليك بالتثبت، ومعرفة من الذي قال هذا، ومن أين جاء هذا الفكر، ثم ما هي مستنداته، وأدلته من الكتاب والسنة، ثم أين تعلّم صاحبه، وعمن أخذ العلم، فهذه أمور تحتاج إلى تثبت، خصوصًا في هذا الزمان، فما كل قائلٍ حتى ولو كان فصيحًا وبليغًا، ويشقق الكلام، ويأخذ بالأسماع، لا تغتر به حتى ترى مدى ما عنده من العلم والفقه، فربما يكون كلامه قليلًا، لكنه فقيه، وربما يكون كلامه كثيرًا، لكنه جاهل، ليس عنده شيء من الفقه، بل عنده سحر الكلام؛ حتى يغر الناس، ويتظاهر بأنه عالم، وبأنه فاهم، وبأنه مُفكر، ونحو ذلك؛ حتى يغر الناس، ويخرج بهم عن الحق،

فليس العبرة بكثرة الكلام وشقشقته، بل العبرة بما فيه من العلم، وما فيه من التأصيل، وربَّ كلام قليل مؤصل يكون أنفع بكثيرٍ من كلامٍ كثيرٍ مشقشق، لاتُمسك منه فائدة إلا القليل، وهذا هو الواقع في زماننا؛ يكثر الكلام، ويقل العلم، يكثر القراء، ويقل الفقهاء، والفقه ليس هو بكثرة الكلام أو كثرة القراءة، أو جودة الكلام، أو حسن التعبير، يقول الشاعر[1]:

فِي زُخْرُفِ الْقَوْلِ تَزْيِينٌ لِبَاطِلِهِ ... وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ

تَقُولُ هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ ... وَإِنْ تَشَاءُ قُلْتَ ذَا قَيْءُ الزَّنَابِيرِ

إن شئت أن تمدح العسل تقول: (هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ)، وإن ذممته قلت: هذا (قَيْءُ) بدل (مُجَاجُ)، وبدل (النَّحْلِ) تقول: (الزَّنَابِيرِ)، فالبليغ يقلب الحق باطلًا، والباطل حقًّا ببلاغته، فاحذر من هذا، ولهذا حذّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فصيح اللسان الذي يتخلل بلسانه؛ كما تتخلل البقرة بلسانها، وقال: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**»[2]؛ يعني: يسحر الأسماع.

---

(١) هذان البيتان منسوبان لابن الرومي في الذم والمدح.
انظر: إيضاح البلاغة للقزويني (ص٢٢٥)، وفيه: «وَإِنْ تَعِبْ» بدلًا من «وَإِنْ تَشَاءُ»، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح الموصلي (١/ ٣٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٦، ٥٧٦٧) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، أَوْ: إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ**».
وأخرجه مسلم (٤٧) (٨٦٩) من حديث أبي وائل عن عمار قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَانْظُرْ -رَحِمَكَ اللهُ- كُلَّ مَنْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ خَاصَّةً فَلَا تَعْجَلَنَّ، وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ**)، هذا في وقت المؤلف، والمؤلف يكاد يكون معاصرًا للإمام أحمد؛ لأنه من تلاميذه.

يقول: لا تعجل في قبول كلام أهل زمانك حتى تتثبت منه؛ أين هو من عصرنا الآن! عصر الأهواء، وعصر الجهل، وعصر اختلاط العالم بعضهم ببعض، حتى أصبح يموج بالفتن والشرور والأفكار، والعدو الآن يريد قلب الدين رأسًا على عقب، يريدنا أن نكون تبعًا له، ويفرض علينا أفكاره، ويفرض علينا سياسته، فعلينا أن نتثبت في هذا الأمر، ونتوقف عن كثيرٍ من الأمور، وأن نُقبل على تفهم كلام الله وكلام رسوله، ونتفقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ، فالفقه فيه عصمة من الفتن، والفقه هو الفهم، قد يكون الإنسان كثير الحفظ، لكن ليس عنده فهم، فيكون هو والعامي سواء، بل ربما يكون العامي أحسن منه؛ لأنه يتوقف، ويعرف جهله، وهذا لا يعرف أنه جاهل، ليست المسألة كثرة حفظ، أو كثرة كلام، المسألة مسألة فقه، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**»[1]، فقد يحفظ الإنسان، وينقل، ويروي، لكن يكون هناك من هو أفقه منه، «**رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ وَهُوَ غَيْرُ فَقِيهٍ**»[2]، هو حامل وناقل،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٣)، وأحمد (٧/ ٢٢١)، وابن أبي شيبة (١/ ٢٠٠)، والبزار (٥/ ٣٨٢)، وابن حبان (١/ ٢٦٨)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٧٨)، وأبو يعلى (٩/ ١٩٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٤٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠)، والنسائي (٥٨١٦)، وأحمد (٣٥/ ٤٦٧)، والدارمي (٢٣٥)، وابن حبان (١/ ٢٧٠)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٤٥).

لكنه ليس بفقيه، فالفقه هبة من الله، يعطيها الله من يشاء من عباده، لكن إذا استغلها، ونماها، انتفع بها، وإن أهملها، ضاعت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَلَا تَعْجَلَنَّ، وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى تَسْأَلَ وَتَنْظُرَ: هَلْ تَكَلَّمِ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ)**، هذه وصية عظيمة، إذا أعجبك كلام من أحد في الدين، أما الكلام الذي في أمور الدنيا، فليس موضوع البحث، لكن إذا أعجبك كلامٌ في الدين، فلا تعجل حتى تنظر فيه: هل هو مؤسس على حق وأدلة، أم هو من الرأس ومن الفكر؟ فهذا غثاء كغثاء السيل، اتركه، أما إن كان مؤسسًا، ومؤصلًا على الكتاب والسنة، فهذا حق، فلا تعجل في أخذ الكلام على عواهنه، حتى ولو أعجبتك فصاحته وبلاغته، وقوته وجزالته، لا تعجل فيه حتى تنظر، وتعرضه على الكتاب والسنة، وتنظر من قاله هل هو فقيه، أم ليس بفقيه؟ حتى تسأل أهل العلم عنه، وتنظر هل قاله أحد من السلف، أو لم يقولوه؟ وهذا ما حذرت منه مرات، أقول: لا تحدثوا اجتهادات وآراء وأقوالًا، وعبارات لم تُسبقوا إليها، خذوا القدوة من السلف ومن كلام السلف.

لو أتيت بشيء لم تُسبق إليه، فإنه يكون شذوذًا، وخطره أكثر من نفعه، فكلام الصحابة هو الميزان؛ لأنهم تلاميذ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ينظر قولهم في الآية: بماذا فسروها، وفي الحديث: بماذا شرحوه. تأخذ من كلامهم وتفسيرهم؛ لأنهم أقرب إلى الحق ممن جاء بعدهم؛ لأنهم تلاميذ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمعوا التأويل، والتفسير من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتلقوه منه، فهم أقرب الناس إلى الحق، ولاعبرة بقول من يقول: إن الصحابة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا عبرة بهم، هم رجال ولهم أفكارهم، ونحن رجال ولنا أفكارنا، والزمان تغير.

فالدين باق إلى أن تقوم الساعة، ولا يتغير بتغير الزمان، وهو شامل للزمان والمكان، وإنما يتغير، فلا، فالذي يتغير الاجتهادات البشرية، التي تخطئ وتصيب، أما الدين نفسه، فلا يتغير؛ لأنه صالحٌ لكل زمانٍ، ولكل مكانٍ؛ لأنه تنزيلٌ من حكيم حميد، ولهذا يوصون، ويقولون: عليكم بالكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، لا تحدث فهمًا من عندك، أو من عند المتأخرين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أَوْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ)**؛ أي: قاله أحد من العلماء المعتبرين، من الأئمة الذين يسيرون على منهج صحابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم هم الرواة عن الصحابة، والصحابة هم الرواة عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَإِنْ أَصَبْتَ فِيهِ أَثَرًا عَنْهُمْ، فَتَمَسَّكْ بِهِ)**، إذا وجدته موافقًا لقولهم، فتمسك به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَلَا تُجَاوِزْهُ لِشَيْءٍ)**، ولا تجاوز قول السلف لرأي فلان وفلان ممن جاء بعدهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَلَا تَخْتَرْ عَلَيْهِ شَيْئًا فَتَسْقُطَ فِي النَّارِ)**، ولا تختر على ما جاء عن السلف شيئًا مما جاء به المتأخرون، فتسقط في النار؛ لأنك خالفت طريق الجنة، وطريق الجنة هو ما عليه ﴿**ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء:٦٩]، هذا

هو طريق الجنة، وما خالفه فهو طريق النار، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، سبيل الله واحد، أما غيره، فهي سُبل كثيرة، كل شيطان له سبيل، وله طريق من شياطين الإنس والجن، فهي طرق كثيرة، توقع من يسلكها في حيرة، لكن الصراط المستقيم واحد، ليس فيه اختلاف، ولا تضيع إذا سلكته أبدًا.



وَاعْلَمْ أَنَّ الْخُرُوجَ مِنَ الطَّرِيقِ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَجلٌ قَدْ زَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ وَهُوَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الخَيْرَ فَلَا يُقْتَدِى بِزَلَّتِهِ فَإِنَّهُ هَالِكٌ، ورَجلٌ عَانَدَ الحَقَّ وَخَالَفَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ المتَّقِينَ، فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ، شَيْطَانٌ مَرِيدٌ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، حَقِيقٌ عَلَى مَنْ عَرفُهُ أَنْ يُحذِّرَ النَّاسَ مِنْهُ، وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ قِصَّتَهُ؛ لِئلَّا يَقَعَ فِي بِدْعَتِهِ أَحَدٌ فَيَهْلِكَ.

الشَّرْح

لما وصف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكلام السابق الطريق الصحيح الذي يجب أن يسير عليه المسلم في عقيدته ودينه، ذكر أن من يخرج عن هذا الطريق، فهو أحد رجلين:

* **الرجل الأول:** من خرج غير متعمد، بل يريد الخير، لكنه سلك طريق غير الخير، والاجتهاد لا يكفي، وإن كانت نية صاحبه صالحة، ومقصده حسنًا، لابد أن يكون مع ذلك على الطريق الصحيح، فهذا يُعتبر مُخطئًا، ومن وافقه على ذلك، وسار معه على الخطأ، وهو يعلم خطأه، فهو هالك؛ لأن هذا طريق هلاك، حتى ولو لم يتعمد صاحبه الخروج، وإنما يلتمس الخير، وهذا هو حال الكثير من الذين يبتكرون ابتكارات من عند أنفسهم في علم العقيدة، فهذا أمرٌ لا يجوز، ولا يُتابعون عليه، وصاحبه ليس على صواب، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فأي سبيلٌ يُخرجنا عن الصراط المستقيم، فنحن نرفضه، ولو كان صاحبه يقصد الخير، ونيته طيبة، فنحن

لا نتابعه على ذلك، وهو إن استمر على خطئه، فسيؤول إلى الهلاك؛ لأن من ترك الطريق الصحيح في سفره، وأخذ طريق مضيعة، هلك.

* **أما الرجل الثاني**: فهو المتعمد للخروج، فهو يعرف الحق، ويعرف أن ما خرج إليه باطل، لكن يتعمد الخروج عن الحق بقصد إضلال الناس.

الأول قصده إصلاح الناس، لكنه لم يسلك الطريق الصحيح، والثاني قصد إضلال الناس، وصرفهم عن الطريق الصحيح، فهذا شيطان؛ لأن الشياطين يُخرجون الناس عن الصراط المستقيم، يقول إبليس لربه عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦]، يريد أن يصرفهم عنه إلى الطرق المنحرفة، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ضرب لهذا مثلًا حينما خط خطًّا مستقيمًا، وخط حوله خطوطًا أخرى، فقال للخط المستقيم: «**هَذَا صِرَاطُ اللهِ**»، وقال للخطوط الأخرى: «**وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهَا**»(١).

---

(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: **هَذَا سَبِيلُ اللهِ**، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وقَالَ: **هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**، وَقَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]». أخرجه النسائي في الكبرى (١١١٠٩)، وأحمد (٧/ ٢٠٨)، والدارمي (٢٠٢)، وأبو يعلى (٩/ ١٥٨)، والمروزي في السنة (ص٩)، والطيالسي (١/ ١٩٧)، والبزار (٥/ ٩٩، ١١٣، ١٣١، ٢٥١)، وابن حبان في صحيحه (١/ ١٨٠)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٦٣)، والحاكم (٢/ ٢٦١)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢): (رواه أحمد والبزار، وفيه عاصم ابن بهدلة وهو ثقة، وفيه ضعف).

هذا مثال واضح، ويطابقه ما ذكره الشيخ هنا، فإن الذي يخرج بالناس عن الصراط المستقيم إلى السُبل المحدثة المبتدعة لا يريد لهم الخير، وإنما يريد لهم الهلاك، وهو شيطان، سواءً كان من شياطين الجن، أو من شياطين الإنس، علينا أن نحذر من هذا أشد من الحذر من الأول؛ لأن هذا متعمد لإضلال الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ، شَيْطَانٌ مَرِيدٌ**)؛ أي: هو ضالٌ في نفسه ومضلٌ لغيره، وهو شيطانٌ مريد متمرد يريد صرف الناس عن الصراط المستقيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**حَقِيقٌ عَلَى مَنْ عَرفُهُ أَنْ يُحَذِّرَ النَّاسَ مِنْهُ، وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ قِصَّتَهُ؛ لِئَلَّا يَقَعَ فِي بِدْعَتِهِ أَحَدٌ فَيَهْلِكَ**) أي: هذا الذي خرج عن الحق متعمدًا لا يجوز السكوت عنه، بل يجب أن يُكشف أمره، ويُفضح خزيه؛ حتى يحذره الناس، ولا يقال: الناس أحرار في الرأي، حرية الكلمة، احترام الرأي الآخر. كما يدندَنون به الآن من احترام الرأي الآخر، فالمسألة ليست مسألة آراء، المسألة مسألة اتباع، نحن قد رسم الله لنا طريقًا واضحًا، وقال لنا: سيروا عليه حينما قال: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا**﴾ [الأنعام:١٥٣]، فأي شخص يأتينا، ويريد منّا أن نخرج عن هذا الصراط، فإننا أولًا نرفض قوله، وثانيًا: نبين ونحذر الناس منه، ولا يسعنا السكوت عنه؛ لأننا إذا سكتنا عليه، اغتر به الناس، لاسيما إذا كان صاحب فصاحة ولسان وقلم وثقافة؛ فإن الناس يغترون به، ويقولون: هذا مؤهل، هذا من المفكرين. كما هو الحاصل الآن، فالمسألة خطيرة جدًّا، وهذا فيه وجوب الرد على المخالف عكس ما يقوله

أولئك، يقولون: اتركوا الردود، دعوا الناس، كلٌ له رأيه واحترامه، وحرية الرأي، وحرية الكلمة، بهذا تهلك الأمة، السلف ما سكتوا عن أمثال هؤلاء، بل فضحوهم، وردوا عليهم لعلمهم بخطرهم على الأمة، نحن لا يسعنا أن نسكت عن شرهم، بل لابد من بيان ما أنزل الله، وإلا فإننا نكون كاتمين من الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة:١٥٩]، فلا يقتصر الأمر على المبتدع، بل يتناول الأمر من سكت عنه، فإنه يتناوله الذم والعقاب؛ لأن الواجب البيان، والتوضيح للناس، وهذه وظيفة الردود العلمية المتوافرة الآن في مكتبات المسلمين، كلها تذب عن الصراط المستقيم، وتحذر من هؤلاء، فلا يروج هذه الفكرة -فكرة حرية الرأي، وحرية الكلمة، واحترام الآخر.. -، إلا مضلل كاتم للحق. نحن قصدنا الحق، ما قصدنا نجرح الناس، أو نتكلم في الناس، القصد هو بيان الحق، وهذه أمانة حمّلها الله العلماء، فلا يجوز السكوت عن أمثال هؤلاء، لكن مع الأسف لو يأتي عالم يرد على أمثال هؤلاء، قالوا: هذا متسرع.... إلى غير ذلك من الوساوس، فهذا لا يُخذل أهل العلم أن يُبينوا للناس شر دعاة الضلال، لا يخذلهم.



وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِسْلَامُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ مُتَّبِعًا مُصَدِّقًا مُسْلِمًا، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قد بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الإِسْلَامِ لَمْ يَكْفِنَاهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدْ كَذَّبَهُمْ، وَكَفَى بِهَذا فُرْقَةً وَطَعْنًا عَلَيْهِمْ! فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ، مُحْدِثٌ فِي الإِسْلَامِ مَا لَيْسَ مِنْهُ.

الشَّرح

هذا تتمة للكلام السابق، فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**لَا يَتِمُّ إِسْلَامُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ مُتَّبِعًا مُصَدِّقًا مُسْلِمًا**)، متبعًا لا مبتدعًا، مصدقًا لا شاكًّا أو مترددًا، (مسلمًا)، يعني: مسلمًا للكتاب والسنة؛ لأن هذه الأمور محل تسليم، وليست محل جدال، نسلم لله ولرسوله ﷺ، ولا نجادل في هذا الأمر، أو نُدلي برأينا -كما يقولون- مع كلام الله وكلام رسوله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قد بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الإِسْلَامِ لَمْ يَكْفِنَاهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَدْ كَذَّبَهُمْ**)؛ أي: من زعم أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قصّروا في بيان الحق وتوضيحه وحمله للناس عن الرسول ﷺ، ويزعم أن له مجالًا أن يتكلم، أو يضيف شيئًا، فهذا يريد الشر بالناس؛ لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما تركوا مما سمعوا من الرسول ﷺ، أو رأوه شيئًا، إلا بلّغوه للأمة بأمانة، وبيّنوه للأمة، ولذلك تفسير الصحابة يُقدَّم على تفسير غيرهم[1]؛ لأنهم تلاميذ الرسول ﷺ، وسمعوا

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة كتاب فضائل القرآن: (إذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوا من القرائن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، =

منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن، وسمعوا منه الأحاديث، وسمعوا منه بيان القرآن، ورأوا عمله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنقلوا ذلك بأمانة، فهم لم يتركوا شيئًا، فمن زعم أنهم قصروا، وتركوا شيئًا لم يبلغوه، فإنه كذّابٌ مفتر ضالٌّ مُضل، يشكك الناس في دين الله، وفي حملته من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يخون الصحابة؛ كما هي طريقة أهل البدع، يخونون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويتهمونهم؛ من أجل أن يُسقطوا الواسطة بيننا وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجب الحذر من هؤلاء، وأن نعلم قدر الصحابة ومكانتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

من أين جاءنا هذا القرآن وهذه الأحاديث وهذا الفقه، إلا من حملهم، وتحملهم عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هم الذين حملوه لنا، ورووه لنا كاملًا، كلٌّ على قدر ما وهبه الله، وكلٌّ على قدر طاقته، ما تركوا شيئًا من دين الله، إلا بلّغوه كما تحمّلوه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم موضع الثقة؛ لأن الله اختارهم لصحبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحمل عنه، والرواية عنه، اختارهم الله لذلك، فيأتي من يتهمهم بالتقصير، أو يتهمهم بالنقص، لا يقول هذا إلا ضالٌّ مضل، يريد أن يقطع صلة الأمة بصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالتالي يقطع صلتهم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نحن ما حضرنا مجالس الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا سمعناها، وبيننا وبينه قرون، فالصحابة الأكرمون

=والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم، وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود). انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٨)، ومقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ص٤٠).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الذين بلغونا عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمقام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الدين مقامٌ عظيم(١)، ولا يُتهمون أنهم أخفوا شيئًا، أو كتموا شيئًا ولم يبينوه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ، مُحْدِثٌ فِي الإِسْلَامِ مَا لَيْسَ مِنْهُ**)، هذا هو قصده؛ أن يُحدث في الإسلام ما ليس منه، ولا يتمكن من ذلك إلا إذا طعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وخوّنهم، وكذّبهم، حينئذٍ هو يبتكر من عنده أشياء، ويقول: هذا هو الدين الذي يجب أن نسير عليه، هذا هدفهم من تكذيب الصحابة وتخوينهم وتنقصهم؛ أن تسمح لهم الفرصة ليضعوا للناس دينًا من عند أنفسهم، وبحسب عقولهم وآرائهم، وأن نأخذ عن شيوخ الضلال وأئمة الضلال، الذين بدّلوا سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) قال ابن كثير: (وَقَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَلَغَنِي أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا إِذَا رَأَوُا الصَّحَابَةَ الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّامَ يَقُولُونَ: وَاللهِ لَهَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فِيمَا بَلَغَنَا. وَصَدَقُوا فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ مُعَظَّمَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَأَعْظَمُهَا وَأَفْضَلُهَا أَصْحَابُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد نَوَّهَ اللهُ بِذِكْرِهِمْ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَدَاوَلَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُ﴾ أَيْ: فِرَاخَهُ، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أَيْ: شَدَّهُ ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أَيْ: شَبَّ وَطَالَ، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أَيْ: فَكَذَلِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آزَرُوهُ وَأَيَّدُوهُ وَنَصَرُوهُ فَهُمْ مَعَهُ كَالشَّطْءِ مَعَ الزَّرْعِ، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾. وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ انْتَزَعَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، -فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ-بِتَكْفِيرِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ، قَالَ: لِأَنَّهُمْ يَغِيظُونَهُمْ، وَمَنْ غَاظَ الصَّحَابَةَ فَهُوَ كَافِرٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ. وَوَافَقَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى ذَلِكَ). انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٢).

بالكذب، وزيفوا مشايخ وأسانيد من عندهم؛ مخالفة لمصادر الإسلام، وهذا شيءٌ واضح موجود في تراثهم وأفكارهم، لكن نحمد الله أنه بقي ما بأيديهم من الضلال محاصرًا، تكشفه أضواء الحق وأنوار الوحي، تكشف ما عندهم من هذا الكذب الكثير المدون في كتبهم.



وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ لَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا تُضْرَبُ لَهَا الأَمْثَالُ، وَلَا تُتَّبَعُ فِيهَا الأَهْوَاءُ، بَلْ هُوَ التَّصْدِيقُ بِآثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِلَا كَيْفٍ وَلَا شَرْحٍ، وَلَا يُقَالُ: لِمَ وَلَا كَيْفَ.

الشَّرْح

السنة المراد بها هنا: العقيدة[1]؛ لأن هذا الكتاب في موضوع العقيدة، والعقيدة هي السنة، وهذا الكتاب اسمه: (شرح السنة)، سُميت سنة؛ لأن السنة هي الطريق، والعقيدة توقيفية، لا مجال للزيادة فيها أبدًا، مدارها على ما جاء عن الله ورسوله، وما خالف ما جاء عن الله ورسوله، فإنه باطل وضلال، فهذا معنى قول العلماء: إن العقيدة توقيفية، لا يدخلها القياس؛ لأن القياس إنما هو في مسائل الفقه، هي التي يدخلها القياس، وهي أحكام الحلال والحرام، أما مسائل العقيدة، فليس فيها قياس، وإنما هي تسليم وانقياد لما جاء عن الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير تدخل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَلَا تُتَّبَعُ فِيهَا الأَهْوَاءُ)**؛ يعني: لا يقال في العقيدة: ما وافق الهوى يؤخذ، وما خالف الهوى يُرد؛ كما هي طريقة أهل الضلال، ولذلك سُموا أهل الأهواء، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠]، فمن لم يسلِّم للعقيدة الثابتة في الكتاب والسنة، فهو إنما يتبع هواه، ولذلك

(١) انظر: ما سيأتي في شرح معاني السنة (ص٣٨٣).

يُسمى أهل البدع في العقيدة (أهل الأهواء)؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم؛ كما في الآية: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَلْ هُوَ التَّصْدِيقُ بِآثَارِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **بِلا كَيْفٍ وَلَا شَرْحٍ، وَلَا يُقَالُ: لِمَ وَلَا كَيف**)؛ أي: التسليم لأقوال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أسماء الله، وصفاته، وأمور العقيدة، (وَلَا شَرْحٍ)؛ يعني: بلا شرحٍ يخالف معناها الصحيح، وهو الشرح الذي يخالف مدلول النصوص، وهذا انتشر في الجهمية، والمعتزلة[1]، والأشاعرة[2]؛ كزعمهم أن المراد باليد: القُدرة، و

---

(١) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو ابن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها.
وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة.
انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠-٣٢)، والفرق بين الفرق (ص١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨). وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٧٩١-٧٩٢).

(٢) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتتلمذ على يد أبي علي الجبائي ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كلاب وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة. اهـ. =

المراد بالوجه: الذات، و المراد بالاستواء: الاستيلاء. هذا شرحٌ باطل، ليس هذا هو معنى هذه النصوص، فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بلَا شَرْحٍ)؛ يعني: بلا شرحٍ باطل، أما شرحها بمعنى بيان معناها الصحيح، فهذا حقٌّ.



= انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٠٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٨٧).

فَالْكَلامُ وَالْخُصُومةُ وَالْجِدَالُ وَالْمِراءُ مُحْدَثٌ يَقْدحُ الشَّكَّ في القَلْبِ، وإنْ أَصَابَ صَاحِبُهُ الحقَّ وَالسُّنَّةَ.

الشَّرْح

هذه الأمور: الكلام، والجدال، والخصومات التي حصلت بين الفِرق كلها أمورٌ محدثة، والذي سبّبها هو اتباع الأهواء، ومن كان هواه تابعًا لما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه لا يكون عنده شك، ولا مراء، ولا جدال، ولاخصومة؛ لأنه مُسلِّم منقاد، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨]، ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣]، المسألة مسألة اتباع وانقياد وتسليم لأمر الله ورسوله، من غير جدالٍ ومخاصمات[1]، ما وقع أهل الضلال بالخصومات والجدال إلا بسبب هذا؛ أنهم لم يسلموا لله ولرسوله كما سلَّم أهل السنة والجماعة، ولذلك تجدون أهل السنة والجماعة -ولله الحمد- متحدين، ليس بينهم اختلاف في أمر العقيدة، إنما الخلاف عند الفِرق الضالة، قال تعالى:

---

(١) عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨]». رواه الترمذي (٣٢٥٣) وقال: (حسن صحيح)، وابن ماجه (٤٨)، وأحمد (٣٦/ ٤٩٣). قال ابن مفلح: (وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ إذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِقَوْمٍ شَرًّا فَتَحَ عَلَيْهِمْ الْجِدَالَ، وَمَنَعَهُمْ الْعَمَلَ. وَقَالَ مَالِكٌ: لَيْسَ هَذَا الْجَدَلُ مِنْ الدِّينِ بِشَيْءٍ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يُقَسِّي الْقُلُوبَ وَيُوَرِّثُ الضَّغَائِنَ). انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٠٢).

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧]، ومصداق هذا في آية أخرى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنْ أَصَابَ صَاحِبُهُ الحقَّ وَالسُّنَّةَ)**؛ أي: فهو مخطئ؛ لأنه أصابهما من غير الطريق الصحيح؛ لأن الطريق الصحيح: هو التسليم وعدم الخوض والجدال والمراء الذي يشحن القلوب، ويبعث على الأحقاد، ويبعث -أيضًا- على أشد من ذلك، وهو التكفير؛ لأن الفِرق الضالة يُكفر بعضها بعضًا، ويضلل بعضها بعضًا، ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢]، كل واحد يعتبر أن ما هو عليه هو الصحيح، أما أهل السنة والجماعة الذين سلّموا للأمر وانقادوا، فإنهم لم يحصل بينهم خلاف -ولله الحمد-، ولا يُكفّر بعضهم بعضًا، ولا يُضلل بعضهم بعضًا، بل يُثني بعضهم على بعض، ويقتدي بعضهم ببعض؛ لأنهم على طريقٍ صحيح، إنما تحصل الإحن والأحقاد والتكفير والتضليل بسبب مخالفة الحق، والأخذ بالآراء والأفكار، لا شك أن كل واحد يريد أن ينتصر لرأيه، ولا يقبل أن تقول له: أنت مخطئ. معنى هذا أنك تتهم عقله بالنقص، وهولا يرضى بهذا، لكن إذا قلت لصاحب الحق إذا أخطأ: أنت أخطأت الدليل، أخطأت السنة. فإنه يقبل؛ لأن قصده الحق، وليس قصده الانتصار لرأيه، فإذا قلت: يا فلان، أنت أخطأت السنة، وأخطأت الدليل. فإنه يقبل، ويتراجع، أما إذا قلت لصاحب الهوى: أنت أخطأت. فإنه يغضب، ويشتد، وهذه علامة أهل الأهواء؛ أن كل واحد يريد أن ينتصر لهواه، أما صاحب الحق، فهو يريد أن ينتصر للحق، وهو يبحث عن الحق، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها، أخذها.

وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ الْكَلَامَ فِي الرَّبِّ تَعَالَى مُحْدَثٌ، وَهُوَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ، وَلَا يُتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ، فَهُوَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- وَاحِدٌ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، رَبُّنَا أَوَّلٌ بِلَا مَتَى، وَآخِرٌ بِلَا مُنْتَهَى، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى[1]، وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَنَّ الْكَلَامَ فِي الرَّبِّ تَعَالَى مُحْدَثٌ، وَهُوَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ)**؛ أي: الكلام في ذات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي أسمائه وصفاته أمرٌ مُحدث، أحدثه أهل الضلال الذين لا يسلِّمون للنصوص، وليس عندهم خشية لله عَزَّوَجَلَّ؛ فهم يتكلمون في ذات الرب، ويتكلمون في أسمائه وصفاته، ويجحدون، وينفون ما أثبته الله لنفسه، أو ما أثبته له رسوله، ويأتون من عندهم بآراء، ويقولون: هذه هي الصواب. يتكلمون في تفسير النصوص بغير تفسيرها، أو أنهم يقولون: ما نفهمها، نفوضها إلى الله. ويصير كلام الله وكلام رسوله بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهمه العرب.

فالواجب على المسلمين أن يستمروا مع الطريق الصحيح، وعلى طريق السلف، وألا يلتفتوا لهؤلاء المضللين الذين يجادلون في الله بغير سلطانٍ

(١) ورد ذكر الاستواء في سبعة مواضع: الأعراف آية (٥٤)، يونس آية (٣)، الرعد آية (٢)، طه آية (٥)، الفرقان آية (٥٩)، السجدة آية (٤)، الحديد آية (٤).
وانظر: شرح نونية ابن القيم (١/ ٥١٠) بشرح ابن عيسى.

أتاهم، يجادلون في القرآن، ويجادلون في السنة، شأنهم الجدال، فهؤلاء يجب الحذر منهم، هؤلاء ليسوا متبعين، وإنما هم مبتدعون يتبعون أهواءهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا يُتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ)**، لما نهي عن الجدال في الله عَزَّوَجَلَّ والخصومات في أسماء الله وصفاته، بيّن الواجب، وهو: أن نقر القرآن والسنة كما جاءا، على معناها المعنى المأخوذُ من اللغة التي نزل بها القرآن والسنة، فالعلم معروفٌ معناه في اللغة، كذلك الوجه معروف، والعين، واليد، والاستواء، والعلو، كل هذه وأمثالها معروف معناها في اللغة العربية التي نزل بها القرآن[1]، أهل الضلال يقولون: ليس هذا الكلام على ظاهره. وانقسموا إلى قسمين:

* قسمٌ قالوا: نتوقف، ونقول: ظاهرها غير مراد، ولا نفهم المراد منها. وهم المفوضة.

* وقسمٌ هم المؤولة -وهم الأكثر-، أوّلوها بغير معناها الصحيح، فضلوا، وأضلوا، وشغلوا الناس، وشحنوا الكتب بهذه المناظرات والمجادلات والمخاصمات بغير طائل.

فالواجب التسليم لما في القرآن والسنة من أسماء الله وصفاته؛ على مراد الله ورسوله؛ لأن الله أعلم بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأعلم بغيره، وأعلم الخلق

---

(١) قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن سأله عن كيفية الاستواء: «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ». أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤- ٣٠٥)، وفي الاعتقاد (ص١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٠)، وفي العلو (ص١٣٩).

بالله هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما نحن، فعلمنا قاصر، نحن لا نعلم كثيرًا مما في أنفسنا من التفاصيل والعروق والحواس، هناك أشياء لا نعرفها، هل تعرف الروح ما هي؟ العقل ما هو؟ إذا كنت لاتعرف شيئًا من جسمك، ولا من نفسك، فكيف تتكلم في ذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، التي لا يعلمها إلا هو سبحانه؟! ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، هذا خارج عن معلوماتهم، و عن تصوراتهم، ولا يُقاس الله بخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ هذا من تنقص الله عَزَّوَجَلَّ، فهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلًا، وأحسن حديثًا من خلقه؛ كما يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في الواسطية[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَمَا بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَصْحَابِهِ)**، مدار الأسماء والصفات على الكتاب والسنة، وتفسيرها -أيضًا- في الكتاب والسنة ولغة العرب التي نزل بها الشرع، ولا نذهب لمنطق أرسطو، أو أفلاطون[2]، أو

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية: (فإنه -سبحانه- أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثًا من خلقه). انظر: الواسطية ص (١٧) بشرح المؤلف -حفظه الله تعالى-.

(٢) قال في كشف الظنون: (ثم تكلم على الفلسفة سقراط من مدينة اتينه بلد الحكمة، ومن أصحاب سقراط أفلاطون، كان من أشراف اليونان، وكان في قديم أمره يميل إلى الشعر، فأخذ منه بخط عظيم، ثم حضر مجلس سقراط، فرآه يثلب الشعراء، فتركه، ثم انتقل الى قول فيثاغورس في الأشياء المعقولة، وعنه أخذ أرسطاطاليس، وألف كتبًا وترتيب كتبه هكذا المنطقيات الطبيعيات الإلهيات الخلقيات). (١/ ٦٨١).
وجاء في أبجد العلوم: (من أساتذة الحكمة الحكيم أفلاطون أحد الأساطين الخمسة للحكمة من يونان كبير القدر مقبول القول البليغ في مقاصده أخذ عن فيثاغورس، وشارك مع سقراط في الأخذ عنه، وصنف في الحكمة كتبًا كثيرة، لكن اختار فيها الرمز والإغلاق، وكان يعلم تلاميذه وهو ماش ولهذا سموا المشائين». (٢/ ١٠٣). =

فلان، أو علان؛ هذا من التجني على شريعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن استبدال الوحي بالمنطق وعلم الكلام، وماذا جنى علم الكلام والجدال على هؤلاء من الضلال والخيبة والخسران؟! ولم يصلوا إلى نتيجة، وهذا بإقرارهم؛ أفنوا أعمارهم بالجدال والخصومات، وأقرّوا في نهاية الأمر أنهم ما وصلوا إلى نتيجة، ولو أنهم سلَّموا لله ولرسوله، لاستراحوا، ولهذا يقول قائلهم:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ ... وَأَغْلَبُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... .

إلى أن قال:

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا قِيلَ وَقَالُوا[1]

= وقال عن أرسطو: «وكان لهذه العلوم شأن عظيم، وحملها مشاهير من رجالهم، مثل: أساطين الحكمة، واختص فيها المشاؤون منهم أصحاب الذوق، واتصل سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه إلى سقراط، ثم إلى تلميذه أفلاطون، ثم إلى تلميذه أرسطو ثم إلى تلميذه إسكندر الأفرودوسي، وكان أرسطو أرسخهم في هذه العلوم ولذلك يسمى المعلم الأول». انظر: أبجد العلوم (٢/ ٢٥٠)، و(٢٥٣).

(١) يعني: قول الرازي:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الكَلامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الفَلْسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلًا، وَلا تَرْوِي غَلِيلًا، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ القُرْآنِ، أَقْرَأُ فِي الإِثْبَاتِ ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر:١٠]، وَأَقْرَأُ فِي النَّفْيِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشُّورَى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي. اهـ.

والرازي هو: المتكلم صاحب التفسير، والتصانيف محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي، ويقال له: =

فقد صاروا في شك، وفي ريب، أما الذين سلَّموا لله ولرسوله، فقد استراحوا من هذا. ويقول أهل الضلال -أيضًا-[١]:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ المَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ[٢]

=ابن خطيب الري، صاحب التفسير المسمى «مفاتح الغيب»، وله «أساس التقديس»، و«أقسام اللذات»، وكان مع غزارة علمه في فن الكلام يقول: من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز. ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وتوفي سنة ست وستمائة.

انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٥٠)، والوافي بالوفيات (٤/ ١٧٥)، وسير الأعلام (٢١/ ٥٠٠، ٥٠١)، والبداية والنهاية (١٣/ ٥٥)، وطبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٨١)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص ٢٧٧)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٧٣)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٩٥)، ودرء التعارض (١/ ١٦٠)، ومنهاج السنة النبوية (٥/ ٢٧١) وذكر الدكتور محمد رشاد سالم في الحاشية: (أن شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر أن الرازي كان يتمثل بهذا الكلام في كتابه «أقسام اللذات»، وذكر الدكتور أن هذا الكتاب مخطوط بالهند، ولم يذكره بروكلمان ضمن مؤلفات الرازي).

(١) هذا كلام الشهرستاني، وهو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني شيخ المتكلمين، وصاحب التصانيف.

قال ابن رسلان: (عالم كيِّس متفنن، ولولا ميله إلى أهل الإلحاد، وتخبطه في الاعتقاد لكان هو الإمام). ولد سنة (٤٦٧)، وتوفي سنة (٥٤٩) هـ، وله من المؤلفات «نهاية الإقدام»، وكتاب «الملل والنحل»، انظر: السير (٢٠/ ٢٨٦)، ولسان الميزان (٥/ ٢٦٣)، وشذرات الذهب (٤/ ١٤٩).

(٢) هذان البيتان ذكرهما الشهرستاني في أول كتابه نهاية الإقدام في علم الكلام (ص ٣)، ولم ينسبهما لأحد. انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٧٠)، وإيثار الحق على الخلق لابن الوزير (ص ١٤٠). وقد قيل: إن هذين البيتين لأبي بكر محمد بن باجه المعروف بابن الصانع، وقيل: إنهما لابن سينا. انظر: مقدمة الملل والنحل، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢٧٤)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٢٨) ونسبهما لأبي عبد الله الشهرستاني. وقد رد عليه الأمير الصنعاني قائلًا: =

طاف المعاهد كلها -معاهد الكلام، والمنطق، والجدال-، وسيّر طرفه بينها، فلم يجد فيها ما يشفي العليل، وقال الرازي: (لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَهُوَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- وَاحِدٌ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾**) هو سبحانه واحد، لا يشاركه أحد؛ لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في خلقه وأفعاله، ولا في عبادته، ليس له شريك، فلماذا تتعب نفسك؟ أنت مخلوق وهو خالق، كيف يحيط المخلوق بالخالق جَلَّ وَعَلَا؟ فأنت مجالك أن تسّلم لله ولرسوله، ولا تجادل، ولا تمار، ولا تتعب نفسك، وتتعب الآخرين، هذا هو الواجب والفرض، ولذلك الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لم يتكلفوا هذا التكلف، ولا توقفوا عند آية، أو عند حديث، بل يقرؤونها، ويسلمون لها، ويعتقدون ما فيها، ولا حصل عندهم مشاكل أبدًا[1]، فالمجال

= لَعَلَّكَ أَهْمَلْتَ الطَّوَافَ بِمَعْهَدِ ... الرَّسُولِ وَمَنْ لَاقَاهُ مِنْ كُلِّ عَالِمِ
فَمَا حَارَ مَنْ يَهْدِي بِهَدْيِ مُحَمَّدٍ ... وَلَسْتَ تَرَاهُ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

انظر: حاشية درء التعارض (١/ ١٥٩)، وحاشية منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٧٠)؛ حيث بيَّن الدكتور محمد رشاد سالم أن كلمة (لعمري) ليست من البيتين، بل هي تابعة لما قبلها.

(١) كما في حديث أبي رزين العقيلي واسمه لقيط بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عندما سمع قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضَحِكَ رَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبَ غِيَرِهِ» فقال أبو رزين: «إِنَّ رَبَّنَا لَيَضْحَكُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَا نَعْدِمُ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا». أخرجه ابن ماجه (٨١)، =

هو مجال التسليم والانقياد، ولا نخوض في العقائد بما خاض به أهل الجدل وأهل الكلام وأهل المنطق، فتكون النتيجة كما أقرّوا على أنفسهم من الحيرة والاضطراب، وعدم الوصول إلى نتيجة؛ كما قال أحدهم[1]:

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

قال فلان، وقال فلان، وإن قال كذا، فالجواب كذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**رَبُّنَا أَوَّلٌ بِلَا مَتَى، وَآخِرٌ بِلَا مُنْتَهَى**)، الله جَلَّ وَعَلَا أولٌ بلا بداية، وآخرٌ بلا نهاية؛ قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ**﴾ [الحديد:٣]، أسماء متقابلة؛ الأول يقابله الآخر، الظاهر يقابله الباطن، وقد فسّر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية في قوله: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»[2]، هذا تفسير الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يأتي من يفسر غير تفسير الرسول، ويقول: الظاهر يعني: ظهر للعقول، وظهر

=والإمام أحمد في المسند (٤/ ١١، ١٢)، والطبراني في الكبير (٤٦٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٤٤)، والدارقطني في الصفات (ص٢٨)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٢٦)، والآجري في الشريعة (٦٨٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤١١)، والطيالسي في مسنده (١٠٩٢)، ومدار الحديث على وكيع بن حدس، ويقال: (عدس) لينه الحافظ في التقريب، وله شاهد عند عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٤/ ١٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤٤٠)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٤٦٠)، والطبراني في الكبير (٤٧٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٥)، وفيه مقال أيضًا، لكنه يتقوى به. لذا قال ابن القيم: (صححه بعض الحفاظ) اهـ. انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٤٣٩)، وحسنه شيخ الإسلام في الواسطية (٢/ ٢٦) مع شرح العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) راجع (ص٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بالبراهين، وليس معناه أنه فوق المخلوقات، أو أنه عالٍ على العرش. فهذا باطل، مخالف لتفسير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أعلم الناس بالله هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد فسر هذه الآية بتفسيرٍ واضح؛ بأن (الأول) هو الذي ليس قبله شيء؛ (أول بلا بداية)، و(الآخر) هو الذي ليس بعده شيء؛ (آخر بلا نهاية)، و(الظاهر) الذي ليس فوقه شيء، هو فوق مخلوقاته ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام:٦١]، له فوقية الذات، وفوقية القدر، وفوقية القهر[1] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»؛ يعني: أنه يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه شيء، فهو مع كونه عاليًا على مخلوقاته لا يخفى عليه شيءٌ من بواطنهم وما تخفيه صدورهم، ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، ثم يجيء من يقول: الله جَلَّ وَعَلَا لا فوق ولا تحت، ولا يمنة ولايسرة، ولا داخل العالم ولا خارجه[2]. فهذا معناه أنه معدوم؛ كما في كتب علماء الكلام.

---

(١) انظر: أنواع الفوقية في النونية لابن القيم (١/ ٤٠١) بشرح ابن عيسى، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْـفَـوْقُ وَصْـفٌ ثَـابِـتٌ بِـالـذَّاتِ مِـنْ ... كُـلِّ الْـوُجُـوهِ لِـفَـاطِـرِ الْأَكْـوَانِ
لَـكِـنْ نُـفَـاةُ الْـفَـوْقِ مَـا وَفَـوْا بِـهِ ... جَـحَـدُوا كَـمَـالَ الْـفَـوْقِ لِـلدَّيَّـانِ
بَـلْ فَـسَّـرُوهُ بِـأَنَّ قَـدْرَ اللهِ ... أَعْـلَـى لَا بِـفَـوْقِ الـذَّاتِ لِـلرَّحْمَـنِ
قَـالُـوا: وَهَـذَا مِـثْـلُ قَـوْلِ الـنَّـاسِ فِي ... ذَهَـبٍ يُـرَى مِـنْ خَـالِـصِ الْـعِـقْـيَـانِ
هُـوَ فَـوْقَ جِـنْسِ الْـفِـضَّـةِ الْـبَـيْـضَـاءِ لا ... بِـالـذَّاتِ بَـلْ فِي مُـقْـتَـضَـى الْأَثْـمَـانِ
وَالْـفَـوْقُ أَنْـوَاعٌ ثَـلَاثٌ كُـلُّـهَـا ... لله ثَـابِـتَـةٌ بِـلَا نُـكْـرَانِ
هَـذَا الَّـذِي قَـالُـوا وَفَـوْقَ الْـقَـهْـرِ ... وَالْـفَـوْقِـيَّـةِ الْـعُـلْـيَـا عَـلَـى الْأَكْـوَانِ

(٢) انظر: الفصل في الملل والنحل لابن حزم (١/ ٣٣)، والتدمرية (ص: ٦٠)، وشفاء العليل لابن القيم (١/ ٣٠٦)، وشرح الطحاوية (ص١٠٩). =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى**)، فكونه يعلم ما في الأرض، وما تحت الأرض، وما تحت الثرى، لا يتنافى مع كونه فوق العرش؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا يحيط بكل شيء، ولا يحيط به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شيء، والخلق كله بالنسبة إليه صغير كلا شيء، وهو العظيم الكبير المتعال الجليل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا نقيسه بأنفسنا، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧][(١)]، المخلوقات بالنسبة إليه كلا شيء، وإن كانت في أنظار الناس عظيمة، لكن بالنسبة إليه كلا شيء أمام عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن هؤلاء ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ حين جحدوا قدرته وعظمته، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن

= وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا هو الذي يألهه طوائف أهل الوحدة، والجهمية الذين أنكروا أن يكون الله تعالى لا خارج العالم ولا داخله، فإن هذا إنما هو إله مفروض يفرضه الذهن كما يفرض سائر الممتنعات الخارجة، وتظنه واجب الوجود، وليس هو ممكن الوجود فضلًا عن وجوبه، وبهذا يتبين أن الجهمية وإخوانهم من القائلين بوحدة الوجود ليس لهم إله معين في الخارج يألهونه ويعبدونه، بل هؤلاء ألهوا الوجود المطلق الكلي، وأولئك ألهوا المعدوم الممتنع وجوده، واتباع الأنبياء إلههم الله الذي ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَىٰ ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾). اهـ انظر: شفاء العليل (١/ ٣٠٦-٣٠٧).

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣)، ومسلم (٢١) (٢٧٨٦) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٩١]».

﴿يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الحج:٧٣-٧٤]، ما عرفوا عظمة الله، وقدرته، وجلاله، وعلمه؛ فهم يقيسونه على أنفسهم، ولذلك تنقصوا الله عَزَّوَجَلَّ.

إذا كنتم بأجمعكم -من أولكم إلى آخركم، وجنّكم وإنسكم- لو اجتمعتم لخلق ذباب -أقل شيء-، لن تستطيعوا، وخصوصًا الذين تدعونهم من دون الله من الآلهة والأرباب ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾، لو تجمع مهرة الأطباء والحذّاق في العالم، والصنّاع والمخترعين، وتقول لهم: أوجدوا لنا ذبابًا. لا يستطيعون، مع أنهم يستطيعون أن يبنوا البواخر الهائلة، والتي فيها مطارات، وتحمل الطائرات، ويبنوا الطائرات الكبيرة، يقدرون على صنع هذه الأشياء، أما خلق الذباب، وإيداع الروح فيه، فلا يستطيعون، هم يصورون صورة الذباب، والإنسان، والسبع، ونحو ذلك، لكن لا يستطيعون أن يجعلوه يمشي ويتكلم، إنما يخططون فقط تخطيطًا، لكن نفخ الروح من أمر الله جَلَّوَعَلَا، فكيف يقاس الخالق جَلَّوَعَلَا بالمخلوق؟! لا تبلغه العقول والأوهام، ولا تتخيله الأفكار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى)**، لا يتنافى استواؤه على العرش مع كونه يعلم السر وأخفى[1]، فلا يقال: إنه إذا استوى

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة الواسطية: (وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به في كتابه، وتواتر عن رسوله، وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤]). =

على العرش، يكون بعيدًا عن الناس، ولا يسمع، ولا يرى. فهذا تشبيه للرب بالمخلوق؛ الله جَلَّوَعَلَا الأشياء عنده سواء، لا يخفى عليه شيء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ القريب والبعيد، وأول الخلق وآخره، والدنيا والآخرة، كل شيء هو في علم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولذلك هذا الكون الهائل يسيره سبحانه بقدرته وإرادته وصنعته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر:٤١]، سير الأفلاك، وسير الشمس والقمر، على هذا الحساب الدقيق الذي لا يتخلف، ولا يغلط، ولا يخطئ، هذا من الذي نظمه هذا التنظيم؟ هو الله جَلَّوَعَلَا.

القمر والنجوم منظمة سائرة كما هي إلى أن يشاء الله نهاية هذه الدنيا، والانتقال إلى الآخرة، الذي نظمها حكيمٌ عليمٌ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فلو تأملت في هذا الكون، لأدركت عظمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، الناس عندما يرون آلة دقيقة يتعجبون من هذه الصناعة، وهذا الصانع، وهي قطعة صغيرة، فكيف بالكون كله الذي لا يتخلف، من الذي يمده؟ ومن الذي يصونه؟ من الذي يصون هذا الكون كله، ولا يتغير، ولا يتخلف، ولا يقصر فيه شيء؟ هو الله جَلَّوَعَلَا.

هذه المخلوقات -الصغير منها والكبير- من الذي يجلب لها الأرزاق، مخلوقات هائلة، من الذي أوجد لها الرزق كلٌّ بحسب حاله؟ هو الله جَلَّوَعَلَا.

= وقال -أيضًا-: (وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه، ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه، وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو علي في دنوه قريب في علوه). انظر: الواسطية (ص١٢٩-١٣٤) بشرح المؤلف -حفظه الله تعالى.

فالواجب أن نسلّم لما جاء عن الله؛ لأنه أعلم بنفسه، ونسلم لما جاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم الخلق بربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولانعترض، ولا نتدخل بعقولنا وأفكارنا.

فلا منافاة بين (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى)، وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ)، علمه بكل مكان، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران:٥]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾؛ يعني: بالنوم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾؛ أي: ما كسبتم ﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام:٦٠]، تقومون من النوم، من الذي أنامكم في الأول؟ ومن الذي أيقظكم؟ هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلو فكرت في هذا الكون، لدلّك هذا على عظمة الله، وسلّمت لله عَزَّوَجَلَّ.

لو تأملت في كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أخبر به من الحوادث الماضية والمستقبلة، التي تأتي كما أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من الذي دلَّه على هذا؟ هو الله جَلَّوَعَلَا، هو الذي أوحى إليه، ليس هو من عنده، وإنما هو من عند الله عَزَّوَجَلَّ، لو نزلت الأحاديث على الوقائع، فإنك تتعجب، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر لنا من سير الأنبياء والأمم الشيء الكثير، مع أن عصره متأخر، من الذي

أطلعه على هذا؟ هو الله جَلَّوَعَلَا، فهذا دليل على أنه رسول من عند الله[1]، هذا القرآن العظيم لا يمكن أن يأتي به من عند غير الله ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]، هو من كلام الله جَلَّوَعَلَا، وإنما الرسول مبلِّغ عن الله جَلَّوَعَلَا، ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام:١٩]، فهو مبلِّغ عن الله جَلَّوَعَلَا.



(١) انظر: دلائل النبوة للفريابي، ودلائل النبوة للبيهقي، ودلائل النبوة للأصبهاني، والنبوات لابن تيمية، وأعلام النبوة لأبي الحسن الماوردي (ص١٤٧-١٧٩).

وَلَا يَقُولُ فِي صِفَاتِ الرَّبِّ تَعالى: «كَيْفَ» وَ«لِمَ»، إِلَّا شَاكٌّ فِي اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الشَّرْح

لا يُسأل عن الكيفية، ولا يُسأل عن التعليل؛ لِمَ قال كذا؟ بل يسلم لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه لا يعلم الكيفية إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ وَتَنْزِيلُهُ وَنُورُهُ، وَلَيْسَ مَخْلُوقًا؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنَ اللهِ، وَمَا كَانَ مِنَ اللهِ، فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَهَكَذَا قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَمَنْ قَبْلَهُمَا مِنَ الْفُقَهَاءِ وَمَنْ بَعْدَهُمَا، وَالْمِرَاءُ فِيهِ كُفْرٌ.

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ وَتَنْزِيلُهُ وَنُورُهُ، وَلَيْسَ مَخْلُوقًا)**، من اعتقاد أهل السنة والجماعة: أن القرآن كلام الله، تكلم به حقيقة، وسمعه منه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونزل به على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه عقيدة، لم يخالف فيها أحدٌ من أهل العلم السائرين على سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما خالف فيها أهل الضلال من الجهمية -أتباع الجهم بن صفوان[1]-، وأفراخ الجهمية من المعتزلة[2]، والزيدية[3]، .....

(١) هم: أتباع الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًّا عظيمًا، رأس في التعطيل، قتله سلْم ابن أحوز سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٥٩).

(٢) هم: أتباع واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك. انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠-٣٢)، والفرق بين الفرق (ص ١٨، ٩٣، ٩٤)، والسير (٥/ ٤٦٤).

(٣) **الزيدية**: هم القائلون بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وتشيعوا له لما خرج زيد يدعو إلى طاعته جاءته طائفة وقالوا: (تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نبايعك، فقال: بل أتبرأ ممن تبرأ منهما، فقالوا: إذًا نرفضك). فسموا رافضة من يومئذ، وسميت شيعته زيدية، وهم فِرق شتى، وقولهم في الولاء أو البراء من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مختلف. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٤١)، وشذرات الذهب (١/ ١٥٨).

والشيعة[١]، كل هؤلاء أخذوا عن الجهمية هذه المسألة، وكذلك الإباضية[٢]، كلهم يسيرون على هذا المنهج المخالف لمنهج أهل السنة والجماعة، فيرون أن القرآن مخلوق؛ لأن الله عندهم لا يوصف بأنه يتكلم؛ كما أنه لا يُوصف بالسمع والبصر، والعلم والإرادة، وغير ذلك عندهم، ولايوصف بأن له وجهًا، وأن له يدين، إلى غير ذلك، وقصدهم من هذا إفساد العقيدة، وإن كانوا يتظاهرون أن قصدهم تنزيه الله جَلَّوَعَلَا عن مشابهة المخلوقين، وهذا زعمٌ باطل؛ فإن صفات الرب سبحانه لا تُشبه صفات المخلوقين، الرب جَلَّوَعَلَا له أسماء وصفات تليق به وبعظمته، وللمخلوقين أسماء وصفات تليق بهم وببشريتهم؛ فلا تشابه بين النوعين من جهة الحقيقة والكيفية، وإن كانت

---

(١) **الشيعة:** هم الذين شايعوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصية، إما جليًّا وإما خفيًّا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، وهم ثلاث طوائف:

الأولى: الغالية، وإنما سموا الغالية لأنهم غلوا في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقالوا فيه قولًا عظيمًا، وهم خمس عشرة فرقة.

الثانية: الروافض.

الثالثة: الزيدية، وانما سموا زيدية لتمسكهم بقول زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فقد كان يفضل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتولى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة الجور، وهم ست فرق.

انظر: مقالات الإسلاميين (ص٥ وما بعدها)، والملل والنحل (ص١٤٦)، والتعريفات (ص١٧١).

(٢) **الإباضية:** فرقة من الخوارج أتباع عبد الله بن إباض التميمي؛ خرج في أيام مروان بن محمد، قالوا في مرتكبي الكبائر: إنهم موحدون لا مؤمنون، وقالوا: إن الاستطاعة عرض من الأعراض، وهي قبل الفعل، بها يحصل الفعل، ولا يسمون إمامهم أمير المؤمنين، وكفّروا عليًّا وأكثر الصحابة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٤)، والتعريفات للجرجاني (ص٢٠)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٠٣) وما بعدها.

تشترك في المعنى واللفظ -وهذا ما يسمى بالمتواطئ-، لكنها لا تشترك في الحقيقة والكيفية.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، ودليلهم على ذلك من كتاب الله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، أضاف الكلام إلى نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقال في المنافقين: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥] أضافه إلى نفسه. والأدلة من السنة ومن إجماع الأمة كثيرة على هذه المسألة، فهي مسألةٌ يقينية بلا شك، ولا يؤثر فيها اختلاف أهل الضلال بأن القرآن كلام الله، وهو فرد من أفراد كلامه سبحانه، الله يتكلم، ولا يزال يتكلم متى شاء، إذا شاء، بما شاء، موصوفٌ بالكلام، وهذا القرآن من أفراد كلام الله، تكلم بالتوراة، وبالإنجيل، وبالزبور، يتكلم بالأمر والنهي، يقول للشيء: (كن)، فيكون: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فأثبت لنفسه القول، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ﴾ [آل عمران:٥٥]، وكلّم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بكلامٍ سمعه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما أرسله إلى فرعون، فالله جَلَّ وَعَلَا موصوفٌ بالكلام، ومن كلامه القرآن الكريم.

وأما قول أهل الضلال: إن إضافته إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه؛ مثل: ناقة الله، وبيت الله. فنقول: هذا من الافتراء والتلبيس؛ فالمضاف إلى الله قسمان[1]:

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الروح (١٥٤): (ينبغي أن يُعلم أن المضاف إلى الله سبحانه نوعان: صفات لا تقوم بأنفسها؛ كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه، وكلامه، وإرادته، وقدرته، وحياته، صفات له غير مخلوقة، وكذلك وجهه ويده سبحانه، والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه؛ كالبيت، =

* **الأول:** إضافة معان.

* **الثاني:** إضافة أعيان.

المعاني: إضافتها إلى الله إضافة صفة إلى موصوف، وهي إضافة حقيقية، فهي من صفاته؛ كالكلام، والسمع، والبصر.

وإضافة الأعيان: كالناقة والبيت، هذه إضافة مخلوقٍ إلى خالقه، وهي إضافة تشريف.

فهم خلطوا بين الأمرين، ولم يفرقوا بين هذا وهذا، ولذلك نصَّ أهل السنة والجماعة على هذه المسألة في كتب العقائد؛ ليردوا على أهل الضلال، وإذا كان الله ليس له كلام -كما يزعمون-، فكيف يأمر وينهى؟ وهذا معناه

=والناقة، والعبد، والرسول، والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ومصنوع إلى صانعه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصًا وتشريفًا يتميز به المضاف عن غيره). اهـ.

وقال في نونيته:

وَالله أخبرَ في الكِتَابِ بأنَّهُ ... مِنه وَمجرورٌ بِمن نَوعَانِ

عَينٌ وَوَصفٌ قَائمٌ بالعَينِ قَال ... أعيَانُ خَلقُ الخَالِقِ الرَّحمَنِ

والوَصفُ بالمجرُورِ قَامَ لأنَّه ... أولَى بِهِ فِي عُرفِ كُلِّ لِسَانِ

وَنَظِيرُ ذَا أيضًا سَوَاءً مَا يضَا ... فُ إليهِ مِن صِفَةٍ وَمِن أعيَانِ

فَإضَافَةُ الأوصَافِ ثَابِتَةٌ لِمَن ... قَامَت بِهِ كإرادَةِ الرَّحمنِ

وإضافَةُ الاعيَانِ ثَابِتَةٌ لَهُ ... مُلكًا وخَلقًا مَا هُمَا سِيَّانِ

فانظُر إلَى بَيتِ الإلهِ وعِلمِهِ ... لَمَّا أُضِيفَا كَيفَ يَفتَرِقَانِ

وَكَلامُهُ كَحَيَاتِهِ وكَعِلمِهِ ... فِي هذي الإضَافَةِ إذ هُمَا وَصفَانِ

لَكِنَّ نَاقَتَهُ وَبَيتَ إلهِنَا ... فكعَبدِهِ أيضًا هُمَا ذَاتَانِ

فَانظُر إلَى الجَهمِيِّ لَمَّا فَاتَهُ ال ... حَقُّ المُبِينُ وَوَاضِحُ الفُرقَانِ

كَانَ الجَمِيعُ لَدَيه بَابًا واحِدًا ... والصُّبحُ لَاحَ لِمَن لَهُ عَينَانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٣١٧). وانظر: شرح الطحاوية (ص١٦٨، ٢٩٠)، وفتح المجيد (ص ٦٦).

أنها تتعطل الأحكام الشرعية، وينهدم أصل الأصول، وهو القرآن، فإذا انهدم هذا الأصل، انهدم الإسلام، ولكن هم يلوذون بالتنزيه، وليس هذا هو التنزيه، هذا تعطيل، وفرقٌ بين التعطيل وبين التنزيه.

التنزيه: هو الذي ذكره الله بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، هذا هو التنزيه الذي ذكره الله، وهو نفي أن يُشبَّه المخلوق بالخالق، أو يساوى المخلوق بالخالق، هذا هو الذي يُنزِّه الله جَلَّوَعَلَا عنه، أما نفي الصفات، فهذا تعطيل ناشئ عن التشبيه، فهم شبهوا أولًا، ثم عطلوا ثانيًا، وليس تنزيهًا، ففرق بين التنزيه والتعطيل.

جاءت الأشاعرة بشيءٍ عجيب أعجب من قول الجهمية، فقالوا: كلام الله ينقسم إلى قسمين: معان، وألفاظ، المعاني هي كلام الله، والله يوصف بأن له كلامًا، وهو المعنى القديم القائم بنفسه، أما أن الله يتكلم بحرفٍ، وبصوت، فهذا منفي عندهم عن الله، ويقولون: هو معنىً قائمٌ بنفسه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأما اللفظ، فهو كلام المخلوق؛ أي: هو من كلام جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، أو من كلام محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فجعلوا القرآن مكونًا من شيئين: من مخلوق، وغير مخلوق، فلا هم صاروا مع أهل السنة، وقالوا: القرآن غير مخلوق. ولا هم صاروا مع الجهمية، وقالوا: القرآن كله مخلوق. كانوا مذبذبين؛ مثل: مقالة النصارى في المسيح أنه مكون من شيئين: من اللاهوت، والناسوت، ويقولون: اتحد اللاهوت بالناسوت.

فالحاصل: أن هذه مسألة عظيمة جدًّا، ولا يهولنكم قول المخذلين الذين يدّعون أنهم من أهل السنة، ويقولون: ما تحتمل هذه المسألة هذا الجدال، والإمام أحمد مبالغ في كونه امتنع أن يقول بخلق القرآن، وأن المسألة لا تحتمل كل هذا. هذا موجود في كتابات بعض من ينتسب إلى العلم، وبعضهم يقول: ما حصل بين أحمد وخصومه خلاف سياسي.

فإذا تأملت، وجدت المسألة ليست خفيفة، إذا نفي أن يكون القرآن كلام الله، فماذا يبقى معنا؟ إذا عُطّل الرب من صفة الكلام، فهذا نقصٌ في الرب سبحانه؛ لأن الذي لا يتكلم ليس بإله، والله سبحانه عاب على اليهود لما عبدوا العجل، فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾، الرب لابد أنه يتكلم، ويدبر، ويأمر، وينهى، فالله إذا نُفي عنه الكلام، صار لا يصلح للإلهية -تعالى الله عما يقولون.

فهذه مسألةٌ عظيمة، ولهذا فإن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقف موقف الجبال الراسيات، ولم يتنازل، ولم يتأول، وصبر على المحنة، صبر على السجن وعلى الضرب وعلى الإهانة من ثلاثة خلفاء: المأمون[١]، والمعتصم[٢]، والواثق[٣]،

---

(١) **المأمون هو:** أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد، ولد سنة (١٧٠)، وتوفي سنة (٢١٨)، أمر بتعريب كتب الأوائل، ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن، وبالغ في ذلك.
انظر: السير (١٠/ ٢٧٢)، وتاريخ بغداد (١٠/ ١٨٣).

(٢) **المعتصم هو:** محمد بن الرشيد هارون العباسي أبو إسحاق، ولد سنة (١٨٠) هـ، امتحن الناس بخلق القرآن، ودام ذلك حتى أزاله المتوكل، مات سنة (٢٢٧).
انظر: السير (١٠/ ٢٩٠) والشذرات (٢/ ٦٣، ٦٤).

(٣) **الواثق هو:** الواثق بالله هارون بن محمد بن هارون أبو جعفر، بويع يوم وفاة المعتصم سنة (٢٢٧) هـ وهو ابن سبع وثلاثين سنة وتسعة أشهر، توفي بسامراء وهو ابن سبع وثلاثين =

كلهم تتابعوا على تعذيبه، يريدون منه أن يتنازل، فأبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وثبت[١]، وفي آخر عهد الواثق يقال: إنه رجع لما حصلت عنده مناظرة بين عالمٍ من أهل السنة، وبين بشر المريسي، وانكسر المريسي، عند ذلك تراجع الواثق[٢].

فالحاصل: أن هذه المسألة عظيمة، وهي مهمة جدًّا، لا يُتهاون بها، ولايقال كما يقوله بعض الجهال والكتّاب والمثقفين، أو الأشاعرة، أو من نحا نحوهم: هذه مسألة لا تحتمل كل هذا الاهتمام وهذه الردود. وقد احتج الإمام أحمد عليهم بقوله: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، ﴿كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُ﴾ [الفتح:١٥]، ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾، أثبت لنفسه الكلام والقول.

(وَتَنْزِيلُهُ)؛ أي: القرآن، أنزله على نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بواسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥]، فهذا واضح وجلي، ومع هذا

=سنة وستة أشهر، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يومًا، وكان ممن امتحن الإمام أحمد. انظر: السير (١٠/ ٣٠٦)، وتاريخ بغداد (١٤، ١٥) قال الخطيب: (استولى أحمد بن أبي دؤاد على الواثق، وحمله على التشدد في المحنة، والدعاء إلى خلق القرآن).

وقيل: إنه رجع عن ذلك قبيل موته. اهـ، وذكر الذهبي المناظرة التي حصلت بين ابن أبي دؤاد والإمام الأذرمي في حضرة الواثق.

(١) قال المزني: (أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ يَوْمَ المِحنَةِ، أَبُو بَكْرٍ يَومَ الرِّدَّةِ، وَعُمَرُ يَوْمَ السَّقيفَةِ، وَعُثْمَانُ يَوْمَ الدَّارِ، وَعَلِيٌّ يَوْمَ صِفِّينَ). انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠١)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٧)، وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/ ٣٠٢).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (ص ١٨٤) فقد ذكر المناظرة عبد العزيز الكناني لبشر المريسي بين يدي المأمون.

فيأتي من يقول: القرآن مخلوق غير منزّل، والله لم يتكلم به، والله لا يوصف بالكلام. تعالى الله عما يقولون!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَنُورُهُ)**، القرآن يوصف بأنه نور، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢]، ويُسمى روحًا، ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]، روح؛ لأن القلوب تحيا به؛ كما أن الأبدان تحيا بالروح، فهو روح القلوب، والروح المعروفة روح الأبدان، فهو نور، وهو روح، وهو هدى، وهو تذكرة وموعظة، وله أسماء كثيرة مما يدل على عظمته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنَ اللهِ، وَمَا كَانَ مِنَ اللهِ فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ)**، الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته ليس بمخلوق؛ فهو خالق، وغيره مخلوق، فلا يقال: إن الأسماء والصفات مخلوقة؛ لأنها من الله، وما كان من الله، فهو غير مخلوق، بمعنى: أن الله يوصف بها، فالله بأسمائه وصفاته خالق، وما عداه، فهو مخلوق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَهَكَذَا قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ)**[1]، هذا قول الأئمة، ومنهم مالك إمام دار الهجرة، والإمام أحمد، الذي عُذب على هذا، وأوذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصبر، وغيرهم من أئمة أهل السنة هذا قولهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ قَبْلَهُمَا مِنَ الْفُقَهَاءِ وَمَنْ بَعْدَهُمَا)**؛ يعني: لم ينفرد الإمام مالك والإمام أحمد بهذا، بل قال به من قبلهم من الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، ومن بعدهم ممن جاء بعدهم من الأئمة.

---

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي (٢/ ٢٤٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالْمِرَاءُ فِيهِ كُفْرٌ**)، المراء في القرآن -هل هو مخلوق، أو غير مخلوق؟ -، أو أن الإنسان يتشكك، ويقول: ما أدري، المسألة خلافية. كما يقولونه الآن، فقد ظهرت ظاهرة الآن يقولون: المسألة خلافية. فنقول: عند الاختلاف المتبع الدليل، فما تعبدنا بخلاف الناس وأقوال الناس، تعبدنا بالدليل، فنعرض الخلاف على الدليل، ما قام عليه الدليل، فهو الحق، ما خالف الدليل، فهو الباطل، والله لم يتركنا للآراء والأقوال والخلاف، بل قال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]، ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى:١٠]، فيجب الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيؤخذ ما قام عليه الدليل، ويُترك ما خالف الدليل، وأما الذي يأخذ القول الذي يوافق هواه أو شهوته -ولو خالف الدليل-، فهذا ضال، هذا يعبد هواه، أما الذي يعبد الله، فيأخذ الذي قام عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وَالْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَرَوْنَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِأَعْيُنِ رُؤُوسِهِمْ، وَهُوَ يُحَاسِبُهُمْ بِلَا حَاجِبٍ وَلَا تُرْجُمَانٍ.

الشَّرْح

ومن مسائل العقيدة المهمة العظيمة: إثبات أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عيانًا بأبصارهم؛ كما يرون القمر ليلة البدر[(١)]، وكما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب[(٢)]، كما جاء في الأحاديث الصحيحة، التي تواترت في إثبات رؤية المؤمنين لربهم[(٣)]، وقد ساق الإمام ابن القيم في

---

(١) كما في حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٢١١) (٦٣٣) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً -يَعْنِي البَدْرَ- فَقَالَ: **إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]».

(٢) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣)، ومسلم (٢٩٩) (١٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: **هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ**...».

(٣) قال ابن العز الحنفي في شرح الطحاوية ص: (٢١٧): (وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًّا، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالها..). وانظر منها في: البخاري (٤٥٥، ٥٧٣، ٤٨٥١، ٤٧٣٩، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) (١٨٣) (٦٣٣).

«حادي الأرواح»[١] الأحاديث الواردة في هذا، وتوسع في ذلك بأسانيدها، وهي متواترة في إثبات أن المؤمنين يرون ربهم عيانًا بأبصارهم.

وخالف في ذلك أهل الضلال من الفِرق الضالة -كالمعتزلة، ومن ذهب مذهبهم-، فنفوا الرؤية، وهي مذكورة في القرآن، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، جاء في صحيح مسلم أن الزيادة هي: النظر إلى وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[٢]، وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]، والمزيد هو: النظر إلى وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[٣]، وجاء في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، ناضرةٌ -بالضاد- من النضرة، وهي البهاء، ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين:٢٤]، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣][٤] -بالظاء-؛ أي: بأبصارها تنظر إلى الله جَلَّ وَعَلَا، يتنعمون بذلك أشد مما يتنعمون بنعيم الجنة، هذا في القرآن الكريم، في سورة المطففين قال في

---

(١) انظر: حادي الأرواح (ص٢٠٥) وما بعدها، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الباب الخامس والستين (ص١٩٦): (هذا الباب أشرق أبواب الكتاب وأجلها قدرًا، وأعلاها خطرًا، وأقرها عينًا لأهل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون...).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٨١) عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ**».

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٤)، وزاد المسير (٤/ ١٦٤)، والقرطبي (١٧/ ٢١)، وابن كثير (٧/ ٤٠٧).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٠٩) مبحث تعدي النظر بـ (في) و(إلى) ومعناه.

الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، محجوبون عن رؤية الله، فإذا كان الكفار محجوبين عن رؤية الله، فهذا دليل على أن المؤمنين يرون ربهم عَزَّوَجَلَّ، وذلك لأن المؤمنين آمنوا به في الدنيا، ولم يروه، بل اعتمدوا على البراهين، فآمنوا به، وصدقوا رسله، فآمنوا به، ولم يروه في الدنيا، فأكرمهم الله في الجنة، فتجلى لهم، ورأوه عيانًا لما آمنوا به في الدنيا ولم يروه، وأما الكفار لما كفروا به في الدنيا، حجبهم الله عن رؤيته يوم القيامة؛ جزاءً لهم، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ:٢٦][(١)].

ومن الشُبه التي اعتمد عليها المعتزلة ومن قال بقولهم: أن الله قال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، قالوا: وهذا دليل على أن الله لا يُرى. ونقول: نعم هذا في الدنيا؛ لأن الواقعة هذه حصلت في الدنيا، نحن متفقون على أن الله لا يُرى في الدنيا، فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل الله أن يراه في الدنيا، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾؛ يعني: في الدنيا، والنفي بـ(لن) لا يقتضي التأبيد، ولهذا يقول ابن مالك في الكافية الشافية في النحو[(٢)]:

وَمَنْ يَرَى النَّفْيَ بِـ لَنْ مُؤَبَّدًا فَقَوْلُهُ ارْدُدْ وَخَلَافَهُ اعْضُدَا

---

(١) قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَمَّا حَجَبَ قَوْمًا بِالسُّخْطِ، دَلَّ عَلَى أَنَّ قَوْمًا يَرَوْنَهُ بِالرِّضَا). انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٤)، والتفسير البسيط (٢٣/ ٣٢٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٦١)، والبحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٢٩).

(٢) انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك (٢/ ١١٥).

أي: أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد، والدليل -أيضًا-: أن الله قال في اليهود: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾ [البقرة:٩٤-٩٥]، مع أنه جاء أنهم في الآخرة يتمنون الموت؛ ليستريحوا من العذاب، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]، طلبوا الموت، فدلَّ على أن (لن) ليست للنفي المؤبد، هذا هو مقتضى اللغة العربية، وهو مقتضى ما دلَّ عليه القرآن.

قالوا -أيضًا-: مما يدل على أن الله لا يُرى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]. نقول لهم: هذا ليس نفيًا للرؤية، وإنما هو نفيٌّ للإدراك، ما قال: لا تراه الأبصار، قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾، ونفي الإدراك غير نفي الرؤية، فالأبصار تراه، لكنها لا تُدركه، يعني: لا تحيط به، فالإدراك هو: الإحاطة بالله جَلَّوَعَلَا، فهم وإن رأوه في الجنة لا يحيطون به سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فالمنفي هو الإدراك الذي بمعنى الإحاطة، فهي تراه، لكنها لاتدركه؛ لكنها تراه بموجب الأدلة، والجمع بين النصوص هو الواجب، إذا حصل شيء من الاختلاف بين النصوص، فمهما أمكن الجمع، فيُجمع بينها، وهذا واضح -والحمد لله-، وكلام الله لا يتناقض أبدًا، بل يفسر بعضه بعضًا، أما الذي يأخذ آية، ويترك الآية الأخرى، فهذا من أهل الزيغ، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧]، فالقرآن يُستدل به كله ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، كما يقول الراسخون في العلم: فيفسر القرآن بعضه بعضًا، ولايختلف أبدًا؛ لأن الله نفى

عنه الاختلاف، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، فإذا أشكلت عليك آية، فإنك تلتمس في القرآن ما يفسرها، فإن لم تجد في السنة ما يفسرها، فإنك تذهب إلى أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين رووا عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تجد في أقوالهم ما يفسر الآية التي أشكلت عليك، القرآن -ولله الحمد- محفوظ في لفظه وفي معناه، لايتعارض، ولا يتناقض، إنما التعارض في أفهام البشر، وكذلك المتعالمون الذين لم يدرسوا العلم، ولم يأخذوا قواعد الاستدلال والمدارك، يستدلون بلا فقه، ويُثبتون أشياء ما أثبتها قبلهم أحد من أهل العلم بسبب الجهل والتعالم، فهذه القضايا عظيمة، تحتاج إلى تعلم، وإلى دقة، وإلى ترو، وإلى تثبت؛ لأن العقيدة هي الأصل، وأي خللٍ فيها هو خللٌ في الأصل.

فهذا حاصل خلاف الناس في رؤية الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، فالله لا يُرى في الدنيا، وإنما يراه المؤمنون في الآخرة، ويُحجب عنه الكافرون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَالْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**، لماذا قال: يوم القيامة؟ لأنه لا يُرى جَلَّ وَعَلَا في الدنيا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(يَرَوْنَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِأَعْيُنِ رُؤُوسِهِمْ)** قال: بأعين رؤوسهم؛ نفيًا لتأويل الذين يقولون: معنى (يرون ربهم)، أي: بقلوبهم، لابأبصارهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَهُوَ يُحَاسِبُهُمْ بِلَا حَاجِبٍ وَلَا تُرْجُمَانٍ)**، أي: في يوم القيامة عند الحساب يخلو الله بعبده، ويحاسبه الله على أعماله بلغته التي يفهمها العبد،

ليس بينه وبينه ترجمان[١]، الترجمان هو: الذي ينقل المعنى من لغةٍ إلى لغة أخرى، كالذي ينقل المعنى من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية أو العكس؛ لأن اللغات كثيرة.



(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٩، ٧٤٤٣، ٧٥١٢)، ومسلم (٦٧)(١٠١٦)، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَايَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».

وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُوزَنُ فِيهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، لَهُ كِفَّتَانِ وَلَهُ لِسَانٌ(١).

الشَّرْح

من مسائل العقيدة: الإيمان بالميزان الذي تُوزن به أعمال العباد يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨-٩]، في الآية الأخرى: ﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٣]، إذا ثقُل ميزان الحسنات، سعد العبد، وإذا انعكس، وثقُلت السيئات، هلك العبد، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة:٦-١١]،

---

(١) ورد ذكر الكفتين في عدد من الأحاديث، منها: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦٠٢)، وفي عمل اليوم والليلة (٨٣٤، ١١٤١)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٢٨)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٠٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧١٠)، والطبراني في الدعاء (١/ ٤٣٥)، وفيه: «**يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وروى أحمد في المسند (١١/ ١٥٠) نحوه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد ورد ذكر الكفة في حديث البطاقة الذي رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (١١/ ٥٧١)، والحاكم (١/ ٤٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد ورد ذكر اللسان مع الكفتين عند البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٦٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**الْمِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، يُوزَنُ فِيهِ الحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ**».

وهذا من عدل الله جَلَّوَعَلَا أنه يوازن بين حسناتهم وسيئاتهم بميزانٍ يرونه، ميزان محسوس، له كفتان، وله لسان، توضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة؛ كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة، خلافًا للمعتزلة الذين يقولون: المراد بالموازين والميزان: إقامة العدل، وإلَّا فليس هناك ميزان محسوس؛ بناءً على مذهبهم الباطل؛ لأنهم يعتمدون على عقولهم، ولايعتمدون على النصوص، فالميزان حقيقي، له كِفتان؛ كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يُوزَنُ فِيهِ الخَيْرُ وَالشَّرُّ**)؛ أي: الحسنات والسيئات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَهُ كِفَّتَانِ وَلَهُ لِسَانٌ**)، له كفتان؛ كما جاء في الأحاديث، توضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة؛ كما في حديث البطاقة: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ**»، قَالَ: «**فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**»[1]، هذا دليل على أن هناك كفتين لهذا الميزان، توضع فيها الأعمال يوم القيامة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (١١/ ٥٧١)، والحاكم (١/ ٤٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَهُ لِسَانٌ)** لسان الميزان معروف عند الناس، يسمونه قلب الميزان، الذي يميل يمنة أو يسرة، فإذا تساوت الكفتان، اعتدل قلب الميزان، وإذا رجحت كفة، مال القلب.



وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ.

الشَّرْح

كذلك من عقيدة أهل السنة والجماعة: الإيمان بعذاب القبر، ونعيم القبر، فالميت إمّا أن يُعذّب في قبره، وإمّا أن يُنعَّم إلى أن يُبعث يوم القيامة.

والقبر: هو منزلة بين الدنيا والآخرة؛ ولذلك يسمى بالبرزخ؛ لأن البرزخ: هو الحاجز بين شيئين، قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن:١٩-٢٠]، لا يبغي المالح على العذب، ولا يبغي العذب على المالح؛ لأن الله جعل بينهما فاصلًا؛ لا يختلط هذا بهذا، فالبرزخ: هو الفاصل بين الشيئين[(١)]؛ لأن الدور ثلاث[(٢)]:

* دار الدنيا.
* ودار البرزخ.
* ودار القرار.

هذه الدور التي يمر بها العباد: دار الدنيا محل العمل، ودار البرزخ، وهي محل الانتظار، ودار القرار هي دار الجزاء، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:٢]، فدلّ على أن المقابر ليست محل إقامة، بل الإنسان فيها مثل الزائر الذي يزور ويرتحل، جعل المكث في المقابر زيارة؛ لأنه يقيم فيها، ثم يرتحل.

(١) انظر: العين (٤/ ٣٣٨)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٧٠-٢٧١)، والصحاح (١/ ٤١٩)، ولسان العرب (٣/ ٨).
(٢) انظر: الروح (ص٦٣).

لكن في فترة وجوده في القبر، أول ما يوضع في القبر، ويُسوى عليه التراب، وينصرف الناس عنه، «**وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ**»، ويحيا حياةً برزخية، وليست مثل الحياة التي في الدنيا، فيسألانه: «**مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟**»، فإذا أجاب على هذه الأسئلة بجواب صحيح، نجا، ويسعد سعادةً لا شقاء بعدها، «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا. قَالَ: وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ**»، فلا يزال في نعيم في قبره، وهذا أمرٌ غيبي لا نعلمه، فلو فتحنا القبر، ما وجدنا من ذلك شيئًا؛ لأنه في عالم، ونحن في عالمٍ آخر، وأما المنافق والمرتاب، فإنه يقول: «**إذا قيل له: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي**»، حتى وإن كان في الدنيا متعلمًا، ويحفظ المتون والشروح، ويحفظ اللغة، وهو خطيب مصقع، ومتحدث مفوه، لكن إذا كان ليس عنده إيمان؛ فإنه يتلعثم في القبر، ويعجز عن الجواب، عندما يسأل عن هذه المسائل، يتلجلج، ويقال له: «**مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، قَالَ: وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ**»[1]، فعذاب القبر، أو نعيمه ثابتان في الكتاب والسنة.

---

(١) تواترت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات عذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين =

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[(١)]، فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوذ من عذاب القبر[(٢)].

وفي القرآن إشارات إلى عذاب القبر، قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة:٢١]، قالوا: هذا عذاب القبر. وقيل: عذاب الدنيا. وفي قوله تعالى في فرعون وقومه: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا، فإذا قامت القيامة، يقال: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٥]، قالوا: معيشة ضنكًا في القبر -والعياذ بالله.

=للإنسان بعد موته؛ كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)، وجاء أيضًا من حديث البراء، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي قتادة، وعائشة، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (١٣٠) (٥٨٨)، واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ المَسِيحِ الدَّجَّالِ».

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (١٢٨) (٥٨٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ».

فالأدلة على عذاب القبر متواترة[١]، فمن كذّب بعذاب القبر -من المعتزلة ومن نحا نحوهم-، فإنه مخالف للأدلة المتواترة، ويكون مختل العقيدة -والعياذ بالله-، وفاقدًا لأصلٍ من أصول العقيدة، وهو الإيمان بعذاب القبر، فإن كان متعمدًا عارفًا بالنصوص، لكن يكابر، وينفي، فهو كافر، أما إذا كان متأولًا، أو مقلدًا، أو جاهلًا، فهذا لا يُكفَّر، لكن يضلل، ولا يُكفَّر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ**)، (منكر) و(نكير) اسمان للملكين اللذين يأتيانه في صورةٍ مروعة، يقال لأحدهما (المنكر) والآخر (النكير)؛ كما جاء ذلك في الأحاديث[٢].



(١) قال العلامة ابن أبي العز الحنفي: (وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه، لمن كان أهلًا لذلك، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به). انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٥٠).

(٢) ورد في تسمية الملكين بهذين الاسمين أحاديث مرفوعة وموقوفة عن عدد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ منهم: أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (١٠٧١) وقال: حسن غريب، والطبراني في الأوسط (٥/ ٤٤)، وعن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند البزار (٧/ ٩٧)، والبراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند البيهقي في الشعب (١/ ٣٥٨)، والطبري في تهذيب الآثار (٢/ ٥٠٠)، وعن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ موقوفًا عليه عند ابن أبي شيبة (٣/ ٥٣).

وَالْإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ، إِلَّا صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَإِنَّ حَوْضَهُ ضَرْعُ نَاقَتِهِ.

الشَّرْح

كذلك من أصول أهل السنة والجماعة: الإيمان بالحوض، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له حوض[(١)]، وكل نبي من الأنبياء له حوض، ترده أمته[(٢)]؛ لأن الناس يصيبهم عطشٌ شديد، يحتاجون إلى الماء، وحوض نبينا هو أعظم الحياض، طوله شهر، وعرضه شهر[(٣)]، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل[(٤)]، وآنيته عدد نجوم السماء[(٥)]، من يشرب منه شربة، لم يظمأ

---

(١) فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**». أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٣٩) (٢٣٠٣).

(٢) أخرج الترمذي (٢٤٤٣) من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**»، والحديث أخرجه البخاري في التاريخ (١/ ٤٤)، والطبراني في الكبير (٧/ ٢١٢)، وفي مسند الشاميين (٤/ ٣٠) من حديث الحسن عن سمرة، قال أبو عيسى: (هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلًا، ولم يذكر فيه عن سمرة، وهو أصح).
وانظر: فتح الباري (١١/ ٤٦٧)، وعمدة القاري (٢٣/ ١٣٦)، وحاشية ابن القيم (١٣/ ٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧) (٢٢٩٢) من حديث عَبْد اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**».

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

بعدها أبدًا[١]، ويذاد عنه المرتدون الذين ارتدوا بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويذاد عنه من كذّب به -والله أعلم- من أهل البدع[٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ، إِلَّا صَالِحًا** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فَإِنَّ حَوْضَهُ ضَرْعُ نَاقَتِهِ**[٣]). هذا الاستثناء لم يثبت فيما أعلم، والصواب أن لكل نبيٍّ حوض؛ كما جاء في الحديث.



---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**».

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٩)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظ مسلم: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَلَأُنَازِعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لَأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: يا رَبِّ، أَصْحَابِي أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**».

(٣) ذكره الذهبي في الميزان (٢/ ٦٤٥) في ترجمة عبد الله بن كيسان، وقال: (من المجاهيل، وحديثه منكر. ذكره العقيلي). ثم قال عن الحديث: (هو موضوع). وانظر: اللسان (٤/ ٦٢)، وتاريخ دمشق (١٠/ ٤٥٩)، وفتح القدير (٢/ ٥١٦).

وَالْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُذْنِبِينَ الخَاطِئِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى الصِّرَاطِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ جَوْفِ جَهَنَّمَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ شَفَاعَةٌ[1]، وَكَذَلِكَ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ[2]، وللهِ بَعْدَ ذَلِكَ تَفَضُّلٌ كَثِيرٌ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَالْخُرُوجُ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا.

الشَّرْح

من أصول أهل السنة والجماعة: الإيمان بالشفاعة بالشروط التي ذكرها الله جَلَّ وَعَلَا: أن تكون بإذنه، وأن يكون المشفوع فيه من أهل الإيمان، أما إن كان المشفوع فيه من أهل الكفر، فلا تُقبل فيه الشفاعة، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]؛ فالكافر ليس فيه شفاعة أبدًا، وأما المؤمن، فإن الشفاعة ثابتة في حقه، إذا أذن الله جَلَّ وَعَلَا، وأعظم الشفعاء وسيد الشفعاء هو نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فله شفاعات خاصة به[3]، وهناك شفاعات يشترك فيها هو وغيره.

---

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (١٨٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**».

(٢) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (١٨٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الحَقِّ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيَحُجُّونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ**».

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٧-١٤٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لِلْمُذْنِبِينَ الخَاطِئِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى الصِّرَاطِ)** الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعظم من يشفع يوم القيامة، بل إنه يشفع في أهل الموقف كلهم؛ أن الله يريحهم من الموقف ويحاسبهم؛ لأنه يطول عليهم الموقف مع الضنك الشديد، والحر الشديد، والعطش الشديد، والخوف الشديد، يطول عليهم الموقف -موقف الحشر-، فيتقدمون إلى أولي العزم من الرسل، يطلبون منهم أن يدعو الله أن يريحهم من الموقف؛ إما إلى الجنة، وإما إلى النار، فيأتون إلى آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيعتذر، ويأتون إلى نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيعتذر، ويأتون إلى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيعتذر، ويأتون إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيعتذر، ويأتون إلى عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيعتذر، ويأتون إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول: «أَنَا لَهَا، ثم يأتي ويخر ساجدًا تحت العرش»؛ لأنه لا يشفع لأحد إلا بإذن الله، فهو يخر ساجدًا، ويدعو ربه، حتى يقال له: «**يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»[1]، فيأذن الله له بالشفاعة، فيشفع في أهل المحشر في أن ينتقلوا من المحشر إلى الحساب، وهذه هي الشفاعة العُظمى التي فضّله الله بها على الخلق، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء:٧٩]، المقام المحمود: هو الشفاعة العُظمى.

---

(١) كما في حديث الشفاعة الذي ورد بعدة ألفاظ؛ منها: ما رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٣٢٢) (١٩٣)، و(٣٢٦) (١٩٣) بلفظ أتمَّ، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (٣٢٧) (١٩٤)]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٣٠٢) (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وفي الدعاء الذي يقال بعد الأذان: «**آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدَّتَهُ**»[(١)] هذه الشفاعة العظمى.

وكذلك يشفع في أهل الكبائر من الأمة، يشفع فيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إما ألَّا يدخلوا النار، وإمّا أن يُخرجوا منها إذا دخلوها، فيشفع فيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه ليست خاصةً به، فهو يشفع، وجميع الأنبياء يشفعون، والأولياء يشفعون، والأفراط -وهم الذين ماتوا صغارًا- يشفعون في أهل الكبائر، خلافًا للجهمية، والمعتزلة، والخوارج[(٢)]، والخوارج هم: الذين يخرجون على الأئمة -أئمة المسلمين- بالسيف، ويشقون عصا الطاعة، وأيضًا: الذين يكفرون المسلم بالكبائر التي دون الشرك، هؤلاء هم الخوارج، سموا خوارج؛ لأنهم خرجوا عن المشروع، وخرجوا على ولي الأمر، وشقوا عصا الطاعة، هؤلاء ينفون الشفاعة، ويقولون: من دخل النار لا يخرج منها. ويستدلون بقوله تعالى: ﴿**وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ**﴾ [البقرة:١٦٧]، نقول هذه في الكفار، فالكفار لا يخرجون من النار، وأما الشفاعة المقصودة هنا، فهي

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٤)، ومسلم (٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦).

(٢) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ**». أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

في أهل الإيمان من أصحاب الكبائر، وهي ثابتة، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، دلَّ على أنه إذا أذن يشفع أحد عنده، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦]، هذه فيها شرطا الشفاعة:

* يأذن الله، هذا الشرط الأول.

* ويرضى، هذا الشرط الثاني، يرضى عن المشفوع فيه، وهو لا يرضى إلا عن المؤمن، أما الكافر، فلا يرضى عنه.

فالمخالفون لأهل السنة في الشفاعة على طرفي نقيض: منهم من أنكر الشفاعة، وهم الخوارج، والمعتزلة الذين يكفرون بالكبائر التي دون الشرك.

والطرف الثاني: من يغلو في إثبات الشفاعة، وهم المتصوفة، والقبورية[1]، الذين يعتمدون على الشفاعة، ويلجؤون إلى القبور، ويستغيثون بالأموات؛ يطلبون منهم الشفاعة؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، يعبدونهم من أجل أن يشفعوا لهم عند الله.

أما الوسط: فهم أهل السنة والجماعة، لم ينفوا الشفاعة مطلقًا، ولم يثبتوها مطلقًا، بل أثبتوها بالشرطين الواردين في الكتاب والسنة، هذا حاصل البحث في الشفاعة.

---

(١) انظر: فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص٢٨٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْمُذْنِبِينَ الخَاطِئِينَ**)؛ يعني: تكون الشفاعة للمؤمنين المذنبين الذين لم يصلوا إلى حد الكفر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعَلَى الصِّرَاطِ**)؛ أي: ويشفع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمؤمنين حال مرورهم على الصراط، ويشفع لمن دخل النار بإخراجه منها، إذا كان من أهل التوحيد، فيشفع على الصراط إذا مرَّ الناس عليه، وهو الجسر المنصوب على متن جهنم، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًّا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومن يخطف، ويُلقى في جهنم[1]، كل الخلائق تمر على هذا الجسر -المؤمنون والكفار-، ولا ينجيهم إلا أعمالهم، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١]؛ يعني: على الصراط ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧١-٧٢]، فلا ينجو إلا أهل التقوى، وأما الكفار، فإنهم يهلكون في جهنم -والعياذ بالله-، هذا هو الصراط.

---

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل الذي أخرجه البخاري (٧٤٣٩، ٧٥٦٣)، ومسلم (٣٠٢) (١٨٣)، وفيه: «...قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: **مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا**». وانظر: البداية والنهاية (٢/ ٨٤-٨٥)، ومستدرك الحاكم (٢/ ٣٧٦-٣٧٧)، والطبراني في الكبير (٧٩٦٣)، ومجمع الزوائد للهيثمي (١٠/ ٣٤٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولله بَعْدَ ذَلِكَ تَفَضُّلٌ كَثِيرٌ عَلَى مَنْ يَشَاءُ)**، وقد يُخرج الله من النار بعض المؤمنين بغير شفاعة الشافعين، بل بفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يُخرج أناسًا من النار بفضله سبحانه، بغير شفاعة من أحد، بل بفضله جَلَّ وَعَلَا[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالخُرُوجُ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا)**، الله جَلَّ وَعَلَا أخبر أن أهل النار المخلدون فيها لا يموتون فيها، ولا يحيون، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى:٩-١٣]، فالذي لا يقبل التذكير، ولا يقبل الموعظة، ويستمر في غيّه، فهذا يدخل جهنم، ويبقى فيها، لا يحيا حياةً مريحة، ولا يموت موتًا مريحًا، بل يبقى في عذاب، أما من دخلها من عصاة الموحدين، فإنه يحترق، ويصير فحمًا، فيخرج من النار، ويوضع في نهر يقال له: نهر الحياة، فتنبت أجسامهم، فإذا تكاملت أجسامهم، أُذن لهم بدخول الجنة[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٨٣) وفيه: «**فيقول الله** عَزَّوَجَلَّ: **شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا أَقْوَامًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٣): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدْ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ -أَوْ قَالَ: حَمِيَّةِ السَّيْلِ-**»، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**».

وَالْإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ عَلَى جَهَنَّمَ، يَأْخُذُ الصِّرَاطُ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَيَجُوزُ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَيَسْقُطُ فِي جَهَنَّمَ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَلَهُمْ أَنْوَارٌ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِمْ.

الشَّرْح

مما يجري في يوم القيامة: المرور على الصراط؛ كما مر ذكره.

والصراط في اللغة: هو الطريق[1]، والمراد به هنا: الجسر المضروب على متن جهنم، وهو دقيق جدًّا، أدق من الشعر، وأحد من السيف، وأحرّ من الجمر، يمر الخلائق عليه على قدر أعمالهم، تجري بهم أعمالهم، فمن نجا، فقد أفلح، ومن لم ينجُ، هلك، ومرور الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًّا على قدميه، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يُخطف، ويُلقى في جهنم[2]، وهذا مذكورٌ في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٦٨-٧١]؛ يعني: جهنم، وهذا الورود هو المرور على الصراط، فهذا هو الورود المذكور في القرآن، والخطاب للمؤمنين وغيرهم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، يمر عليه المؤمنون، والكفار، والمنافقون، وكل الخلق

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٧٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٢)، والصحاح (٢/ ٥٥٠)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٠٥)، ولسان العرب (٣/ ٤٥٩).

(٢) انظر: (ص١٢٣).

يمرون على هذا الصراط، فمن نجا منه، دخل الجنة، ومن سقط منه، هلك، ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾، ولا ينجي إلا التقوى، لا ينجي قوة البدن، ولا كثرة المال، ولا الجاه، ما ينجي إلا تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا نص القرآن الكريم.

وجاءت في السنة أحاديث في أهوال القيامة، ومنها: المرور على الصراط، فلابد من الإيمان بالصراط والمرور عليه، ولا يكفي الإيمان بذلك، بل لابد من العمل، فيستعد الإنسان للمرور عليه بالتقوى، وهي العمل الصالح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يَأْخُذُ الصِّرَاطُ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَيَجُوزُ مَنْ شَاءَ الله)**؛ كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم:٧٢]؛ لأن الصراط عليه كلاليب تخطف من أُمرت بخطفه. (وَيَجُوزُ) يعني: يمر عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَهُمْ أَنْوَارٌ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِمْ)**[1] في يوم القيامة أهل الإيمان يكون لهم نور يمشون به؛ كما قال تعالى: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨]، ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٠٥)، وقال: (صحيح على شرط الشيخين). والطبراني في الكبير (٩/ ٣٥٨) (ح٩٧٦٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «... ثُمَّ يُؤْمَرُونَ فَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ فَيُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ قَالَ: فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً، وَيُطْفِئُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمُهُ، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ...».

﴿ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد:١٢]، المنافقون يُعطون نورًا في الأول؛ لأنهم دخلوا في الإسلام، وأظهروا الإسلام، فيعامَلون بمثل ما أظهروا، يُعطون نورًا من باب الخداع؛ كما أنهم خادعوا بإسلامهم، فيُعطون نورًا خداعًا لهم، ثم ينطفئ نورهم، ويبقون في ظلمة، ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾؛ يعني: انتظروا؛ لأنهم يمشون خلف المؤمنين، ﴿ٱنظُرُونَا﴾ يعني: انتظرونا ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾، يعني: في الدنيا ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد:١٤-١٥]، فالإيمان يكون نورًا يوم القيامة يسير به صاحبه، بينما الكفار والمنافقون في ظلمة -والعياذ بالله-، لا يدرون أين يذهبون.



وَالْإِيمَانُ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَلَائِكَةِ.

الشرح

من أصول الإيمان وأركان الإيمان: الإيمان بالملائكة، والأنبياء، وهذا كما في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1]، وفي القرآن: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧]، وفي قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة:٢٨٥]، ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

فيجب الإيمان بالملائكة كلهم -من سمّى الله منهم، ومن لم يسمِّ-، والملائكة: جمع ملك[2]، وهم عالَمٌ من عالم الغيب، خلقه الله من النور، وأما الجن، فالله خلقهم من النار، وأما الإنس، فإن خلقهم من طين، ثم من ماءٍ

(١) أخرجه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم -أيضًا- (٨) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: مادة: (أ ل ك) في النهاية في غريب الأثر (١/ ٦١)، ولسان العرب (١/ ٥٣٥)، (١٠/ ٣٩٣)، وتاج العروس (٢٧/ ٤٨)، ومادة (لأك) في لسان العرب (١٠/ ٤٨٢).

مهين[1]؛ كما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذلك، فالإيمان بالملائكة كلهم -من سمى الله منهم، ومن لم يسمِّ-، نؤمن بهم جميعًا، أما من يؤمن ببعضهم، ويكفر ببعضهم، فهو كافرٌ بالجميع، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٧-٩٨]، فالذي يكفر بملك واحد من الملائكة كافرٌ بجميع الملائكة؛ كاليهود الذين يقولون: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عدوٌ لنا، لو كان الذي نزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأطعناه، لكن نزل عليه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو عدونا، فلا نؤمن به. فأنزل الله هذه الآية ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧]، ليس هو من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، إنما هو من الله جَلَّ وَعَلَا، وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما هو رسول من الله موكلٌ بالوحي.

ومن الطوائف الضالة المنتسبة للإسلام من يقولون: إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ خان الأمانة؛ لأن الرسالة كانت لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ خان الأمانة، وأداها لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال شاعرهم: (خان الأمين فصدها عن حيدر)؛ يعني: عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال المؤلف: (وَالْإِيمَانُ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَلَائِكَةِ):

* **والنبي:** من أوحي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٠)(٢٩٩٦) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».

* **والرسول:** من أوحي إليه بشرع، وأُمر بتبليغه[١].

والفرق بين النبي والرسول: أن الرسول يُبعث بشريعةٍ منزّلة عليه، بخلاف النبي؛ فإنه يُبعث بشريعة منزلة على من قبله من الرسل؛ كأنبياء بني إسرائيل، فإنهم بُعثوا برسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالتوراة: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [المائدة: ٤٤]، فهم يحكمون بالتوراة التي أُنزلت على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يأتوا بشريعة مستقلة، بخلاف الرسول؛ فإنه يأتي بشريعة مستقلة، ويؤمر بتبليغها، أما النبي، فيؤمر بتبليغ رسالة من قبله، وقد يوحى إليه في قضية خاصة، هذا هو الفرق[٢]، ومن كفر بنبيٍّ واحد، فهو كافر بالجميع، كافر حتى بالنبي الذي يزعم أنه يؤمن به؛ لأن الأنبياء إخوة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْأَنْبِيَاءُ أُخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ**»[٣]، سلسلة واحدة، طريقتهم واحدة، فمن كذّب بواحد منهم، فهو مكذب بالجميع؛ لأن الذي مع هذا مع الآخر، كلهم رسل الله، فالذي يزعم أنه يؤمن بموسى -كاليهود-، ويكفرون بعيسى وبمحمد

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص١٥٥)، والنبوات لابن تيمية (ص٢٨١). وانظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢٩٨)، والتعريفات للجرجاني (ص١٤٨).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «النبوات» (ص٢٨١): (فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أُرْسِلَ مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالةً من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يُرْسَلْ هو إلى أحدٍ يبلغه عن الله رسالةً فهو نبي وليس برسول) اهـ. وانظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (١٤٥) (٢٣٦٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**».

-عليهما الصلاة والسلام-، فهؤلاء كافرون بجميع الأنبياء، حتى النبي الذي يزعمون أنهم يؤمنون به، وهو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن في الكتاب الذي جاء به موسى ذكرٌ لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، لكن حملهم الحسد على الكفر بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم يريدون أن لا تخرج النبوة عن بني إسرائيل، فهم يحتكرون فضل الله، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٥٤]، فالذي حملهم هو الحسد والبغي، وإلا فهم يعلمون أنه رسول الله؛ لأنهم يجدونه في التوراة والإنجيل، كذلك عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بشّر بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، ومن هو الرسول الذي جاء بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ لم يأت بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول إلا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واسمه أحمد، واسمه محمد، وله أسماء كثيرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]، فالذي يكفر بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كافرٌ بالجميع، والذي يكفر بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كافرٌ بالجميع، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ

(١) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام (ص١٧١)، وزاد المعاد (١/ ٨٤-٩٣).

﴿نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥]، مع أن أول الرسل نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهم كذبوا نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكن قال: كذبوا المرسلين؛ يعني: الذين جاؤوا من بعده؛ لأن من كذّب برسول، فهو مكذب بجميع الرسل، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٤١]، ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٧٦]، فالذي يكفر بواحد كافرٌ بالجميع، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١]، مع أنهم يؤمنون ببعض، لكن لايكفي الإيمان بالبعض، لابد من الإيمان بالجميع؛ لأنهم كلهم رسل الله، وكلهم جاؤوا من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يبشر أولهم بآخرهم، ويؤمن آخرهم بأولهم -عليهم الصلاة والسلام.

هذا مذهب المسلمين وأهل السنة والجماعة.



وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَسَقْفُهَا الْعَرْشُ، وَالنَّارُ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، قَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى عَدَدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ يَدْخُلُهَا، وَعَدَدَ أَهْلِ النَّارِ وَمَنْ يَدْخُلُهَا، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، بَقَاؤُهُمَا مَعَ بَقَاءِ اللهِ أَبَدَ الْآبِدِينَ، وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ، وَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ الْمَخْلُوقَةِ، فَأُخْرِجَ مِنْهَا بَعْدَمَا عَصَى اللهَ عَزَّوَجَلَّ.

الشَّرْح

من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر بجميع ما فيه، ومما في اليوم الآخر: الجنة والنار، وهما دارا الجزاء؛ فالمؤمنون في الجنة التي أعدت للمتقين، والكفار في النار التي أعدت للكافرين، فهما دارا الجزاء، والدنيا دار عمل، ليس فيها جزاء، والآخرة دار جزاءٍ، وليس فيها عمل، فمن لم يؤمن بالجنة والنار، فهو كافر؛ لأنه لابد أن يشمل الإيمان كل ما صحَّ في اليوم الآخر، ومن ذلك الجنة والنار، هذا مذكور في القرآن في مواضع، فالذي يكفر بهما، أو يؤولهما -كالقرامطة والباطنية يؤولونهما-، فهؤلاء كفار بالله عَزَّوَجَلَّ.

فلابد من الإيمان بالجنة والنار، وأنهما داران حقيقيتان؛ دارٌ للمتقين، ودارٌ للكافرين، وهما باقيتان، وهما موجودتان الآن، مخلوقتان الآن، وباقيتان لا تفنيان، قال تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١]، وكلمة (أُعِدَّتْ): دليل على أنها موجودة ومعدَّة، وليس معناه أنها تُخلق فيما بعد؛ بدليل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أشياء تدل على وجود الجنة والنار:

منها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ**»(١)، وقال في شدة البرد: «**جَعَلَ اللهُ لِجَهَنَّمَ نَفَسَانِ: نَفَسٌ فِي الصَّيْفِ، وَذَلِكَ أَحَرُّ مَا تَجِدُونَ، وَنَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ، شِدَّةُ الْبَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ**»(٢).

فدلَّ على أنهما موجودتان، والجنة كذلك موجودة، أعدّها الله للمتقين، ووكل بهما ملائكة، وفي حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**»(٣).

الشاهد: في قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ)، وفي استفتاح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصلاة الليل أنه قال: «**لِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ**»(٤).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ**)؛ أي: مخلوقتان الآن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَسَقْفُهَا الْعَرْشُ**)، هذا صحَّ في الحديث: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، وَأَعْلَاهَا الْفِرْدَوْسُ، هُوَ وَسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَسَقْفُهُ، أَوْ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ**»(٥)، دلَّ على أن الجنة في السماء

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه مسلم (١٨٠) (٦١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧، ٣٢٦٠)، ومسلم (١٨٥) (٧١٧) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨) (٤٦).

(٤) أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٢٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في عليين، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٨]، أعلى شيء. والنار في أسفل سافلين، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [المطففين:٧-٨][1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَدْ عَلِمَ اللهُ عَدَدَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَمَنْ يَدْخُلُهَا)**، الله جَلَّ وَعَلَا علم كل شيء بعلمه الأزلي، ومن ذلك: أنه علم أهل الجنة، ومن يدخلها، وعلم أهل النار، ومن يدخلها، لا يعزب عن علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شيء، كل شيء علمه، وكتبه في اللوح المحفوظ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا)** الجنة والنار داران باقيتان لا تفنيان أبدًا، وهذا فيه رد على من يرى أن الجنة والنار تفنيان، ويقولون: لئلا تشارك الله في البقاء. وهم الذين يمنعون التسلسل في الماضي، والتسلسل في المستقبل؛ جهلًا منهم.

ونقول: هناك فرقٌ بين أبدية الله، وأبدية الجنة والنار، أبدية الله جَلَّ وَعَلَا لائقةٌ به، صفةٌ من صفاته جَلَّ وَعَلَا، وأما أبدية الجنة والنار، فهي بإبقاء الله، وخلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهي أبدية مكتسبة، الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي أعطاها التأبيد، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فأزليته وأبديته صفة من صفاته، صفة ذاتية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَقَاؤُهُمَا مَعَ بَقَاءِ اللهِ أَبَدَ الْآبِدِينَ)**، بقاؤهما مع بقاء الله، وبقاء الله لا نهاية له، فكذلك بقاء الجنة والنار لا نهاية لهما، ولا تشابه بين البقاءين والأبديتين كسائر الصفات.

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة (٦٠٠) (٣/ ١١٠٢) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا، وَالنَّارُ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ**)، تأكيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَآدَمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَانَ فِي الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ الْمَخْلُوقَةِ**)، لما خلق الله آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وحصل ما حصل من إكرام الله له، وإظهار فضله على الملائكة، حسده إبليس على ذلك، وأبى أن يسجد له، عصى الله عَزَّوَجَلَّ من باب الحسد والكِبر، الله جَلَّوَعَلَا قال لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة:٣٥]، فالله أسكنهما الجنة؛ إكرامًا لهما، وهذه الجنة في السماء، ثم لما حصل من إبليس مع آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من إغواء آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأكله من الشجرة التي نُهي عنها أهبط الله آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأهبط إبليس إلى الأرض: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨]، فهبطوا إلى الأرض، وقد غفر الله لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأنه تاب إلى الله هو وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [طه:١٢١-١٢٢] فتاب آدم وحواء عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ إلى الله، فتاب الله عليهما، أما إبليس، فإنه استمر في غيّه، ولم يتب، ولذلك طرده الله من رحمته، ولعنه، وجعله قوّادًا لكل شر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَأُخْرِجَ مِنْهَا بَعْدَمَا عَصَى اللهَ عَزَّوَجَلَّ**)، إخراجه من الجنة عقوبة له على معصيته، لكنه تاب إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ كما ذكر الله ذلك في القرآن.



وَالْإِيمَانُ بِالمَسِيحِ الدَّجَّالِ.

الشَّرح

من أصول أهل السنة والجماعة: الإيمان بالمسيح الدجال، وهو رجلٌ من بني آدم، يخرج في اليهود، ويتبعه اليهود، وهو المهدي الذي ينتظره اليهود[١]؛ لأن المهدي كلٌّ يدعيه، اليهود يدّعونه، ومهديهم هو المسيح الدجال، الشيعة ينتظرون المهدي المختفي في السرداب -كما يقولون- من ذرية الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأهل السنة والجماعة ينتظرون المهدي الذي أخبر عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث الصحيحة المتواترة في المعنى[٢]، وهو رجلٌ من بيت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن آل الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يخرج في آخر الزمان، ويبايعه

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٤) (٢٩٤٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ**».

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْأَحَادِيث الَّتِي يُحْتَجُّ بِهَا عَلَى خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ، رَوَاهَا أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَغَيْرُهُمْ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ). انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٨/ ٢٥٤).

وقال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ تَكَاثَرَتِ الرِّوَايَاتُ وَالْآثَارُ بِأَمْرِ الْمَهْدِيِّ). انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية (٢/ ٨٢). وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَدْ كَثُرَتِ الْأَقْوَالُ فِي الْمَهْدِيِّ حَتَّى قِيلَ لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى، وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ أَنَّ الْمَهْدِيَّ غَيْرُ عِيسَى وَأَنَّهُ يَخْرُجُ قَبْلَ نُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ كَثُرَتْ بِخُرُوجِهِ الرِّوَايَاتُ حَتَّى بَلَغَتْ حَدَّ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ وَشَاعَ ذَلِكَ بَيْنَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ حَتَّى عُدَّ مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِمْ). انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية (٢/ ٧٥).

المسلمون، ويجاهد في سبيل الله، ويملأ الأرض عدلا[١]، ويصلي بالمسلمين، وبينما هم كذلك إذ خرج المسيح الدجال، فما يزال المسلمون في عناءٍ منه، حتى ينزل عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهناك مسيحان:

* مسيح الضلالة، وهو الدجال.

* ومسيح الهداية، وهو عيسى بن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والمسيح الدجال سمي بالمسيح لسرعة سيره في الأرض[٢]؛ لأنه يهيئ الله له من الأسباب ما يمكنه من سرعة السير في الأرض للأذى وللشر والفتنة، وسُميّ بالدجال من الدجل، وهو الكذب؛ لأن الدجال: هو المبالغ في الدجل، وهو الكذب[٣]؛ لأنه كذّاب، حتى إنه يدّعي أنه هو الله، ويفتتن الناس بسببه إلا من ثبّته الله، ومعه جنة ونار[٤]، ويعمل خوارق، وهي: خوارق شيطانية، ليست كرامات، وإنما هي خوارق شيطانية، يُجريها الله على

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٥) عن أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ**».

(٢) انظر مادة (مسح) في: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٢٦)، ولسان العرب (٢/ ٤٩٣).

(٣) انظر مادة (دجل) في: العين (٦/ ٨٠)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٣٤٤)، والصحاح (٤/ ١٦٩٥)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٢٩)، ولسان العرب (١١/ ٢٣٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٤) (٢٩٣٤) عَنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ**». وأخرجه مسلم (١٠٩) (٢٩٣٦) عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ**».

يده للفتنة، وابتلاء العباد، فخطره شديد، ولذلك حذّرت منه الأنبياء، وأكثر من حذّر منه نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمرنا أن نستعيذ من فتنته في صلاتنا في التشهد الأخير؛ حيث نستعيذ بالله من أربع: «**مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[(١)].

وفتنته هي أكبر فتنة تجري على وجه الأرض -والعياذ بالله-، هذا هو المسيح الدجال، وبينما هو كذلك قد ضايق المسلمين، وآذاهم، وامتحنهم، وإذا بالمسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل من السماء، فيطلب الدجال، ويقتله، ويريح المسلمين منه[(٢)]، ويتولى الأمر، ويعدل في الأرض، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير[(٣)]، ولا يبقى دينٌ إلا دين الإسلام، تبطل اليهودية،

---

(١) أخرجه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٦٣٦٥)، ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥٨٨)، بلفظ: «**إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**».

(٢) أخرجه مسلم (١١٠) (٢٩٣٧) عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «...فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ....». وانظر: البداية والنهاية (١٩/ ٢٣٧-٤٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (٢٤٢) (١٥٥) عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**».

والنصرانية، وأديان الكفر، ولا يبقى إلا الإسلام، ويحكم بشريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكون تابعًا له؛ لأنه لا نبي بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمسيح إنما ينزل تابعًا للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحاكمًا بشريعته شريعة الإسلام.

هذا هو ما يكون من ظهور الدجال، ومن نزول المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وسميَّ عيسى مسيحًا، قيل: لأنه يمسح ذا العاهة، فيبرأ بإذن الله، وهذا من معجزاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ أنه يمسح بيده على الأعمى، والأبرص، والأكمه، فيزول مرضه بمسحته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولذلك سُمي المسيح بمعنى الماسح.



وَالْإِيمَانُ بِنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَنْزِلُ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ، وَيَتَزَوَّجُ، وَيُصَلِّي خَلْفَ الْقَائِمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَمُوتُ وَيَدْفِنُهُ الْمُسْلِمُونَ.

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالْإِيمَانُ بِنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ**)، وهو من علامات الساعة الكبرى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالْإِيمَانُ بِنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ**)؛ يعني: من السماء؛ لأن الله رفعه، لما أراد اليهود قتله، وجاؤوا إليه ليباشروا قتله، وصلبه، ودخلوا عليه، رفعه الله من بين أيديهم، وهم لا يشعرون، وألقى شبهه على رجلٍ، فقتلوا الرجل؛ يظنون أنه المسيح، وليس هو، قال تعالى: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾ [النساء:١٥٧]، فألقى الله شبهه على هذا الرجل.

قيل: لأن هذا الرجل هو الذي دلَّهم عليه، فعاقبه الله.

وقيل: إنه من أتباع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الحواريين، قال له عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: سيُلقى عليك شبهي، وتكون لك الجنة، فصبر الرجل، وتقبل هذا الشبه، والقتل، والصلب؛ لأنه يريد الجنة بذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**يَنْزِلُ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ**)، يقتل الدجال بباب لُدّ، وهو مكان معروف[1]، يطلب عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ الدجال، فإذا رآه، ذاب كما

---

(١) أخرجه مسلم (١١٠) (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الترمذي (٢٢٤٤) من حديث مُجَمِّع ابن جارية قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ**». وقال: حسن صحيح. وأخرجه أحمد (٣/ ٤٢٠)، =

يذوب الملح في الماء[١]، ثم يدنو منه، فيضربه بحربته، فيقتله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَيَتَزَوَّجُ، وَيُصَلِّي خَلْفَ الْقَائِمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يَتَزَوَّجُ)**، جاء في بعض الآثار، لكنه لم يثبت[٢]، أما أنه يصلي خلف المهدي، فهذا ثابت[٣]، يطلب منه المهدي أن يصلي بالمسلمين؛ لأنه ينزل وقت صلاة الفجر، والمسلمون مجتمعون للصلاة، فيطلب منه المهدي أن يصلي بالمسلمين، فيقول المسيح: «لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ»، فيصلي خلف المهدي.

والقائم: هو المهدي، محمد بن عبد الله، اسمه كاسم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واسم أبيه كاسم أبي الرسول، وهو من بيت الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

=وابن حبان (٦٨١١). ولُدّ: مدينة تقع شمال غرب القدس، تبعد عنها ٢٦ ميلًا تقريبًا. انظر: التعليق على صحيح ابن حبان (١٥/ ٢٢٣).

(١) أخرجه مسلم (٣٤) (٢٨٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «...**فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ**».

(٢) قال ابن الجوزي: لا يصح. انظر: العلل المتناهية لابن الجوزي (١٥٢٩).

(٣) أخرج مسلم (١٥٦) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: صَلِّ بِنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**».

وانظر -أيضًا-: صحيح مسلم (٢٤٤) (١٥٥)، (٢٤٥) (١٥٥)، (٢٤٦) (١٥٥).

قالوا: الحكمة -والله أعلم-: أن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما تنازل عن الخلافة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أجل حقن دماء المسلمين، أكرمه الله، فجعل المهدي من ذريته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَيَمُوتُ وَيَدْفِنُهُ الْمُسْلِمُونَ)**، هذا في القرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء:١٥٩]، فهو يموت كما يموت سائر البشر، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٤]، فهو يموت عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في آخر عمره الذي كتبه الله له، ويدفنه المسلمون كما يدفنون موتاهم[1].

---

(١) أخرجه الطيالسي (٤/ ٢٧٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**ثُمَّ يَمُوتُ وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ**». وأخرجه أبو داود (٤٣٢٤)، وأحمد (١٥/ ٣٩٨)، وابن حبان (١٥/ ٢٣٣-٢٣٤)، وعندهم: «...**ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ**».

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَنِيَّةٌ وَإِصَابَةٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ، وَيَنْقُصُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ.

الشَّرْح

الإيمان في اللغة: هو التصديق الجازم الذي معه ائتمان لا يعتريه شك، فيقال: آمن له؛ أي: صدَّقه، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧]؛ أي: لست بمصدِّقٍ لنا، ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت:٢٦]؛ يعني: صدَّق عمه إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[(١)].

أما الإيمان في الشرع: فإنه هو اعتقادٌ بالقلب، ونطقٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[(٢)]، لا يكون الإيمان إلا من مجموع هذه الأشياء، فمن آمن بقلبه، ولم يؤمن بلسانه، لم يكن مؤمنًا؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا قال في الكفار: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]، وقال في فرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء:١٠٢]، وقال جَلَّ وَعَلَا عن الكفار الذين كذبوا بآياته: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢١)، ومقاييس اللغة (١/ ١٣٣)، ومختار الصحاح (ص١١)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٦٩). وانظر مبحث في معنى الإيمان في اللغة في: كتاب الإيمان الأوسط (ص٧٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية، والإيمان الكبير (ص٢٧٥ وما بعدها).

(٢) انظر: لمعة الاعتقاد (ص٢٣)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٨٤).

فالإيمان بالقلب لا يكفي -كما تقوله المرجئة[١]-، وليس بإيمان، وكذلك الإيمان باللسان -أيضًا- لا يكفي؛ لأن هذا إيمان المنافقين: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١١].

والإيمان بالقلب والقول باللسان لا يكفيان أيضًا -كما تقوله المرجئة-، هذا لا يكفي، لابد من العمل بالجوارح، فالذي يؤمن بقلبه وبلسانه، ولكنه لايصلي أبدًا، ولا يصوم، ولا يؤدي حج الفريضة، ولا يعمل أي عمل من الأعمال، هذا كافر، ولو كان يؤمن بلسانه وينطق، ويعتقد بقلبه، ويشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لكن تركه العمل من غير عذر لا يجعله مؤمنًا، إلا إذا ترك العمل لعذر -كالمكره، والناسي، والجاهل-، وكذا الذي دخل في الإسلام، ولم يتمكن من العمل؛ بأن أسلم، ثم مات في الحال، فهذا لا يُحسب عليه العمل؛ لأنه لم يتمكن، كذلك المخبول في عقله هذا لا يتمكن من العمل[٢]، أما إذا كان متمكنًا من العمل، وتركه نهائيًّا، فهذا ليس بمؤمن.

بعضهم زاد في تعريف الإيمان -كما ذكر المؤلف- مسألة رابعة، وهي اتباع السنة، يقولون: (الإيمان: قولٌ واعتقادٌ وعملٌ وسنة)؛ يعني: اتباع السنة، يخرج بذلك المبتدعة الذين لا يعملون بالسنة، وإنما يعملون بالمحدثات، وهذا ذكره المؤلف هنا في قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (نِيَّةٌ وَإِصَابَةٌ)؛ أي: عمل بالسنة، أما الذي يعمل عملًا خاطئًا بالبدع والخرافات والمحدثات، فهذا لا يكون مؤمنًا.

---

(١) **المرجئة**: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص ١٣٢)، و(الفرق بين الفِرق) (ص١٩٠).

(٢) راجع شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٥/ ٩٦٠).

(**وَيَزِيدُ بِالطَّاعَةِ**)، هذا من تمام التعريف؛ أن الإيمان يزيد بالطاعة، وهذا صريح في القرآن: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم:٧٦]، ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال:٢]، ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر:٣١]، هذا صريح أن الإيمان يزيد بالطاعات، (**وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ**)؛ لأن الشيء الذي لا يزيد ينقص، وأيضًا: جاء في الحديث: أن الذي لا ينكر المنكر بقلبه «**لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»(٣)، دلَّ على أن الإيمان يضعف، حتى يصير مثل حبة الخردل، وجاء في الحديث الصحيح: «**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»(٤)، فدلَّ على أن الإيمان يضعف حتى يكون مثل حبة الخردل، وقال تعالى: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ [آل عمران:١٦٧]، عندهم إيمان ضعيف، وهم للكفر أقرب، فدلَّ على أن الإيمان يضعف، وحتى إن صاحبه يكون أقرب إلى الكفر -والعياذ بالله-.

---

(٣) أخرجه مسلم (٥٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**».

(٤) أخرجه البخاري (٢٢، ٦٥٦٠)، ومسلم (٣٠٤) (١٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا معنى قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَيَنْقُصُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ**)، ينقص حتى لا يبقى منه شيء، وقد يبقى منه مقدار حبة خردل، وهذه تنفع صاحبها يوم القيامة يُخرج بها من النار، وإذا لم يبق حبة خردل، فإنه يكون من أهل النار المخلدين فيها.



وَأَفْضَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ وَالأُمَم كُلِّهَا بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، هَكَذَا رُوِيَ لَنَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بَيْنَ أَظْهُرِنَا: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، وَيَسْمَعُ بِذَلِكَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَلَا يُنْكِرُهُ»**[1].

الشرح

أفضل القرون: القرن الذي بُعث فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم[2]، وهي القرون المفضلة، وأفضل القرون المفضّلة هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتفاضلون، أفضلهم: أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي آمن بالرسول أول ما جاء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآزره، ودافع عنه، وأنفق أمواله في نصرته، ولازمه حتى مات، ثم تولى الخلافة من بعده، وقام بها أعظم قيام، وثبّت الله به الدين بعدما تزلزلت أقدام الناس بوفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثبّته الله ثبات الجبال، حتى ثبّت به الأمة، وردَّ به المرتدين والكفار، فوطد الإسلام بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم توفي،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٥) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ». وأخرجه بهذا اللفظ عبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٥٧٦)، وأحمد في فضائل الصحابة (١/ ٥٢٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٦٨)، والخلال في السنة (٢/ ٣٩٨)، وابن الأعرابي في معجمه (٢/ ٦٦٢)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٣٠٣)، وفي الكبير (١٢/ ٢٨٥)، وفي مسند الشاميين (٣/ ٤٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨/ ١٤٤٦).

(٢) سبق تخريجه (ص٥١).

ودُفن مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو صاحبه حيًّا وميتًا، وهو صاحبه في الغار، قال تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، فهو أفضل الأمة، ثم يليه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثاني الخلفاء، ثم يليه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم يليه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هؤلاء هم الخلفاء الأربعة الراشدون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأرضاهم(١).

ثم بقية العشرة المفضلين المشهود لهم بالجنة، وهم: الخلفاء الأربعة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهؤلاء هم العشرة المشهود لهم بالجنة، شهد لهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، فهم أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ**»(٢).

---

(١) ثبت ذلك من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٠١)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٠١)، وروى أبو داود طرفًا منه (٤٦٢٩) عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: «قَالَ عَلِيٌّ: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ أَخْبَرْتُكُمْ بِالثَّالِثِ لَفَعَلْتُ». وأخرج البخاري (٣٦٧١) عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في الكبرى (٨١٣٨)، وأحمد (٣/ ٢٠٩)، وأبو يعلى (٢/ ١٤٧)، وابن حبان (١٥/ ٤٦٣) من حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم من بعدهم: أصحاب غزوة بدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم أصحاب بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم الذين أسلموا وهاجروا قبل الفتح أفضل من الذين أسلموا وهاجروا بعد الفتح، فهم يتفاضلون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حسب سابقتهم في الإسلام ومقامهم في الإسلام، ولهم الفضيلة العامة التي لا يبلغها أحد، وهي الصحبة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والهجرة، فالمهاجرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفضل من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هذه فضيلة عامة لجميعهم، لا يبلغها أحدٌ ممن جاء بعدهم، فهم أفضل القرون وخير القرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأرضاهم.

فالذي يطعن فيهم، أو يبغضهم، كافرٌ بالله؛ لأن الله أثنى عليهم، ومدحهم، واختارهم لصحبة نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذي يطعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو يكفرهم، أو يتنقصهم، كافرٌ بالله عَزَّوَجَلَّ، مكذبٌ لله ولرسوله؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(هَكَذَا رُوِيَ لَنَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ)**، أما أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فهذا إجماع، وأما المفاضلة بين عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فإنها محل خلاف، بعضهم يفضل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعضهم يفضل عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأرضاهما، أما أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فهما أفضل الأمة بإجماع المسلمين، هذا في الفضيلة، أما في الخلافة، فلابد من هذا

الترتيب: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فمن طعن في خلافة واحد من هؤلاء، فهو ضال.

يقول شيخ الإسلام في الواسطية: (وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ، فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ)[1]؛ لأنه مخالف لإجماع المسلمين؛ لأن المسلمين أجمعوا على تقديم أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخلافة، ثم تقديم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعده، ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالذي يقدم عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقول: هو أحق بالخلافة حتى من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ويقول: إن الخلافة بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه وصيّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الخليفة، ولكن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ظلموه، وأخذوا الخلافة منه، هذا تضليل للأمة -والعياذ بالله-، ومخالفة للنصوص الواردة في ترتيب هؤلاء الخلفاء.

فالترتيب في الخلافة محل إجماع، أما الترتيب في الأفضلية بين علي وعثمان، فهذا محل خلاف، والصحيح: أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل؛ لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -وفيهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- اختاروه خليفةً لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موجود، واختيار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليل على أنه أفضل، ويقول عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَشَاوَرْتُ النَّاسَ، فَإِذَا هُمْ لَا يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ»[2]، فدلَّ على أنه أفضل.



(١) انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣).
(٢) أخرجه ابن أبي شبة في تاريخ المدينة (٣/ ٩٢٤).

ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: عَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْد بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الجَرَّاحِ، وَكُلُّهُمْ يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ.

ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْقَرْنُ الأَوَّلُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ: المُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ، وَالأَنْصَارُ، وَهُمْ مَنْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ.

الشَّرْح

أي: أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد الخلفاء الثلاثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بقية العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم هؤلاء الذين ذكرهم المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كُلُّهُمْ يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ)**؛ أي: أصحاب الشورى الذين فوض إليهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اختيار الخليفة من بعده؛ لأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حضرته الوفاة، جعل الشورى في اختيار الخليفة يرجع إلى هؤلاء الباقين؛ لأن كل واحد منهم يصلح للخلافة، فرد الأمر إليهم، فاختاروا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الْقَرْنُ الأَوَّلُ)** من القرون المفضلة، وهم القرن الذين بُعث فيهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمنوا به.

والأصحاب: جمع صحابي، والصحابي: من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، ومات على ذلك[1].

---

(١) انظر: في تعريف الصحابي: تدريب الراوي للسيوطي (ص٢٨٨، ٢٨٩)، وفتح المغيث للعراقي (ص٣٤٢)، وفتح المغيث للسخاوي (٣/ ٧٨، ٧٩)، والإصابة لابن حجر (١/ ٤، ٥).

- فالذي آمن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يلقه، ليس صحابيًّا كالنجاشي، إنما يعتبر من التابعين.

- والذي لقيه ولم يؤمن به، فهذا ليس بصحابي؛ لأن المشركين والكفار لقوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يؤمنوا به.

- والذي لقيه، وآمن به، ثم ارتد، بطلت صحبته، إذا مات على الرِّدة، أما لو تاب، تاب الله عليه، ورجعت صحبته.

ولهذا يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «النخبة» في تعريف الصحابي: (مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُؤْمِنًا بِهِ، وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلَوْ تَخَلَّلَتْ رِدَّةٌ فِي الْأَصَحِّ)[1]، يعني في أصح قولي العلماء.

القول الثاني: أنه تبطل صحبته ولو تاب؛ لأن الردة تبطل الأعمال التي قبلها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الْقَرْنُ الْأَوَّلُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ: الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ، وَالْأَنْصَارُ، وَهُمْ مَنْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ)**، المهاجرون مقدمون في الذكر على الأنصار، فدلَّ على أن المهاجرين أفضل؛ بفضل الهجرة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنهم تركوا أوطانهم وأموالهم، والله جَلَّوَعَلَا يذكر المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قبل الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في كثير من الآيات؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠]، ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ

(١) انظر: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (ص٧٢٤).

وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر:٨]، إلى قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [الحشر:٩]؛ يعني: الأنصار، فيقدم ذكر المهاجرين على الأنصار، ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [التوبة:١١٧]، دلَّ على أن المهاجرين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أفضل من الأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والأنصار: جمع أنصاري، وهم: المؤمنون من الأوس والخزرج أهل المدينة، الذين بايعوا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيعة العقبة، وهاجر إليهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وناصروه، وآزروه، وآووه، وآووا الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ معه، قال تعالى فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩]، كانوا في الأول يسمون: الأوس والخزرج، ثم لما بايعوا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على النُصرة، سمّاهم الأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ أي: أنصار الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا أَوْ سَنَةً أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ، نَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ، وَنَذْكُرُ فَضْلَهُمْ، وَنَكُفُّ عَنْ زَلَلِهِمْ، وَلَا نَذْكُرُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِالخَيْرِ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي، فَأَمْسِكُوا»(١).

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ(٢): **«مَنْ نَطَقَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، فَهُوَ صَاحِبُ هَوَىً»**(٣).

الشَّرْح

الصحبة تتفاضل: منها صحبة كثيرة، وملازمة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طويلة، أو من صحبة قليلة، لكن صاحبها له فضل الصحبة، ولو كانت صحبته قليلة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(نَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ، وَنَذْكُرُ فَضْلَهُمْ، وَنَكُفُّ عَنْ زَلَلِهِمْ)**، حقهم علينا: أننا نترضى عنهم، ونترحم عليهم، ونقتدي بهم، ونثني عليهم،

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٩٦، ١٠/ ١٩٨)، والحارث في مسنده (٢/ ٧٤٨- زوائد الهيثمي)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨)، واللالكائي (١/ ١٢٦)، وحسنه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٤١)، وكذا حسنه الحافظ في الفتح (١١/ ٤٨٦).

(٢) هو الإمام أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي مولى امرأة من بني هلال ابن عامر، وقيل مولى بني هاشم، وقيل مولى الضحاك، وقيل مولى مسعر بن كدام، الكوفي ثم المكي، مولده سنة سبع ومائة في نصف شعبان، ووفاته سنة ثمان وتسعين ومائة، طلب الحديث وهو غلام، وكان إمامًا عالمًا ثبتًا حجة زاهدًا ورعًا مجمعًا على صحة حديثه وروايته. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٩٧)، والأنساب (٥/ ٦٥٧)، والوافي بالوفيات (١٥/ ١٧٥)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٩١).

(٣) ذكره عنه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢١١٢).

ونكف ألسنتنا عن الطعن فيهم، أو في أحدٍ منهم، أو أن نخوض فيما جرى بينهم من الفتنة والحروب؛ لأن كل واحد منهم مجتهد، فمنهم مجتهد مصيب له أجران، ومنهم مجتهد أخطأ، وله أجرٌ واحد، والخطأ مغفور، ثم -أيضًا- لهم من الأعمال الجليلة ما يُكفِّر ما يحصل من بعضهم من الخطأ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا نَذْكُرُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِالخَيْرِ**)؛ لأنهم يريدون الحق، واجتهدوا، وكلٌّ منهم عمل باجتهاده، فمنهم من هو مصيب، ومنهم من هو مخطئ مغفور له، وكلهم صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا ندخل فيما جرى بينهم.

تأمل هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾؛ يعني: بعد المهاجرين والأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر:١٠]، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1].

سلامة قلوبهم: فلا يُبغضون أحدًا منهم، وسلامة ألسنتهم: فلا يتكلمون في حق أحدٍ منهم، ولا يتنقصونه، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الحديث الصحيح: «**لَا تَسَبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[2].

---

(١) انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه مسلم -أيضًا- (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

«**لَا تَسَبُّوا أَصْحَابِي**» ثم يأتي متخلف عقل مهتز الإيمان، وفيه هوى، ويتكلم في صحابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا لو كان من الفرق الضالة، لم نستكثر عليه، لكن المشكلة أنه ينتسب إلى أهل السنة والجماعة، ويقول: هذا من التحقيق التاريخي. وهل أنت مكلَّف بالتحقيق التاريخي؟ تدخل في شيءٍ لاتدري عنه، ويترتب عليه خطورة، وتشكك الناس في صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الواجب: الإمساك عما شجر بينهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا**»)، وأصرح منه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي**»، هذا نهيٌّ عن سبِّ أحدٍ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فالواجب أننا نترحم عليهم، وأن نستغفر لهم؛ عملًا بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠]، وأن نكف ألسنتنا، وأقلامنا عن الكلام في صحابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن ندافع عنهم، ونرد على من يتنقص أحدًا من الصحابة، ونبطل قوله؛ لأنه مخالف للعقيدة الصحيحة، عقيدة أهل السنة والجماعة.

وشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في الواسطية يقول: (إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مساويهم مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيح مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ؛ إمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنْ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ -إنْ صَدَرَ-، حَتَّى إنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ

مِنْ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنْ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ)[١].

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -لما اجتهد، وكتب لأهل مكة، وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[٢]، وكان هذا الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن شهد بدرًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «مَنْ نَطَقَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، فَهُوَ صَاحِبُ هَوَىً»**)؛ لأنه لا يتكلم فيهم إلا صاحب هوى وتعرض لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الواجب لصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المحبة، والإجلال، والإكرام، ومعرفة قدرهم، والاقتداء بهم؛ لأنهم خير القرون، ولأنهم رأوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمنوا به، صحبوه، ونصروه، جاهدوا معه، وتحملوا العلم عنه، فهم أفضل هذه الأمة، بل هم أفضل الخلق بعد النبيين؛ لأن الله اختصهم بصحبة نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين وأفضل المرسلين، فلا يطعن فيهم إلا من في قلبه غل وحقد على الإسلام، فهو لا يطعن فيهم لأشخاصهم، إنما يطعن فيهم لأجل ما قاموا به من نصرة هذا الدين، وتبليغه للناس بأمانة،

---

(١) انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤). وانظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٥٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٢٥)، والدرر السنية (١/ ٤٧٣).

فالذي يطعن فيهم إنما يطعن من أجل هذا؛ لأنه حاقدٌ على الإسلام، وموتورٌ من الإسلام، فهو يتشفى بذلك، ولأجل أن يقطع صلة الأمة بنبيها محمد ﷺ؛ لأنهم هم الواسطة بيننا وبين الرسول ﷺ، فهذا قصد من يطعن فيهم، ولهذا لما ذكر المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم في سورة الحشر، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر:١٠]، فدلَّ على أن الذي يطعن فيهم، أو في أحدٍ منهم إنما هو لغلٍّ يجده في قلبه عليهم، ولهذا قال سفيان بن عيينة الإمام الجليل: «مَنْ نَطَقَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِكَلِمَةٍ، فَهُوَ صَاحِبُ هَوَىً»، فالهوى هو الذي حمله على هذا، والهوى هو بُغضهم والحقد عليهم، فلذلك تجدون شر الناس من يطعن في صحابة رسول الله ﷺ، وقد افتضحوا بالكذب والكراهية بين الناس، فلا يراهم أحد، إلا وهو يكرههم؛ لأن الله وضع لهم البغض في الأرض، فلا أحد يرى من يُبغض صحابة رسول الله ﷺ إلا وهو يجد في نفسه بغضًا لهم وكراهيةً لهم -نسأل الله العافية.

وهذا لا يضر صحابة رسول الله ﷺ، ولا يضر الإسلام، فالصحابة رضي الله عنهم موفورٌ لهم قدرهم وأجرهم، والإسلام مستمرٌ، وينتصر -ولله الحمد-، وإنما هؤلاء يضرون أنفسهم، لكن الخوف على من يقرأ كتبهم ممن ليس عنده علم، فيقع في نفسه شيءٌ على صحابة رسول الله ﷺ، ويتأثر بذلك، وكم وقع من فريسة من أبناء المسلمين بسبب مطالعة كتب هؤلاء! لأنه إذا قرأها، تأثر بها، ووجد في نفسه بغضًا لصحابة رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو على الأقل يقل قدرهم عنده، وينقصون عنده، فهذا هو الخوف على شبيبة المسلمين، وعلى الذين لم يتمكنوا من العلم أن يتأثروا بهذه الكتب التي تطعن في صحابة رسول الله، لاسيما وأنها تُنشر الآن، وتُنمق، وتُخرج في أحسن إخراج -من الطباعة ومن التجليد-، ويروجونها في المعارض، يجدون ذلك فرصة لهم لينشروا، ويشيعوا الوقيعة في صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا شك أن الطعن في صحابة رسول الله طعنٌ في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كيف يكون صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من هؤلاء الذين وصفوهم بهذه الأوصاف القبيحة، فهذا طعنٌ في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيضًا: هو تكذيب لكتاب الله؛ فإن الله أثنى على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في القرآن العظيم في آيات، منها: قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح:١٨-١٩]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ يعني: صفتهم في التوراة، فهم مذكورون في التوراة؛ كما ذُكر نبيهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾، الذي نزل على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]، فدلَّ على أنه لا يغتاظ من صحابة رسول الله، ولا يُبغضهم إلا كافر؛ لقوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]، فهذه هي علامة الكفر، فبغض صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفر ونفاق -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بِكَلِمَةٍ فَهُوَ صَاحِبُ هَوَىً)**؛ أي: إذا تكلم في تنقص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بكلمة واحدة، فهو صاحب هوى إذا كان هذا يحصل بكلمة واحدة، فكيف بالذي يؤلف كتبًا في سبهم، والوقيعة فيهم، وتلمس العثرات لهم، وتضخيمها؟! كيف بهذا؟! إذا كان من نطق بكلمة في صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو صاحب هوى؛ يعني: يتبع هواه؛ لأنه ما تكلم إلا لهوىً في نفسه، وبغضٍ لصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وَالسَّمْعُ والطَّاعَةُ لِلأَئِمَّةِ فِيمَا يُحِبُّ اللهُ وَيَرْضَى، وَمَنْ وَلِيَ الْخِلافَةَ بِإِجْمَاعِ النَّاسِ عَلَيهِ وَرِضَاهُمْ بِهِ، فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَبِيتَ لَيْلَةً وَلَا يَرى أَنْ لَيْسَ عَلَيهِ إِمَامٌ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا.

الشَّرْح

من أصول أهل السنة والجماعة المبنية على كتاب الله وسنة الرسول ﷺ: السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء:٥٩] ﴿ مِنكُمۡ ﴾؛ يعني: من المسلمين، وقال النبي ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ**»(١)، وفي روايةٍ: «**عَبْدٌ مُجَدَّعُ الْأَطْرَافِ**»(٢)؛ يعني: مقطع الرجلين واليدين، ما دام أنه ولي أمر، تجب طاعته بالمعروف، فهذا من أصول العقيدة، والذي يخرج على أئمة المسلمين يكون من الضالين؛ إما أنه خارجي، أو معتزلي، أو صاحب نحلةٍ باطلة تخالف سنة الرسول ﷺ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالسَّمْعُ والطَّاعَةُ لِلأَئِمَّةِ فِيمَا يُحِبُّ اللهُ وَيَرْضَى**)، بهذا القيد (فِيمَا يُحِبُّ اللهُ وَيَرْضَى)، أما المعصية، فلا يطاعون فيها، قال ﷺ:

---

(١) هذا حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سبق مرارًا.

(٢) أخرجها مسلم (٣١١) (١٢٩٨) من حديث أم الحصين قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ** - قال الراوي يحيى بن حصين-: حسبتها قالت: أسود، **يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**». وفي رواية لمسلم (٣٧) (١٢٩٨) قال: «**عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا**».

«**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»[(١)]، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[(٢)].

وليس معنى ذلك أنه إذا أمر ولي الأمر بمعصية من المعاصي أنها تنخلع إمامته، بل إنه لا يطاع في هذه المعصية، ولكن يطاع فيما ليس فيه معصية، وتبقى ولايته، ويطاع فيما ليس بمعصية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ بِإِجْمَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَرِضَاهُمْ بِهِ فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ**)، هذا بيانٌ بما تنعقد به الإمامة، فإن الإمامة تنعقد بأحد أمور:

الأمر الأول: ما ذكره المؤلف، وهو من اختاره المسلمون، والمراد بالذين يختارون الإمام هم أهل الحل والعقد من العلماء، والأمراء، وأصحاب السياسة، وأمراء الأجناد، وليس معناه أن اختيار الإمام لكل أحد من الصبيان، والنساء، والحضر والبدو؛ لأن الناس تبع لأهل الحل والعقد، فإذا اختار أهل الحل والعقد إمامًا، وجب على البقية أن يطيعوه، وهذا كما حصل في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجمعوا على بيعة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكانت بقية الأمة تابعة لمن اختار الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يُفتح المجال لكل أحدٍ ليشارك في

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٥٤٤)، وأحمد (٢/ ٣٣٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٥٥)، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٧٠)، والأوسط (٤/ ١٨١)، وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٢٦)، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.
وأخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (٣٩) (١٨٤٠)، في حديث طويل.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (٣٩) (١٨٤٠) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الاختيار؛ لأن هذا من اختصاص أهل الحل والعقد، فالمسلمون اختاروا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضلهم، وهذا اختيار له أدلة من سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أولها: أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على الإطلاق، ما خالف في هذا أحد.

وثانيًا: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطى إشارات باستخلافه:

منها: أنه في مرض موته قدّمه للصلاة؛ ليؤم المسلمين في محراب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقف موقف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]، هذه إشارة إلى أنه هو إمامهم في الخلافة؛ كما هو إمامهم في الصلاة، فاختاروا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقالوا: أيرضاك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لديننا، ولا نرضاك لدنيانا؟![2]، وانعقدت بيعته، وأجمع الصحابة على ذلك -من باشر الاختيار، ومن لم يباشر، فهو تبع-، والمسلمون جماعة واحدة، ويدٌ واحدة.

الأمر الثاني: ولما حضرت أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوفاة، اختار عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعيّنه بدلًا منه، فسمع المسلمون، وأطاعوا، وهذه هي الطريقة الثانية من طرق ثبوت الإمام، وهو أن يختار ولي الأمر وليًّا للعهد يخلفه بعد موته؛ كما فعل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث اختار عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمر الثالث: إذا تغلب واحدٌ من المسلمين، وأخضع الناس لإمارته، فإنه يكون أميرًا وإمامًا لهم، مثل ما حصل من عبد الملك بن مروان، فإنه لما

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع منها (٦٨٣، ٦٨٢، ٦٧٩)، ومسلم (٤١٨).

(٢) انظر: الإنباء في تاريخ الخلفاء (ص٤٧)، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٢٢/ ١١٠)، والمقفى الكبير (١/ ٤٨٨).

حصل الاختلاف بعد وفاة يزيد بن معاوية، فإن عبد الملك بن مروان بن الحكم قام بالأمر، وكان رجلًا شهمًا حازمًا قويًا، ونفع الله به، وانعقدت بيعته، وسمع المسلمون له، وأطاعوا، فكان في ذلك الخير للمسلمين.

فهذه هي الطرق التي تثبت بها ولاية الإمام؛ إما باختيار أهل الحل والعقد، وإما بالعهد بأن يعهد السابق للاحق، وإما بأن يتغلب واحدٌ من المسلمين حينما يكون لهم إمام، ويخضع الناس له، وينقادوا له، فلا يجوز لأحد أن يشق العصا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بِإِجْمَاعِ النَّاسِ**)، لا تفهم من هذا أنه لابد من اختيار المسلمين كلهم، ولكن يحصل ذلك بإجماع أهل الحل والعقد؛ كالحاصل في عهد أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكالحاصل في خلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإن الذين اختاروه هم أهل الشورى، وهم الباقون من العشرة المبشرين بالجنة، اختاروه، فثبتت إمامته، ولم يعترض أحد على ذلك، بل أجمعوا على إمامة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَبِيتَ لَيْلَةً وَلَا يَرى أَنْ لَيْسَ عَلَيهِ إِمَامٌ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا**)، هذه مسألة مهمة جدًّا، وهي أنه لا يجوز للإنسان أن يخرج عن جماعة المسلمين، ويشق عصا الطاعة، فإنه إن فعل ذلك، (يَبِيتَ لَيْلَةً وَلَا يَرى أَنْ لَيْسَ عَلَيهِ إِمَامٌ) يعتقد إمامته، فهذا قد خلع ربقة الإسلام من عنقه[1]،

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، والنسائي (٨٨١٥)، وأحمد (٢٨/ ٤٠٦)، وابن حبان (١٤/ ١٢٤)، وابن خزيمة (١/ ٢٤٤)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٨٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٧٠) عَنِ الحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ، اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ**: =

بمعنى: أنه كان مع المسلمين، ومرتبطًا مع المسلمين، فلما خرج عن طاعة الإمام، فإنه قطع الارتباط بالمسلمين؛ مثل: صغار الأغنام التي يُجعل لها حبل ممتد، وفيه دركات تُدخل فيها رؤوس صغار الغنم؛ لتحفظها من الضياع، يسمى الربق، فشبّه اجتماع المسلمين على إمام بذلك، فمن خرج عن طاعة الإمام، فقد خلع هذه الربقة، وتعرض للضياع، وللذئاب، وللأهواء، وليس معناه أنه يكفر، معناه: أنه فارق الجماعة، وخرج عن الطاعة، فصار كالبهيمة التي خرجت من الرباط، وتعرضت للسباع، والنهب، والسلب.

ولا يقل: أنا ما بايعت، وليس لي إمام؛ فأنت واحد من المسلمين، ولما بايع أهل الحل والعقد، فأنت تابعٌ لهم.



=السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالهِجْرَةُ، وَالجَمَاعَةُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ والمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ».

وَالحَجُّ وَالْغَزْوُ مَعَ الْإِمَامِ مَاضٍ، وصَلاةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جَائِزَةٌ، وَيُصلِّي بَعْدَهَا سِتَّ رَكَعَاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، هَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ.

الشَّرْح

صلاحيات الإمام كثيرة، ومحل إحصائها وجمعها والاطلاع عليها: الأحكام السلطانية التي أُلفت في هذا؛ مثل: «الأحكام السلطانية» للماوردي، و«الأحكام السلطانية» لأبي يعلى الحنبلي، وكتب أُلفت في هذا فيها بيان صلاحيات الإمام، وهذا مذكورٌ في كتب الفقه، وفي كتب العقائد -أيضًا-؛ كما هنا:

أولًا: أنه يتولى صلاة الجمعة والعيدين، ويصلي المسلمون خلفه، إلا أن يختار هو، ويخلِّف من العلماء، أو طلبة العلم من يصلي بالناس، لكن الأصل أنه أحق بالإمامة في الجمعة والعيدين، فإن استخلف من يقوم بهذا، فله ذلك، وهذا عليه العمل الآن.

ثانيًا: هو الذي يقيم الحج، ويقود الحجيج، ويتأمر عليهم، وينظر في مشاكلهم.

ثالثًا: إقامة الجهاد في سبيل الله من صلاحيات الإمام، هو الذي يأمر به، وهو الذي ينظم الرايات، وهو الذي يختار الجنود والمقاتلين، ويؤمِّر الأمراء، ويجند السرايا والجيوش، ويسلح المجاهدين، ويوجههم إلى غزو العدو، ويعين لهم الجهة التي يغزونها، فالجهاد من صلاحيات الإمام، وليس

الجهاد فوضى؛ كل من أراد حمل السلاح، ويقتل، ويهجم، ويقول: أنا أجاهد في سبيل الله.

هذا ليس جهادًا في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله منظم ومضبوط بضوابط شرعية، أما إذا دخلته الفوضى، صار تخريبًا، وصار ضرره أكثر من نفعه -إن كان فيه نفع-، فالضرر الناجم عنه أكثر، فالأمور لها ضوابط، والجهاد أمره عظيم، يحتاج إلى انضباط، ويحتاج إلى تقيد بأحكام الجهاد المذكورة في الكتاب والسنة، وكلام أهل العلم، ليس الأمر فوضى؛ بأن يأتي واحد من دعاة الفتنة، ويتزعم هؤلاء الغالين، أو المتطرفين، أو الجهال الذين لا يدرون، يتزعمهم، ويقول: نجاهد في سبيل الله. هذا يعتبر من الضرر على الإسلام والمسلمين، وليس هذا جهادًا؛ لأنه لم يتقيد بضوابط الجهاد، وإذا لم يتقيد بضوابط الجهاد، صار فسادًا، وليس جهادًا، وكل شيءٍ تجاوز حدّه، فإنه ينقلب إلى ضده، فهم يقولون الآن لمن أنكر عليهم: أنتم تمنعون الجهاد في سبيل الله. نقول: نحن لا نمنع الجهاد في سبيل الله، لكن نقول: لابد أن ينضبط الجهاد بالضوابط الشرعية، وما تعملونه هذا فوضى، وليس جهادًا، والله لم يأمر بهذا.

فإقامة الحج، والغزو، والجمعة، والعيد من صلاحيات ولي الأمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَصَلاةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جَائِزَةٌ)**؛ يعني: ولو كان عندهم فسق، ولو كان عندهم معاص، فإنه يصلى خلفهم؛ لأن في الصلاة خلفهم جمع للكلمة، وأيضًا: الفاسق إذا أحسن، فأحسن معه، ولهذا لما قالوا لعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -وهو محصور-: «إِنَّكَ إِمَامُ عَامَّةٍ، وَنَزَلَ بِكَ مَا نَرَى، وَيُصَلِّي لَنَا

إِمَامُ فِتْنَةٍ، قَالَ: إِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاؤُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ»[(١)].

فإذا صلى، نصلي معه، إذا كان ولي أمر، ولو كان عنده فسق أو مخالفة؛ لما في ذلك من المصلحة، ولأن الصلاة عبادة، والفاسق إذا صلى، يُشجع على هذا، ويُدعى له، وقد صلى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خلف الأمراء الذين عليهم ملاحظات -كالحجاج، وغيره[(٢)]-؛ صلى خلفهم صحابة رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ امتثالًا لأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجمعًا للكلمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَيُصَلِّي بَعْدَهَا سِتَّ رَكَعَاتٍ)**، هذه مسألة فقهية، جاءت بمناسبة ذكر صلاة الجمعة، فالجمعة ليس لها راتبة قبلها، فمن جاء إلى المسجد، فإنه يصلي ما تيسر له، ويجلس ينتظر، وإن استمر في الصلاة حتى يحضر الإمام، فهو أفضل، على أنه نفلٌ مطلق، ليس له علاقة بصلاة الجمعة، أما راتبة الجمعة، فهي بعدها، أقلها ركعتان، وأكثرها على المشهور أربع ركعات بسلامين، وجاء في رواية: أنها ست ركعات بثلاث تسليمات، إذًا: يكون أقلُّها ركعتان، وأكثرها ست ركعات، أو أربع ركعات؛ كما هو المشهور[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥) عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ خِيَارٍ: «أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مَحْصُورٌ، فَقَالَ: إِنَّكَ إِمَامُ عَامَّةٍ، وَنَزَلَ بِكَ مَا نَرَى، وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامُ فِتْنَةٍ، وَنَتَحَرَّجُ؟ فَقَالَ: الصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاؤُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ».

(٢) انظر: صحيح البخاري (١٦٦٢)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص٤٢٠).

(٣) قال المرداوي في الإنصاف: قوله: (وأقل السنة بعد الجمعة ركعتان، وأكثرها ست ركعات: هذا المذهب نص عليه، وعليه أكثر الأصحاب، وجزم به في الهداية، والمذهب، =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، هَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ**)؛ أي: ليس معنى ذلك أنه يصلي ست ركعات سردًا بسلامٍ واحد. لا، بل ست ركعات، كل ركعتين بسلام، أو أربع ركعات، كل ركعتين بسلام. هذا هو الأفضل، ونسبته إلى الإمام أحمد؛ لأن المصنف حنبلي، ويعرف مذهب الإمام أحمد، هذا رواية عن أحمد؛ أنها ست ركعات، والمشهور: أنها أربع ركعات.



=والمستوعب، والهادي، والتلخيص، والمحرر، والنظم، والرعايتين، وابن تميم، والوجيز، وتذكرة ابن عبدوس، والحاويين، والفائق، وغيرهم، وقدمه في الفروع، وغيره).
وقيل: (أكثرها أربع اختاره المصنف -يعني: ابن قدامة-). اهـ. انظر: الإنصاف: (٢/ ٤٠٥).

وَالْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ إِلَىٰ أَنْ يَنْزِلَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الشَّرْح

إذا تشاحى أكثر من واحد فيمن يلي الإمامة، وكل واحد منهم يصلح للإمامة، فإنه يُقدَّم القرشي؛ لميزته على غيره؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدِّمُوا قُرَيْشًا وَلَا تَتَقَدَّمُوهَا**»[1]، فإذا كان القرشي صالحًا، وحصل مشاحة: من الذي يتولى؟ فإنه يُقدَّم القرشي لوصية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، ولأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الأنصار: «مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ»، قال لهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ، فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا»[2]، فبايعوا أبا بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن بعده عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن بعده عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن بعده علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن بعده معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن بعده بنو أمية، وبعدهم بنو العباس، كلهم من قريش.

أما إذا تمَّ الأمر، وانعقد، فإنه تلزم الطاعة، ولو لم يكن قُرشيًا، أو كان القرشي لا يصلح للإمامة، فمجرد كونه قرشيًّا لا يخوله للإمامة، إلا إذا كان مع القُرشية صالحًا لها، ولم يكن هناك إمام قائم.

---

(١) أخرجه الشافعي في مسنده (ص ٢٧٨) مرسلا. وأحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٦٢٢) عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا اللفظ.
وقد وردت جملة «الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ» عند النسائي في الكبرى (٥٩٠٩)، وأحمد في المسند (١٩/ ٣١٨، ١٩/ ٣٢٠، ٢٠/ ٢٤٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٧٢)، والطبراني في الكبير (١/ ٢٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٣٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِلَىٰ أَنْ يَنْزِلَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ)، إشارة إلى أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حينما ينزل، وإمام المسلمين محمد بن عبد الله المهدي، وهو من بيت الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فدلَّ على أن آخر الأئمة يكون من قريش، وأولهم من قريش، وهو أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهذا حسب الإمكان -كما ذكرنا-، وإذا ما وجد أحد من قريش، فلا تعطّل الولاية، أو إذا قام بالأمر غير قرشي، وكانت فيه صلاحية أننا نبعده، ونقول: لا تصلح لها. فيجب معرفة هذه الأمور.



وَمَنْ خَرَجَ عَلَى إِمامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ خَارِجِيٌّ، قَدْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَخَالَفَ الْآثَارَ، وَمِيتَتُهُ مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَمَنْ خَرَجَ عَلَى إِمامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ خَارِجِيٌّ)**، من خرج عن طاعة ولي الأمر، وشق عصا الطاعة بحجة أن ولي الأمر عنده معاص أو مخالفات؛ كما فعل الخوارج، فهذا له حكم الخوارج، والخوارج فئةٌ ضالة، ظهرت بذرتها في عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما جاء ذو الخويصرة، وقال للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لما رآه يقسم غنيمة-، قال له: «يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ، قَالَ: وَيْلَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟»، فلما ولى الرجل قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا»** يعني من جنسه **«قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ، وَعِبَادَتَكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِمْ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَلَا يَتَجَاوَزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ»**[1]، فيجب قتالهم، وذلك لأجل كف شرهم عن المسلمين، وهذا إذا أظهروا السلاح، وحملوا السلاح، أما مجرد أنهم يُظهرون رأي الخوارج، ويتكلمون، ولكن لا يقاتلون، وليس معهم سلاح، فنحن ننكر عليهم، ونبين لهم ضلالهم، ولا نقاتلهم، لكن إذا صار لهم شوكة، وصاروا يقاتلون المسلمين، فلا يجوز للمسلمين أن يتركوهم، بل يجب على ولي الأمر أن يقاتلهم، ويجب على المسلمين أن يكونوا مع ولي الأمر عليهم؛ كما حصل في

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٤).

خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما قاتل الخوارج في النهروان، وانضم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إليه، وقاتلوا معه الخوارج حتى قتلهم شر قتلة، ونال بذلك الأجر الذي وعد به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ**»، وهذا من فضائل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفضائله كثيرة، ومنها: أنه قاتل الخوارج[1]، وحقق فيهم قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قَدْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَخَالَفَ الْآثَارَ، وَمِيتَتُهُ مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**)، فالخوارج هم الذين شقوا عصا الطاعة، وخرجوا على ولي الأمر، وكذلك هم الذين يُكفرون المسلمين بالكبائر التي دون الشرك، فلهم علامتان:

العلامة الأولى: خروجهم على ولي أمر المسلمين، ومحاولتهم خلع ولي الأمر.

العلامة الثانية: أنهم يُكفرون المسلمين بالكبائر التي دون الشرك.

والذي حملهم على هذا هو الغلو -والعياذ بالله-، ولهذا حذّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغلو، فقال: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ**»[2]، وهو الزيادة في الدين، والزيادة على المشروع في إنكار المنكر، هذا هو الغلو الذي دفع الخوارج إلى ما حصل منهم، غلوا في إنكار المنكر، حتى شقوا عصا الطاعة، وغلوا في العبادة، حتى كفّروا مرتكبي الكبيرة من المسلمين.

---

(١) أخرج البخاري (٣٦١٠). قصة قتاله لهم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٠)، والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**خَالَفَ الْآثَارَ**)؛ يعني: الأحاديث الواردة عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في لزوم طاعة ولي الأمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمِيتَتُهُ مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**)؛ أي: لأن فيه خصلة من خصال الجاهلية؛ لأن العرب في الجاهلية متفرقين إلى قبائل، ليس لهم إمام يجمعهم، بل كل قبيلةٍ مستقلة بنفسها، وتُغير على القبيلة الأخرى، ولم يجتمعوا إلا بعدما بعث الله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دعاهم إلى الإسلام، فأسلموا، وصاروا تحت رايةٍ واحدة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:٢٦].

هذا من ثمرة طاعة ولي أمر المسلمين، كل هذه الخيرات تحصل: انبساط الأمن، وطلب الرزق، وامتداد الناس في السعي في طلب الرزق بسبب أمن الطرق، أما إذا كان هناك خوف، فالناس لا يسافرون، ولا يبيعون، ولايشترون؛ خوفًا على أنفسهم، هذه من فضائل الجماعة، وطاعة ولي الأمر، أما الخروج على ولي الأمر، وشق عصا الطاعة، فيلزم منه:

أولًا: تفريق جماعة المسلمين.

ثانيًا: سفك الدماء بغير حق.

ثالثًا: تسلط العدو؛ لأن العدو يفرح بهذا، ولذلك تجدون الكفار يفرحون بانشقاق المسلمين، ويفرقون المسلمين، ويساعدون الفئات

الضالة، ويمدونها بالسلاح، ويمدونها بالتخطيط؛ من أجل أن تخرج على جماعة المسلمين، ويحصل التفرق في المسلمين، فيغنمون منهم غنيمة؛ كما هو الحاصل، فهذا كله نتيجة لتفرق الكلمة، ومعصية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والخروج على ولي أمر المسلمين.

الحاصل: أن من ليس له إمام، فإنه كالذي يعيش في الجاهلية، وإذا مات، فميتته جاهلية، وليس معناه أنه يكفر، لكن معناه: أنه يكون فيه خصلة من خصال الجاهلية؛ حيث لا يدخل تحت طاعة إمام، ويعيش الفوضى.



وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ وَإِنْ جَارَ، وَذَلِكَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ: «اِصْبِرْ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا»(١)، وَقَوْلُهُ لِلْأَنْصَارِ: «اِصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»(٢)، وَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ قِتَالُ السُّلْطَانِ، فَإِنَّ فِيهِ فَسَادَ الدُّنْيَا وَالدِّينِ.

الشَّرْح

لا يجوز لأحد أن يقاتل السلطان، بأن يخرج عليه بالسلاح؛ لأن هذا يترتب عليه مفاسد كبيرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ وَإِنْ جَارَ)**؛ أي: يحرم قتال السلطان؛ يعني: مقاتلة السلطان؛ كما تفعل الخوارج.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَإِنْ جَارَ)**؛ أي: حصل منه جور، أو ظلم، فإنه يُصبر على ذلك؛ لأن الصبر على ذلك مع ما فيه من الضرر أخف من الضرر الذي يحصل بالخروج عليه، فالضرر الذي يحصل مع الصبر على طاعة السلطان الجائر أخف من الضرر الذي يحصل بالخروج عليه، ولا شك أن من القواعد المقررة في الإسلام: ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٦)، ولفظه: «اِسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ». وأخرجه أحمد (٣٥/ ٤٣٦)، وابن ماجه (٤٢٢٠)، والنسائي في الكبرى (١١٦٠٣)، والدارمي (٢٧٢٥)، ومن طريق معتمر بن سليمان، وابن حبان (٦٦٦٩)، والحاكم (٢/ ٥٣٤) من طريق النضر بن شميل، والطبراني في الأوسط (٢٤٩٥) من طريق عبد الرحمن بن حماد الشعيثي، ثلاثتهم عن كهمس بن الحسن، بهذا الإسناد.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٧٦، ٣٧٩٢)، ومسلم (٤٨) (١٨٤٥).

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**»، أوصاهم بالصبر، مع أنهم يلقون أثرة، وهي: استئثار بالأموال دونهم، فأوصاهم بالصبر؛ لما في ذلك من درء أعظم المفسدتين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَذَلِكَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لِأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ: «اِصْبِرْ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا»**)، يعني: لا يحتقر ولي الأمر، وإن كان مظهره غير جميل، وإن كان أسود اللون، أو ليس له نسب عربي؛ لأن العبرة بمنصبه، وهو الخلافة والإمارة، وليست العبرة بشخصه، فيطاع ما دام أنه مسلم، ولا ينظر إلى مظهره مما لا يُعجب الناظر؛ لدمامته، أو رثاثته، أو لعيبٍ في جسمه، «مُجَدَّعُ الْأَطْرَافِ»، كل هذا لا يسوغ الخروج عليه، حتى لو كان مريضًا، أو عنده ضعف صحي، ما دام انعقدت بيعته، فإنه يُصبر عليه، ويُسمع له، ويُطاع، ولو كان بهذه الصفات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ قِتَالُ السُّلْطَانِ**)، ليس في السنة الثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتال السلطان، ولا في حديثٍ واحد -لا ضعيف، ولا حسن، ولا صحيح-، ليس في السنة حديثٌ يدل على قتال السلطان المسلم، وإن كان فاسقًا، وإن كان ظالمًا، وإن كان جائرًا، وإن كان مستأثرًا بالأموال، فلا يجوز الخروج عليه، بل الأحاديث كلها تدل على الصبر على ذلك، وتحريم الخروج عليه.

ولا يعني هذا أن السلطان لا يُناصح، بل يناصح سرًّا بينه وبين الناصح، فيجب على من عنده نصيحة أن يبلغها للسلطان؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«**الدِّينُ النَّصيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لِلهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»[1]، فليس معنى ذلك أنه لا يُناصح، وأنه يُترك، بل لابد أن يُبين له، ويُنصح، وهذا من حقه على العلماء، وعلى رعيته، وعلى أهل المشورة وأهل الرأي أنهم يناصحونه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ قِتَالُ السُّلْطَانِ**)؛ يعني: ليس فيها دليل -لاصحيح، ولا ضعيف- على مشروعية قتال السلطان المسلم، بل فيها وفي القرآن الأمر بطاعته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩]، انظر إلى قوله: ﴿مِنكُمۡ﴾؛ يعني: ما دام مسلمًا، فإنه تجب طاعته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّ فِيهِ فَسَادَ الدُّنْيَا وَالدِّينِ**)، في قتال السلطان فساد الدنيا بأن يضيع المُلك، وتشيع الفوضى، ويتسلط الأعداء، وضياع الدين، فإنه لاأحد يقيم الحدود، ولا أحد ينفذ القصاص، ولا أحد ينفذ الأحكام الشرعية، ويرد الحقوق إلى مستحقيها، وينفذ الأحكام القضائية، وحينئذ يفسد الدين بهذا، فتكون فوضى وفسادًا؛ لا تُقطع يد السارق، إذًا تضيع الأموال، لايُقطع قطاع الطرق، إذًا تعطل السُبل، من الذي يقوم بهذا؟ هو ولي الأمر، هذا من صلاحيات ولي الأمر، ولا أحد يستطيع، لو اجتمع الناس كلهم، ما استطاعوا القيام بهذه الأمور، بل تلزم الفوضى.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث أَبِي رُقَيَّة تَمِيْم بْنِ أَوْسٍ الدّارِيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري معلقًا في كتاب الإيمان - باب قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**.

وَيَحِلُّ قِتَالُ الخَوَارِجِ إِذَا عَرَضُوا لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَلَيْسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُ أَنْ يَطْلُبَهُمْ، وَلَا يُجْهِزَ عَلَى جَرِيحِهِمْ، وَلَا يَأْخُذَ فَيْأَهُمْ، وَلَا يَقْتُلَ أَسِيرَهُمْ، وَلَا يَتْبَعَ مُدْبِرَهُمْ.

الشَّرْح

عرفنا أن الخوارج هم الذين يرون شق عصا الطاعة، ويرون أن ولي الأمر ليس له بيعة، أو لم يبق له بيعة على الناس، إذا حصل منه معصية، ويُكفِّرون المسلمين بكبائر الذنوب، هؤلاء إذا اعتنقوا هذا المذهب، ولم يكن لهم شوكة، ولم يقاتلوا، فإنهم يُتركون مع مناصحتهم والبيان لهم لعلهم يتوبون، أما إذا صار لهم شوكة، وأظهروا القوة، فيجب على المسلمين قتالهم؛ كفًا لشرهم، ولا يقاتلون على أنهم كفار، بل يقاتلون على أنهم مسلمون جاروا على المسلمين، واعتدوا عليهم، ولهذا لما سُئل أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الخوارج: «أَكُفَّارٌ هُمْ؟ قَالَ: مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا، قِيلَ لَهُ: فَمَا هُمْ؟ قَالَ: قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا»[1]، فلا يقاتلون على أنهم كفار، ولذلك لا تُسبى نساؤهم وذراريهم، ولا تؤخذ أموالهم، ولا يُجهز على جريحهم؛ لأن قتالهم إنما هو لكف شرهم لا لكفرهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَيَحِلُّ قِتَالُ الخَوَارِجِ إِذَا عَرَضُوا لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ)**؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بقتالهم، ولأن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ١٥٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٦٣)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٠٠) عن أبي البختري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قاتلهم لما تعرضوا لعبد الله بن خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتلوه، وشقوا بطن وليدته، وكانت حاملا[1]، فعندئذٍ عزم أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على قتالهم؛ لأنهم حصلت منهم بوادر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَيْسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُ أَنْ يَطْلُبَهُمْ**)، إذا كفوا عن القتال، فليس لولي الأمر أن يطلبهم ويغزوهم، ما دام أنه لم يحصل منهم اعتداء، فهم ضُلال بلا شك، وتجب مناصحتهم؛ لعلهم يرجعون، ولكن لا يُقاتلون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا يُجْهِزَ عَلَى جَرِيحِهِمْ**)؛ لأن الجريح انكف شره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا يَأْخُذَ فَيْأَهُمْ**)؛ يعني: لا تغنم أموالهم؛ لأنها أموال مسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا يَقْتُلَ أَسِيرَهُمْ**)؛ لأنهم مسلمون، وقد حصل كف شرهم بأسرهم وبجرحهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا يَتْبَعَ مُدْبِرَهُمْ**)، إذا انهزموا، يتركهم ولي الأمر، ولا يلحقهم؛ لأنهم كفوا شرهم.



(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٥٤)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٢١٥)، والطبراني في الكبير (٤/ ٥٩).

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَشْهَدُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يُشْهَدُ لَهُ بِعَمَلِ خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِمَا يُخْتَمُ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، تَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللهِ، وَتَخَافُ عَلَيْهِ، وَلَا تَدْرِي مَا يَسْبِقُ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَى اللهِ مِنَ النَّدَمِ، وَمَا أَحْدَثَ اللهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، إِذَا مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ، تَرْجُو لَهُ الرَّحْمَةَ، وَتَخَافُ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ، وَمَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَلِلْعَبْدِ مِنْهُ تَوْبَةٌ.

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**)، هذا استثناء لما سبق، لما ذكر أنه تجب طاعة ولاة الأمور؛ أنها لاتجب في كل شيء، وإنما يُطاعون فيما ليس بمعصية، أما إذا أمروا بمعصية، فلا يطاعون في المعصية، وقد جاء في الحديث: «بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً، فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»[1]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»[2]، وقال تعالى في الوالدين:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (٤٠) (١٨٤٠) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص١٦٣).

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ ؛ يعني: الوالدين ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥]، ولكن ليس معنى ذلك أنها تنخلع طاعة ولي الأمر إذا أمر بمعصية، لكن لا يطاع في هذه المعصية، وتبقى طاعته فيما ليس بمعصية، هذا معنى أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فلا يقال: إن الله أمر بطاعة ولاة الأمور، وأمر ببر الوالدين في كل شيء. نقول: نعم، الله أمر بطاعة ولاة الأمور بالمعروف، وأمر ببر الوالدين لكن بالمعروف، لا في معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا يَشْهَدُ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يُشْهَدُ لَهُ بِعَمَلِ خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ)**، هذه مسألة الشهادة بالجنة أو النار للمعين، فلا يُشهد لمعينٍ بجنة، ولا يُشهد له بنار إلا بدليل من الكتاب والسنة، أما من لم يدل دليل على أنه من أهل الجنة -حتى ولو كان صالحًا مؤمنًا-؛ لأنا لا ندري ما يُختم له، وكذلك العاصي أو الكافر لانجزم أنه من أهل النار؛ لأنه قد يتوب، ونحن لا ندري، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤)، ومسلم (١) (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الأعـمال بالخواتيم، والخواتيم لا يعلمها إلا الله علام الغيوب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكننا نخاف على أهل المعاصي، ونرجو لأهل الطاعات، ولا نجزم، بل نرجو للمطيعين، ولا نجزم، ونخاف على العصاة، ولا نجزم، هذا بالنسبة للمعينين، أما بالنسبة للعموم، فنجزم أن أهل الإيمان من أهل الجنة، ونجزم أن الكفار من أهل النار، قـال الله تعالى في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١]، وقـال في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، هذا من حيث العموم، أما من حيث الأفراد والمعينين، فهذا يوكل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكننا نتعامل معهم فيما يظهر، نتعامل مع أهل الطاعة فيما يظهر، ونتعامل مع أهل المعاصي فيما يظهر لنا، نحكم على الظاهر فقط، لا على المصير والعاقبة، فهذه بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



وَالرَّجْمُ حَقٌّ.

الشَّرح

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حرّم أشياء في الأعراض، وفي المعاملات، وغير ذلك، وهذه المحرمات تنقسم إلى أقسام:

- محرماتٍ كبائر.
- ومحرماتٍ صغائر.

ثم هي من حيث العقوبة على من ارتكبها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: محرمات وضع الله لها عقوبات محددة، وهي ما تسمى بالحدود، سُميت حدودًا من الحد، وهو المنع[1]؛ لأن هذه العقوبات تمنع من الوقوع في هذه المعاصي.

والقسم الثاني: محرمات لم يضع الله لها حدودًا، ولكن فيها تعزيرًا، وهو موكولٌ إلى اجتهاد ولي الأمر بما يراه رادعًا عنها، وهو ما يُسمى بالتعزير، وهو التأديب.

والقسم الثالث: ما لم يكن فيه حدٌّ ولا تعزير من المحرمات، وإنما فيه وعيد، وغضب، ولعنة، ونار، وغير ذلك من أنواع الوعيد؛ كأكل الربا، والقمار، وغير ذلك، هذا فيه وعيد شديد، يردع من في قلبه إيمان، ومن كان ليس في قلبه إيمان، أو كان ضعيف الإيمان، فإن أمامه حسابًا وعقابًا في الآخرة،

(١) انظر: مادة (حدد) في لسان العرب (٣/ ١٤٠)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣)، ومختار الصحاح (١/ ٥٣)، والمعجم الوسيط (١/ ١٦٠).

فالله جَلَّوَعَلَا حرّم هذه المحرمات، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ، فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا، فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَّرمَ أَشْيَاءَ، فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ، فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا**»[(١)].

ومن هذه الحدود: حد الزنا، والزنا: هو فعل الفاحشة في فرج لا يحل له، هذا هو الزنا، فعل الفاحشة في الفروج التي حرمها الله، إلا بالعقد الشرعي الصحيح، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المعارج:٢٩-٣١]؛ أي: المتجاوزون من الحلال إلى الحرام، فمن وقع في الزنا، فهو على قسمين:

إما أن يكون بكرًا لم يسبق له أن وطئ امرأته في نكاحٍ صحيح يُعفه، فهذا هو البكر، وهذا عقوبته أنه يُجلد مائة جلدة، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢]، وجاء في السنة الصحيحة أنه يُغرب عامًا؛ يعني: يُبعد عن البلد الذي مارس الفاحشة فيه إلى بلدٍ آخر لمدة عام، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ، جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ**»[(٢)]، فثبت التغريب بالسنة، وأما الجلد، فهو ثابتٌ بالقرآن، وقد أجمع العلماء على الجلد، وجمهورهم -أيضًا- على التغريب، هذا في حد البكر.

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه (٤/ ١٨٣، ١٨٤)، والطبراني في الكبير (٥٨٩) وفي مسند الشاميين (٤/ ٣٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٢٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٢) (١٦٩٠) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أما الثيب -وهو الذي سبق أن وطئ امرأته في نكاحٍ صحيح، وعرف قدر الأعراض، وحُرمة الأعراض-، فهذا يُرجم بالحجارة حتى يموت، وهذا ثابتٌ بالقرآن الذي نُسخ لفظه، وبقي حكمه؛ كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على منبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «...وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، رَجَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ، وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتِ البَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الحَبَلُ أَوِ الِاعْتِرَافُ»، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾»[1] هذا قرآن نُسخ لفظه، وبقي حكمه، ورجم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر بالرجم، وأجمع المسلمون على ذلك، ولم يخالف فيه إلا أهل البدع الذين لا يُعتد بخلافهم كالخوارج.

فالرجم ثابت بالكتاب وبالسنة القولية والعملية بالإجماع، فمن أنكره، فهو كافر؛ لأنه مكذبٌ لله، ولرسوله، ولإجماع المسلمين، فالرجم ثابت لامجال للكلام فيه، ولهذا نص عليه هنا، فقال:

(**الرَّجْمُ حَقٌّ**)، هذا من عقيدة أهل السنة والجماعة؛ ردًا على المبتدعة الذين يُنكرون الرجم من غير علمٍ، ومن غير بصيرة؛ لجهلهم، وتطفلهم على

---

(١) أخرج أثر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري (٦٨٣٠) بدون ذكر الآية المنسوخة، وقد أخرجها النسائي في الكبرى (٧١١٢)، والإمام أحمد في المسند (٣٥/ ١٣٤)، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٢٧٤) ح (٤٤٢٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٠٠).

العلم، واعتمادهم على عقولهم وأفكارهم، هؤلاء لا يُعتد بهم، ولا يُنظر إلى أقوالهم، ربما يأتي جاهل يدَّعي المعرفة والبحث، ويقول: هذه فيها خلاف، فيقال له: وهل كل خلاف يُعتد به؟ هناك خلافات ملغاة، لا يعتد بها، منها ذلك الخلاف، ولذلك يقول الناظم[1]:

وَلَيْسَ كُلُّ خِلَافٍ جَاءَ مُعْتَبَرًا إِلَّا خِلَافٌ لَهُ حَظٌّ مِنَ النَّظَرِ

ليست المسألة ادعاء الخلاف، المسألة: مسألة تحقيق وربطٍ بالدليل، فمن خالف الدليل، فهو مخصوم، ولا عبرة بخلافه، ولا يُعتد به، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، لا نبقى على الخلاف، بل نرجع إلى الدليل؛ لقوله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾، فلهذا نصَّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مسألة الرجم، مع أن الكتاب كتاب عقائد؛ لأنه يجب اعتقاد وجوب الرجم، فمن أنكره، كفر، فهو نص على هذا؛ ردًّا على المبتدعة الذين أنكروا الرجم.



(١) البيت لأبي الحسن بن الحصار. انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٥/ ٧٢-٧٣).

وَالمَسْحُ عَلَى الخُفَّينِ سُنَّةٌ.

الشَّرْح

(وَالمَسْحُ عَلَى الخُفَّينِ سُنَّةٌ)، نص على هذه المسألة، مع أنها من مسائل الفقه؛ لأن لها تعلقًا بالعقيدة، فمن أنكر المسح على الخفين، فإنه يكون خارجًا عن أهل السنة والجماعة، مخالفًا للعقيدة الصحيحة؛ لأن المسح على الخفين ثابتٌ عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديث كثيرة، بلغت حد التواتر(١).

(المَسْحُ عَلَى الخُفَّينِ) رخصة، والعمل بالرخصة سنة؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ»(٢)، فالمسح على الخفين رخصة، والمسح على ما يقوم مقام الخفين من الجوارب ثابتٌ في السنة النبوية، ولم يخالف فيه إلا الرافضة(٣)، بينما أثبتوا المسح على الرجلين،

---

(١) قال الإمام أحمد: (لَيْسَ فِي قَلْبِي مِنَ الْمَسْحِ شَيْءٌ، فِيهِ أَرْبَعُونَ حَدِيثًا عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وقال الحسن: (حدثني سبعون من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه مسح على الخفين).
انظر: المغني (١/ ٣١٦)، والشرح الكبير على متن المقنع (١/ ١٤٨)، وتنقيح التحقيق (١/ ٣٢٤، ٥/ ٣٤٠)، وشرح الزركشي على مختصر الخرقي (١/ ٣٧٨)، ومنار السبيل (١/ ٢٦)، وشرح الطحاوية (٤٣٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٠/ ١٠٧، ١١٢)، والبزار في مسنده (١٢/ ٢٥٠)، والروياني في مسنده (٢/ ٤٢١)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) هي فرقة من فرق الشيعة الضالة، سموا (رافضة) لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويقال: سموا بالروافض؛ لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج على هشام بن عبدالملك، فطعن عسكره على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمنعهم من ذلك فرفضوه، فقال لهم زيد بن علي: رفضتموني؟ قالوا: نعم، فبقي عليهم هذا الاسم. وهم يدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: مقالات الإسلاميين =

فالرجلان لا تُغسلان عند الرافضة، وإنما يُمسح عليهما، احتجاجًا بالآية في قراءة: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾[1] [المائدة:٦] بالكسر ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦]، وليس الكعبان عندهم هما الكعبان المعروفان في أسفل الساق، وإنما الكعبان عندهم ما تحت معقد الشراك، وهو مجمع القدم مع العقب، مما يُسمى بعرش الرجل، هذا الكعب عند الرافضة، وهو غير الكعب عند أهل السنة والجماعة.

ولا حجة لهم بقراءة الكسر في الآية؛ لأن القراءة المشهورة بنصب: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ عطفًا على ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾، وقراءة الكسر لأجل المجاورة لقوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾، بدليل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يغسل رجليه، ولم يكن يمسح إلا على الخفين.



=(ص١٦ وما بعدها)، والفرق بين الفرق (ص١٥)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٥٢).

(١) قرأ نافع، وابن عامر، وحفص، والكسائي، ويعقوب بنصب (أرجلكم)، وقرأ الباقون بالجر.
انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر (ص: ١٩٨).

وَتَقْصِيرُ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ سُنَّةٌ.

الشَّرْح

من الرخص التي جاء بها الشرع -تسهيلًا على العباد، ورفعًا للحرج-: القصر في السفر، وهو قصر الصلاة الرباعية، وهذا بنص القرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾؛ يعني: سافرتم ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ [النساء:١٠١]، ظاهر الآية أنه لا يجوز القصر إلا في حالة الخوف، وقد زال هذا الإشكال، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل: ما بالنا نقصر وقد أمنَّا؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**»(١)، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقصر في جميع أسفاره، يقصر الرباعية إلى ركعتين، هذا هو السنة، ومن أتم، فالإتمام جائز، لكنه خلاف الأفضل، فالقصر رخصة من شاء فعله -وهو أفضل-، ومن شاء تركه، وأتم، فلا حرج عليه في ذلك؛ لأن الإتمام هو الأصل، والمصنف ذكر ذلك؛ لأن تقبل الرخص الشرعية من مسائل العقيدة، وفي ذلك رد على المتشددين الذين لا يقبلون الرخص الشرعية.



(١) أخرجه مسلم (٤) (٦٨٦) عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ، قَالَ: «قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ فَقَدْ أَمِنَ النَّاسُ، فَقَالَ: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتُ مِنْهُ، فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: **صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**».

وَالصَّومُ فِي السَّفَرِ؛ مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ.

الشَّرح

من الرخص التي رخص الله بها لعباده: الإفطار في رمضان في السفر، فهو رخصة؛ من شاء أفطر، ومن شاء صام، وإذا صام، فصيامه صحيح؛ لأن صحابيًّا[(١)] سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن عنده قوة، ويقدر على الصيام في السفر؟ فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذن له بالصيام في السفر[(٢)]، فهو رخصة، والرخصة لا يجب فعلها، وإنما الأفضل فعلها كسائر الرخص، وإن رجع إلى الأصل، وصام، فلابأس بذلك، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفطر في أسفاره[(٣)].

---

(١) هو حَمْزَةُ بْنُ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيُّ وَهُوَ ابْنُ عُوَيْمِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْأَعْرَجِ بْنِ سَعْدِ بْنِ رَزَاحِ ابْنِ عَدِيِّ بْنِ سَهْمِ بْنِ مَازِنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَلَامَانَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ أَقْصَى بْنِ حَارِثَةَ يُكَنَّى أَبَا صَالِحٍ، وَقِيلَ: أَبُو مُحَمَّدٍ [الوفاة: ٦١-٧٠هـ]. انظر في ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٤٦)، ومعجم الصحابة للبغوي (٢/ ١٤٥)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/ ٦٨٠)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٦٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٤٣) ومسلم (١٠٣) (١١٢١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، - زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَمْرٍو الأَسْلَمِيَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَأَصُومُ فِي السَّفَرِ؟ -وَكَانَ كَثِيرَ الصِّيَامِ-، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ».

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٨٩) (١١١٣): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَا تَعِبْ عَلَى مَنْ صَامَ، وَلَا عَلَى مَنْ أَفْطَرَ، قَدْ صَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ وَأَفْطَرَ». =



= وكما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٩٠) (١١١٤): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ، فَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ، فَرَفَعَهُ، حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: **أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ**».

وَلَا بَأْسَ بِالصَّلاةِ فِي السَّرَاوِيلِ.

الشَّرح

السراويل مفرد، وهو معروف: ما يُلبس على العورة، فهو مخيط على قدر أسفل الجسم، له أكمام[١].

قال: تصح الصلاة في السراويل. هذا بالنسبة للرجل؛ لأن عورة الرجل ما بين السرة إلى الركبة، والسراويل يستر ذلك، فإذا صلى في سراويل، ساترًا ما بين سرته إلى ركبته، فصلاته صحيحة.

أما المرأة، فكلها عورةٌ في الصلاة، إلا وجهها إذا لم يكن عندها رجال غير محارم، وإذا صلى في إزار، فهو أفضل من السراويل، أو صلى في قميص، فإنه أفضل؛ لأنه أجمل للهيئة، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١]؛ أي: عند كل صلاة، والزينة كما يقول شيخ الإسلام أعم من أن تكون سترًا للعورة فقط[٢].

(١) السراويل معروف، وهي عجمية معربة عند الجمهور، وقيل: عربية، وتؤنث وتذكر، والجمهور على التأنيث، قال الجوهري: (وهي مفردة، وجمعها سراويلات)، قال صاحب المحكم: (وقيل: سراويل جمع سروالة). انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٧١)، والصحاح (٥/ ١٧٢٩)، وتحرير ألفاظ التنبيه (ص ٥٦)، ولسان العرب (١١/ ٣٣٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ١١٥).

وَالنِّفَاقُ أَنْ يُظْهِرَ الْإِسْلَامَ بِاللِّسَانِ، وَيُخْفِيَ الْكُفْرَ بِالضَّمِيرِ.

الشَّرْح

النفاق هو إظهار الخير، وإبطان الشر، وهو ينقسم إلى قسمين:

النوع الأول: نفاقٌ اعتقادي، وهذا كفرٌ أكبر، والمنافق شرٌّ من الكافر الأصلي؛ لأن الكافر الأصلي معروفٌ أنه كافر، وأنه عدو، لكن المنافق يخدع المسلمين، ويُظهر أنه منهم، وهو عدوٌّ لهم، يُظهر أنه مسلم، وهو كافر: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة:٩]، ولهذا جعلهم الله في الدرك الأسفل من النار، تحت عبدة الأوثان والكفار؛ لأنهم شرٌّ من الكفار، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا فيهم: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤]، والنفاق الاعتقادي هو الذي لا يجتمع معه إيمان أبدًا.

النوع الثاني: النفاق العملي، والنفاق العملي هو أن يكون الإنسان مؤمنًا ظاهرًا وباطنًا، لكن يصدر منه صفات من صفات المنافقين، تنقص إيمانه، وعليه وعيدٌ شديد، لكنه لا يخرج من الملة، يسمى النفاق العملي، ويُسمى النفاق الأصغر.

ومثل هذا ما جاء في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهَا كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتُمِنَ خَانَ**»[1]، فهذا المؤمن

(١) أخرجه البخاري (٣٣) (٢٧٤٩)، ومسلم (٥٩).

قد يصدر منه النفاق العملي، وهو نقصٌ في إيمانه، ومستحقٌ للوعيد، لكنه لا يخرج بذلك من الدين.

وهذا النفاق هو الرياء الذي خافه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه، وسماه الشرك الأصغر، قال: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**». فسُئِلَ عَنْهُ، «**فَقَالَ: الرِّيَاءُ**»(١)، وقال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»(٢).

إذا صلي عند الناس، يزين صلاته، وإن صلى في بيته، أو محلٍ خفي، فإنه ينقر الصلاة، فهذا هو الذي خافه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على أنفسهم خوفًا شديدًا، ولا أحد يبرئ نفسه منه، فيخاف الإنسان منه، ولهذا قالوا: (لا يخافه إلا مؤمن، ولا يأمنه إلا منافق)(٣)، فالمسلم يخاف على نفسه من هذا النفاق، وهو النفاق الأصغر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالنِّفَاقُ أَنْ يُظْهِرَ الْإِسْلَامَ بِاللِّسَانِ وَيُخْفِيَ الْكُفْرَ بِالضَّمِيرِ**)، هذا تعريف النفاق الاعتقادي، وهو النفاق الأكبر، وهذا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٩/ ٣٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٣٣) من حديث محمود بن لَبِيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ٢٥٣) من طريق محمود بن لبيد عن رافع بن خَدِيج عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٠)، وابن ماجه (٤٢٠٤).

(٣) أخرجه البخاري معلقًا (١/ ١٨) عن الحسن البصري في كتاب الإيمان باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر. قال: (وَيُذْكَرُ عَنِ الحَسَنِ: مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ).

لا يجتمع معه الإيمان، ولا يصدر من مؤمن أبدًا، والله جَلَّوَعَلَا في أول سورة البقرة قسم الناس إلى مؤمنين ظاهرًا وباطنًا، وإلى كفار ظاهرًا وباطنًا، وإلى منافقين يُظهرون الإسلام في الظاهر، ويبطنون الكفر؛ حيث قال سبحانه في القرآن: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة:١-٥]، هذه الآيات في المؤمنين ظاهرًا وباطنًا، وأما الكفار ظاهرًا وباطنًا، فقال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾، ثم قال في الصنف الثالث: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [البقرة:٢-١٨]، هذه كلها في المنافقين، وهي بضع عشرة آية.

قولـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَيُخْفِيَ الْكُفْـرَ بِالضَّمِيرِ**)، الضمير معنـاه: ما يضمره في القلب.

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ إِيمَانٍ وَإِسْلَامٍ، وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَذَبَائِحِهِمْ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لِأَحَدٍ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى يَأْتِيَ بِجَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ قَصَّرَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، كَانَ نَاقِصَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتُوبَ، وَاعْلَمْ أَنَّ إِيمَانَهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى تَامُّ الْإِيمَانِ أَوْ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، إِلَّا مَا أَظْهَرَ لَكَ مِنْ تَضْيِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ إِيمَانٍ وَإِسْلَامٍ**)؛ يعني: أن الإسلام والإيمان في الدنيا التي هي دار العمل، أما الآخرة، فإنها دار الجزاء، فالإسلام والإيمان إنما يكونان في الدنيا، أما من مات على غير الإسلام والإيمان، فإنه كافر، ولا ينفعه أنه يوم القيامة إذا شاهد ما كفر به، يؤمن، أو يتمنى الرجوع، ويطلب من ربه أن يرجع لأجل أن يؤمن، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:٢٧].

والإسلام والإيمان بينهما فرق؛ لأن الدين ثلاث مراتب:

أولًا: الإسلام.

ثانيًا: الإيمان.

ثالثًا: الإحسان.

كما في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ[1]، وأوسعها الإسلام؛ لأن الإسلام

(١) سبق تخريجه (ص١٢٨).

هو الاستسلام في الظاهر، وقد يكون مؤمنًا في الباطن، وقد يكون منافقًا مستسلمًا في الظاهر، كافرًا في الباطن.

أما الإيمان، فإنه لا يُطلق على المنافق، فإنه يدخل فيه المؤمن كامل الإيمان، ويدخل فيه المؤمن ناقص الإيمان، فإذا ذُكر الإسلام والإيمان جميعًا، فإنه يُراد بالإسلام: الأحكام الظاهرة، ويُراد بالإيمان: الأحكام الباطنة؛ كما في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ**»، هذه أعمال ظاهرة، «**قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[(١)]، هذه أعمال باطنة، ولابد من اجتماع الإسلام والإيمان، فإذا ذُكر واحد فقط، دخل فيه الآخر، إذا ذُكر الإيمان وحده، دخل فيه الإسلام، وإذا ذُكر الإسلام وحده، دخل فيه الإيمان، ولهذا يقولون: (الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا)؛ يعني: في المعنى، (وإذا افترقا اجتمعا)؛ يعني: في المعنى؛ مثل: الفقير والمسكين، إذا ذُكرا جميعًا، صار الفقير له معنى، والمسكين له معنى، وإذا ذُكر أحدهما، دخل فيه الآخر[(٢)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَذَبَائِحِهِمْ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ**)، أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسلمون مؤمنون؛ لأن من كان مؤمنًا، فهو مسلم، ومن كان مسلمًا، فقد يكون مؤمنًا،

---

(١) سبق تخريجه (ص١٢٨).

(٢) انظر: كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية من مجموع الفتاوى (٧/ ٥-١٢).

وقد يكون منافقًا، لكن الإسلام الصحيح لابد معه من إيمان ولو قليلًا: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ)**، المسلم -ولو ظاهرًا- له حكم المسلمين؛ يتولونه، وإذا مات، يغسلونه، ويكفنونه، ويصلون عليه، ويدفنونه في مقابر المسلمين، وعلى قيد الحياة يحبونه، ويتولونه، ويتراحمون بينهم، ويتآخون بينهم. هذه أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»**(١)، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»**(٢)، فهم إخوة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، إخوة في الإيمان، لا في النسب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَذَبَائِحِهِمْ)**، ذبيحة المسلم حلال، حتى ولو كان فاسقًا، ما دام أنه لم يخرج من الإسلام، فذبيحته حلال، والمنافق -أيضًا- إذا ذبح ذبيحة، نأكلها بحكم أنه مسلم، ما لم يتبين لنا أنه منافق، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة:٣]، هذا خطاب للمسلمين، وأباح لنا ذبائح أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة:٥]؛ يعني: ذبائحهم.

أما ذبائح الوثنيين، والكفار، والدهريين(٣)، والمرتدين، فنحن لانأكلها؛

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٦٦) (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦)، ومسلم (٦٥)(٢٥٨٥) من حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(٣) **الدهرية**:نسبة إلى الدهر، وهم طائفة من الفلاسفة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الجواب الصحيح» (١/ ٣٥٢) يصف أحوال الدهرية: (منهم من ينكر الصانع =

لأنها ذبيحة كافر، وهي نجسة؛ لأن ذبيحة الكافر ميتة، فهي نجسة بالكفر؛ لأنها تتأثر بالذابح، فتكون خبيثة؛ لأن ذابحها خبيث، فتتأثر به، وكون الله جَلَّوَعَلَا أباح لنا ذبائح أهل الكتاب خاصة دليلٌ على تحريم ذبائح غيرهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالصَّلاةِ عَلَيْهِمْ**)، يُصلى على كل مسلم، حتى ولو كان فاسقًا وعاصيًا، أو منافقًا لم يظهر نفاقه، ما دام أنه لم يخرج من الإسلام، فإنه يُصلى عليه، ويُدعى له، ويُستغفر له، ويرث قريبه المسلم، ويرثه قريبه المسلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا نَشْهَدُ لِأَحَدٍ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى يَأْتِيَ بِجَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ**)؛ أي: لا نزكي أحدًا بأن نقول: (فلان مؤمن)؛ لأن الشهادة له بأنه مؤمن شهادة قد لا يستحقها، ولهذا لما قال رجل للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِ فُلَانًا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ مُسْلِمٌ، أَقُولُهَا ثَلَاثًا، وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلَاثًا: أَوْ مُسْلِمٌ»[1]، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد بهذا أن الإنسان

=للعالم؛ كالقول الذي أظهره فرعون لعنه الله، ومنهم من يُقر بعلة يتحرك الفلك للتشبه بها؛ كأرسطو وأتباعه، ومنهم من يقول بالموجب بالذات المستلزم للفلك؛ كابن سينا والسُّهْرَوَرْدي...» إلى أن قال: «وهؤلاء الدهرية من الفلاسفة وغيرهم يزعمون أن السموات أزلية قديمة لم تزل... وعندهم أن الله لا يفعل شيئًا بمشيئته، ولا يجيب دعاء الداعي، بل ولا يعلم الجزئيات... بل منهم من ينكر علمه مطلقًا؛ كأرسطو وأتباعه، ومنهم من يقول: إنما يعلم الكليات؛ كابن سينا وأمثاله... والدعاء عندهم هو تصوف النفس القوية في هَيُولى العالم؛ كما ذكر ذلك ابن سينا وأمثاله، وزعموا أن اللوح المحفوظ هو النفس الفلكية، وأن حوادث الأرض كلها إنما تحدث عن حركة الفلك).اهـ. بتصرف. وانظر: غريب الحديث للخَطَّابي (١/ ٤٨٩)، والفَرق بين الفِرَق (ص٣٤٦)، وتلبيس إبليس (ص٥٥).

(١) أخرجه مسلم (٢٣٦) (١٥٠) عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «قَسَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْمًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِ فُلَانًا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: =

لا يزكي أحدًا، إنما يعطيه الاسم العام، فيقول: (هو مسلم)، فقد يكون مسلمًا متمكنًا من الإسلام، وقد يكون مسلمًا عنده فسق، وعنده معاص ونقص، وقد يكون منافقًا، فأنت لا تشهد له بالكمال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنْ قَصَّرَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كَانَ نَاقِصَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتُوبَ**)، عقيدة أهل السنة والجماعة أن المعاصي -وإن كانت معاصيه كبائر- ما دامت دون الشرك، فإنها لا تُخرج المسلم من الإسلام، أو لا تُخرجه من دائرة الإيمان، وإنما يكون مؤمنًا بإيمانه فاسقًا بكبيرته، أو تقول: هو مؤمن ناقص الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاعْلَمْ أَنَّ إِيمَانَهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى تَامُّ الْإِيمَانِ أَوْ نَاقِصُ الْإِيمَانِ**)؛ يعني: نقبل منه الظاهر، ونكل سريرته إلى الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِلَّا مَا أَظْهَرَ لَكَ مِنْ تَضْيِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلامِ**)؛ أي: إلا إذا ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام، ومنها ترك شرائع الإسلام، فأنت تحكم عليه بالردة؛ كما إذا ترك الصلاة متعمدًا، أو إذا تكلم بكلام كفر -كسبَّ الله، أو سب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو سب دين الإسلام-، فأنت تحكم عليه بالردة بما ظهر منه، فمن أظهر ناقضًا من نواقض الإسلام مع زوال العذر، وزوال الموانع، وهل هو متأول، أوهل هو مقلد، هل هو جاهل، هل هو غضبان، فلا يحكم عليه بالردة مع هذه الموانع.



=أَوْ مُسْلِمٌ، أَقُولُهَا ثَلَاثًا، وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلَاثًا أَوْ مُسْلِمٌ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ».

وَالصَّلاةُ عَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ سُنَّةٌ، والمَرْجُومُ، وَالزَّانِي، والزَّانِيَةُ، وَالَّذِي يَقْتُلُ نَفْسَهُ، وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، والسَّكْرَانُ وَغَيْرُهم، الصَّلاةُ عَلَيْهِمْ سُنَّةٌ.

الشَّرْح

هذا كما سبق؛ أن من أظهر الإيمان والإسلام، نصلي عليه، ويكون من أهل القبلة، وهم الذين يصلون إلى الكعبة قبلة المسلمين، هؤلاء نعاملهم بالظاهر، فنحكم بأنهم مسلمون، ونعاملهم معاملة المسلمين أحياءً وأمواتًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والمَرْجُومُ، وَالزَّانِي، والزَّانِيَةُ، وَالَّذِي يَقْتُلُ نَفْسَهُ، وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ**)، المؤمن الفاسق الذي لم يخرج بكبيرته عن الإسلام يعامل معاملة المسلمين، ويُدعى له -كقاتل نفسه، وكالمرجوم في الزنا-، وقد صلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المرجومين، صلى على ماعز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1]، وعلى الغامدية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[2]،...

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٢٠)، ومسلم (٢٢) (١٦٩٥)، واللفظ للبخاري، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ، جَاءَ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعْتَرَفَ بِالزِّنَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَبِكَ جُنُونٌ؟** قَالَ: لَا، قَالَ: **آحْصَنْتَ؟** قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ بِالْمُصَلَّى، فَلَمَّا أَذْلَقَتْهُ الحِجَارَةُ فَرَّ، فَأُدْرِكَ فَرُجِمَ حَتَّى مَاتَ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا، وَصَلَّى عَلَيْهِ».

(٢) أخرجه مسلم (٢٢) (١٦٩٥)، وفيه، «... ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ: **وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ**، فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: **وَمَا ذَاكِ؟** قَالَتْ: إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزِّنَى، فَقَالَ: =

وقد يمتنع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصلاة على بعض الناس -مثل: قاتل نفسه[١]، والغال في سبيل الله[٢]- من باب التأديب للناس، لا من باب أنه كافر، ولهذا أذن للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يصلوا عليه، ولم يمنعهم من الصلاة عليه؛ لأنه مسلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والسَّكْرَانُ وَغَيْرُهم، الصَّلاةُ عَلَيْهِمْ سُنَّةٌ)**، السكران الذي يشرب الخمر فاسق، يقام عليه الحد، لكنه لا يخرج من الإسلام، فإذا مات، يُصلى عليه، ولو كان يشرب الخمر؛ لأنه من أهل القبلة.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(سُنَّةٌ)**؛ أي: من سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الواجب اتباعها.



=آنْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا: **حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ**، قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ، فَقَالَ: **إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ**، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: فَرَجَمَهَا».

(١) أخرجه مسلم (١٠٧) (٩٧٨) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ».

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧١٠) والنسائي في الكبرى (٢٠٩٧)، وابن ماجه (٢٨٤٨)، وأحمد (٢٨/ ٢٥٧، ٣٦/ ٩)، وابن حبان (١١/ ١٩٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١٨، ٢/ ١٣٨) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ**. فَتَغَيَّرَتْ وُجُوهُ النَّاسِ لِذَلِكَ، فَقَالَ: **إِنَّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ فِي سَبِيلِ اللهِ. فَفَتَّشْنَا مَتَاعَهُ فَوَجَدْنَا خَرَزًا مِنْ خَرَزِ يَهُودَ لَا يُسَاوِي دِرْهَمَيْنِ**».

وَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْإِسْلَامِ حَتَّى يَرُدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، أَوْ يَرُدَّ شَيْئًا مِنْ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أَوْ يُصَلِّيَ لِغَيْرِ اللهِ، أَوْ يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَإِذَا فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمُسْلِمٌ بِالاسْمِ لَا بِالحَقِيقَةِ.

الشَّرْح

لا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام، إلا بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام المعروفة، ويزول عذره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَوْ يَرُدَّ شَيْئًا مِنْ آثَارِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)، إذا جحد القرآن، أو بعضه، أو السنة الصحيحة، أو بعضها، أو أنكر شيئًا في القرآن، أو أنكر شيئًا في السنة الصحيحة، فهذا يُحكم عليه بالردة؛ لأنه مكذبٌ لله ولرسوله، ما لم يكن جاهلًا، أو مقلدًا، أو متأولًا، فهذا يُبين له، فإذا بُين له، وأصر، فإنه يُحكم عليه بالردة.

والمراد بآثار رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: الأحاديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَوْ يَرُدَّ شَيْئًا مِنْ آثَارِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)؛ أي: فإنه يكفر، وهذه قاعدةٌ عظيمة عند أهل السنة والجماعة، يخالفون بها فئتين:

الفئة الأولى: الخوارج والغلاة الذين يكفرون بالكبائر التي دون الشرك.

الفئة الثانية: فئة المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، ما دام الإنسان مؤمنًا بقلبه، فإنه لا يضره شيء من المعاصي، ولو ترك الأعمال كلها، ولم يعمل شيئًا، فإنه مؤمن كامل الإيمان.

أما أهل السنة والجماعة، فكما ذكر المؤلف: أنهم وسط بين الطائفتين، فيقولون: الكبائر تختلف؛ إن كانت من الشرك، أو الكفر الأكبرين، فإنها تُخرج من الملة بالإجماع، وأما إذا كانت ليست كفرًا، ولا شركًا، وليست تكذيبًا لكتاب الله، ولا لسنة رسول الله، ولا تركًا للصلاة، ولا دعاء لغير الله، أو ذبحًا لغير الله، وإنما هي كبيرةٌ دون ذلك، فهذه لا يخرج بها العبد من الإسلام -خلافًا للخوارج والمعتزلة-، ولكنها تضر المؤمن، وتنقص إيمانه، وتُضعفه -خلافًا للمرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية-، فهذا هو المذهب الوسط الذي يحصل به الجمع بين نصوص الوعيد و نصوص الوعد.

الخوارج والمعتزلة أخذوا بنصوص الوعيد، وتركوا نصوص الوعد، المرجئة على العكس، أخذوا بنصوص الوعد، وتركوا نصوص الوعيد؛ فكلا الطائفتين ضال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَوْ يُصَلِّيَ لِغَيْرِ اللهِ، أَوْ يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**)، يصلي لقبر يتقرب إليه، أو يسجد لصنم، أو يذبح لغير الله، ويعمل شيئًا من العبادات لغير الله، فهذا مشرك كافر خارج من الملة. وما دون ذلك، فأهل السنة وسط بين المرجئة وبين الخوارج.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِذَا فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ**)، إذا فعل شيئًا من ذلك -يعني: صلى لغير الله، أو ذبح لغير الله، أو عمل عبادةً لغير الله-، وجب عليك أن تُخرجه من الملة، ووجب عليك أن

تعتقد أنه كافر، ولا تقل: لا يهمني هذا، أو لا أدري عنه. بل يجب عليك أن تُكفر الكافر والمشرك، وأن تُفسق العاصي مرتكب الكبيرة التي دون الشرك، لابد من بيان الحق في هذا الأمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(**فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمُسْلِمٌ بِالاسْمِ لَا بِالحَقِيقَةِ**)؛ أي: في الظاهر لنا، وسريرته إلى الله.



وَكُلَّمَا سَمِعْتَ مِنَ الْآثَارِ شَيْئًا مِمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ عَقْلُكَ، نَحْوَ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنُ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ»(١)، وَقَوْلِهِ: «إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»(٢)، وَيَنْزِلُ يَوْمَ عَرَفَةَ(٣)، وَيَنْزِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٤)، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لاَ يَزَالُ يُطْرَحُ فِيهَا حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهَا قَدَمَهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ(٥)-، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ: «إِنْ مَشَيْتَ إِلَيَّ هَرْوَلْتُ إِلَيْكَ»(٦)، وَقَوْلِهِ: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»(٧)، وَقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»(٨).

وَأَشْبَاهِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّفْوِيضِ وَالرِّضَى، وَلَا تُفَسِّرْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ بِهَوَاكَ؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِهَذَا وَاجِبٌ، فَمَنْ فَسَّرَ شَيْئًا مِنْ هَذَا بِهَوَاهُ، وَرَدَّهُ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧) (٢٦٥٤). بنحوه.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح حديث النزول من مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧٠): (وقد رُوي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من رواية جماعة كثيرة من الصحابة كما ذكرنا قبل هذا، فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث». وقال ابن القيم في الصواعق المرسلة (١/ ٣٨٧): «إنها وردت من نحو ثلاثين صحابيًّا». اهـ.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٤٨). بلفظ: «يدنو»، ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٦٣): بلفظ «ينزل».

(٤) انظر -على سبيل المثال-: أحاديث الشفاعة في البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٥) أخرجه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البخاري (٤٨٤٨، ٦٦٦١، ٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨)، ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٦) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٧) أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٦١٢).

(٨) أخرجه الترمذي (٣٢٣٣)، وأحمد (١/ ٣٦٨)، والدارمي (٢١٤٩)، والطبراني في الكبير (١/ ٣١٧)، وانظر: رسالة الحافظ ابن رجب «اختيار الأولى في اختصام الملأ الأعلى».

الشَّرْح

نصوص الصفات الثابتة لله عَزَّوَجَلَّ يجب عليك أن تثبتها كما جاءت على حقيقتها، دون أن تتدخل بعقلك، فتقول: (هذا لا يليق بالله، الله منزه عن ذلك، وهذا تشبيه)؛ كما يقوله المعطلة، أو تعتقد أن الله يشبه خلقه؛ كما تقوله الممثلة، فكلا الطائفتين على ضلال.

المعطلة: غلوا في التنزيه، حتى نفوا الأسماء والصفات؛ فرارًا من التشبيه بزعمهم.

والممثلة: غلوا في الإثبات، حتى شبّهوا الله بخلقه، وكلا المذهبين باطل.

ومذهب أهل السنة: الوسط؛ يُثبتون لله الأسماء والصفات إثباتًا بلاتشبيه، وينفون عنه مشابهة المخلوقين تنزيهًا بلا تعطيل، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، هذا ردٌّ على الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، هذا ردٌ على المعطلة، ودلت الآية على أن إثبات الأسماء والصفات لا يقتضي التشبيه والتمثيل، هذا هو المنهج الصحيح في مسألة الأسماء والصفات.

مثل: (**قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ** عَزَّوَجَلَّ)، تثبت الأصابع للرحمن؛ كما جاءت في الحديث، ولا تقل: (إنها مثل أصابع المخلوق)، فهذا تشبيه ننزه الله عنه، بل نثبتها على ما يليق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليست كأصابع المخلوقين.

وتُثبت الحديث القدسي الذي يقول الله جَلَّوَعَلَا فيه: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»، بمعنى: من أسرع إلى رضائي وطاعتي، أسرعت في مغفرة ذنوبه وقضاء حوائجه، فليس معناه الهرولة المعروفة عندنا، وإنما فسره آخر الحديث بقوله: «لَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[1]، فمعنى الهرولة هنا: المبادرة بقضاء حوائج عبده، كما أن العبد يبادر إلى طاعة الله، فهل العبد يهرول حقيقة أو معنى؟

ففي هذا ردٌ على بعض المتسرعين الذين يثبتون لله الهرولة، وهذا من باب أفعال المقابلة؛ كما قال تعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة:٧٩]، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة:١٤-١٥]، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٥٤]، فيجب معرفة هذه القواعد العظيمة؛ ليكون الإنسان على بصيرة، ويعرف مذهب السلف فيها الذين هم أثبت منه وأعلم منه، ولا يستقل بفهمه وعقله، ويثبت لله أشياء لا يدري

---

(١) هذا الحديث مشهور بحديث الولي، وقد أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، ولفظه: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

عنها؛ بناءً على ظواهر، أو متشابهات، وهناك أدلة محكمة تبينها وتوضحها، فيجب أن يرد المتشابه إلى المحكم، وهذا لا يهتدي إليه إلا الراسخون في العلم، فيجب على طالب العلم والمبتدئ ألا يتسرع في هذه الأمور، بل يتوقف عنها، وأن يتعلم كيف يفهمها على منهج السلف، والجادة واضحة، والسلف ما قصّروا في بيان الحق ووضع القواعد والضوابط، لكن هذا يحتاج إلى تعلم، ويحتاج إلى فهم، ومثل هذا -أيضًا- قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا**»، و«**يَنْزِلُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ**»، «**يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، «**يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ**»، نثبت هذه الأشياء لله على حقيقتها، دون تدخلٍ في تحديد الكيفية، فلانتكلف معرفة كيف ينزل، كيف يأتي، كيف يجيء، فالكيفية لا نتدخل فيها، أما المعنى، فهو معقول، ولهذا لما سئل الإمام مالك عن كيفية الاستواء، قال السائل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] كيف استوى؟ يسأل عن الكيفية، قال له مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ» يعني معلوم معناه، «وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ -أي: عن الكيفية- بِدْعَةٌ»[1]، هذا هو المنهج السليم في مثل هذه الأمور.

كذلك: إثبات الصورة لله عَزَّوَجَلَّ في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»، وفي رواية: «**عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ**»[2]، نثبت الصورة لله عَزَّوَجَلَّ؛

---

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤- ٣٠٥)، وفي الاعتقاد (ص١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٠)، وفي العلو (ص١٣٩)، والبغوي في شرح السنة (١/ ١٧١).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السّنة، ح (٥١٧)، (١/ ٢٢٨)، ورواه الطّبراني في المعجم الكبير، (١٢/ ٤٣٠)، والآجرّي في الشّريعة (٢/ ١٠٧). =

كما أثبتها له رسوله في قوله: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»، هذا في الدنيا رؤيا منام.

«فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»، فيه إثبات الصورة لله جَلَّوَعَلَا؛ كما يليق بجلاله، ليست كصور المخلوقين، وإنما هي صورة الرحمن جَلَّوَعَلَا، فهذه الأمور نثبتها، ولا نتدخل أو نشكك فيها، أو نخوض فيها.

وَ(التَّفْوِيضِ) الصحيح هو تفويض الكيفية، لا تفويض المعنى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَا تُفَسِّرْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ بِهَوَاكَ)، وإنما تفسرها بالمعنى الصحيح اللائق بالله جَلَّوَعَلَا، لا يقال: (إنها لا تفسر)، بل تفسر ويبين معناها، وإنما التفويض للكيفية فقط، تُثبت النزول، وتنفي الكيفية، الله جَلَّوَعَلَا يأتي يوم القيامة؛ لفصل القضاء؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ

= وقال الآجرّي عقبه: هذه من السّنن الّتي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يُقال فيها: كيف؟ ولم؟ بل تُستقبل بالتّسليم، والتّصديق، وترك النّظر كما قال من تقدّم من أئمّة المسلمين. اهـ.

وأخرجه ابن خزيمة في التّوحيد (١/ ٨٥-الرّشد)، والبيهقي في الأسماء والصّفات، (ح٦٤٠)، (حاشدي)، وقد أعلّه ابن خزيمة بعلل منها تدليس الأعمش، وحبيب بن أبي ثابت، وهذا لا يضر، فإنّ له شاهدًا من حديث أبي هريرة أخرجه ابن أبي عاصم في السّنة، ح (٥٢١)، (١/ ٢٣٠)، قال: ثنا عمر بن الخطّاب، ثنا ابن أبي مريم، ثنا ابن لهيعة، عن أبي يونس سليم بن جبير، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ....»، وبلفظ: «مَنْ قَاتَلَ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ، فَإِنَّ صُورَةَ وَجْهِ الإِنْسَانِ عَلَى صُورَةِ وَجْهِ الرَّحْمَنِ».

وهذا إسناد مستقيم لولا ابن لهيعة، وفيه مقالٌ معروف ولكنّه يعتضد ويتقوّى بالطّريق الأوّل وانظر: كلام الحافظ ابن حجر في الفتح: (٥/ ٢١٧)، والله أعلم.

﴿ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة:٢١٠]، يأتي سبحانه، ويجيء لفصل القضاء بين عباده، ولكنه ليس كمجيء المخلوق وإتيان المخلوق، وإنما هو إتيانٌ ومجيءٌ يليق بجلاله؛ كيف يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بِهَوَاكَ**)؛ أي: لا تفسرها بدون علم، أما إنك تفسرها بموجب الأدلة، ورد المتشابه إلى المحكم، فهذا لا بأس به، أما الإنسان المبتدئ أو الجاهل، فلا يتدخل في هذه الأمور العظيمة والمسائل العظيمة؛ لأن هذا غلط وخطر كبير، وأنا أرى كثيرًا من الشباب المتعالمين تجرؤوا على مسائل العقيدة، وصاروا يجترون منها أشياء، ويتكلمون فيها، ويتعادون فيما بينهم، ويتقاطعون فيما بينهم إذا اختلفوا.

يا إخوان، ما كلفكم الله بهذه الأمور، عليكم أن تسيروا على منهج السلف، وتقولوا بقولهم، كتب العقائد محررة -ولله الحمد-، ومطبوعة، ومصححة، ومدروسة، ومنضبطة، فلا تحدثوا أشياء من عندكم، وأفهامًا من عندكم، كُفيتم هذا الأمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِهَذَا وَاجِبٌ**)، الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله واجب مفترض على العبد، ومن الإيمان بالله: الإيمان بأسمائه وصفاته على ما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالذي يتدخل في أمور الأسماء والصفات -إما بتعطيل، وإما بتمثيل، وإما بتفويض، وإما بتفسير من عنده-، فهذا لم يؤمن بالله الإيمان الحقيقي، وإنما إيمانه ناقص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَمَنْ فَسَّرَ شَيْئًا مِنْ هَذَا بِهَوَاهُ، وَرَدَّهُ فَهُوَ جَهْمِيٌّ**)، الجهمية نفوا الأسماء والصفات؛ لأنهم فسروها بما يليق بالمخلوق، ولا شك أن الله يُنزَّه عما يليق بالمخلوق، فهم مثّلوا أولًا، ثم عطّلوا ثانيًا؛ بناءً على تمثيلهم؛ حيث لم يظهر لهم من هذه النصوص إلا ما يُشبه ما في المخلوقين، فنفوها من أجل ذلك، أما لو قالوا: هذه النصوص فيها صفات وأسماء لله حقيقة، لكنها تليق به، فليست كأسماء المخلوقين، ولا كصفات المخلوقين، لو سلكوا هذا المنهج، لسلموا، وإنما أوتوا من فهمهم وأهوائهم.

والجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان الترمذي أو السمرقندي[1]، وهو أول من أظهر القول بأن القرآن مخلوق، وقال بنفي الأسماء والصفات، وقال: إن الإيمان هو مجرد المعرفة بالقلب... إلى آخر أقواله الضالة الكفرية.

فمن يعتقد هذا الاعتقاد، فإنه يُنسب إليه، فيقال: هذا جهمي؛ نسبة إلى الجهم.



(١) سبقت ترجمته (ص٣٩).

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرَى رَبَّهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا، فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ.

الشَّرْح

من زعم أن أحدًا يرى الله في الدنيا رؤية عين، لا رؤية رؤيا في المنام، فهو كافر؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا لا يُرى في الدنيا، ولهذا لما سأل كليم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، فلا أحد يرى الله في هذه الدنيا، هذا محل إجماع بين العلماء، إنما رؤية الله في الآخرة؛ لأن الناس في الدنيا ضعاف، لا يقدرون على رؤية الله عَزَّوَجَلَّ؛ لما فيهم من الضعف، ولهذا لما تجلى الله للجبل تدكدك، وصار ترابًا، فكيف بابن آدم الذي هو من لحم ودم؟! أما في الآخرة، فإن الله يعطي المؤمنين قوة يقدرون بها على رؤية الله، والتلذذ برؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فرؤية الله في الآخرة ثابتة متواترة للمؤمنين[1]، وأما في الدنيا، فلا أحد يرى الله رؤية عيان.

واختلفوا: هل رآه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج، أو لم يره؟

الصحيح والذي عليه الجماهير: أن الرسول لم يره بعينه، وإنما رآه بقلبه وبصيرته؛ لأن أحدًا لا يرى الله في هذه الدنيا؛ لأن الله أعظم من أن يراه الناس في الدنيا، ولهذا سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل رأيت ربك ليلة المعراج؟ قال:

---

(١) قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٢١٧): (وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًّا، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالها...). اهـ.
وقال -أيضًا- (ص ٢١٥): (وأما الأحاديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن).

«نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[١]، وقال: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[٢].



(١) أخرجه مسلم (٢٩١) (١٧٨) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣) (١٧٩) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

وَالفِكْرَةُ فِي اللهِ بِدْعَةٌ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ»[1]، فَإِنَّ الْفِكْرَةَ فِي الرَّبِ تَقْدَحُ الشَّكَّ فِي القَلْبِ.

الشَّرْح

يجب على المسلم أن يتجنب التفكر في ذات الله عَزَّوَجَلَّ، والتفكر في كيفية أسمائه وصفاته وأفعاله؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، عليك الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، وتعظيم الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، دون أن تفكر في ذاته، وكيفية أسمائه وصفاته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَفَكَّرُوا فِي الخَلْقِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ**»)؛ أي: تفكروا في مخلوقات الله وآيات الله الكونية، تدلكم على قدرة الله:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ[2]

---

(١) أخرجه اللالكائي (٢/ ٥٢٥) ح (٩٢٧)، وأبو الشيخ في العظمة (١/ ٢١٤) (ح٤٠٥)، وابن حبان في المجروحين، وعزاه في الدر المنثور (٢/ ٤٠٩) لأبي نعيم في الحلية، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات. وانظر: كشف الخفاء للعجلوني (١/ ٣٧١).

(٢) هي للشاعر المشهور إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أبو إسحاق العَنَزي، المعروف بأبي العَتَاهِيَة، وُلد سنة ثلاثين ومئة، أصله من عين التمر وهي بليدة بالحجاز، ومنشؤه الكوفة، ثم سكن بغداد، وكان يقول في الغزل والمديح والهجاء، ثم تنسَّك وصار قوله في الوعظ والزهد، وأبو العتاهية لقبٌ. تُوُفِّيَ سنة ثلاثَ عشرةَ ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٢٥٠)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (٤/ ١٧٤٩)، والمنتظم (١٠/ ٢٣٦)، ووَفَيَات الأعيان (١/ ٢١٩)، والوافي بالوَفَيَات (٩/ ١١١)، والبداية =

فأنت فكر في الآيات الكونية -من السماء، والأرض، والجبال، والأحجار، والأشجار، والبحار، والمخلوقات-؛ لتستدل بها على عظمة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتفكر في آيات الله القرآنية، أما أنك تتفكر في ذات الله، وكيفية أسمائه وصفاته، فأنت لن تدرك هذا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾.



=والنهاية (١٠/ ٢٦٥)، والمستطرف في كل فن مستظرف (١/ ١٦). ونسب ابن خلّكان هذه الأبيات لأبي نُوَاس في وفَيَات الأعيان (٧/ ١٣٨).

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

وَإِذَا تَـامَّـلْـتَ الـوُجُـودَ رَأَيْـتَـهُ ... إِنْ لَمْ تَـكُـنْ مِـنْ زُمْـرَةِ الـعُـمْـيَـانِ

بِـشَـهَـادَةِ الإِثْـبَـاتِ حَـقًّـا قَـائِـمًـا ... للهِ لَا بِـشَـهَـادَةِ الـنُّـكْـرَانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ١٩٩).

وَاعْلَمْ أَنَّ الهَوَامَّ وَالسِّبَاعَ والدَّوَابَّ نَحْوَ الذَّرِ وَالذُّبَابِ وَالنَّمْلِ كُلَّهَا مَأْمُورَةٌ، لَا يَعْمَلُونَ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

الشَّرْح

الكون كله مدبر، ومأمور أمرًا كونيًّا، الشمس تسير، والقمر يسير، والنجوم والأفلاك تدور، والدواب والطيور، كل شيء يمشي على نظامه الذي قدّره الله له: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠]، نظّم الدنيا كلها، وما فيها من كائنات ومخلوقات، وأفلاك وسماوات وأرض، كلها تجري بتقدير الخالق وتدبيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي تأتمر بأمره الكوني ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فهي تسير، وتمضي بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتدبيره، وخلقه، وإرادته، ومشيئته، خاضعة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد:٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا يَعْمَلُونَ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى)**؛ أي: بإذن الله الكوني، وهو الأمر الكوني، والمشيئة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا تسير من هواها، أو من تدبير أحد غير الله جَلَّ وَعَلَا، ولهذا لما قال الجبار لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾، قال له إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، فأفعال الله جَلَّ وَعَلَا لا أحد يستطيع أن يعملها، وأن يحاكيها؛ فهو الذي يدبر الكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،

وينظمه على أحسن نظام وأدق نظام، لا يتغير، ولا يتبدل، ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك:٣]، فالشمس والقمر، والنجوم والسماوات والأرض منذ خلقها الله إلى أن يشاء الله نهاية الدنيا، وهي تسير حسب نظام إلهي مقدر، لا يتغير، ولا يتبدل.



وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، أَحْصَاهُ وَعَدَّهُ عَدًّا، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ الْعَظِيمِ.

الشَّرْح

يجب إثبات العلم لله جَلَّوَعَلَا، وإحاطته بكل شيء، فهو بكل شيءٍ عليم، وعلى كل شيءٍ قدير، وعلمه لا بداية له، ولا نهاية له، علمه كسائر الصفات ثابتٌ له في الأزل، فكما أن الله لا بداية له، فكذلك لا بداية لأسمائه وصفاته وأفعاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وكما أن الله لا نهاية له، فكذلك لا نهاية لأسمائه وصفاته وأفعاله جَلَّوَعَلَا، فهو بأسمائه وصفاته الأول بلا بداية، وهو بأسمائه وصفاته الآخر بلا نهاية؛ كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»(١).

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، أَحْصَاهُ وَعَدَّهُ عَدًّا**)، الله علم ما كان ومضي في الزمان السابق، ويعلم ما يكون في المستقبل، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، فالله محيطٌ علمه بكل شيء، ولهذا قال: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾ [الأنعام:٢٨]، علم الله أنهم لو ردوا إلى الدنيا، لعادوا لما نهوا عنه؛ أي: لو ردوا إلى الدنيا، فإنهم سيعودون للكفر، مع أن عودهم إلى الدنيا لن يكون أبدًا.

(١) أخرجه مسلم (٦١) (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ الْعَظِيمِ)**، من قصر علم الله على الحوادث التي تقع فقط، ولا يعلم ما هو كائن قبل وقوعه، فقد كفر بالله؛ لأنه جحد علم الله جَلَّ وَعَلَا، وجحد إحاطة علم الله جَلَّ وَعَلَا، وأثبت لله علمًا ناقصًا، فهو يكفر بهذا.

فعلم الله لا يُحد، أما علم المخلوق، فإنه محدود مهما بلغ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]، وأمر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول: ﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، فالذي يحد علم الله، ويقول: يعلم كذا، ولا يعلم كذا. هذا كافر بالله؛ لأنه تنقصه، وجحد عموم علمه بكل شيء.



وَلَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ وَصَدَاقٍ -قَلَّ أَوْ كَثُرَ-، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلِيٌّ، فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ.

الشَّرْح

هذه مسألة فقهية، وهي: بيان شروط صحة النكاح عند الجمهور: ومنها أن يكون بولي، وأن المرأة لا تعقد لنفسها، ومن شروطه: الإشهاد على العقد، فلا يُعقد عقدًا سريًّا ليس عليه شهود.

فمن مذهب المسلمين إعلان النكاح، ومسألة الولي محل خلاف، الجمهور: على أنه لابد من ولي، وعند الحنفية: أنه لا بأس أن تزوج المرأة نفسها بدون ولي، لكنه مذهب مرجوح، يخالف الدليل؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ**»[(١)]، وقوله في الحديث الآخر: «**لَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، وَلَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الزَّانِيَةَ هِيَ الَّتِي تُزَوِّجُ نَفْسَهَا**»[(٢)]، و«**أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ**»[(٣)].

حتى ولو قال بصحته من قال من الفقهاء عن اجتهاد، فإن العبرة بالدليل، ولهذا نصَّ المؤلف على هذه المسألة -مع أنها فقهية-؛ ليبين أن هذا

---

(١) أخرج الشطر الأول منه «**لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ**» الترمذي (١١٠١)، وأبو داود (٢٠٨٥)، وابن ماجه (١٨٨٠)، والدارمي (٢٢٢٨)، وأحمد في المسند (٣٢/ ٢٨٠)، وابن حبان (٩/ ٣٨٦)، والحاكم (٢/ ١٨٤). وأخرج الشطر الثاني: الدارقطني في السنن (٤/ ٣١٥)، وابن حزم في المحلى (٩/ ٤٦٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٨٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٨٣)، والترمذي (١١٠٢)، وابن ماجه (١٨٧٩)، وأحمد (٤٠/ ٢٤٣)، والدارمي (٢٢٣٠)، وابن حبان (٩/ ٣٨٤)، والحاكم (٢/ ١٨٢).

هو المذهب الصحيح، وهو المذهب الذي عليه جمهور أهل العلم الذي تدل عليه السنة النبوية، ولأجل أن تنضبط أنكحة المسلمين، ولا تدخلها السرية والاحتيالات، بل تكون واضحة علانية، فإن الأنكحة من أهم الأمور؛ لأنها ينبني عليها أُسر، وينبني عليها ذراري، وينبني عليها نسب، وينبني عليها أشد من ذلك استباحة الفروج، فلابد من الضوابط الشرعية لعقد النكاح الواردة في الأحاديث وفي الآيات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَصَدَاقٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ)**، أما الصداق، فليس شرطًا، لكنه واجب، ولهذا لو عقد بدون صداق، صحَّ العقد، ولكن يُفرض لها صداق مثيلاتها؛ لأن هذا حقٌّ لها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلِيٌّ فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ)**، لابد من الولي، والولي: هو عصبة الزوجة الأقرب فالأقرب، منهم أبوها، ثم جدها، وإن علا، ثم ابنها، وابن ابنها، وإن نزل، ثم أخوها الشقيق ثم أخوها للأب، ثم عمها الشقيق، ثم عمها لأب، ثم ابن عمها الشقيق، ثم ابن عمها لأب.

هذا هو ولي المرأة، فإذا قُدر أن امرأة ليس لها ولي من عصبتها، فهذه يتولاها السلطان، أو من ينوب عن السلطان، وهو القاضي في المحكمة، فلابد أن يكون للنكاح ضوابط، ولا يكون فوضى بحسب أهواء الناس وشهواتهم.



وَإِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ، لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ)**، إذا طلّق الرجل امرأته طلاقًا ثلاثًا، إن كانت متفرقة، فهي تحرم عليه بالإجماع؛ كما لو قال: أنت طالقٌ. ثم بعدها قال: أنت طالق. ثم قال: أنت طالق. أو قال: أنت طالق، ثم طالق. أو فطالق بالفاء؛ لأن هذا ترتيب، فإنها تطلق، وتبين منه، إذا بلغت الطلقات ثلاثًا، وتحرم عليه حتى تنكح زوجًا غيره، قال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾؛ يعني: الثالثة ﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾؛ يعني: الزوج الثاني ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٢٩-٢٣٠]، هذا إذا كانت الطلقات متفرقة، ولو في مجلسٍ واحد، أما لو قال: أنت طالقٌ، أنت طالق، أنت طالق. بدون حرف العطف، نظرنا: فإن كان يريد التأكيد بالتكرار، فإنها طلقة واحدة، أما إن كان يريد التأسيس، فإنها تبين منه، إذا بلغت الثلاث الطلقات.

أما إذا كانت الطلقات بلفظٍ واحد؛ كأن قال: أنت طالقٌ بالثلاث، أو أنت طالقٌ ثلاثًا. فالجمهور: على أنه يقع ثلاثًا، وتبين به، وتحرم عليه حتى تنكح زوجًا غيره. وهو مذهب الأئمة الأربعة.

وفي قولٍ لبعض المحققين[١]: أن الثلاث بلفظٍ واحد تكون طلقة واحدة.

والمسألة فيها خلافٌ طويل، لكن حسبنا أن نعلم أن الطلاق الثلاث يحرمها، لا على التأبيد، وإنما يحرمها إلى أن تنكح زوجًا غيره، ثم يطلقها، أما الدخول في الخلافيات، فهذا لا يعنينا الآن.

وغرض المؤلف من إدخال هذه المسائل في العقيدة -والله أعلم-: أن يبين أن أمر النكاح أمر مهم يجب العناية به، حسب الضوابط الشرعية له، فلا يتساهل فيه، وفي إجراءاته[٢]، ولأن الكتاب اسمه «شرح السنة»؛ أي: بيان السنة في كل شيء، ومن ذلك مسائل النكاح.



(١) يعني: شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: كلامه في مجموع الفتاوى (٣٣/ ١٣، ٤٣، ٩٨: ٨٢)، وكلام العلامة ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٢٨٣-٢٨٥)، وإعلام الموقعين (٣/ ٣٠ وما بعدها)، والطرق الحكمية ص (٢٣).

(٢) لعله يقال -أيضًا- بأن قصد المؤلف الرد على الشيعة في قولهم بحل أو باستحباب نكاح المتعة، وحل إعارة الفرج وغير ذلك من شناعاتهم وقبائحهم. انظر: من كتبهم الكافي.

وَلَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: زَانٍ بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ مُرْتَدٍّ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا مُؤْمِنَةً بِغَيْرِ حَقٍّ، فَيُقْتَلُ بِهِ[1]، وَمَا سِوَى ذَلِكَ، فَدَمُ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ أَبَدًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ.

الشَّرْح

جاء بمسألة قتل المسلم بعد مسألة النكاح؛ لأن الإسلام جاء بحفظ الأعراض، وبحفظ الدماء، وبحفظ الأموال، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ»[2]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[3]، فلما تكلم عن الأعراض في الجمل السابقة بما يتعلق بالنكاح والطلاق؛ انتقل إلى مسألة الدماء، فالمسلم إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، حرم دمه وماله، ولهذا قال

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ».

(٢) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا؛ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَهُنَا. وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ».

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى»[1].

فمن أعلن الإسلام، ونطق بالشهادتين، فإننا نقبل منه ذلك، ونعتبره مسلمًا، ونجري عليه أحكام المسلمين، فإن كان في قلبه نفاق، فإنما هذا بينه وبين الله، الله يحاسبه، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل إسلام المنافقين، وأجرى عليهم الأحكام الظاهرة، ولكن من ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام، فحينئذٍ يُحكم عليه بالردة، فإن تاب وإلا قتل، هذا أول مبيحات دم المسلم.

والثاني من مبيحات دم المسلم: القصاص النفس بالنفس، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة:١٧٨-١٧٩]، القصاص يسبب الحياة -مع أنه قتل-؛ لأن القاتل إذا عرف أنه سيقتل، أمسك عن القتل، والناس إذا رأوا القاتل يُقتل، أمسكوا عن القتل، فتُحقن بذلك الدماء، فالقصاص سببٌ لبقاء الحياة، وإن كان يُقتل فيه المقتص منه، فهو قتلٌ يؤدي إلى حياة البقية من المجتمع، ويقل التعدي على الدماء، أما أن يُترك القاتل، ويقال: هذا يتنافى مع حقوق الإنسان. ويُترك، ولا يُقتل، فهذا يسبب سفك الدماء، واختلال الأمن، وترويع الآمنين، يسبب مفاسد كثيرة،

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩، ١٤٥٦، ٦٩٢٤)، ومسلم (٣٥) (٢١).

ويكثر القتل، وتستشاط الدماء، حتى في الجاهلية يقولون: القتل أنفى للقتل، قتل المجرم أنفى للقتل في المستقبل، وفي هذا الآية ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

والذين يقولون: القصاص يتنافى مع حقوق الإنسان. نقول لهم: والمجني عليه أليس إنسانًا؟ ففي الاقتصاص له حماية لحقه.

والثالث من الذين يباح دمهم: الثيب الزاني، والثيب: هو الذي وطئ امرأته في نكاحٍ صحيح، فإذا زنا، فإنه يُرجم بالحجارة حتى يموت، ويحل دمه بذلك.

فهذه هي الأمور التي يستباح بها دم المسلم: إما القصاص، النفس بالنفس، وإما زانٍ بعد الإحصان، وإما المرتد الذي يرتكب ناقضًا من نواقض الإسلام، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(١)، وفي هذا الحديث: «**وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»(٢)، وفي هذا رد على الذين ينكرون حد الردة مستدلين بقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وهذا الاستدلال خطأ؛ لأن قتل المرتد ليس الغرض منه الإكراه على الدين، وإنما الغرض منه حماية الدين من التلاعب ممن دخل فيه باختياره، ثم تركه بعدما شهد أن الدين حق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)، المسلم: هو الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لكن لابد مع الشهادتين

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧، ٦٩٢٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) سبق تخريجه (ص٢٢٧).

من العمل: بأن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلا[1]، لابد من العمل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَدَمُ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ أَبَدًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)**، دم المسلم على المسلم حرام، ولا يأتي وقت يباح فيه دم المسلم أبدًا، اللهم إلا إذا اعتدى، أو صال على الناس في بيوتهم، أو قطع الطريق، أو بغى على ولي الأمر، أو غير ذلك، فهذا يقتل دفعًا لشره، إذا لم يندفع شره إلا بالقتل.



(١) كما في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي أخرجه مسلم (٨)، وفيه: «... وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا**».

وأخرج البخاري (٨، ٤٥١٤)، ومسلم (١٦) عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**».

وَكُلُّ شَيْءٍ مِمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيهِ الفَنَاءَ يَفْنَى، إِلَّا الجَنَّةَ وَالنَّارَ والْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ وَالصُّورَ وَالْقَلَمَ وَاللَّوْحَ، لَيْسَ يَفْنَى شَيْءٌ مِنْ هَذَا أَبَدًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ الخَلْقَ عَلَى مَا أَمَاتَهُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُحَاسِبُهُمْ بِمَا شَاءَ؛ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ، وَيَقُولُ لِسَائِرِ الخَلْقِ مِمَّنْ لَمْ يُخْلَقْ لِلبَقَاءِ: كُونُوا تُرَابًا.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكُلُّ شَيْءٍ مِمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيهِ الفَنَاءَ يَفْنَى**) قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]، كل الخلق يفنون، ولا يبقى إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي قوله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨]، معنى ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قالوا: معناه: الملائكة، أو الحور في الجنة -والله أعلم-[1]، فكل الخلق يموتون، ثم يُبعثون يوم القيامة، ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٥-١٦]، فيتذكر المسلم

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير(٣/ ٣٧٢): (في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ثلاثة أقوال:
أحدها: أنهم الشهداء، قاله أبو هريرة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وسعيد بن جبير.
والثاني: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم إن الله تعالى يميتهم بعد ذلك، قاله مقاتل.
والثالث: أنهم الذين في الجنة من الحور وغيرهن، وكذلك مَنْ في النار؛ لأنهم خلقوا للبقاء، ذكره أبو إسحاق بن شاقلا من أصحابنا) اهـ.
وانظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٥)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٢١٦)، وتفسير القرطبي (١٣/ ٢٤١)، وفتح القدير (٤/ ١٥٥)، وتفسير السعدي (ص٧٢٩).

الموت، ويستعد له بالأعمال الصالحة، ويسأل الله حسن الخاتمة، ويتوب من السيئات، وهذه فائدة تذكر الموت، إذا تذكر الموت، فإنه يستعد له، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ فِي كَثِيرٍ إِلَّا قَلَّلَهُ، وَلَا فِي قَلِيلٍ إِلَّا كَثَّرَهُ**»(١).

فلا ينبغي للمسلم أن يغفل عن الموت، بل يتذكر الموت دائمًا وأبدًا، ويستعد له، ويؤمن بالبعث، يوم يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، تعود إليهم الأرواح، بعد إعادة أجسادهم من قبورهم، ثم يساقون إلى المحشر، إلى آخر ما يلاقون في الآخرة من الأخطار التي يمرون بها، إلى أن يستقروا بعد ذلك إما في الجنة، وإما في النار، فإن الجنة والآخرة هما دار القرار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**إِلَّا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَالْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ**)، فإنهما لا تفنيان، ولاتبيدان، خلقهما الله للبقاء، وأما السماوات والأرض، فإنها تُبدل، تتفطر السماوات، وتتشقق الأرض، ويتغير هذا العالم ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨]، أما العرش، فإنه لا يتغير، والجنة والنار لا تفنيان، ولا يتغيران.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٥٦)، والشهاب القضاعي (١/ ٣٩٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ١٣٧) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وبنحوه أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، والنسائي (١٩٦٣)، وأحمد (١٣/ ٣٠١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وبنحوه أخرجه البزار (١٣/ ٣٥٢)، والطبراني في الأوسط (١/ ٢١٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٤٦)، وأبو نعيم (٩/ ٢٥٢) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(**وَالْكُرْسِيَّ**[١]) هو دون العرش[٢]، والعرش أكبر منه، والكرسي وسع السموات والأرض، والعرش أوسع من الكرسي[٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالصُّورَ**)، الصور الذي هو القرن الذي مع الملك إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ينفخ فيه بالأرواح، فتطير الأرواح إلى أجسادها، فتحيا بإذن الله ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالْقَلَمَ وَاللَّوْحَ**)، اللوح المحفوظ والقلم الذي كتب الله به المقادير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَيْسَ يَفْنَى شَيْءٌ مِنْ هَذَا أَبَدًا**)، هذه الأشياء التي خلقها الله للبقاء: العرش، والكرسي[٤]، واللوح، والقلم، والجنة، والنار، والأرواح، إذا خلقت، فإنها لا تفنى.

---

(١) انظر: مادة: (ك ر س) في لسان العرب (٦/ ١٩٤)، ومختار الصحاح (ص٢٣٦)، وتاج العروس (١٦/ ٤٣٦).

(٢) انظر: مادة (ع ر ش) في النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٠٧)، ولسان العرب (٦/ ٣١٣)، ومختار الصحاح (ص١٧٨).

(٣) كما في حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ**». أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٣٦).

(٤) قال ابن أبي حاتم في تفسير قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]: (عَنْ مُقَاتِلٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ مِنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ يَعْنِي الْحَيَوَانَ خَاصَّةً من أهل السموات وَالْمَلَائِكَةَ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَجَمِيعَ الْحَيَوَانِ، ثُمَّ تَهْلِكُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ لَا تَهْلِكُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَمَا فِيهَا وَلا الْعَرْشُ وَلا الْكُرْسِيُّ). انظر تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ الخَلْقَ عَلَى مَا أَمَاتَهُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)؛ أي: على ما أماتهم عليه من كفرٍ أو إيمان، كلٌّ يُبعث على عمله، والإيمان بالبعث هو أحد أركان الإيمان الستة[1]، وقد جاء الإيمان باليوم الآخر مقرونًا بالإيمان بالله في كثيرٍ من الآيات.

والبعث هو: إعادة الناس أحياءً بعد موتهم في عالم الآخرة، يحيون في الدنيا لأجل العمل، ثم يموتون، ويُدفنون في الأرض، ويبقون فيها إلى ما شاء الله في محطة انتظار، وهي دار البرزخ الفاصلة بين الدنيا والآخرة، ثم يُبعثون من هذه القبور، ويقومون منها أحياءً كما كانوا، لا يضيع من خلقهم شيء، ثم تعاد الأرواح في أجسادهم، ثم يساقون إلى المحشر للجزاء على أعمالهم التي عملوها في الدنيا من خيرٍ أو شر، ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس:٥٤]، فلا أحد يُجزى خيرًا بعمل غيره، أو يُعاقب بعمل غيره، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤]، كلٌّ يجازى بعمله -خيره أو شره-، وهذا عدلٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يتركهم بدون جزاء، وقد أتعبوا أنفسهم في هذه الدنيا بالأعمال والعبادة -إن كانوا من الصالحين-، أو أتعبوا أنفسهم -والعياذ بالله- بالكفر، والشرك، والفسق، والإفساد في الأرض -إن كانوا من الكافرين-، لا يتركهم بدون جزاء، هذا عدل الله جَلَّ وَعَلَا، فهذا معنى قوله هنا: أن كل أحدٍ يُجزى بعمله. وإذا كان كذلك، فيجب على العبد أن ينظر في عمله ما دام على قيد الحياة، فما كان من خير، فإنه يتزود منه، وما كان شرًا، فإنه يتوب إلى الله، ويتخلص منه ما دام ذلك ممكنًا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) كما في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، الذي أخرجه مسلم (٨).

﴿ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر:١٨]، حاسب نفسك في هذه الدنيا قبل الحساب، حاسب نفسك على أعمالك، وانظر فيها، فأصلح ما فسد منها، وزد على ما كان فيها من خير، وتنبه من الغفلة، هذا هو المطلوب من العاقل، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْكَيِّسُ**»؛ يعني: العاقل «**مَنْ دَانَ نَفْسَهُ**»؛ يعني: حاسبها، «**وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ**»، هذا هو العاقل، «**وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا**» في هذه الدنيا «**وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِيَّ**»[(١)]، يريد الجنة، و يريد النجاة، وهو لم يعمل شيئًا، فهذا عاجز -والعياذ بالله- العجز المذموم، وليس عاجزًا العجز الحسي الذي لا يقدر، أو لا يستطيع معه العمل، هذا لا يؤاخذ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، لكن هذا قادر مستطيع، لكنه عجز عجز الكسل وعدم المبالاة. هذا هو العاجز، ومع هذا يتمنى أن يكون في الآخرة من أهل الجنة بدون عمل، لا يمكن أن يكون هذا من أهل الجنة بدون عمل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَيُحَاسِبُهُمْ بِمَا شَاءَ، فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**)، يحاسبهم على أعمالهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والحساب: هو المناقشة على الأعمال.

* من المؤمنين من لا يحاسب، فيدخل الجنة بلا حساب، ولا عذاب[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، وأحمد (٢٨/ ٣٥٠)، والحاكم (١/ ١٢٥)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٥١٦)، وفي شعب الإيمان (١٣/ ١٢٩) من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في حديث حصين بن عبد الرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي أخرجه البخاري [(٥، ٥٧، ٥٧٥٢ مطولًا)، و (٣٤١٠، ٦٤٧٢، ٦٥٤١ مختصرًا]، ومسلم (٢٢٠).

* ومنهم من يحاسب حسابًا يسيرًا، وهو العرض[١].

* ومنهم من يناقش الحساب، و«**مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ**»[٢] والعياذ بالله.

* والكافر لا يحاسب حساب موازنة، وإنما يحاسب حساب تقرير؛ بأن يُطلع على أعماله، وكفره، وشركه؛ ليقر بذلك، ولا يسعه الإنكار أبدًا، ثم يُدفع به إلى النار[٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**)، وهذا مأخوذٌ من الآية: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧]، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ﴾، وهم أهل الإيمان، ﴿وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾، وهم أهل الكفر والطغيان.

---

(١) أخرج ابن ماجه (٤٢٧٧)، والإمام أحمد في مسنده (٣٢/ ٤٨٦)، والطبري في تفسيره (٢٩/ ٥٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٧١)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٦/ ١١٨٣) من طريق الحسن عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ: فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ**»، وأخرجه الترمذي (٢٤٢٥) من طريق الحسن عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وإسناد الروايتين رجاله ثقات إلا أن فيهما انقطاع؛ لأن الحسن لم يسمع من أبي موسى وأبي هريرة، قاله أبو عيسى وابن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة. انظر: مصباح الزجاجة (٤/ ٢٥٤)، وفتح الباري (١١/ ٤٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣، ٤٩٣٩، ٦٥٣٦، ٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ: فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتِ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ وَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ بِهَا). انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَيَقُولُ لِسَائِرِ الخَلْقِ مِمَّنْ لَمْ يُخْلَقْ لِلبَقَاءِ: كُونُوا تُرَابًا)، يبعث الله الخلائق يوم القيامة؛ الآدميين، والبهائم، والطيور، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير:٥]، تُحشر الخلائق يوم القيامة من أجل إقامة العدل بينها؛ حتى يُقتص لبعضها من بعض، البهائم يُقتص لبعضها من بعض، يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء؛ كما في الحديث الصحيح(١)، ثم إذا اقتص لبعضها من بعض، يقول الله جَلَّوَعَلَا لها: كوني ترابًا؛ لأنها لم تُبعث للبقاء في الآخرة وإنما بُعثت للجزاء فقط، وهذا من عدل الله جَلَّوَعَلَا، عند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ:٤٠]، إذا قيل للحيوانات: كوني ترابًا، يتمنى الكافر أن يكون مثلها(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٦٠) (٢٥٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ».

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٤٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام:٣٨] قَالَ: «يُحْشَرُ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْبَهَائِمُ، وَالدَّوَابُّ، وَالطَّيْرُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ اللهِ أَنْ يَأْخُذَ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: كُونِي تُرَابًا، فَذَلِكَ ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ:٤٠]». وانظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٤)، والقرطبي (١٩/ ١٨٩)، وابن كثير (٣/ ٢٥٥).

وَالْإِيمَانُ بِالْقَصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الخَلْقِ كُلِّهِمْ؛ بَنِي آدَمَ، وَالسِّبَاعِ، وَالهَوَامِّ، حَتَّى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ، حَتَّى يَأْخُذَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ؛ لِأَهلِ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلِأَهْلِ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَلِأَهْلِ الجَنَّةِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، وِلِأَهْلِ النَّارِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ.

الشَّرْح

سبق أن الله يبعث الخلق يوم القيامة للجزاء على الحسنات والسيئات بالنسبة لبني آدم، وللقصاص بالنسبة -أيضًا- لبني آدم وللبهائم، البهائم تُبعث للقصاص فقط، بنو آدم يبعثون للجزاء وللقصاص فيما بينهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالْإِيمَانُ بِالْقَصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الخَلْقِ كُلِّهِمْ، بَنِي آدَمَ وَالسِّبَاعِ وَالهَوَامِّ**)، كلها تُبعث للقصاص، أما البهائم، فإنها إذا اقتص لبعضها من بعض، يُنهى أمرها، فتكون ترابًا، وأما بنو آدم، فعلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، ولا يموتون بعد ذلك أبدًا، خالدون مخلدون؛ إما في جنة، وإما في نار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**حَتَّى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ**)، حتى للذَّرة، وهي النملة الصغيرة من الذَّرة، يُقتص لبعضها من بعض؛ لأن الله لا يُقر الظلم أبدًا؛ لأنه أحكم الحاكمين، وهو الحكم العدل، فلا يُقر الظلم حتى بين البهائم والذر يوم القيامة، يبعثها، ثم يقتص لبعضها من بعض.

وأما المؤمنون، فأول ما يُقضى بينهم يوم القيامة في الدماء من حقوق الناس[١]، ويقتص لبعضهم من بعض بعدما يتجاوزون الصراط، وقبل أن يدخلوا الجنة يوقفون، ويُقتص لبعضهم من بعض، فإذا هُذبوا، ونُقوا، أُذن لهم بدخول الجنة؛ لأنه لا يدخل الجنة أحد وعليه مظلمة أبدًا؛ لأن الجنة دار الطيبين، ولا يدخلها إلا الطيبون الذين ليس عليهم حساب، ولا تبعات لأحد ولا ذنوب، حتى المؤمن العاصي يُعذب في النار بقدر معصيته، أو أن الله يعفو عنه بمشيئته: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، إن شاء غفر له، وإن شاء عذّبه بقدر ذنوبه حتى يمحصه، ويخلصه من الذنوب، ثم يُدخله الجنة، فلا يدخل الجنة إلا أحد نقي، إما بالقصاص وإما بالتعذيب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**حَتَّى يَأْخُذَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ؛ لِأَهلِ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلِأَهْلِ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**)، حتى المؤمن إذا ظلم الكافر، فإنه يُقتص للكافر منه يوم القيامة، والعكس الكافر إذا ظلم المؤمن، يُقتص للمؤمن يوم القيامة، فلا أحد يُترك وعليه مظلمة، وحتى المؤمن يقتص منه للمؤمن.



(١) أخرجه البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (٢٨) (١٦٧٨) عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ**».

وَإِخْلَاصُ العَمَلِ للهِ.

الشَّرح

إخلاص العمل لله أن لا يكون فيه شرك، فالله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، ليس فيه شرك، وهذا أحد شرطي قبول العمل.

الشرط الثاني: المتابعة والعمل بالسنة؛ بأن يكون العمل موافقًا لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يكون فيه بدعة؛ لأن الله لا يقبل البدع، بل يعاقب عليها، ولو أتعب الإنسان نفسه بعمل لم يُخلص فيه لله، فإنه هباءٌ منثور، ولو أتعب نفسه في عملٍ على غير موافقة السنة، فإنه مردود، ولا يُقبل إلا بهذين الشرطين: الإخلاص لله، والمتابعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ﴾، ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ﴾ نقض لنفيهم، يعني: يدخلها ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١١-١١٢]، ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾؛ أي: أخلص عمله لله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛ أي: متبع للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كل أحد؛ من اليهود، من النصارى، من سائر العالم بهذين الشرطين: الإخلاص، والمتابعة.

وَالرِّضَى بِقَضَاءِ اللهِ.

الشَّرْح

(**الرِّضَى بِقَضَاءِ اللهِ**) الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان الستة: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1]، وهو: أن تعتقد بأن الله قدّر الأشياء، وقضاها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الأزل، وكتبها في اللوح المحفوظ، وخلقها، وأوجدها بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالإيمان بالقضاء والقدر يتضمن أربع مراتب:

* **المرتبة الأولى**: مرتبة العلم، وهو أن الله علم بعلمه الأزلي الأشياء قبل وجودها.

* **المرتبة الثانية**: الإيمان بأن الله كتب الأشياء في اللوح المحفوظ قبل وجودها، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

* **المرتبة الثالثة**: الإيمان بأن الله أراد، وشاء هذه الحوادث: الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية، والبر والفجور، والخير والشر، كل ذلك شاءه الله، وأراده بإرادته الكونية، فلا يقع في ملكه ما لا يريد، لكن أراد الخير، وأراد الإيمان، وأراد الشر لحكمة، وللابتلاء وللامتحان، فالله أراد الخير، وهو يحبه ويرضاه، وأراد الشر، وهو لا يحبه ولا يرضاه، لكن أراده لحكمة وابتلاء وامتحان، لو لم يكن إلا خير، لما صار لأحد ميزة، ولا صار هناك ابتلاء وامتحان، صار الناس

(١) سبق تخريجه (ص١٢٨).

كلهم أخيارًا، ولو لم يكن إلا شر، ما صار لأحدٍ ميزة بالعمل الصالح، فهذا يُعطي أن الله يبتلي عباده؛ ليتبين الطيب من الخبيث، والمؤمن من الكافر، وهو ابتلاء وامتحان يجريه عليهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لم يخلق هذه الأشياء عبثًا.

* **المرتبة الرابعة:** الخلق والإيجاد. وكل شيءٍ يحدث، فالله خالقه، وأفعال العباد مخلوقة لله، وهي فعل العبد، هي مخلوقه لله جَلَّ وَعَلَا، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر:٦٢]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس:٨١]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، فهي خلق الله جَلَّ وَعَلَا، وهي فعل العباد، وكسب العباد باختيارهم وإرادتهم.

فيؤمن المؤمن بهذه المراتب الأربع: العلم، الكتابة، المشيئة والإرادة، الخلق والإيجاد[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ -أَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ- بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ: - فَالدَّرَجَةُ الْأُولَى: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنْ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ: «**فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ جَفَّتْ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتْ الصُّحُفُ**» كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ وَهَذَا التَّقْدِيرُ - التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ - يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً =

ثم المؤمن يرضى بالقضاء والقدر عند المصائب، فلا يجزع، ولا يسخط، يكف نفسه عن الجزع، ويكف لسانه عن التشكي لغير الله، ويكف يده عن لطم الخدود وشق الجيوب.

فهذا هو الرضى بالقضاء والقدر، تعلم: «**أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**»(١)؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يتم الإيمان إلا بهذا.



=وَتَفْصِيلًا فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ: وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا؛ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُقَالُ لَهُ: اُكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؛ وَنَحْوُ ذَلِكَ فَهَذَا الْقَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهُوَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهِ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنْ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ. فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ). انظر: مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٨، ١٤٩). وانظر: شفاء العليل (ص٦١)، وما بعدها، ومعارج القبول (٢/ ٢٢٥)، والقضاء والقدر لعمر الأشقر (ص٢٩)، وجامع العلوم والحكم (ص٢٧).

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد في المسند (١/ ٣٠٧)، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٤٣٠)، وعبد بن حميد في مسنده (ص٢١٤)، والطبراني في الكبير (١١٢٤٣)، وابن المستفاض في القدر (ص١٣٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٧).

وَالصَّبْرُ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَالْإِيمَانُ بِأَقْدَارِ اللهِ كُلِّهَا؛ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، حُلْوِهَا وَمُرِّهَا. وَالْإِيمَانُ بِمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، قَدْ عَلِمَ اللهُ مَا الْعِبَادُ عَامِلُونَ، وَإِلَى مَا هُمْ صَائِرونَ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْ عِلْمِ اللهِ، وَلَا يَكُونُ فِي الأَرَضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ إِلَّا مَا عَلِمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

الشرح

هذا سبق ذكره في أول درجات الإيمان بالقضاء والقدر والاحتجاج بالقضاء والقدر، إذا كان على المصائب التي ليس للإنسان فيها اختيار محمود؛ لأنه يدل على الرضى والتسليم، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦]، أما الاحتجاج بالقضاء والقدر على الأعمال السيئة التي هي باختيارهم وفعلهم، فإنهم لاحجة لهم بالقدر عليها، بل يعاقبون على أعمالهم هم وتفريطهم، وباب التوبة مفتوح، بدل أن تخاصم الله، تقول: لماذا قدَّرت عليّ؟ وتترك التوبة، وهذا من العجز المذموم، بادر بالتوبة والاستغفار، ولُمْ نفسك، فهذا هو المطلوب من العبد؛ أن ينظر في أعماله: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨]، انظر في أعمالك، وبإمكانك تغييرها، والتوبة منها، والاستغفار. أما القضاء والقدر، فهو من شأن الله جَلَّوَعَلَا، وليس من شأنك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَا يَخْرُجُونَ مِنْ عِلْمِ اللهِ)**، كل شيءٍ فالله به عليم، وبه محيط سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو يعلم كفر الكافر، وفسق الفاسق، وظلم الظالم، لايخفى عليه، يعلم طاعة المطيع، وعمل المطيع، يعلم هذا وهذا، ولكنه يؤخرهم؛

لعلهم يتوبون، لعلهم يرجعون، فإن تابوا، وإلَّا أمامهم الحساب، فالله لا يهملهم أبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا يَكُونُ فِي الأَرَضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ إِلَّا مَا عَلِمَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ)، هذا كما سبق، كل شيءٍ قد علمه الله، ما كان في الماضي، وما يكون في المستقبل، كله أحاط الله به علمًا، لا يخفى عليه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ عَلِمَه، وَقَدَّره، وكَتَبَه، وَشَاءَه، وَأَرَادَه، وَخَلَقَه.



وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ.
وَلَا خَالِقَ مَعَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

الشَّرْح

هذا نص الحديث؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**»(١).

«**مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**»، لو حرصت عليه، وتريده، لكن أخطأك، فاعلم أن الله لم يقدّره لك، «**وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**»، فلا تقل: لو أني فعلت كذا، ما أصابني.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا خَالِقَ مَعَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**)، هذا تابع لمراتب القضاء والقدر، فيه الرد على من يقول أن العبد يخلق فعل نفسه، فالله هو المنفرد بالخلق جَلَّوَعَلَا، لا أحد يخلق معه، فهو من خلق الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا يقول جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف:٤]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج:٧٣]، ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦]، ولهذا وصف الله جَلَّوَعَلَا المصورين بقوله: «**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**»، بمعنى:

(١) سبق تخريجه (ص٢٤٣).

أنه يحاول أن يوجد شكل ما خلقه الله، «**فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**». وفي روايةٍ: «**أَوْ لِيَخْلُقُوا ذَرَّةً**»[(١)]، لاأحد يستطيع هذا، ولو استطاع صناعة الصور، لم يستطع إيجاد الحياة فيها، فالحياة هي من خلق الله جَلَّوَعَلَا، لا أحد يستطيع، حتى لو صوّر الصورة دقيقة والشكل، لا يستطيع أن ينفخ فيها الروح، ويوجد فيها الحياة، هذا خلق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولهذا يقال للمصورين يوم القيامة: «**أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»[(٢)]؛ من باب التعجيز، وتعذيبًا لهم.



(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩)، ومسلم (١٠١) (٢١١١) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٥٨)، ومسلم (٩٧) (٢١٠٨) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**».

وَالتَّكْبِيرُ عَلَى الجَنَائِزِ أَرْبَعٌ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَالحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلَ، وَالْفُقَهَاءِ، وهَكَذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشَّرْح

هذه مسألة فرعية، لكن ذكرها هنا للخلاف فيها، وليبين السنة في ذلك؛ لأن الكتاب اسمه: «شرح السنة»، والمشهور عند أهل السنة والجماعة والأئمة: أن التكبير على الجنازة أربع تكبيرات؛ كما في الحديث الصحيح: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيِّ فَكَبَّرَ أَرْبَعًا»(١).

وغالب الأحاديث على أربع، في بعضها زيادة خمس، أو أكثر، لكن الذي أجمع عليه المسلمون هو الأربع، وما زاد عنها، فمحل خلاف، والمسلم لايذهب للخلاف، ويترك المجمع عليه والمتفق عليه، ويشوش على الناس، خصوصًا أئمة المساجد لا يشوشون على الناس؛ لأن الناس ما اعتادوا الزيادة على أربع، فإذا أردت أن تفعله، فافعله لنفسك، ولا تشوش على الناس، وتأتي لهم بالأقوال الشاذة والروايات المختلفة، فهذا ليس من شأن طلبة العلم، طلبة العلم يؤلفون بين الناس، ولايشوشون عليهم، ويعملون بما أُجمع عليه، يتقيدون بهذا، هذا هو المطلوب، وهذا هو غرض المؤلف من إيراد الأربع؛ لأنها هي المتفق عليها، فلا يزاد عليها، ويشوش على الناس في ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٤)، ومسلم (٦٤) (٩٥٢) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوَرِيِّ، وَالحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلَ**) (**مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ**): إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة.

(**وَسُفْيَانَ الثَّوَرِيِّ**): سفيان بن سعيد الثوري الإمام المشهور من أئمة الفقه.

(**وَالحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ بن حَي**): وهذا من الأئمة الكبار.

(**وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلَ**): وهو أحد الأئمة الأربعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالْفُقَهَاءِ، وهَكَذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ أي: وهو قول كثيرٍ من الفقها؛ تبعًا لسنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا ينبغي لطالب العلم أن يشوش على الناس بحجة أنه يعرف أن هناك قولًا أو حديثًا في الزيادة.

كان العلماء يعرفون الخلاف في المسائل، ولا يأتون بما يشوش على الناس، وما يخالف ما جرى عليه العمل.



وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ مَعَ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكًا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى يَضَعَهَا حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

الشَّرْح

لا شك أن الله جَلَّوَعَلَا يُنزل المطر من السماء بقدر، قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ**﴾ [المؤمنون:١٨]، الله جَلَّوَعَلَا قدّر نزول الأمطار، وقدّر مقاديرها وكمياتها، والأرض التي تنزل عليها، يصرفه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كيف يشاء، فيسوقه، ويأمره فيُمطر، ويأمره فيُمسك، ومعه ملائكة، وجاء في وصف ميكائيل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ بأنه موكلٌ بالقطر والنبات[1]، فالملائكة يقومون بأعمالٍ وكلها الله إليهم، ومن ذلك: القطر.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣٧٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٧٠٠، ٧٠١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣١٥)، وابن أبي شيبة في العرش (ص٨٦-٨٧) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «... **فَمَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا إِسْرَافِيلُ، خَلَقَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَافًّا قَدَمَيْهِ، لَا يَرْفَعُ طَرْفَهُ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ سَبْعُونَ نُورًا، مَا فِيهَا نُورٌ كَانَ يَدْنُو مِنْهُ إِلَّا احْتَرَقَ، فَإِذَا أَذِنَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي شَيْءٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ ارْتَفَعَ ذَلِكَ اللَّوْحُ حَتَّى يَضْرِبَ جَبْهَتَهُ فَيَنْظُرُ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِي أَمَرَنِي بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ مِيكَائِيلَ أَمَرَهُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ مَلَكِ الْمَوْتِ أَمَرَهُ بِهِ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ؟، قَالَ: عَلَى الرِّيحِ وَالْجُنُودِ، فَقُلْتُ: فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ مِيكَائِيلُ؟ قَالَ: عَلَى النَّبَاتِ وَالْقَطْرِ، فَقُلْتُ: فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ مَلَكُ الْمَوْتِ؟ قَالَ: قَبْضُ الْأَنْفُسِ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ هَبَطَ إِلَّا بِقِيَامِ السَّاعَةِ**».

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ كَلَّمَ أَهْلَ الْقَلِيبِ يَوْمَ بَدْرٍ، أَيْ: الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ.

الشرح

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له معجزات، والمعجزة: هي الأمر الخارق للعادة[1]، وليس للإنسان فيها عمل، إنما هي من خلق الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ [العنكبوت:٥٠]، يقترحون على الرسول أن يأتي بآيات من عنده تدل على رسالته -كما يقولون-، والآيات عند الله، الرسول ما يأتي بآية إلا من الله جَلَّ وَعَلَا ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾، فهو الذي يخلق المعجزات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويجريها على أيدي رسله لتصديقهم.

ومن ذلك: الميت لو تكلمه لا يسمعك، ولا يدري ماذا تقول، لكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلَّم قتلى بدر من قريش الذين آذوه، وآذوا المسلمين في مكة، وتكبروا على الإيمان، وعصوا، وتجبروا على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخرجوه، وأخرجوا أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وآذوهم، أمكن الله منهم في بدر، فقُتلوا، وقُتلت صناديدهم وأكابرهم: شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وعددٌ كبير من أكابر قريش قُتلوا في بدر، ثم أمر بهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فألقوا في قليبٍ من آبار بدر، ووقف عليهم النبي

(١) انظر: القاموس المحيط (ص ٥١٦)، والعين (١/ ٢١٥)، وتهذيب اللغة (١/ ٢١٩)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٣٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخاطبهم: «يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، يَا عُتْبَةَ ابْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا**»[1]، هذه معجزة من معجزات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أجراها الله على يده.



(١) أخرجه مسلم (٧٧) (٢٨٧٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: **يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا**، فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا**، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا، فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ».

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَرِضَ آجَرَهُ اللهُ عَلَى مَرَضِهِ. وَالشَّهِيدُ يَأْجُرُهُ اللهُ عَلَى شَهَادَتِهِ.

الشَّرْح

الله لا يضيع أجر المؤمنين، ويُجري المصائب على المؤمنين؛ للتمحيص، أو لمضاعفة الأجر، فقد يُجريها على المؤمن؛ تكفيرًا لخطاياه، وتمحيصًا له من الذنوب، وقد لا يكون له خطايا، ويُجريها عليه؛ لرفعة درجاته؛ لأن الله كتب له درجةً في الجنة لا يصل إليها بعمله، فيبتليه الله بالمصائب؛ حتى يضاعف له الأجر، فيبلغ هذه المنزلة، فالمؤمن على خير، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[1]، فالمؤمن تصيبه المصائب، وهي من صالحه؛ إما أن الله يكفر بها خطاياه، وإما أن الله يرفع بها درجاته.

والشهيد: هو الذي قُتل في المعركة في قتال الكفار، يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وهذا يغفر الله له كل شيء إلا الدّين؛ لأن الدين حقٌّ للآدمي، وحق الآدمي لا يسقط إلا بأدائه له، أو سماحه عنه، أما الذنوب التي بينه وبين الله، فإن الله يغفرها جميعًا بالشهادة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٤) (٢٩٩٩) من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهناك شهداء، لكن ليسوا شهداء معركة؛ كالميت بالطاعون شهيد، ومن قُتل دون ماله، أو عرضه، أو أهله، فهو شهيد[١]، والميت الذي يُصاب بحادث مفاجئ -كالحرق، والغريق- شهيد عند الله عَزَّوَجَلَّ[٢]؛ يعني: له أجر الشهيد، وليس هو مثل شهيد المعركة في الأحكام، بل يُغسل، ويُكفن، ويُصلى عليه، أما شهيد المعركة، فلا يُغسل، ولا يكفن بغير ثيابه التي قُتل فيها، ولا يُصلى عليه، ويُدفن بدمائه.



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١)، وأحمد (٣/ ١٩٠) عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣)، ومسلم (١٦٥) (١٩١٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

وأخرجه أبو داود (٣١١١)، وابن ماجه (٢٨٠٣)، وأحمد (٣٩/ ١٦٢)، والنسائي في الكبرى (١٩٨٥) عن جابر بن عتيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «...الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ».

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْأَطْفَالَ إِذَا أَصَابَهُمْ شَيْءٌ فِي دَارِ الدُّنْيَا يَأْلَمُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ بَكْرَ ابْنَ أُخْتِ عَبْدِ الْوَاحِدِ[1] قَالَ: لَا يَأْلَمُونَ. وَكَذَبَ.

الشَّرْح

هذه مسألة ذكرها بسبب من يقول: إن الأطفال لا يألمون. وهذه ذكرها ليرد على هذا الرجل، وهذا الرجل يقال: إنه من الخوارج -أيضًا-، والخوارج عندهم أعجب من هذه الأقوال التافهة بسبب جهلهم، وبسبب تعالمهم، ولذلك فالطفل إذا أصابه شيء، يصيح، ويبكي، ويستنجد، وهذا دليل على أنه يتألم، هذا شيء مشاهد ومحسوس، لكن هذا الرجل عنده أفكار شاذة، ومنها هذه المسألة.



(١) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد.
قال ابن قتيبة: كان له أصحاب وأتباع خلطوا عنه مقالات.
ذكره ابن حزم في الملل والنحل في جملة الخوارج وقال: كان يقول في كل ذنب ولو صغر حتى الكذبة الخفيفة على سبيل المزاح، ففاعله كافر مشرك بالله من أهل النار، إلا إن كان من أهل بدر، فهو كافر مشرك من أهل الجنة وكان تلميذه عبد الله بن عيسى يقول: إن المجانين والأطفال والبهائم لا يألمون البتة بشيء مما نزل بهم من العلل وَغيرها؛ لأن الله لا يظلم مثقال ذرة.
ونقل ابن قتيبة مسألة الإيلام، عن بكر نفسه.
ومن شنعه: أن من سرق حبة خردل كان مخلدا في النار مع الكفرة وبالغ ابن قتيبة في الرد عليه في هذه المقالة). انظر: لسان الميزان (٢/ ٣٥٨).

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الجَنَّةَ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللهِ، وَلَا يُعَذِّبُ اللهُ أَحَدًا إِلَّا بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ، وَلَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ، عَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ للهِ عَزَّوَجَلَّ: إِنَّهُ ظَالِمٌ. وَإِنَّمَا يَظْلِمُ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ، واللهُ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ، وَالخُلُق خَلْقُهُ، والدَّارُ دَارُهُ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونْ، وَلَا يُقَالُ: لِمَ وَكَيْفَ؟ وَلَا يَدْخُلُ أَحَدٌ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الجَنَّةَ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللهِ**)، الجنة غالية ورفيعة، ولا تُدرك بالعمل، مهما عمل الإنسان، ولو عمل كل الطاعات، فإن عمله لا يقابل النعم التي عليه، فلو حوسب على النعم، لم يبق عنده عمل. هذه ناحية.

الناحية الثانية: أن الجنة غالية، وليس لها قيمة مقدّرة من الأعمال، أو المال، أو غير ذلك، لا يعلم عِظمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن الله يُدخل المؤمنين الجنة برحمته بسبب أعمالهم. فالأعمال إنما هي سبب لدخول الجنة، وليست هي الموجبة لدخول الجنة، وثمنًا للجنة، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ**»[1]، هذا من أجل أن الإنسان لا يُعجب بعمله، لالأجل أن يترك العمل، وقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٧٥) (٢٨١٦) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ**، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**».

﴿تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]، الباء ليست باء العِوض والثمن، وإنما هي باء السببية؛ أي: بسبب ما كنتم تعملون؛ بدليل هذا الحديث: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ».

فلا يُعجب الإنسان بعمله، ولكن لا يدخل الجنة إلا بسبب العمل، فلو لم يعمل، ما دخل الجنة؛ لأنه ما أتى بالسبب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا يُعَذِّبُ اللهُ أَحَدًا إِلَّا بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ)**، الجنة فضلٌ من الله جَلَّوَعَلَا، وبرحمة الله، والأعمال سببٌ لدخولها، وأهل النار لا يعذبون إلا بذنوبهم، لا يُعذَّبون بذنوب غيرهم، ولا يعذبون بدون ذنوب، وهذا من باب العدل، فالجنة من باب الفضل، والنار من باب العدل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ، عَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ)**، هذا كما سبق؛ أن الإنسان مهما عمل، فإن عمله لا يقابل بعض نعم الله عليه، فلو أن الله عذّبه، كان ذلك عدلًا؛ لتقصيره في شكر نعم الله عليه، وهذا الكلام الذي ذكره هو نص حديثٍ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَو أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، عَذَّبَهُمْ وهو غَيْرُ ظَالِمٍ لهم، وَلَوْ رَحِمَهُمْ، كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ»**[1]؛ لأن الفاجر عذّبه بفجوره، والبر عذّبه؛ لأن عمله لا يؤهله لدخول الجنة؛ لأنه لايقابل نعم الله عليه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد (٣٥/ ٤٨٦)، وابن حبان (٢/ ٥٠٦) من حديث ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ للهِ عَزَّوَجَلَّ: إِنَّهُ ظَالِمٌ**)، الله جَلَّوَعَلَا نزَّه نفسه عن الظلم، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر:١٧]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف:٧٦]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل:١١٨]، «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**»[(١)]، فالله جَلَّوَعَلَا حكمٌ عدل، لا يليق به الظلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِنَّمَا يَظْلِمُ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ، واللهُ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ**)، الظلم: هو أخذ حق الناس، وهل الناس لهم حقٌّ على الله؟ ليس لهم حقٌّ على الله، ولا أحد يُوجب على الله شيئًا، وإنما حق العباد على الله أن لا يعذب من لايشرك به شيئًا، هذا حقٌّ تفضل به سبحانه.

والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه[(٢)]، فالله لا يضع العذاب فيمن يستحق النعيم، ولا يضع النعيم فيمن يستحق العذاب، بل يضع النعيم فيمن يستحقه، ويضع العذاب فيمن يستحقه، هذا هو العدل، أما العكس فهو الظلم، لو عذّب أهل الإيمان، وأكرم أهل الكفر، يكون هذا هو الظلم، والله منزّهٌ عن ذلك، لا يمكن أن يعذب أهل الإيمان، وأن يُكرم أهل

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ.

(٢) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٨٤)، ولسان العرب (١٢/ ٣٧٣)، والقاموس المحيط (ص١٤٦٤)، ومختار الصحاح (ص١٧٠).

الكفر، وأن يدخل الكفار الجنة، وأن يدخل المؤمنين النار، هذا لا يليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والله لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ، وَالخُلُق خَلْقُهُ، والدَّارُ دَارُهُ**)، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾، وهو إيجاد الأشياء من عدم، فكل المخلوقات خلقها الله جَلَّ وَعَلَا، لا أحد يخلق مع الله، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، وقال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦]، ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾؛ بحيث أن خلق العبد يشتبه بخلق الله، هذا لا يمكن، وهو مستحيل ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأحقاف:٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالأَمْـرُ**) له سبحانه، والأمر: هو التشريع، والوحي المنزّل، فالخالق هو الذي يأمر، وينهى، ويشرع لعباده ما يُصلحهم، وينهاهم عما يضرهم، وليس لأحدٍ أن يأمر، أو ينهى، أو يوجب عبادةً، أو ينهى عن شيء من غير دليل، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]، فالأمر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ الأمر الكوني القدري، والأمر الشرعي، يأمر وينهى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، وفَرَّق بين الخلق والأمر، فدلّ على أن الأمر غير مخلوق، وفي هذا ردٌّ على الجهمية الذين يقولون: إن القرآن مخلوق، وإن كلام الله مخلوق.

الله فَرَق بين الخلق والأمر؛ الأمر هو من الكلام والتشريع، والله فرق بين الخلق والأمر، فدلَّ على أن كلام الله غير مخلوق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والدَّارُ دَارُهُ)** جَلَّ وَعَلَا، الدور ثلاث[1]:

* دار الدنيا.

* ودار البرزخ.

* ودار القرار. وهي الآخرة.

كلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾، لا يُسأل عما يفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن أفعاله ليس فيها نقص، وليس فيها خلل، فهي متقنة ومحكمة، ولا يتطرق إليها نقص أو خلل أبدًا، والسؤال إنما يكون لمن عنده نقص، أو خلل في عمله، فالله لا يسأل عما يفعل؛ لأن أفعاله على التمام والكمال، لا لمجرد قهره وربوبيته -كما يقوله من يقوله-، هو لايُسأل لعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجلاله، لكن ليس هذا وحده فقط، بل لايسأل -أيضًا- لأن أعماله متقنة، لا يتطرق إليها نقص أو خلل بالكلية، بخلاف المخلوق؛ فإنه يسأل عن فعله؛ لأنه يُخطئ، وينقص عمله، ويكون عليه ملاحظات، فهو يسأل؛ لأنه ناقص من كل الوجوه، إلا من كمّله الله، وأعانه، وسدده، ولهذا قال: ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾، هذا الفرق بين الخالق والمخلوق: أن الله لا يُسأل، والمخلوق يُسأل.

---

(١) انظر: الروح (ص٦٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا يُقَالُ: لِمَ وَكَيْفَ؟ وَلَا يَدْخُلُ أَحَدٌ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ)**، ولا يُعترض على الله، فيقال: لماذا خلق الله كذا؟ وما كيفية خلق الله لهذه الأشياء؟ هذا لا يجوز في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل علينا التسليم والانقياد، واعتقاد أن أفعال الله كاملة، لا يتطرق إليها نقص ولا خلل، وإن خفيت علينا بعض الحكم، أو بعض العلل، فلا نسأل عنها، بل نسلم، إن أدركنا الحكمة والعلة، فبها ونعمت، وإن لم ندركها، فإننا نسلم، ولا نعترض على الله، أو نتوقف عن العمل حتى نعرف الحكمة، أو العلة.



وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَى الْآثَارِ، وَلَا يَقْبَلُهَا، أَوْ يُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَّهِمْهُ عَلَى الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُ رَجُلٌ رَدِيءُ الْمَذْهَبِ وَالْقَوْلِ، وَلَا يُطْعَنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا عَلَى أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّا إِنَّمَا عَرَفْنَا اللهَ، وَعَرَفْنَا رَسُولَهُ، وَعَرَفْنَا القُرْآنَ، وَعَرَفْنَا الخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةَ بِالْآثَارِ، فَإِنَّ القُرْآنَ أَحْوَجُ إِلَى السُّنَّةِ مِنَ السُّنَّةِ إِلى القُرْآنِ.

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَى الْآثَارِ، وَلَا يَقْبَلُهَا، أَوْ يُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَّهِمْهُ عَلَى الْإِسْلَامِ)**؛ لأن من معنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع. هذا معنى شهادة أن محمدًا رسول الله، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٩]، فالواجب على المسلم أن يمتثل ما جاء في الأحاديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنها الوحي الثاني بعد القرآن؛ لأن أصول الأدلة في الإسلام المجمع عليها:

أولًا: القرآن.

ثانيًا: السنة النبوية.

ثالثًا: الإجماع.

هذه أدلة لا يجوز للإنسان أن يقول: أنا لا أستدل إلا بالقرآن فقط، ولا أستدل بالسنة. كما تقوله الخوارج ومن نحا نحوهم، ويقولون: إن القرآن متواتر، ومعصومٌ من الخلل، وأما السنة، فهي من رواية الرواة، يتطرق إليها الخلل. هذا اتهام للأمة، وعلمائها، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين -الذين نقلوا الأخبار- بعدم الثقة، وعدم الأمانة، وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هؤلاء بقوله: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ**»[(١)]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**»[(٢)]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما خطب في عرفة: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ**»[(٣)]، فالذي سمع يبلغ عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه أمانة قام بها رواة الحديث ورجال الحديث -جزاهم الله خيرًا-، وصانوا السنة النبوية عن الدخيل والكذب، وبلّغوها نقيةً صافية كما وردت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمانة، وهذا من معجزات هذا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، وأحمد (٢٨/ ٤١٠)، والدارمي (٦٠٦)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٧٤)، وفي مسند الشاميين (٢/ ١٣٧)، والمروزي في السنة (ص٧٠)، وابن عبد البر في التمهيد (١/ ١٥٠) من حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦، ١٦٥٧، ٢٦٥٨)، وابن ماجه (٢٣٢)، وأحمد (٧/ ٢٢١)، والدارمي (٢٢٨)، وابن حبان (١/ ٢٦٨)، والحاكم (١/ ١٦٣)، والطبراني في الكبير (ح١٥٤١) (٢/ ١٢٦)، والأوسط (ح١٣٠٤) (٢/ ٧٨)، والصغير (ح٣٠٠)، وأبو يعلى (٩/ ٦٢) (ح٥١٢٦). وكتب فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد رسالة أثبت فيها تواتره

(٣) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (٢٩) (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالسنة ليست محل توقف أو اتهام، بل يجب التصديق بها، ويجب العمل بها؛ كما يجب العمل بالقرآن؛ لأنها وحيٌ من الله.

قال تعالى في حق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣-٤]، فالأحاديث وحيٌ من الله، وإن كانت ألفاظها من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما القرآن، فلفظه ومعناه من الله جَلَّ وَعَلَا، أما السنة والأحاديث النبوية، فمعناها من الله، وألفاظها من كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى، فألفاظه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصومة وصدق، ولا يتطرق إليها شك، فمن أنكر السنة، فإنه كافر؛ لأنه عطل الأصل الثاني، والقرآن لابد له من السنة؛ لأنها تبينه وتوضحه، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤]، فالسنة موضحة للقرآن، ومفسرة للقرآن؛ لأن القرآن جاء بأشياء مجملة -مثل: الصلاة، والزكاة، والحج، والصيام-، السنة بينتها ووضحتها، وبينت الزكاة ومقاديرها، والصيام متى يبدأ، ومتى ينتهي، ومناسك الحج؛ كيف يحج الإنسان، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ»(١)، وقال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»(٢)، قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١]، فالسنة تفسر القرآن، وتوضحه، وتدل عليه، والذي يقول: أعمل بالقرآن، ولا أعمل بالسنة. كذاب، لم يعمل بالقرآن؛ لأن القرآن فيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

---

(١) أخرجه مسلم (٣١٠) (١٢٩٧) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١) واللفظ له، ومسلم (٦٧٤) من حديث مَالِك بْنُ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، وفيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤]، وفيه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، لما ترك العمل بالسنة، لم يعمل بالقرآن الذي يدّعي أنه يعمل به.

ومن الناس من يفرق بين الأحاديث، فيقول: الحديث المتواتر[١] يفيد العلم، وحديث الآحاد[٢] يفيد الظن. وهذا باطل؛ لأن كل ما صح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وثبت، فإنه يفيد العلم، سواءً كان متواترًا أو آحادًا، فلا تفريق بين دلالات الحديث الصحيح، الكل يجب امتثاله والعمل به بدون تفريق.

---

(١) **المتواتر**: هو رواية عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم على الكذب، رووا ذلك عن مثلهم إلى متنها، وكان مستند انتهائهم الحسن. وهو قسمان: متواتر لفظي؛ كحديث: «**من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»، فقد ورد عن بضعة وسبعين صحابيًا بهذا اللفظ. ومتواتر معنوي: وهو أن ينقل جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وقائع مختلفة تشترك في أمر يتواتر فيه معنى مشترك، مثل: أحاديث رفع اليدين في الدعاء، فقد روي فيه نحو مائة حديث في قضايا مختلفة، جمعها السيوطي في رسالة أسماها: «فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء»، ومثل أحاديث المسح على الخفين، وأحاديث الحوض، ونزول المسيح، وغيرها. ومن الكتب المؤلفة في ذلك: الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للسيوطي، ونظم المتناثر للكتاني. وانظر في تعريف المتواتر بنوعيه: الكفاية للخطيب البغدادي (ص١٦)، والمنهل الروي لابن جماعة (ص٣١)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٣١)، ونزهة النظر لابن حجر (ص٥٨ -٦٢)، وتدريب الراوي (٢/ ١٨٠).

(٢) قال ابن جماعة في المنهل الروي (ص٣٢): (خبر الواحد كل ما لم ينته إلى التواتر، وقيل: هو ما يفيد الظن، ثم هو قسمان: مستفيض وغيره، فالمستفيض ما زاد نقلته على ثلاثة، وقيل: غير ذلك، وغير المستفيض هو خبر الواحد أو الاثنين أو الثلاثة على الخلاف فيه، وأكثر الأحاديث المدونة والمسموعة من هذا القسم) اهـ. وانظر: الكفاية للخطيب (ص١٦).

الصوفية -أيضًا- لا يعملون بالسنة، بل ولا بالقرآن، إنما يعملون بأذواقهم ومواجيدهم، ويقولون: نحن نأخذ عن الله مباشرة، ولا نأخذ عن طريق الرسول؛ لأننا وصلنا إلى الله، فلسنا بحاجة إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما الرسول للعوام الذين ما وصلوا إلى الله. وهذا من أبطل الباطل، وأفضح الكفر -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**أَوْ يُنْكِرُ شَيْئًا**)، الذي ينكر السنة عمومًا، ويقول: إنه لايُعمل بالسنة، وإنما يُعمل بالقرآن. أو ينكر بعض السنة، وهي الأحاديث الصحيحة، ويقول: لا يُعمل بها. وبعضهم يقول: لا يُعمل بالحديث إلا بشرط: أن يوافق القرآن. وهذا باطل، واتهامٌ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه قد يأتي بشيء يخالف القرآن، فهذا القول لا يجوز، وقد يأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأشياء ليست في القرآن؛ مثل: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، هذا ليس في القرآن، القرآن فيه النهي عن الجمع بين الأختين، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ خَالَتِهَا**»[1]، فيجب العمل بما قاله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَاتَّهِمْهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ رَدِيءُ الْمَذْهَبِ وَالْقَوْلِ**)، قائل هذا إما يكون من الخوارج، وإما أن يكون من الجهمية والمعتزلة، وإما أن يكون من الصوفية الذين يزعمون أنهم ليسوا بحاجة إلى الأحاديث؛ لأنهم وصلوا إلى الله، ويأخذون عن الله مباشرة، ويقولون: أنتم تأخذون دينكم من ميتٍ عن ميت، ونحن نأخذ عن الحي الذي لا يموت.

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (٣٣) (١٤٠٨) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا يُطْعَنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَلَا عَلَى أَصْحَابِهِ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ)، لا يُطعن على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه معصوم من الله جَلَّ وَعَلَا، فالذي يتهم الرسول، أو يطعن فيه، وأنه عنده هوى، وأنه يحيف، وأنه يظلم، ونحو ذلك، فهذا كافرٌ بالله عَزَّوَجَلَّ، كذلك الذي يطعن في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رضي عنهم، ومدحهم، وأثنى عليهم، وهم خير القرون، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١)، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»(٢).

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، تحت الشجرة شجرة البيعة في الحديبية، ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]، وقال في آخر السورة: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾؛ يعني: الصحابة ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ يعني: صفتهم المذكورة بالتوراة، ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾؛ أي: صفتهم في الإنجيل الذي أُنزل على عيسى ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٢٢) (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخُدْري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

﴿فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]، فدل على أن الذي يغتاظ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو يبغضهم؛ أنه كافر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لِأَنَّا إِنَّمَا عَرَفْنَا اللهَ وَعَرَفْنَا رَسُولَهُ وَعَرَفْنَا القُرْآنَ وَعَرَفْنَا الخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةَ بِالْآثَارِ)**؛ أي: بالآثار التي رووها، وهي الأحاديث التي رووها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذي يطعن فيهم يطعن في الشريعة؛ لأنها من رواية رواة كذبة، وغير موثوقين، وهذا قصد اليهود والمجوس، يدسون على المسلمين جماعة يسبون الصحابة، وقصدهم أن يبطلوا الشريعة؛ لأنهم إذا أبطلوا حملتها ورواتها، وطعنوا في أفضل الأمة، فطعنهم في غير الصحابة من باب أولى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَإِنَّ القُرْآنَ إِلَى السُّنَّةِ أَحْوَجُ مِنَ السُّنَّةِ إِلَى القُرْآنِ)**، القرآن أحوج إلى السُّنة -كما ذكرنا-؛ لأن السنة مبينة ومفسرة للقرآن، فهناك أشياء مجملة في القرآن بينتها السنة:

الله أمر بالصلاة، لكنه لم يبيّن عدد ركعاتها؟ ولم يبين صفة الصلاة، وهذا بيَّنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(١).

الحج جاء مجملًا في القرآن، ووكل بيانه إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حج بالمسلمين في حجة الوداع، وقال: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ**»(٢)؛ أي: تعلموا من أفعالي وأقوالي ما تؤدون به مناسككم، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ

(١) سبق تخريجه (ص٢٦٤).
(٢) سبق تخريجه (ص٢٦٤).

﴿فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

فالقرآن محتاج إلى السنة لتبينه، فالذي يأخذ القرآن فقط، يكون قد قطع القرآن عما يبينه وما يوضحه، وهذا هدف أهل الضلال والذين في قلوبهم زيغ؛ لأن أهل الزيغ يأخذون بطرف من الأدلة، ويتركون الطرف الآخر الذي يفسره ويوضحه، ويأخذون بطرف من الأدلة متشابهً، ويتركون الطرف المحكم الذي يبينه ويوضحه، هذه طريقة أهل الزيغ، وطريقة المتعالمين والجهال الذين يدّعون العلم، ولا يعرفون طريقة الاستدلال وقواعد الاستدلال، فيحرمون، ويحللون دون بصيرة -والعياذ بالله-؛ لأنهم ما سلكوا المنهج العلمي، وإنما تعلموا على أنفسهم، أو على كتبهم، أو على من هو مثلهم في الجهل.



وَالْكَلَامُ وَالْجِدَالُ وَالْخُصُومَةُ فِي الْقَدَرِ خَاصَّةً مَنْهِيٌّ عَنْهُ عِنْدَ جَمِيعِ الْفِرَقِ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرُّ اللهِ، وَنَهَى الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْقَدَرِ، وَنَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخُصُومَةِ فِي الْقَدَرِ، وَكَرِهَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَكَرِهَهُ التَّابِعُونَ، وَكَرِهَهُ الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ الْوَرَعِ، وَنَهَوْا عَنِ الْجِدَالِ فِي الْقَدَرِ، فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالْإِقْرَارِ وَالْإِيمَانِ، وَاعْتِقَادِ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ، واسْكُتْ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ.

الشَّرْح

من أصول الإيمان وأركان الإيمان: الإيمان بالقضاء والقدر، والقضاء والقدر هو: ما قضاه الله وقدّره في الأزل، من الحوادث التي تقع، وكل ما يحدث، فإنه لم يحدث اعتباطًا، أو دون سابقة تقديرٍ من الله جَلَّ وَعَلَا، بل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علم ما كان وما يكون؛ ما كان في الماضي، وما يكون في المستقبل، ثم كتب ذلك في اللوح المحفوظ، فـ«**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١)، وكان خلق القلم سابقًا؛ كما في الحديث: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(٢)، ومن هنا أشكل على العلماء هل العرش مخلوقٌ قبل القلم؟ أو أن القلم مخلوق قبل العرش؟ والصحيح: أن العرش مخلوق قبل القلم؛ لأنه وقت

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣٩٩)، وأحمد (٣٧/ ٣٧٨)، من حديث عبادة ابن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٦) (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

خلق الله له وأمره بالكتابة كان عرشه على الماء[١]، ولهذا يقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]:

وَالنَّاسُ مُختلفُون فِي القَلَمِ الذِي ... كُتِبَ القَضَاءُ بِهِ مَنَ الدَّيَّانِ
هل كَانَ قبل العرشِ أو هُو بعدَه ... قولَان عِند أبِي العَلَا الهَمذَانِي
والحقُّ أنَ العرشَ قبلُ لأنَّه ... قَبلَ الكِتَابَةِ كَانَ ذَا أركَانِ
وَكِتابةُ القَلمِ الشَّريفِ تَعَقَّبَت ... إيجَادَهُ مِن غَير فَصلِ زَمَانِ
لَمَّا بَرَاهُ الله قَالَ اكتب كَذا ... فَغدا بِأمرِ الله ذَا جَرَيَانِ
فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِن أبَدًا إلى ... يَومِ المَعَادِ بِقُدرَةِ الرَّحمَنِ

والكلام في القدر قد سبق، ولكن المراد الآن النهي عن الخوض فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْكَلَامُ وَالْجِدَالُ وَالْخُصُومَةُ فِي الْقَدَرِ خَاصَّةً مَنْهِيٌّ عَنْهُ)**.

عرفنا أن الإيمان بالقضاء والقدر بدرجاته أنه ركنٌ من أركان الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، فمن لم يؤمن بالقضاء والقدر، فليس بمؤمن؛ لأنه جحد ركنًا من أركان الإيمان.

وكذلك لا يجوز الجدال في القضاء والقدر: لماذا يعذب الله كذا؟ لماذا يفعل الله كذا؟ كما سبق أنه لا يقال: لم؟ وكيف؟ فلا يُعترض على الله

---

(١) انظر القولين في: منهاج السنة (١/ ٣٦١)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٥٩)، وشفاء العليل (ص٦)، والتبيان في أقسام القرآن (ص١٢٨)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٩٤ - ٢٩٦).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٣٧٥).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تدخل في القضاء والقدر بالجدال، فإنك لن تصل إلى نتيجة، عليك التسليم والإيمان، ولا تدخل في أمر من أمور الله، هذا لا يعلمه إلا الله جَلَّ وَعَلَا، ولا تنتهي إلى نتيجة، ولهذا يقال: «الْقَدَرُ سِرُّ اللهِ»[1]. فسر الله لا يُدرك، ولا يحاط به أبدًا، فلا تدخل فيه، عليك أن تؤمن بما جاء في النصوص من القرآن والسنة، وتقف عند هذا، وتتوجه إلى العمل الصالح، وترك الذنوب والمعاصي، ولا تقل: إن كان الله قدر لي أني من أهل الجنة، صرت من أهل الجنة، ولو ما عملت شيئًا، إن كان الله قدر لي أني من أهل النار، فسأكون من أهل النار، فهذا كلامٌ باطل، فلا يجوز الدخول في هذه الأمور؛ لأن هذا ليس من شأن العباد، هذا من شأن الله، أنت من شأنك العمل، هذا هو المطلوب منك، أما الدخول في القضاء والقدر، فهو دخول في متاهة، لا يخرج منها العبد أبدًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مَنْهِيٌّ عَنْهُ عِنْدَ جَمِيعِ الفِرَقِ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرُّ اللهِ)**، عند جميع الأمم؛ لأن القدر سر الله، والسر لا يمكن الإحاطة به، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، لا تدخل في شؤون الله عَزَّوَجَلَّ، عليك بشؤون نفسك، عليك بالعمل الصالح، وترك الذنوب، وبالتوبة منها، وصفِّ حسابك ما دمت على قيد الحياة، اشتغل مع نفسك، أما أن تشغل نفسك بالقضاء والقدر، ولماذا كان؟ ولماذا يكون؟ وإن كان الله مقدر المقادير، فأنا لست بحاجة للعمل. هذا

---

(١) أخرجه الآجُرِّيُّ في الشريعة (٢/ ٩٤٠)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٠)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٤/ ٣١٤).

كله كلامٌ باطل، ولا قيمة له، ولما قال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: **لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل:٥-٦]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:١٠]»[(١)]، فأنت تفعل السبب؛ إما في نجاة نفسك، وإما في هلاكها بأفعالك التي تفعلها باختيارك وإرادتك، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو: فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا**»[(٢)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَنَهَى الرَّبُّ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **الْأَنْبِيَاءَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْقَدَرِ**)، نهى الله الخلق -الأنبياء وغيرهم- عن الكلام في القدر، والأنبياء ما ذُكر عنهم أنهم اعترضوا على القدر أبدًا؛ لأنهم يعلمون عظمة الله جَلَّ وَعَلَا وحكمته، ويستسلمون، ويتأدبون مع الله جَلَّ وَعَلَا، ولا يسألون عن شيء ليس لهم فيه مصلحة ولا منفعة، فالأنبياء لم يسألوا عنه، وكذلك لم يسأل عنها أتباع الأنبياء أبدًا، إنما كان الأنبياء و أتباعهم يتجهون إلى العمل، ويُعنون به، وما

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٧) (٢٦٤٧) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: **مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: **لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل:٥-٦]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:١٠]».

(٢) أخرجه مسلم (١) (٢٢٣) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**».

كانوا يسألون عن القضاء والقدر، إلا من باب الاعتقاد، والإيمان به، والإيمان بالقضاء والقدر يريحك من الشكوك والأوهام والأحزان، قال ﷺ: «واعْلَم أَنّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ»(١) «فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَنَهَى النَّبِيُّ** ﷺ **عَنِ الْخُصُومَةِ فِي الْقَدَرِ، وَكَرِهَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ** ﷺ **وَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، **وَكَرِهَهُ التَّابِعُونَ، وَكَرِهَهُ الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ الْوَرَعِ**)، لما ظهرت القدرية في أواخر عصر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أنكر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عليهم غاية الإنكار، وحذروا منهم، وبينوا أن العبد عليه أن يؤمن بأنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن من لم يعتقد هذا، فإن الله يُحرقه بالنار، هكذا اتفقت كلمتهم لما ظهرت فرقة القدرية في وقتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالْإِقْرَارِ وَالْإِيمَانِ**)، هذا هو الواجب عليك نحو القضاء والقدر: التسليم لقضاء الله وقدره، وعدم الاعتراض عليه، واعتقاد أن الله لا يفعل شيئًا إلا لحكمة، وأنه لا يعذب أحدًا إلا بعمله، فالخلل إنما هو من عندك أنت، بدل أن تلوم القدر، عليك أن تلوم نفسك، وأن تتوب إلى الله، فلا أحد يمنع من التوبة، والله يقبل التوبة ممن تاب، فلماذا تشغل نفسك بشيءٍ ليس لك منه مصلحة؟!!

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣٤) (٢٦٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

فعليك بالتسليم والانقياد، وعدم الخوض فيما لا يعنيك، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَاعْتِقَادِ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي جُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ وَاسْكُتْ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ**)؛ أي: اعتقد ما قاله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، ولا تتهم الأحاديث، أو تشك فيها، ما دامت أنها ثابتة عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليست مجالًا للتردد، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]، وأمثال هذه الآيات، فالواجب عليك: الامتثال، والتسليم، والانقياد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِي جُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ**)؛ يعني: في كل الأشياء، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلَّغ عن الله كل ما يحتاجه الناس من أمور دينهم، وبيّنه، وأكمل الله به الدين، ولا خير إلا دلَّ أمته عليه، ولا شر إلا حذّرها منه، وتركها على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**واسْكُتْ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ**)، هذا كما في الحديث: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ، فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا، فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ،**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٦٦).
(٢) كما في الحديث الذي سبق تخريجه (ص١٩).

فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ -رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ-، فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا»[1]، أنت لا تسأل إلا عن شيءٍ تحتاجه في دينك أو دنياك، و«**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»، أما ما لا تحتاج إليه، فالسؤال عنه من الفضول، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال[2]، فتكون أسئلتك بقدر حاجتك، ولا تسأل عما لا تحتاج.



---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه (٤/ ١٨٣، ١٨٤)، والطبراني في الكبير (٥٨٩)، وفي مسند الشاميين (٤/ ٣٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٢٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢) من حديث أبي ثَعْلَبَة الخُشَني جُرْثُومَ بن ناشِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (١٣) (٥٩٣) عن المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: أَنِ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**».

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَصَارَ إِلَى الْعَرْشِ، وَسَمِعَ كَلَامَ اللهِ، وَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَاطَّلَعَ فِي النَّارِ، وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ، وَسَمِعَ كَلَامَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ونُشِرَتْ لَهُ الْأَنْبِيَاءُ، وَرَأَى سُرَادِقَاتِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيَّ وَجَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ فِي الْيَقَظَةِ، حَمَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَى الْبُرَاقِ حَتَّى أَدَارَه فِي السَّمَاوَاتِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَرَجَعَ إِلى مَكَّةَ لَيْلَتَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ**)، هذا من معجزات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن الإيمان بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان بمعجزاته الدالة على صدق رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعظم معجزاته: القرآن والسنة، هذه أعظم معجزات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي المعجزة الباقية إلى أن تقوم الساعة، وكذلك من معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإسراء والمعراج[1].

الإسراء: وهو السير في الليل[2]، والمعراج: وهو الصعود[3]، وقد أسري

---

(١) حديث الإسراء والمعراج رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (٢٥٩) (١٦٢). من حديث أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي بعض الروايات يرويه أنس عن مالك بن صعصعة.

(٢) انظر: مادة: (س ر ى) في لسان العرب (١٤/ ٣٨٢)، ومختار الصحاح (ص١٢٥)، والقاموس المحيط (ص١٦٦٩).

(٣) انظر: مادة: (ع ر ج) في لسان العرب (٢/ ٣٢٠)، ومختار الصحاح (ص٤٦٧)، والقاموس المحيط (ص٢٥٣).

به ليلًا من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في فلسطين في ليلةٍ واحدة بصحبة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعرج به إلى السماء من بيت المقدس، وكيف أنه سار في ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماء، ثم نزل من السماء، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة؟ هذا بقدرة الله جَلَّ وَعَلَا التي لا يعجزها شيء، لا بقدرته هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل بقدرة الله التي لا يعجزها شيء، أُتي بالبراق -وهي دابة سريعة المشي خطوها عند مد بصرها-، فركبها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]، وصحبه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بيت المقدس، هذا هو الإسراء.

وأما المعراج: فقد عُرج به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بيت المقدس إلى السماء، وجاوز السبع الطباق، وانتهى إلى سدرة المنتهى، وسمع كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأمره بالصلاة، ورأى في هذه الليلة الجنة والنار، ورأى في هذه الليلة الرسل والأنبياء في السماوات، وجمعهم الله له، وصلى بهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إظهارًا لفضله عليهم[2]، وفرض الله عليه الصلوات الخمس وهو في السماء[3]،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، وفيه: «... **وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ: البُرَاقُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا...**».

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (١٤/ ٤١٤)، ومسلم (٢٧٨) (١٧٢). وانظر: فتح الباري (٧/ ٢٠٨) فقد ذكر روايات إمامته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنبياء، فمنها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَعَرَفْتُ النَّبِيِّينَ مِنْ بَيْنِ قَائِمٍ وَرَاكِعٍ وَسَاجِدٍ ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ**»، ومنها: «**فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى اجْتَمَعَ نَاسٌ كَثِيرٌ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَقُمْنَا صُفُوفًا نَنْتَظِرُ مَنْ يَؤُمُّنَا فَأَخَذَ بِيَدِي جِبْرِيلُ فَقَدَّمَنِي فَصَلَّيْتُ بِهِمْ**».

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (٢٦٤) (١٦٢) من حديث مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «...**ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً، قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، عَالَجْتُ** =

ثم نزل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيت المقدس، ثم جاء من بيت المقدس إلى مكة في ليلة واحدة، وأصبح في مكة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان بجسمه وروحه، لم يكن بروحه فقط -كما يقوله بعض المنكرين، أو المستغربين لهذا الشيء، ويقولون: إنه أسري بروحه دون جسمه[1]-، وليس الإسراء منامًا -يعني: حلمًا-، ولكنه يقظة، أسري به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليقظة، وليس منامًا[2]، وهو معجزة من معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، لأي شيء؟ ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]، ورأى في هذه الليلة العجائب؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم:١٨]، وفي سورة الإسراء يقول: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، فرأى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آيات الله في هذه الرحلة المباركة ما رأى، فيجب على المسلم أن يؤمن بذلك، وأن يصدق به، وألَّا يعتريه أدنى شك في ذلك، ومن أنكره، فإنه يكون كافرًا؛ لأنه مكذبٌ لله، ومكذبٌ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومكذبٌ لإجماع المسلمين.

=بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ، فَرَجَعْتُ، فَسَأَلْتُهُ، فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ، ثُمَّ ثَلَاثِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عِشْرِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عَشْرًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى، فَقَالَ: مِثْلَهُ، فَجَعَلَهَا خَمْسًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: جَعَلَهَا خَمْسًا، فَقَالَ مِثْلَهُ، قُلْتُ: سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ، فَنُودِيَ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي، وَأَجْزِي الحَسَنَةَ عَشْرًا».

(١) أخرج الطبري في تهذيب الآثار (١/ ٤٤٧ - ٤٦١) أحاديث كلا الفريقين، ورجح قول من قال: بالروح والجسد.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ٥٥٠)، ومجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٨٨)، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ١٠٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَدَخَلَ الجَنَّةَ وَاطَّلَعَ فِي النَّارِ)**، دخل الجنة، ورأى ما فيها من النعيم، واطلع على النار، ورأى ما فيها من العذاب؛ لأن الله يريد أن يريه من آياته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَرَأَى المَلَائِكَةَ)**، رأى جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على خلقته الملكية، له سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ[1]، كل جناح سد الأفق، فالملك خلقته عظيمة، وجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أعظم الملائكة، وسيد الملائكة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فرأى الملائكة، ورأى الرسل، وهم أموات، جمعهم الله له، والله على كل شيءٍ قدير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَرَأَى سُرَادِقَاتِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ)**، ورأى ما حول العرش، وما حول الكرسي -وهما مخلوقان عظيمان أعظم المخلوقات-، وما حولهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَجَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ فِي الْيَقَظَةِ)**، هذا رد على الذين يقولون: إنه منام، ولو كان منامًا، لما استنكره الكفار؛ لأن الرؤيا لا تُستنكر، هم استنكروا أن يكون يقظة، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، والعبد اسمٌ للروح والجسم معًا، فالروح وحدها لا تسمى عبدًا، الجسم وحده بدون روح لا يسمى عبدًا، فلا يُسمى عبدًا إلا الجسم والروح معًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حَمَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَى البُرَاقِ)**، البراق دابة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ)**، وهذا دليل على عظم هذه الصلوات الخمس؛ أنها فُرضت على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٦)، ومسلم (٢٨١) (١٧٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم:١١]، قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ».

السماء بينه وبين الله بدون واسطة، خلاف بقية الشرائع، فإنها كانت تنزل على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأرض بواسطة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهذا يدل على عظم قدر هذه الصلوات الخمس عند الله عَزَّوَجَلَّ، وكان زمن الإسراء قبل الهجرة إلى المدينة، وصلى الصلوات الخمس في مكة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ لَيْلَتَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ)**، ورجع إلى مكة ليلته، ولذلك الكفار استغربوا هذا، وفرحوا بذكر هذا الحادث؛ من أجل أن يتنقصوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتهكموا به، ويسخروا منه، فالله جَلَّ وَعَلَا ردَّ كيدهم، وصدَّق رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنزل في ذلك القرآن.



وَاعْلَمْ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَسْرَحُ فِي الجَنَّةِ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ تَحْتَ الْعَرْشِ(١)، وَأَرْوَاحَ الفُجَّارِ والكَفَّارِ فِي بِئْرِ بَرَهُوتَ(٢)، وَهِي فِي سِجِّينٍ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَاعْلَمْ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الجَنَّةِ)، فإن الروح -التي بها يحيا الإنسان، ويتحرك، ويُدرك- سرٌّ من أسرار الله جَلَّوَعَلَا، لا يعلمها إلا الله؛ أي: لا يعلم حقيقتها إلا الله جَلَّوَعَلَا، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥]، على أن المراد بالروح هنا: ما يحيا به الإنسان

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١) (١٨٨٧) عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: «سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا».

(٢) قال الزبيدي: ((بَرَهُوتُ)، مُحَرَّكَةً (كجَمَلُون) وحَلَزُون: (وادٍ) معروفٌ، (أَو بِئْرٌ) عميقة (بحَضْرَمَوْت) اليَمَن، لَا يُستطاعُ النُّزولُ إِلى قَعْرها). انظر: تاج العروس (٤/ ٤٤١). وانظر: غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ١١٤)، والصحاح (٦/ ٢٢٢٧)، ولسان العرب (٢/ ١٠). ولايصح حديث في أنَّ أرواح الكفار في بَرَهُوتَ. انظر الروح لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص١٠٦)، وأهوال القبور لابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص١١٨-١٢٠).

والحيوان وسائر ذوات الأرواح، وقيل: إن المراد بالروح: نوعٌ من الملائكة -والله أعلم[١].

والروح في اللغة تطلق، ويراد بها: ما به حياة ذوات الأرواح[٢]؛ لأن الحياة على قسمين:

* حياة حركة، وهذه تكون في ذوات الأرواح.

* وحياة نمو، وهذه تكون في الأشجار والنباتات، ومنها: حياة الجنين في بطن أمه قبل أن تنفخ فيه الروح، فإذا نفخت فيه الروح، صارت فيه روح الحركة، أما قبل ذلك، ففيه روح النمو، وقد اضطرب المتكلمون والفلاسفة في حقيقة الروح، وعجزوا عن إدراكها، تخبطوا فيها تخبطات كثيرة، وعجزوا عن إدراكها[٣].



(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٧٠)، وزاد المسير (٣/ ٥٠-٥١)، وابن كثير (٥/ ١١٥).
(٢) انظر: العين (٣/ ٢٩١)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٣٩)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٥٤).
(٣) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٧).

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الميِّتَ يُقْعَدُ فِي قَبْرِهِ، وَتُرْسَلُ فِيهِ الرُّوحُ، حَتَّى يَسْأَلَهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ[(١)] عَنِ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ، ثُمَّ تُسَلُّ رُوحَهُ بِلاَ أَلَمٍ.

وَيَعْرِفُ الميِّتُ الزَّائِرَ إِذَا زَارَهُ، ويَتَنعَّمُ المؤْمِنُ فِي الْقَبْرِ، وَيُعَذَّبُ الفَاجِرُ كَيْفَ شَاءَ اللهُ[(٢)].

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الميِّتَ يُقْعَدُ فِي قَبْرِهِ**)، يجب الإيمان بأن الميت يُقعد جالسًا في قبره، وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان: أحدهما منكر،

(١) ورد في تسمية الملكين اللذين يسألان الإنسان في قبره بمنكر ونكير عدة أحاديث مرفوعة موقوفة عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، منهم: أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (١٠٧١)، وقال: حسن غريب. والطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٤٤)، ومعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البزار (٧/ ٩٧)، والبراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٥٨) والطبري في تهذيب الآثار (٢/ ٥٠٠)، وأبي الدرداء موقوفًا عليه عند ابن أبي شيبة (٣/ ٥٣).
وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٥٤): رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن، يعني من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٢٠): (وفي المساءلة أخبار ثابتة، والأخبار التي في المساءلة في القبر منكر ونكير أخبار ثابتة، توجب العلم فترغب إلى الله أن يثبتنا في قبورنا عند مسألة منكر ونكير والقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة آمين). اهـ.

(٢) تواترت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات عذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين للإنسان بعد موته؛ كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)، وجاء أيضًا من حديث البراء، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي قتادة، وعائشة، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.
قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٥٠): (وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به) اهـ.

والآخر النكير، فيسألانه، وهذه هي الفتنة في القبر، وهي أشد ما على الميت، إن نجا من هذه الفتنة، نجا مما بعدها، وإن لم ينج من هذه الفتنة، فهو هالك، لانجاة له، يسألانه عن ثلاث مسائل: من ربك؟ فالمؤمن يقول: ربي الله، المنافق يقول: ها ها لا أدري. ثم يقولان له: ما دينك؟ المؤمن يقول: ديني الإسلام. والمنافق والمرتاب يقول: ها ها لا أدري. ثم يقولان له: من نبيك؟ المؤمن يقول: نبيي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. المنافق يقول: هاها لا أدرى. فالمؤمن يوسع له في قبره، ويفرش له من الجنة، ويُفتح له باب إلى الجنة، ويأتيه من روحها وطيبها، ويُنعم في قبره، والكافر والمنافق يُضيق عليه قبره، ويفرش له من النار، ويُفتح له بابٌ إلى النار، ويأتيه من حرها وسمومها[1]، وهذا معنى قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَتُرْسَلُ فِيهِ الرُّوحُ حَتَّى يَسْأَلَهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ عَنِ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَيَعْرِفُ الْمَيِّتُ الزَّائِرَ إِذَا زَارَهُ**)؛ ولذلك تُشرع زيارة القبور؛ لأن الميت يأنس بزائره، وهذا من أمور البرزخ، نحن لا نقول في أمور الآخرة وأمور البرزخ إلا ما ثبت به الدليل؛ لأنه من علم الغيب الذي لايعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يؤخذ من هذا أن الميت يُطلب منه شيء، فيقال: ما دام أنه يعلم من يأتي إليه، لماذا لا نطلب منه حوائجنا؟ نقول: هذا لم يشرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الميت لا يُطلب منه شيء، ما كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

---

(١) حديث فتنة القبر أخرجه البخاري (٨٦)، ومسلم (١١) (٩٠٥) من حديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وفي الباب من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبي هريرة، وجابر، وعائشة، والبراء بن عازب، وأبي سعيد، رضي الله عنهم أجمعين. انظر: فتح الباري (٣/ ٢٣٧، ٢٣٨).

يطلبون من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا، مع أنه حيٌّ في قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حياةً برزخية، ليست هي حياة دنيوية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَيَتَنَعَّمُ المُؤْمِنُ فِي الْقَبْرِ، وَيُعَذَّبُ الفَاجِرُ كَيْفَ شَاءَ اللهُ)**، من أصول الإيمان: الإيمان بعذاب القبر، أو نعيمه، خلافًا للمعتزلة الذين ينكرون هذا، يقولون: الميت في قبره مثل ما وضعناه، ليس عنده عذاب ولانعيم. يعتمدون على عقولهم وأبصارهم وتفكيرهم، ولا يؤمنون بالغيب، ولا تُقاس الدنيا بالآخرة، أو الآخرة بالدنيا، فعليك أن تؤمن بالغيب، وعذاب القبر ونعيم القبر ثابت، بل متواتر في الأحاديث؛ أن الميت إما أن يُعذب في قبره، وإما أن يُنعم، فمن ينكر عذاب القبر -وهو يعلم بالنصوص، ويعلم بالأدلة-، فهو كافر، أما إذا أنكره من باب التأويل، أو التقليد، أو الجهل، فهذا يبيَّن له الحق، فإن أصر بعد البيان، يُحكم بكفره.



وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَ الطُّورِ، وَمُوسَى يَسْمَعُ مِنَ اللهِ الْكَلَامَ بِصَوْتٍ وَقَعَ فِي مَسَامِعِهِ مِنْهُ لَا مِنْ غَيْرِهِ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا، فَقَدْ كَفَرَ باللهِ الْعَظِيمِ.

الشرح

إثبات الكلام لله جَلَّ وَعَلَا من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة؛ أن الله يتكلم بكلامٍ حقيقي، سمعه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسمعه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ذهب إلى النار ليأتي منها بقبس، ووجد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يكلمه من الشجرة -كما ذكر الله ذلك في القرآن-، وسمع موسى كلامه، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:١٤٣]، هذه مرة ثانية، لما واعده الله أن يعطيه التوراة، ذهب موسى للموعد، كلمه ربه، وأعطاه ألواح التوراة مكتوبة، فسمع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكلم نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج، وفرض عليه الصلوات الخمس، فالله يتكلم جَلَّ وَعَلَا بكلامٍ يُسمع، وبحرفٍ وصوت.

أما الجهمية والمعتزلة، فيقولون: الله لا يتكلم؛ لأنا لو أثبتنا له الكلام، شبهناه بالمخلوقين؛ لأن المخلوق يتكلم.

وهل يقاس كلام الله بكلام المخلوق؟! هناك فرق بين كلام الله وكلام المخلوق، فهم لا يفرقون بين الله وبين المخلوق -والعياذ بالله-؛ نتيجة لتبلد أفهامهم وعقولهم، فالله جَلَّ وَعَلَا يتكلم حقيقةً بكلامٍ يُسمع، والقرآن من كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تكلّم الله به، وتكلّم بالتوراة، وتكلّم بالإنجيل، ويتكلّم متى

شاء إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكلامه من فعله جَلَّ وَعَلَا، وفعله لا نهاية له، ولا بداية له، يتكلم متى شاء، إذا شاء، بما شاء جَلَّ وَعَلَا، فالكلام صفة من صفاته الفعلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مِنْهُ سبحانه، لَا مِنْ غَيْرِهِ)**، لا من الشجرة، ولا من اللوح المحفوظ، ولا من جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا من محمد، فهو كلام بدأ من الله حقيقة، وإنما جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناقلان عن الله، ومبلغان عن الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا، فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ الْعَظِيمِ)**، من قال: (إن كلام الله مخلوق، وإن الله لا يتكلم)، وعطّل الله من الكلام، فهو كافر؛ لأنه مكذب لله، ولرسوله، ولإجماع المسلمين، اللهم إلَّا أن يكون جاهلًا، أو متأوّلًا، أو مقلّدًا لمن يحسن بهم الظنّ، فهذا يُبيّن له، فإن أصرّ، حُكم بكفره؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا عاب على المشركين أنهم يعبدون التماثيل التي لا تتكلم، قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم:٤٢]، وقال للكفار الذين يعبدون الأصنام: ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣]، والله جَلَّ وَعَلَا يقول في بني إسرائيل: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ﴾ [الأعراف:١٤٨]، فدلّ على أن الربّ يتكلّم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن الّذي لا يتكلّم ليس ربًّا، كيف يأمر؟ وكيف ينهى؟ وكيف يدبّر، وهو لا يتكلّم؟ تعالى الله عن ذلك! وفي سورة طه: ﴿أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ [طه:٨٩]، ﴿أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾؛ أي: لا يجيبهم إذا خاطبوه.

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّرَّ والخَيْرَ بِقَضاءِ اللهِ وَقَدِرِهِ.

الشَّرْح

يجب الإيمان بالقضاء والقدر، وأن كل شيء يحدث في هذا الكون، فإنه ليس اعتباطًا، وإنما هو مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ، وقد علمه الله جَلَّوَعَلَا، وكتبه في اللوح المحفوظ، ثم قدره، ثم خلقه، وأوجده، وشاءه، لا يوجد في هذا الكون شيء بدون أن يسبق بقضاء الله وقدره، كل شيء فإنه مقدر، ومن ذلك: الخير والشر؛ الخير الذي يحصل للناس بقضاء الله وقدره، والشر الذي يحصل لهم بقضاء الله وقدره، والكفر، والإيمان، والمرض، والصحة، والجوع، والشبع، والغنى، والفقر، كل هذا بقضاء الله وقدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَالْعَقْلُ مَوْلُودٌ، أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَ العَقْلِ مَا أَرَادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، يَتَفَاوتُونَ فِي العُقُولِ مِثْلَ الذَّرةِ فِي السَّماوَاتِ، وَيَطْلُبُ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنَ العَمَلِ عَلَى قَدْرِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ العَقْلِ، وَلَيْسَ العَقْلُ بِاكْتِسَابٍ، إِنَّمَا هُوَ فَضْلٌ مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ.

الشَّرْح

العقل: هو قوة يجعلها الله في الإنسان يُدرك بها الأشياء، يعرف بها الضار من النافع، والخير من الشر، لا أحد يدري ما كيفية العقل، تخبط الناس فيه، ولم يصلوا إلى نتيجة؛ لأنه من أسرار الله التي لا يعلمها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والعقل: سُمي عقلًا؛ لأنه يعقل الإنسان عما يضره؛ مثلما يعقل الحبل الدابة من الانفلات [1].

ويُسمى: حِجرًا، ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر:٥]، الحِجر هو العقل، سُمي بذلك؛ لأنه يحجر الإنسان عما يضره.

ويُسمى: النُّهى، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه:٥٤]؛ يعني: أصحاب العقول.

ويُسمى: اللُّب، ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:١٩٠]؛ يعني: أصحاب العقول.

فهذا العقل من آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقول المؤلف: (هوَ مَوْلُودٌ) الظاهر أنه يقصد أنه مخلوق، وليس قديمًا، أو أنه يولد مع الإنسان، وهذا العقل -كما

(١) انظر: العين (١/ ١٥٩)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٣٩)، وتهذيب اللغة (١/ ١٦٠)، ومقاييس اللغة (٤/ ٦٩).

ذكرنا- لا يعلم حقيقته إلا الله، ولذلك اضطرب فيه علماء الكلام والفلاسفة، ولم يصلوا إلى نتيجة في العقل؛ لأن هذا ليس من اختصاصهم.

والعقل يتفاوت:

من الناس: من عقله كامل؛ كالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام.

ومن الناس: من ليس له عقل أصلًا؛ كالمجنون، والمعتوه، والطفل.

ومن الناس: من هو بين وبين، بين كمال العقل، وبين عدم العقل؛ يعني: عنده عقل، لكنه ليس تامًّا، ويتفاوت في النقص، ومنهم من عنده نقصٌ في عقله كثير، ومنهم من عنده نقصٌ قليل، وهكذا، وهذا حسب ما يجعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ويُطلق العقل على الفهم -أيضًا-، يقال: عقل الآيات القرآنية، ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:١٢]؛ يعني: يفهمون الآيات الكونية والآيات القرآنية ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]، فالعقل يُطلق على الفهم والإدراك والفقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص:٦٠].

ومن الناس: من يُطمس على عقله بسبب كفره، وبسبب غفلته، فلا يميز بين الضار والنافع، فهو عاقل، لكنه لم ينتفع بعقله، حُرم من عقله -والعياذ بالله- بسبب كفره، فصار لا يعقل، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الفرقان:٤٤]، فيحرمه الله عقله عقوبةً له؛ حيث لم يستعمله فيما ينفعه، وإنما استعمله فيما لا فائدة فيه، أو فيما يضره، فالعقل من آيات الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَيَطْلُبُ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنَ العَمَلِ عَلَى قَدْرِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ العَقْلِ**)، التكليف، والأوامر والنواهي، والثواب والعقاب، كلها منوطة بالعقل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَيْسَ العَقْلُ بِاكْتِسَابٍ، إِنَّمَا هُوَ فَضْلٌ مِنَ الله** عَزَّوَجَلَّ)، العقل من الله جَلَّوَعَلَا، هو الذي يركزه في الإنسان، وهو من أسرار الله جَلَّوَعَلَا في خلقه، ليس الإنسان هو الذي يكتسب العقل، نعم الإنسان يقوي عقله بالتفكير في آيات الله، في تدبر القرآن، أما أنه يكتسب عقلًا ليس موجودًا، فلا، الله هو ا لذي أوجد فيه عقلًا، لا يمكن هو أن يوجد عقلًا من نفسه ويكتسبه، لكن بإمكانه أن يقويه، ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦]، فدلَّ على أن التفكر في الكون، والتفكر فيما حصل للأمم السابقة من الهلاك بسبب الكفر والذنوب يفيد الإنسان، ويقوي عقله، لا أنه يوجد له عقلًا كان معدومًا.



وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ فَضَّلَ العِبَادَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، عَدْلًا مِنْهُ، لَا يُقَالُ: جَارَ، وَلَا حَابَى، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ فَضْلَ اللهِ عَلَى المُؤْمنِ والكَافِرَ سَوَاءٌ، فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، بَلْ فَضَّلَ اللهُ المُؤْمِنِ عَلَى الكَافِرِ، والطَائِعَ عَلَى العَاصِي، وَالْمَعْصُومَ عَلَى المَخْذُولِ؛ عَدْلًا مِنْهُ، هُوَ فَضْلُهُ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَمْنَعَهُ مَنْ يَشَاءُ.

الشَرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ فَضَّلَ العِبَادَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ**)، الناس فضَّل الله بعضهم على بعض، فضَّل المؤمن على الكافر بما أعطاه الله من الإيمان بسبب إيمانه، وحرَم الكافر بسبب كفره، وفضَّل الله المؤمنين بعضهم على بعض، والرسل فضَّل الله بعضهم على بعض: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣]، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا أحد يعترض على الله؛ لأن هذا مُلكه سبحانه يعطيه من يشاء، فالملك ملكه يؤتيه من يشاء سبحانه، والفضل فضله يعطيه من يشاء، فلا اعتراض على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المعتزلة يقولون: يجب على الله أن يعدل بين الناس، ويعطيهم سواء.

وهذا سوء أدب مع الله، واعتراض عليه -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا-، فالله جَلَّ وَعَلَا يفضل بعض خلقه على بعض، وهذا ملكه، لااعتراض عليه، لايعذب أحدًا بغير جريمته؛ لأن هذا ينافي العدل، والله لايظلم، فلا يعذب أحدًا من دون جُرم، أو يعذب أحدًا بجريمة غيره، ﴿وَلَا تَزِرُ

وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [فاطر:١٨]، فالله جَلَّ وَعَلَا من ناحية الجزاء ما يجريه عدل، أما من ناحية العطاء، فهذا فضلٌ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا أحد يعترض عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَمَنْ قَالَ: إِنَّ فَضْلَ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ والكَافِرِ سَوَاءٌ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ)**، هذا قول المعتزلة: إن الله يجب أن يجعل الناس كلهم مؤمنين، ولا يجعل بعضهم كافرًا وبعضهم مؤمنًا، يجعلهم كلهم أغنياء، يجعلهم كلهم علماء. وهذا اعتراض على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الله حكيم، وليس من حكمته أن يجعل الناس كلهم أغنياء، لو كانوا كلهم أغنياء، خرب الكون؛ لأنهم لا يجدون من يقوم بالأعمال، ويتوقف الإنتاج، ولهذا فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فضلَّ بعض الناس على بعض في الرزق، جعل هذا غنيًا، وهذا فقيرًا؛ لأجل عمارة الكون، لو كانوا كلهم أغنياء، ما أنتجوا شيئًا، ولو كانوا كلهم فقراء، ما استطاعوا أن يشتغلوا وينتجوا.

فالله فاوت بينهم لأجل عمارة الكون، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف:٣٢]؛ يعني: يسخر بعضهم بعضًا للعمل بالأجرة، عند ذلك يتنامى الكون، وتحصل المصالح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَلْ فَضَّلَ اللهُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الكَافِرِ، والطَّائِعَ عَلَى العَاصِي، وَالْمَعْصُومَ عَلَى المَخْذُولِ)**، فضَّل الله المؤمن على الكافر، وفضَّل الله المطيع على العاصي، هذا عدله سبحانه وفضله، فلا أحد يعترض عليه.

وَلَا يَحِلُّ أَنْ تَكْتُمَ النَّصِيحَةَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، فَمَنْ كَتَمَ، فَقَدْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ غَشَّ الدِّينَ، وَمَنْ غَشَّ الدِّينَ، فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ والْمُؤْمِنِينَ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا يَحِلُّ أَنْ تَكْتُمَ النَّصِيحَةَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ**)، النصيحة هي: الخلوص من الغش، والشيء الناصح: هو الشيء الخالص[(١)]، فالمؤمن يجب أن يكون ناصحًا؛ يعني: خالصًا من النفاق، وخالصًا من الغش، وخالصًا من الخديعة، يكون ظاهره وباطنه سواء في الصدق، والنصيحة هي الدين؛ كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»[(٢)]، والمراد بها هنا: أن يخلص الإنسان من كل خلق ذميم، وأن يتحلى بالأخلاق الفاضلة.

فالرجل الناصح هو الذي ليس عنده غشٌّ لأحد، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»[(٣)]، فضد النصيحة: الغش، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كرر

---

(١) انظر: العين (٣/ ١١٩)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٤٦)، والصحاح (١/ ٤١١)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث أَبِي رُقَيَّة تَمِيم بْنِ أَوْسٍ الْدّارِيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأخرجه البخاري معلقًا في كتاب الإيمان - باب قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**.

(٣) أخرجه مسلم (١٦٤) (١٠١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

قوله: «**الدِّينُ النَصيحَةُ**» ثلاث مرات من باب التأكيد والاهتمام، وقد حصر الدين كله في النصيحة.

النصيحة لله ولرسوله، هذا في العقيدة، فلا يكون الإنسان مسلمًا إلا إذا كانت عقيدته سليمة، وخالية من الشرك، وكان عمله خاليًا من البدع متبعًا للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا هو الناصح لله ولرسوله، الذي يكون عمله خاليًا من الشرك، وخاليًا من البدع.

«**وَلِرَسُولِهِ**»، والنصح للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هو الإيمان برسالته، ومحبته، وتوقيره، واحترامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتباعه، والاقتداء به، وتقديم قوله على قول كل أحد، وترك البدع والمحدثات التي حذر منها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتصديقه فيما أخبر من المغيبات الماضية والمستقبلة، واجتناب ما نهى عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هذه النصيحة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**وَلِكِتَابِهِ**) كتاب الله عَزَّوَجَلَّ هو القرآن، بأن تؤمن بأنه كلام الله منزل غير مخلوق، لا كلام غيره -كما يقوله أهل الضلال-، وأن تتعلمه، وتُعلمه، وأن تعمل به، وأن تتفقه في معانيه، وتتدبره. هذه النصيحة لكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تعلمًا وتعليمًا، وفهمًا وفقهًا، وعملًا به، وكذلك من النصيحة لكتاب الله: الإكثار من تلاوته، وعدم الغفلة عنه.

والنصيحة «**لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ**»، وهم الأمراء والولاة؛ بأن تطيعهم في غير معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تنزع يدًا من طاعة، ولا تخرج عليهم، ولاتتلمس أخطاءهم وعوراتهم، وتفشيها بين الناس.

ومن النصيحة لهم: إذا كان عندك علم وقدرة أن تنصحهم فيما بينك وبينهم، توصل إليهم النصيحة، وتبلغهم الأخطاء التي تحصل منهم، أومن

رعيتهم، تبلغهم بذلك، ولا تتحدث بها في المجالس، هذا من الغش، فالنصيحة أن تؤدي إليهم النصيحة منك إليهم، هذه هي النصيحة لولي الأمر.

وكذلك من النصيحة لولي الأمر: القيام بالعمل الذي يوليك عليه -وظيفة، أو رئاسة، أو غير ذلك من أمور الدين والدنيا-، بأن تقوم بالعمل الذي ولاك عليه ولي الأمر خير قيام، ولا تنقص منه شيئًا، وإذا رأيت خللًا، تبلغ ولي الأمر فيما بينك وبينه، تبلغه بالخلل من أجل أن يتلافاه، هذا من النصيحة.

ومن النصيحة لولاة الأمور: الدعاء لهم بالصلاح؛ لأنهم إذا صلحوا، صلحت الرعية، وتدعو لهم، فإذا رأيت الرجل طالب العلم لا يدعو لهم، أو يستنكر الدعاء لهم، فاعلم أنه غاش، وليس ناصحًا لولي الأمر.

«**وَعَامَّتِهِمْ**»، والنصيحة لعامة المسلمين أن ترشدهم إلى الصواب، وتحذرهم من الأخطاء، وأن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وأن تعلم الجاهل، وتذكر الغافل، وتود له من الخير ما توده لنفسك، والعطف على الفقير، والصدقة على المحتاج، هذا من النصيحة.

وكذلك يبذل المشورة الطيبة لمن استشاره، وحفظ الأسرار لمن استأمنه، حفظ الودائع، يكون ناصحًا من جميع الوجوه، والنصيحة في البيع والشراء، لا يغش ولا يخدع.

هذه هي النصيحة باختصار، فمن لم يكن كذلك، فإنه غاش، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»[1].

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٩٥).

واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَلِيمٌ، يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ، قَدْ عَلِمَ أَنَّ الخَلْقَ يَعْصُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، عِلْمُهُ نَافِذٌ فِيهِمْ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ عِلْمُهُ فِيهِمْ أَنْ هَدَاهُمْ لِلإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ كَرَمًا وَجُودًا وَتَفَضُّلًا فَلَهُ الحَمْدُ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَلِيمٌ**)، هذا هو النوع الثالث من أنواع التوحيد: إثبات الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ كما جاءت في الكتاب والسنة، مع اعتقاد معناها، وما دلّت عليه، وعدم التعرض لكيفيتها؛ لأن كيفيتها لا يعلمها إلا الله، أما معناها، فإنه معلوم، فيجب عليك أن تثبتها، وأن تعتقد ما دلَّت عليه؛ كما قال الإمام مالك: «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ» يعني معلوم معناه، «وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ»[1]، معلومٌ معناه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَدْ عَلِمَ أَنَّ الخَلْقَ يَعْصُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ**)، الله بكل شيء عليم، علم ما يكون -من الإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، لا يخفى عليه شيء- قبل أن يخلق السماوات والأرض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَلَمْ يَمْنَعْهُ عِلْمُهُ فِيهِمْ أَنْ هَدَاهُمْ لِلإِسْلَامِ**)، مع أنه يعلم ما يعملونه من الكفر والإيمان، فإن الله دعاهم إلى الإسلام، ودعاهم إلى الإيمان، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب لهدايتهم، وهو يعلم ما يفعلون، لكنه من رحمته لم يتركهم، ولم يكلهم إلى علمه بهم، بل إنه أقام الحجة عليهم، وأعطاهم الاختيار، والمشيئة، والقدرة، فهم يقدرون على العمل، فإذا تركوه، فالذنب

(١) سبق تخريجه (ص٨٢).

ذنبهم، والتقصير تقصيرهم، والله جَلَّوَعَلَا يهدي جميع الخلق المؤمنين والكفار، بمعنى: أنه يبين لهم، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾، هديناهم؛ يعني: بيَّنا لهم، وأرشدناهم، لكنهم لم يقبلوا، عاندوا، وكابروا، ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت:١٧]؛ أي: بسبب كسبهم، وليس لأن الله علم ذلك، وقدّره عليهم، بل بما كانوا يكسبون باختيارهم، وإرادتهم، وعملهم.

فالهداية هدايتان[(١)]:

* **هداية الإرشاد**: وهذه عامة للمؤمن والكافر.

* **وهداية التوفيق**: وهذه خاصةٌ للمؤمنين الذين قبلوا هدى الله وإرشاده، وفقهم الله، وثبتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ كَرَمًا وَجُودًا وَتَفَضُّلًا فَلَهُ الحَمْدُ)**؛ كرمًا منه يعني: أنه دعاهم، وبيَّن لهم، ووضح لهم -كرمًا منه وتفضلًا- لحاجتهم هم إلى ذلك، أما الله جَلَّوَعَلَا، فإنه غنيٌّ عنهم؛ كفروا أو آمنوا، أطاعوا أو عصوا، لا يضرون الله جَلَّوَعَلَا، ولا ينفعونه؛ لأنه غنيٌّ عنهم، وإنما هذا راجعٌ عليهم نفعه، أو ضرره، فهو من رحمته بهم أنه بيّن لهم طريق الخير وطريق الشر، وأعطاهم القوة، وأعطاهم القدرة، وأعطاهم العقول التي يميزون بها بين الضار والنافع.

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص ٥٣٨)، وبدائع الفوائد (٢/ ٣٥-٣٧)، ومدارج السالكين (١/ ٣٢-٣٣)، وتفسير الطبري (١/ ١٦٧-١٦٩)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٣٧).

وَاعْلَمْ أَنَّ البِشَارَةَ عِنْدَ المَوْتِ ثَلَاثُ بِشَارَاتٍ، يُقَالُ: أَبْشِرْ -يَا حَبِيبَ اللهِ- بِرِضَى اللهِ وَالجَنَّةِ، وَيُقَالُ: أَبْشِرْ -يَا عَبْدَ اللهِ- بِالجَنَّةِ بَعْدَ الانْتِقَامِ، وَيُقَالُ: أَبْشِرْ -يَا عَدُوَ اللهِ- بِغَضَبِ اللهِ والنَّارِ. هَذَا قَوْلُ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الشَّرْح

المحتضر -مؤمنًا كان، أو كافرًا- يُبشر عند الموت، فإن كان مؤمنًا، يُبشر برحمة الله وبالجنة، وإن كان كافرًا، يبشر بغضب الله وبالنار، فلا يموت إلا وهو يعلم أين يكون، ولا يُمكنه التوبة والتخلص، أو التزود من الأعمال الصالحة، وهذا جاء في الحديث أنَّ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف:١٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال:٥٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (١٥) (٢٦٨٤) من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى اللهِ تَعَالى فِي الجَنَّةِ الأَضِرَّاءُ، ثُمَّ الرِّجَالُ، ثُمَّ النِّسَاءُ، بِأَعْيُنِ رُؤُوسِهِمْ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»**[1]**، وَالإِيمَانُ بِهَذَا وَاجِبٌ، وَإِنْكَارُهُ كُفْرٌ.**

الشَّرْح

سبق البحث في إثبات الرؤية[2]، وهذا تأكيد لما سبق، وأما هذا الترتيب الذي ذكره المؤلف، فيحتاج إلى دليل.



(١) سبق تخريجه (ص١٠٤).
(٢) انظر: (ص١٠٤).

وَاعْلَمْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ زَنْدَقَةٌ، وَلَا كُفْرٌ، وَلَا شُكُوكٌ، وَلَا بِدْعَةٌ، وَلَا ضَلَالَةٌ، وَلَا حَيْرَةٌ فِي الدِّينِ، إِلَّا مِنَ الكَلَامِ، وَأَهْلِ الكَلَامِ، والجَدَلِ، والمِرَاءِ، والخُصُومَةِ، والعُجْبِ، وَكَيْفَ يَجْتَرِئُ الرَّجُلُ عَلَى المِرَاءِ وَالخُصُومَةِ والجِدَالِ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر:٤]؟! فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ، وَالرِّضَى بِالْآثَارِ، وَالْكَفِّ، والسُّكُوتِ.

الشَّرْح

هذا سبق بيانه والتحذير منه[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ، وَالرِّضَى بِالْآثَارِ، وَالْكَفِّ، والسُّكُوتِ)**، عليك بالتسليم لكلام الله وكلام رسوله، والكف عن الجدل والتشكيك؛ فإنك منهي عن ذلك، بل تزيد حيرة.

خذ بكلام الله، وكلام رسوله، واقتنع بذلك؛ لتهتدي، وتستريح من الوساوس والشكوك والأوهام، وتُصبح على بصيرة، فالله أنزل هذا القرآن تبيانًا لكل شيء.



(١) انظر: (ص٧٩).

وَالإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الخَلْقَ فِي النَّارِ فِي الْأَغْلالِ وَالْأَنْكَالِ وَالسَّلاسِلِ، وَالنَّارُ فِي أَجْوَافِهِمْ وَفَوْقَهُمْ وَتَحْتَهُمْ، وذَلِكَ أَنَّ الجَهْمِيَّةَ مِنْهُمْ هِشَامٌ الفُوطِيُّ[1] قَالَ: إِنَّما يُعَذِّبُ اللهُ عِنْدَ النَّارِ؛ رَدًّا عَلَى اللهِ ورَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الخَلْقَ فِي النَّارِ فِي الْأَغْلالِ وَالْأَنْكَالِ وَالسَّلاسِلِ، وَالنَّارُ فِي أَجْوَافِهِمْ وَفَوْقَهُمْ وَتَحْتَهُمْ)، الله جَلَّ وَعَلَا يُسعر النار بأجساد الكفار، فهي حطب لجهنم، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٠]، تشتعل بهم، وتتقد بأجسامهم -والعياذ بالله-: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج:١٩-٢١]، فالله ذكر أن التعذيب يقع على أبدان الكفار، وأن النار تلتهب بهم، وتشتعل بهم، ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾.

من المعتزلة من قال: إنهم لا يُعذبون، لا تشتعل النار بأجسامهم، وإنما يعذَّبون عند النار فقط، وأما أجسامهم، فلا تشتعل.

---

(١) قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هِشَامُ بنُ عَمْرٍو أَبُو مُحَمَّدٍ الفُوَطِيُّ المُعْتَزِلِيُّ، الكُوْفِيُّ، مَوْلَى بَنِي شَيْبَانَ. صَاحِبُ ذَكَاءٍ وَجِدَالٍ وَبِدْعَةٍ وَوَبَالٍ. أَخَذَ عَنْهُ: عَبَّادُ بنُ سَلْمَانَ، وَغَيْرُهُ. وَنَهَى عَنْ قَوْلِ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ»، وَقَالَ: لَا يُعَذِّبُ اللهُ كَافِرًا بِالنَّارِ، وَلَا يُحْيِي أَرْضًا بِمَطَرٍ، وَلَا يَهْدِي وَلَا يُضِلُّ. وَيَقُوْلُ: يُعَذَّبُوْنَ فِي النَّارِ، لَا بِهَا، وَيُحْيِي الأَرْض عِنْدَ المَطَرِ، لَا بِهِ، وَأَنَّ مَعْنَى: نِعْمَ الوَكِيْلُ، أَيِ: المُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٧)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٧٢٠)، ولسان الميزان (٨/ ٣٣٧).

والله جَلَّ وَعَلَا يقول في القرآن: إنهم وقود النار، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: أول من تسعر بهم النار يوم القيامة: العالم الذي لا يعمل بعلمه، والمتصدق الذي يرائي في صدقته، والمجاهد الذي يرائي بجهاده[1].

(الْأَغْلَالِ) معناه: أنه تُغل يداه إلى عنقه -والعياذ بالله!

(الْأَنْكَالِ): آلات التعذيب، ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان:٤]، ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [المزمل:١٢]، الأنكال أدوات التعذيب -والعياذ بالله-؛ سلاسل، وأغلال، وسعير.

(وَالنَّارُ فِي أَجْوَافِهِمْ وَفَوْقَهُمْ وَتَحْتَهُمْ) ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٤١].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

وَاعْلَمْ أَنَّ صَلاةَ الفَرِيضَةِ خَمْسُ صَلَوَاتٍ، لَا يُزَادُ فِيهِنَّ، وَلَا يُنْقَصُ فِي مَوَاقِيتِهَا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَانِ، إِلَّا المَغْرِبَ، فَمَنْ قَالَ: أَكْثَرُ مِنْ خَمْسٍ، فَقَدِ ابْتَدَعَ، وَمَنْ قَالَ: أَقَلُّ مِنْ خَمْسٍ، فَقَدِ ابْتَدَعَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا لِوَقْتِهَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نِسْيَانًا؛ فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ، يَأْتِي بِهَا إِذَا ذَكَرَهَا، أَوْ يَكُونَ مُسَافِرًا، فَيَجْمَعَ بَيْنَ الصَّلاتَيْنِ إِنْ شَاءَ.

الشَّرْح

شأن الصلوات الخمس شأن عظيم، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين، ومن تركها جاحدًا لوجوبها، فهو كافرٌ بإجماع المسلمين، ومن تركها تكاسلًا مع اعترافه بوجوبها، فإنه كافرٌ -على الصحيح من قولي العلماء-، والدليل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ**»، رواه مسلم[1]، وقوله: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[2]، هذا واضح، ولم يقل: من تركها جاحدًا لوجوبها، بل عمّم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أدلةٍ كثيرة، ليس هذا موضع استقصائها.

والصلوات استقرت على خمس صلوات في اليوم والليلة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن، قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ**

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي في الكبرى (١/ ١٤٥)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد في المسند (٣٨/ ٢٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٦٧)، وابن حبان (٤/ ٣٠٥)، والدارقطني في سننه (٢/ ٥٢)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٦٦)، وشعب الإيمان (١/ ٧٢) من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ...»[1]، وقد فُرضت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أمته ليلة المعراج فوق السماوات، مما يدل على أهميتها[2].

أول ما فُرضت خمسون في اليوم والليلة، ثم إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجع ربه في التخفيف، حتى جعلها الله خمسًا في العمل، وهي خمسون في الميزان؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، الصلاة الواحدة عن عشر صلوات، فهي بالمضاعفة خمسون صلاة، وأما بالعمل، فهي خمس صلوات في اليوم والليلة.

فمن قال: إن الصلوات أكثر من خمس، فهو مبتدع؛ لأنه زاد في الدين ما ليس منه، ومن قال: إنها أنقص من الخمس؛ كما تقوله طائفة من المبتدعة، وأهل الضلال إنها ثلاث.

الصلوات بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين خمس صلوات، قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الإسراء:٧٨]، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيّنها بقوله وبعمله، ولها أوقات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء:١٠٣]؛ أي: مفروضة في أوقاتٍ محددة، بيّنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله وعمله، لا يجوز إخراجها عن مواقيتها، إلا في حال العذر؛ بأن نام،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥، ١٤٩٦، ٢٤٤٨، ٤٣٤٧، ٧٣٧١، ٧٣٧٢)، ومسلم (٢٩) (١٩).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٧٨).

أو نسي حتى خرج الوقت، فإذا ذكر، أو استيقظ، يجب عليه المبادرة بالصلاة في أي وقت، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نَسِيَ صَلاةً، أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا**»(١)، وأما من تعمد إخراجها عن وقتها، فلا تصح منه ولو صلاها؛ لأنه لم يصل الصلاة التي أمره الله بها، وإنما صلى صلاةً على حسب هواه، فإذا تعمد إخراجها عن الوقت لم تُقبل منه ولو صلاها، فعليه التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والمحافظة على الصلاة.

وعدد الركعات بيَّنها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الفجر: ركعتان، والمغرب: ثلاث ركعات؛ لأنها وتر النهار، والظهر: أربع ركعات، والعصر: أربع ركعات، والعشاء: أربع ركعات.

وفي السفر: تُقصر الرباعية إلى ركعتين: الظهر والعصر والعشاء، كما جاءت بذلك السنة الثابتة عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢)، وجاء بها القرآن ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النساء:١٠١].

أما الفجر فهي باقية على ركعتين، وأما المغرب فلا تقصر لأنها وتر النهار، فلو قصرت صارت شفعًا هكذا جاءت الأحاديث في هذه الصلاة، فلا يجوز لأحد أن يتصرف فيها بزيادة أو نقص، أو إخراج عن وقتها.

---

(١) أخرجه مسلم (٣١٥) (٦٨٤) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه (٣١٤) (٦٨٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ**».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٥٠)، ومسلم (١) (٦٨٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا قَالَتْ: «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ».

وَالزَّكَاةُ مِنَ الذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ، وَالتَّمرِ، وَالحُبُوبِ، وَالدَّوَابِّ، عَلَى مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ قَسَّمَهَا، فَجَائِزٌ، وَإِنْ دَفَعَهَا إِلَى الإِمَامِ، فَجَائِزٌ -وَاللهُ أَعْلَمُ.

الشَّرْح

الركن الثالث من أركان الإسلام: الزكاة، وهي قرينة الصلاة في كثيرٍ من الآيات القرآنية.

والزكاة حقٌّ معلوم في أموال الأغنياء للفقراء.

والأموال التي تجب فيها الزكاة أربعة أنواع:

النوع الأول: النقدان -الذهب، والفضة-، وما يقوم مقامهما من الأوراق النقدية.

النوع الثاني: بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم.

النوع الثالث: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار.

النوع الرابع: عروض التجارة، وهي السِلع التي تُعرض للبيع والشراء.

هذه هي الأموال الزكوية التي تجب فيها الزكاة، وأما ما عدا هذه الأموال الأربعة، إذا أراد الإنسان أن يتصدق ويتبرع، فهذا إليه، باب الصدقة والتبرع واسع.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَإِنْ قَسَّمَهَا، فَجَائِزٌ، وَإِنْ دَفَعَهَا إِلَى الإِمَامِ، فَجَائِزٌ)**، يجب عليه إخراج الزكاة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة:٤٣]،

آتوا، أي: ادفعوها، فيجب على صاحب المال أن يدفعها، وهو المسؤول عنها، فإذا طلبها الإمام ليتولاها، فإنه يجب دفعها إليه؛ لأن طاعته واجبة، وتبرأ ذمة الدافع؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُرسل الجُباة يطلبون الزكاة من أصحابها، ويوزعها على مستحقيها، وولاة الأمور يقومون مقام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك من بعده، أما إذا لم يطلبها، فالمسؤول عنها صاحب المال.



وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ الإِسْلامِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وَأَنَّ مَا قَالَ اللهُ كَمَا قَالَ، وَلَا خُلْفَ لِمَا قَالَ، وَهُوَ عِنْدَ مَا قَالَ.

وَالإِيمَانُ بِالشَّرَائِعِ كُلِّهَا.

الشَّرْح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاعْلَمْ)** أيها المسلم، يا طالب العلم؛ أي: تحقق، وتبين أن أول الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، هما الركن الأول من أركان الإسلام؛ كما في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لما سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا»**[(١)].

فالشهادتان أول ما يُدعى إليه الناس، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»**[(٢)].

ولما أرسل معاذًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن، قال له: **«إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ»**[(٣)]،

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٣٤) (٢١).

(٣) سبق تخريجه (ص٣٠٦).

فهذا أول ما يُدعى إليه الناس؛ لأنه هو المدخل إلى دين الإسلام، أما من يتهاون بالتوحيد، ولا يهتم به -من أصحاب الدعوات، أو المناهج الدعوية المعاصرة-، فهذا مخالفٌ لهذا الأصل العظيم، وليس المقصود من الشهادتين التلفظ بهما فقط، ولكن المقصود التلفظ بهما مع معرفة معناهما، والعمل بمقتضاهما، لكن من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإنه يُقبل منه، فإن استقام عليهما، فهو المسلم، وإن ظهر منه ما يناقضهما، فإنه يكون مرتدًّا.

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: أن تعتقد بقلبك، وأن تنطق بلسانك، وتُقر وتعترف بأنه لا يستحق العبادة إلا الله، وأن كل معبودٍ سواه، فهو باطل، وعبادته باطلة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: أن تعترف ظاهرًا وباطنًا بأنه رسول الله، أما من ينطق بلسانه، وهو لا يعترف في باطنه برسالته، فهذا منافق، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٧].

فيتلخص معنى شهادة أن محمدًا رسول الله في: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع.

طاعته فيما أمر: فإذا أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر، فإنك تمتثله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

تصديقه فيما أخبر: أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أشياء من أمور الغيب الماضية والمستقبلة، فيُصدق فيما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وهو لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤]؛ فأخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدق ويقين، لا يتطرق إليها شك إذا صحت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واجتناب ما نهى عنه وزجر: اجتناب ما نهى عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزجر عنه، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

وألا يُعبد الله إلا بما شرع: ما شرعه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبلغًا عن الله جَلَّ وَعَلَا، وهذا ينفي البدع والمحدثات والخرافات، التي لم يأمر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٣).

وكل عبادة لم يشرعها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي باطلة، ولا ثواب فيها، بل فيها الإثم؛ لأنها بدعة، والبدعة تُبعد عن الله، ولا تقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).
(٢) سبق تخريجه (ص٣٧).
(٣) سبق تخريجه (ص٣٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ الإِسْلامِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ)**، هذا الركن الأول، وهو المدخل، ثم يأتي بعده الصلاة، ثم يأتي بعده الزكاة، ثم صوم رمضان، ثم حج بيت الله الحرام، ثم بقية شرائع الدين كلها تابعة للشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَنَّ مَا قَالَ اللهُ كَمَا قَالَ، وَلَا خُلْفَ لِمَا قَالَ، وَهُوَ عِنْدَ مَا قَالَ)**، ما قال الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه كما قال، لا يتطرق إليه شك أبدًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢]؛ أي: لا أحد أصدق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإذا وعد سبحانه وعدًا، فإنه لا يُخلفه: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٦]، فإذا وعد، فإنه لا يُخلف وعده، وإذا توعد، فقد يعفو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فرقٌ بين الوعد والتوعد؛ الوعد: لا يتخلف أبدًا، وأما التوعد: فالله جَلَّ وَعَلَا قد يعفو، ويسمح، وقد لا يوقع الوعيد؛ رحمةً منه سبحانه، وفضلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالإِيمَانُ بِالشَّرَائِعِ كُلِّهَا)**، يجب الإيمان بالشرائع التي أنزلها الله على رسله كلها إجمالًا في الإجمال، وتفصيلًا في التفصيل: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦]، ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٤]، فنحن نؤمن بالشرائع الإلهية جميعها، ونؤمن بأن

الله جَلَّوَعَلَا يشرع لكل وقتٍ ما يناسبه، ثم ينسخ ذلك بشريعةٍ أخرى تناسب الذين جاؤوا من بعد، فلما بُعث محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، جاء بشريعةٍ راسخة إلى أن تقوم الساعة، لا تُنسخ ولا تُغير أبدًا، صالحة لكل زمان ومكان.



وَاعْلَمْ أَنَّ الشِّرَاءَ وَالْبَيْعَ حَلالٌ، إِذَا بِيعَ فِي أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ، عَلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْخُلَهُ تَغْرِيرٌ، أَوْ ظُلْمٌ، أَوْ غَدْرٌ، أَوْ خِلافٌ لِلْقُرْآنِ، أَوْ خِلافٌ لِلْعِلْمِ.

الشَّرْح

نعتقد أن البيع والشراء حلال، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة:٢٧٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء:٢٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: اطلبوا الرزق، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:٩-١٠]، وقال في المساجد: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٦-٣٧]، لا تلهيهم، لم يقل: لا يبيعون ويتاجرون، بل قال: لا تلهيهم تجارتهم عن ذكر الله، بل يحضرون إلى المساجد، ويصلون مع الجماعة، ثم ينصرفون إلى بيعهم وشرائهم.

والبيع والشراء من أطيب المكاسب، إذا سلما من الغش ومن الخديعة، وسلما من بيع المواد المحرمة، والتعامل الحرام، والربا، فإذا سلم البيع والشراء من المفسدات، فإنهما من أطيب المكاسب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِذَا بِيعَ فِي أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ**)، ما يُجلب في أسواق المسلمين، فلا تسأل عنه؛ لأن الأصل الإباحة، إلا إذا علمت أنه محرم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عَلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**)؛ بأن تتوفر شروط البيع المعروفة، وإذا توفرت شروط البيع السبعة المعروفة[1]، فالبيع صحيح، وما يباع، فإنه حلال، والأصل أن أسواق المسلمين قائمة على ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْخُلَهُ تَغْرِيرٌ، أَوْ ظُلْمٌ، أَوْ غَدْرٌ**)، أما إذا دخل في البيع تغرير، وجهالة، ومخاطرة، فإنه حرام؛ لأنه يُصبح من القمار، أو من الخداع؛ بأن يُظهر شيئًا غير حقيقي، يُظهر السلعة بمظهر غير حقيقي، وهذا ما يُسمى بالتدليس، وهو: إظهار السلع بمظهرٍ يُعجب الناظر إليها، وهي في الباطن بخلافه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَوْ ظُلْمٌ**)؛ بأن يباع قهرًا على صاحبه، بأن يُجبر على البيع، إنما البيع عن تراض، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ**»[2]، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ﴾ [النساء:٢٩]، فيُشترط لصحة البيع رضى البائع، أن يكون بعد اختياره، لا مجبرًا على ذلك؛ لأن إجباره ظلم، إلا إذا كان إجباره بحق؛ كأن يكون عليه ديون، وأبى أن يسدد، فإن الحاكم يتدخل، فيبيع من ماله ما يسدد به ديونه، ولو لم يرض بذلك؛ لأن هذا إكراهٌ بحق، ولهذا قالوا: لا يصح بيع المُكره إلا بحق.



(١) انظر: الإقناع (٢/ ٥٧)، والمقنع (ص١٥١)، والممتع في شرح المقنع (٢/ ٣٧٦)، والشرح الكبير (١١/ ١٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢١٨٥)، وابن حبان (١١/ ٣٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلعَبْدِ أَنْ تَصْحَبَهُ الشَّفَقَةُ أَبَدًا مَا صَحِبَ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي عَلَى مَا يَمُوتُ، وَبِمَا يُخْتَمُ لَهُ، وَعَلَى مَا يَلْقَى اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وَإِنْ عَمِلَ كُلَّ عَمَلٍ مِنَ الخَيْرِ، وَيَنْبَغِي لِلرَّجُلِ المُسْرِفِ عَلَى نَفْسِه أَلَا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ عِنْدَ المَوْتِ، وَيُحْسِنَ ظَنَّهُ باللهِ، وَيَخَافَ ذُنُوبَهُ، فَإِنْ رَحِمَهُ اللهُ، فَبِفَضْلٍ، وَإِنْ عَذَّبَهُ، فَبِذَنْبٍ.

الشَّرْح

هذه مسألة عظيمة، وهي: أن المؤمن يجمع بين الخوف والرجاء، فيسير في أعماله بين الخوف والرجاء، فلا يخاف فقط ويقنط من رحمة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٣]، فلا يخاف خوفًا زائدًا يقنطه من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا خوفٌ مذموم، وكذلك يرجو الله عَزَّوَجَلَّ، لكن لا يُخرجه الرجاء إلى أن يأمن من مكر الله، بل يكون خائفًا من مكر الله، ومكر الله جَلَّوَعَلَا يليق به، وهو من كماله، ليس هو كمكر المخلوق، المكر في اللغة: هو إيصال الأذى إلى الغير بخفية؛ بحيث لا يشعر بذلك[1]، فإذا كان هذا بحق، فإنه عدل، وهذا هو مكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فإنه يمكر بالظالمين والفاسقين، فيوصل إليهم العقوبة من حيث لا يشعرون، وهذا عدلٌ منه سبحانه، يُحمد عليه.

---

(١) انظر: العين (٥/ ٣٧٠)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٣٥)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٤٥).

أما إذا كان إيصال الأذى إلى الغير بغير حق، فهذا ظلم، ولا يجوز، وهذا هو مكر المخلوقين، أما مكر الخالق جَلَّوَعَلَا، فهو محمود؛ لأنه عدلٌ وقسطٌ منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهذا فرق بين الأمرين: بين مكر الله، ومكر المخلوق، ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:٥٤]، هذا من باب الجزاء لهم، فهو ليس ظلمًا منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإنما هو مرتبٌ على مكرهم؛ مكروا، ومكر الله بهم؛ عقوبة لهم، وهذا عدلٌ منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وفي الحديث: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا**»، يدخل النار بسبب أنه عمل بعمل أهل النار، والجزاء مرتبٌ على العمل، ولما كانت خاتمته أنه يعمل عمل أهل النار، دخل النار، والعكس: «**وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا**»[1]، يدخلها بأنه عمل بعمل أهل الجنة، ومات عليه، فالنار لا تُدخل إلا بعمل، والجنة لا تُدخل إلا بعمل، والأعمال بالخواتيم.

فلا يغتر الإنسان بصلاحه واستقامته، ويأمن من الزيغ، كم زاغ من مؤمن، ومن مسلم، ومن عالم، الله جَلَّوَعَلَا أزاغهم، لما حصل منهم ما حصل من المخالفات، فلا يأمن الإنسان على نفسه، ويزكي نفسه، فلا يأمن من الزيغ، ويخالط الأشرار، ويستمع إليهم، وينظر في الفتن، لا يأمن على نفسه؛ «**قُلُوبَ**

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (١) (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

العِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»[1]، لا يأمن على نفسه، والخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦]، فالإنسان لا يأمن على نفسه الفتنة وسوء الخاتمة، ولو كان من أصلح الناس، ولا يقنط من رحمة الله، ولو كان من أكفر الناس، فقد يمن الله عليه بالتوبة، فيموت على الإسلام، فيدخل الجنة؛ لأنه ما دام على قيد الحياة، فإنه معرَّض لهذا وهذا، فالأعمال بالخواتيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَيُحْسِنَ ظَنَّهُ بِاللهِ، وَيَخَافَ ذُنُوبَهُ)، يحسن ظنه بالله، ولا يقنط من رحمة الله.

(وَيَخَافَ ذُنُوبَهُ)؛ يعني: لا يرجو رجاءً ليس معه خوف، بل يجمع بين الخوف والرجاء، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠]، هؤلاء أنبياء، وكانوا يسارعون في الخيرات، ويدعون الله رغبًا -يعني: طمعًا في ثوابه-، ورهبًا -يعني: خوفًا من عقابه-، فالأنبياء يجمعون بين الخوف والرجاء، لا يأخذون جانبًا، ويتركون الجانب الآخر، لا يأخذون جانب الرجاء، ويتركون جانب الخوف، ولا يأخذون جانب الخوف، ويتركون جانب الرجاء.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧) (٢٦٥٤) عن عَبْد اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**».

ويُحسن العبد ظنه بالله، خصوصًا عند الموت، قال العلماء: إنه في حال الصحة يُغلب جانب الخوف احتياطًا، وعند الموت يغلب جانب الرجاء؛ لأنه في حال الحياة يقدر على العمل والتوبة والاستغفار، لكن عند الموت لا يقدر على شيء، فيُغلِّب جانب الرجاء، ولهذا جاء في الحديث: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ**»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنْ رَحِمَهُ اللهُ، فَبِفَضْلٍ، وَإِنْ عَذَّبَهُ، فَبِذَنْبٍ**)، هذا كما سبق أن الله جَلَّوَعَلَا لا يُنعم الناس، ولا يعذبهم إلا على أعمالهم: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].



(١) أخرجه مسلم (٨٢) (٢٨٧٧) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَطْلَعَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

الشَّرْح

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الغيب، ولا أحد من المخلوقين يعلم الغيب، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، والغيب: ما غاب عنَّا في الماضي وفي المستقبل، نحن لا نعلمه، لكن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يُطلعهم الله على شيء من الغيب؛ لأجل مصلحة الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومنهم: نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد أطلعه الله على شيء من المغيبات، فأخبر بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأجل مصلحة الأمة، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦-٢٧]، ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾؛ أي: فإن الله يُطلعه على ما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مثلًا: كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمشي مع أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فمروا بقبرين، قال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ**»(١)، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما شعروا أن صاحبي

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (١١١) (٢٩٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: **إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**. ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: **لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**».

هذين القبرين يعذبان، الله أطلع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تعذيب الميتين، قال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ**»، هذا مما أطلعه الله عليه، وهذا من خصائص الرسل -عليهم الصلاة والسلام.

وأطلعه الله على ما يأتي في المستقبل، وأخبرنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أشراط الساعة، أخبرنا عن الفتن؛ من أجل أن نحذر، ونخاف أن تدركنا هذه الأمور، فنكون على بينة، وأخبرنا لمصلحتنا، من ناحية التحذير؛ لأجل أن نأخذ حذرنا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**»[1]، هذا خبر منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سيحصل افتراق في الأمة، وحصل كما أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل أن نثبت على الحق، ولا نذهب مع المخالفين.



(١) سبق تخريجه (ص٤٥).

وَاعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ»، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»(١).

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَاعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ»)، الله جَلَّ وَعَلَا أمرنا بالاجتماع على الحق: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩]، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥]، فنهانا عن التفرق، وأمرنا بالاجتماع، والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله، فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فلا يجوز التفرق والاختلاف تبعًا للأهواء، أو تقليدًا للآباء والأجداد، أو تقليدًا لليهود والنصارى، الاختلاف لا يجوز في أمور العقيدة وأصول الدين، وإنما يجب الاتفاق والاجتماع عليها.

وأما الاختلاف في المسائل الفقهية، فهذا يحصل، لكن يجب الرجوع إلى ما قام عليه الدليل من الأقوال، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ

(١) سبق تخريجه (ص٤٥).

إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]، إذًا: الاختلاف في العقيدة لا يجوز؛ لأن العقيدة توقيفية، ليست محل اجتهاد.

وأما في مسائل الفقه والاستنباط، فكلٌّ يجتهد، ويستنبط من أهل العلم المؤهلين للاجتهاد، وقد يختلفون في وجهات نظرهم، ولكن لا يبقون على الاختلاف، بل يرجعون إلى كتاب الله وسنة رسوله، فمن كان معه الدليل، تبعوه، وأخذوا بقوله، وتركوا رأيهم، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا الذي أرشدنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، أما أن نقول: اتركوا الناس، كلٌّ يأخذ برأيه، واختلاف الأمة رحمة. كما يقولون! فنقول: هذا باطل، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود:١١٨-١١٩]، فدل قوله: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ على أن الذين رحمهم الله لم يختلفوا، وعلى أن الاختلاف عذاب، وليس رحمة، الرحمة للذين لم يختلفوا، وإن اختلفوا، رجعوا إلى الكتاب والسنة، فأخذوا بالصحيح، وتركوا الخطأ، هذه طريقة أهل السنة والجماعة، أما أن يبقى كل على رأيه، وما قال به فلان وفلان، فليست هذه طريقة المسلمين، هذه طريقة أهل الأهواء والشهوات، يتلمسون ما يوافق أهواءهم من الأقوال، ويوافق رغبتهم، وأما ما يخالف رغبتهم، فيتركونه، ولو قال به الإمام الذي يأخذون بقوله؛ يعني: لا يأخذون من أقوال الأئمة والعلماء إلا ما يوافق رغباتهم، أما ما يخالف رغباتهم، فإنهم يرفضونه.

فهذا دليل على أنهم يتبعون أهواءهم، وما وافق هواهم، أخذوا به، وما خالف هواهم، تركوه -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، وهذا هو الذي ينادى

به الآن في الصحف، والمجلات، والندوات، والمؤتمرات -في الغالب-، وفي الفضائيات، يروجون الخلاف، ويقولون: نوسع للناس. بماذا نوسع للناس؟! بترك الكتاب والسنة؟! والذهاب مع الأقوال التي أهلها ليسوا معصومين، يُخطئون، ويصيبون، وهم ينهوننا أن نأخذ من أقوالهم، إلا ما وافق الدليل، هم ينهوننا عن أخذ أقوالهم، إذا خالفت الدليل، فهذا أمرٌ يجب معرفته؛ لأن الناس اليوم ابتلوا بهؤلاء الذين يلبسون على الناس.

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ**: «**سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»)، هذا الحديث صحيح بمجموع طرقه، ورواياته الكثيرة، قد خرجه الأئمة، وأثنوا عليه، والواقع يصدقه؛ حيث أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذه الأمة المحمدية ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، وهذه أصول الفرق، وهناك أكثر من هذه الفرق، لكن هذه أصولها، كلها في النار؛ يعني: اثنتين وسبعين كلها في النار، إلا واحدة، وهي الثالثة والسبعون، وهي من كان على مثل ما كان عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فهذه ناجية من النار؛ ولذا تُسمى الفرقة الناجية، ويسمون أهل السنة والجماعة، وما عداهم، فهم مخالفون، ومتوعدون بالنار، فمنهم من يدخل النار لكفره، ومنهم من يدخل النار لفسقه، ومنهم من يدخل النار لمعصيته، ليسوا سواء في دخولهم النار، فلايؤخذ من هذا الحديث أن هذه الفرق كلها كافرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهِيَ الجَمَاعَةُ**)، الجماعة: من كان على الحق، ولو كان واحدًا، هذا هو الجماعة، أما الكثرة وحدها، فلا تدل على الحق، قال

تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٠٢]، فليست العبرة بالكثرة، العبرة بمن كان على الحق، ولو كانوا قليلين، ولو كان واحدًا، فهو الجماعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («**قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي)**»، هذا هو الطريق الصحيح، من كان على ما عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فهو الجماعة.



هَكَذا كَانَ الدِّينُ إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ الجَمَاعَةُ كُلُّهَا، وَهَكَذا فِي زَمَنِ عُثْمَانَ، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ، جَاءَ الاخْتِلَافُ وَالبِدَعُ، وَصَارَ النَّاسُ أحزابًا، وَصَارَوا فِرَقًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ ثَبَتَ عَلَى الحَقِّ عِنْدَ أَوَّلِ التَغْيِيرِ، وَقَالَ بِهِ، وَعَمِلَ بِهِ، وَدَعَا الناس إِلَيْهِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هَكَذا كَانَ الدِّينُ إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الجَمَاعَةُ كُلُّهَا، وَهَكَذا فِي زَمَنِ عُثْمَانَ)، في حياة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين كان المخالفون مختفين مندسين بين الناس -كالقدرية[1]، وغيرهم-؛ وذلك لقوة الإسلام وقوة المسلمين، إلى أن دسَّ اليهود رجلًا يهوديًّا من اليمن، يقال له: ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليهودي[2]، فجاء إلى المدينة، وأظهر

(١) القدرية هم نفاة القدر القائلون بأن العبد يخلق فعل نفسه، وليس لله فيه إرادة ولا خلق ولا مشيئة، فأنكروا عموم المشيئة والخلق. قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص٤٩٣): (والقدرية نفاة القدر جعلوا خالقين مع الله تعالى؛ ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس...) اهـ. ويُطلق اسم القدرية على الغلاة في القدر. انظر: الفرق بين الفرق (ص١١٢، ٢٤١)، ومجموع الفتاوى (٨/ ٧- ٥٨)، والصفدية (١/ ٥٠)، ودرء التعارض (١/ ٣٧١ -٣٧٤).

(٢) هو عبد الله بن سبأ الذي يُنسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من أهل اليمن، كان يهوديًّا وأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر، وكان يقول لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنت الإله، فنفاه إلى المدائن، فلما قُتل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ زعم عبد الله بن سبأ أنه لم يمت، وأن ابن ملجم إنما قتل شيطانًا تصور بصورة علي، وأن عليًّا في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه ينزل إلى الأرض ويملؤها عدلًا، وأتباعه حين يسمعون صوت الرعد يقولون: السلام عليك يا أمير المؤمنين!! انظر: تاريخ دمشق (٢٩/ ٣)، ووفيات الأعيان (٤/ ٣١٠)، والوافي بالوفيات (١٧/ ١٠٠)، والتعريفات (ص١٥٥).

الإسلام في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجعل يسب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المجالس؛ لأنه ادعى الإسلام خدعة، ثم أخذ ينفث سمومه في المجالس، ويحضره السفهاء، والأوغاد، والجهال، وبعض الناس، أو كثير من الناس يهوون السب، والقيل والقال، فاجتمعوا عليه، ولما فُطن له، وطُرد من المدينة، ذهب إلى مصر، ووجد قرية في مصر مشهورة بالشقاق، فانغمس فيها، ونشر سمومه فيها، وسب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم في النهاية تكون منهم عصابة معها سلاح وقوة، فجاؤوا إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعترضون عليه، ويخطؤونه، فعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أجابهم، ودحض شبههم، ثم رجعوا، ثم تلاوموا في الطريق، وقالوا: ما عملنا شيئًا، ثم رجعوا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحاصروه في بيته، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أرادوا أن يدافعوا عن الخليفة، ولكن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نهى عن ذلك؛ خشية الفتنة، وخشية سفك الدماء، نهاهم عن ذلك، على أمل أن المسألة فيها محاورة ومراجعة، يريد أن يقنعهم، لكنهم لما رأوا أنهم لم يدركوا شيئًا بالحجة، قفزوا عليه بالليل والناس نيام، وقتلوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رأوا أن شبهاتهم داحضة، ولا قبول لها. انتهزوا الفرصة في غفلة، وأغلب الناس في الحج، والناس في المدينة كانوا نائمين وآمنين على أن المسألة محاورة ومراجعة، قفزوا عليه في الليل -قبحهم الله- في بيته، وقتلوه شهيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يتلو القرآن، ومعه مصحف، حتى سال دمه على المصحف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فحينئذٍ حدثت الفتنة، وادعى هذا الخبيث أن الخلافة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنها ليست لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإنما هي لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأن

عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو وصي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن هؤلاء ظلموا الخلافة، وأخذوها اغتصابًا من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والعجيب أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما ادَّعى هذا، ولا طالب بالخلافة، ولا قال: أنا أحق بها، بل كان مبايعًا وسامعًا ومطيعًا لإخوانه الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا، عند ذلك حصلت الفتنة بين المسلمين، وحصل القتال بين المسلمين بسبب هذا الخبيث الذي اندس في صفوف المسلمين، ولكن الله خيّب ظنه، صحيح أنه حصل على المسلمين محنة؛ قُتل منهم من قُتل، لكنه ما عُمل شيء بالإسلام، الإسلام -ولله الحمد- بقي عزيزًا وقائمًا، لم ينل منه شيئًا، وما أدرك هو واليهود شيئًا من هذا الدين -والحمد لله.

نعم، حصل على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعض المصيبة، والفتنة، والقتل، لكن هذا في سبيل الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، ولم يحصل هذا الخبيث على طائل -والحمد لله.

هذا ملخص قضية الفتنة بمقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا مما يدل على أنه لايجوز الخروج على ولي الأمر، وأن الخروج عليه يسبب شرًّا في الأمة، وسفك دماء، ولا يزال الناس في فتن من ذلك العهد، وأنتم تعلمون دعاة الفتنة، الذين يدعون إلى الفتنة، والخروج على ولاة الأمور، وبحجة إنكار المنكر ظهرت المعتزلة والخوارج، كلهم من هذا الباب، ولا تزال إلى الآن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **جَاءَ الاخْتِلَافُ وَالبِدَعُ)**، يجب الحذر من دعاة الضلال، ولا يُتساهل في أمرهم، وأنه لا يجوز الكلام في

ولاة الأمور، ولهذا أوصى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسمع والطاعة، وعدم الخروج على ولاة الأمور، وإن جاروا، وإن ظلموا، وإن فسقوا، ما لم يصلوا إلى حد الكفر الصريح، هكذا أوصانا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَصَارَ النَّاسُ فِرَقًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ ثَبَتَ عَلَى الحَقِّ عِنْدَ أَوَّلِ التَغْيِيرِ، وَقَالَ بِهِ، وَعَمِلَ بِهِ، وَدَعَا إِلَيْهِ)**، لما حصلت الفرق والاختلاف، ثبَّت الله أهل الحق على الحق والسنة، وساروا على ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والفِرق الأخرى خالفت ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فاستحقوا الوعيد بالنار؛ بحسب ما حصل منهم.



فَكَانَ الأَمْرُ مُسْتَقِيمًا، حَتَّى كَانَتِ الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ فِي خِلافَةِ بَنِي فُلَانٍ، انْقَلَبَ الزَّمَانُ، وَتَغَيَّرَ النَّاسُ جِدًّا، وَفَشَتِ البِدَعُ، وَكَثُرَ الدُّعَاةُ إِلى غَيْرِ سَبِيلِ الحَقِّ وَالجَمَاعَةِ، وَوَقَعَتِ المِحْنَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ. وَدَعَوْا إِلى الفُرْقَةِ، وَقَدْ نَهَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنِ الفُرْقَةِ، وَكَفَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَكُلٌّ دَعَا إِلَى رَأْيِهِ وَإِلَى تَكْفِيرِ مَنْ خَالَفَهُ، فَضَلَّ الجُهَّالُ وَالرِّعَاعُ وَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، وَأَطْمَعُوا النَّاسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَخَوَّفُوهُمْ عِقَابَ الدُّنْيَا، فَاتَّبَعَهُمُ الخَلْقُ عَلَى خَوْفٍ فِي دِينِهِمْ وَرَغْبَةً فِي دُنْيَاهُمْ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَكَانَ الأَمْرُ مُسْتَقِيمًا، حَتَّى كَانَتِ الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ فِي خِلافَةِ بَنِي فُلَانٍ، انْقَلَبَ الزَّمَانُ، وَتَغَيَّرَ النَّاسُ جِدًّا، وَفَشَتِ البِدَعُ**)، زاد الخلاف، وزادت الفتن بعد انقضاء القرون المفضلة، حتى جاء عهد العباسيين، وظهر فيهم المأمون العباسي، وتبعهم المعتصم، والواثق، وأخذوا بقول الجهمية، وأرادوا أن يُجبروا أهل السنة عليه، وهو القول بخلق القرآن، وقتلوا بعض الأئمة، وضربوا البعض الآخر، ولكن الحق ثابت -ولله الحمد-، لا يتزحزح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَكَثُرَ الدُّعَاةُ إِلى غَيْرِ سَبِيلِ الحَقِّ وَالجَمَاعَةِ**)، كثير الآن من يقولون: إنهم دعاة. ويُكونون جماعات وفرقًا تحت هذا الغطاء، وهم يريدون دعوة الناس إلى الضلال، إلا من رحم الله ممن استقام على دعوة الكتاب والسنة ومنهج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعوته، فهذا على حق، وهذه

هي الدعوة الحق، ما كل من تسمى بالدعوة يكون صحيحًا، حتى يُنظر في منهجه الذي يسير عليه، فإن كان يسير على ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإنه داعية إلى حق، وإن كان مخالفًا لما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منهج الدعوة، فهو على باطل، ولايُغتر بقوله: إنه من الدعاة. هناك دعاة على أبواب جهنم، من أطاعهم، قذفوه فيها؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]، ولهذا قال المؤلف: (وَكَثُرَ الدُّعَاةُ إِلَى غَيْرِ سَبِيلِ الحَقِّ وَالجَمَاعَةِ)؛ كما هو واقع الآن، كثير يزعمون أنهم يدعون إلى الإسلام تحت هذا الغطاء، وإذا نُظر في منهجهم وتصرفاتهم، وُجدت مخالفة للإسلام تمامًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَوَقَعَتِ المِحْنَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَلَا أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)، كثر الكلام والاختلاف، والقيل والقال، ودعوى العلم، ولكن كل هذا يضمحل، ويبقى ما دلَّ عليه الكتاب والسنة، وهو المنهج السليم والصراط المستقيم، لكن هذا يحتاج إلى أمرين:

أولًا: العلم النافع: الذي تعرف به ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

ثانيًا: الصبر والثبات، ولا تتزحزح مع الفتن، أو مع دعاة الضلال، بل تكون ثابتًا، وتصبر على ما أصابك من اللوم والعتاب أو التهديد، ما

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (٥١) (١٨٤٧) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «...قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: **هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**...».

دمت على الحق، تصبر: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان:١٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَدَعَوْا إِلَى الْفُرْقَةِ وَقَدْ نَهَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنِ الْفُرْقَةِ)**، نهى الله عن الفرقة، فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران:١٠٥]، ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة:٤]، فهم افترقوا لا عن جهل، وإنما عن علم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكَفَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا)**، صارت الفرق يُكفر بعضهم بعضًا، هذه سمة ظاهرة عليهم، وهذا دليل على أنهم على باطل كلهم، أما أهل الحق وأهل السنة، فلا يُكفر بعضهم بعضًا، وإنما يوالي بعضهم بعضًا، ويحب بعضهم بعضًا، ويتعاضدون، ويتناصحون، وكذلك لا يكفرون الفرق الأخرى، إلا من دل الكتاب والسنة على كفره، وإلا فهم معتدلون في مسألة التكفير، لا يكفرون إلا ما قام الدليل على كفره، ولا يستعجلون هذا الأمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكُلٌّ دَعَا إِلَى رَأْيِهِ وَإِلَى تَكْفِيرِ مَنْ خَالَفَهُ)**، هذه سمة أهل الضلال، قال تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٣]، ﴿ زُبُرًا ﴾؛ يعني: كتبًا، يؤلفون كتبًا، وهذا واقع، يؤلفون الكتب لنصرة مذهبهم وحزبهم، ويفرحون بما هم عليه، هم لو كانوا على جهل، لرُجي أنهم يرجعون، لكن هم فرحون بما هم عليه من الباطل، ويعتقدونه حقًّا، وهذه عقوبة من الله لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَضَلَّ الجُهَّالُ وَالرِّعَاعُ وَمَنْ لَا عِلْمَ عنده)**، ضللوا الجهال والرعاع ومن لا علم لهم، أما أهل الحق وأهل العلم، فإنهم لا يتأثرون بهذه الفرق وهذه الضلالات؛ لأنهم يعرفون أنها باطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَطْمَعُوا النَّاسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَخَوَّفُوهُمْ عِقَابَ الدُّنْيَا)**، كذلك من أسباب فتنتهم: أنهم يعطون أتباعهم شيئًا من الطمع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَاتَّبَعَهُمُ الخَلْقُ عَلَى خَوْفٍ فِي دِينِهِمْ وَرَغْبَةً فِي دُنْيَاهُمْ)**، كثير من الناس يحبون الدنيا، فيتبعون من يبذل شيئًا من المال، ولو كان على باطل؛ طمعًا في المال.



فَصَارَتِ السُّنَّةُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ مَكْتُومِينَ، وَظَهَرَتِ الْبِدْعَةُ، وَفَشَتْ، وَكَفَرُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى، وَوَضَعُوا الْقِيَاسَ، وَحَمَلُوا قُدْرَةَ الرَّبِّ وَآيَاتِهِ وَأَحْكَامَهُ، وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ عَلَى عُقُولِهِمْ وَآرَائِهِمْ، فَمَا وَافَقَ عُقُولَهُمْ، قَبِلُوهُ، وَمَا خَالَفَ عُقُولَهُمْ، رَدُّوهُ، فَصَارَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَالسُّنَّةُ غَرِيبَةً، وَأَهْلُ السُّنَّةِ غُرَبَاءَ فِي جَوْفِ دِيَارِهِمْ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَصَارَتِ السُّنَّةُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ مَكْتُومِينَ وَظَهَرَتِ الْبِدْعَةُ وَفَشَتْ**)، بعد أن كان أهل السنة ظاهرين في القرون المفضلة، وأهل الشر مكبوتين، انقلب الأمر، وصار أهل السنة مكبوتين، وأهل الباطل ظاهرين، لكن هذا لا يدوم، وإن ظهر أهل الباطل في فترة، فسينحطون في المستقبل، ويتكسرون في المستقبل، والعاقبة للمتقين دائمًا وأبدًا، والإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:

وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُمْتَحَنٌ فَلا تَعْجَبْ فَهَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ[1]

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَوَضَعُوا الْقِيَاسَ**)، القياس يعني في العقيدة؛ لأن العقيدة ليس فيها قياس؛ لأنها توقيفية، لا يُعمل إلا بما دل عليه الدليل، ولا يُقاس في العقائد، القياس إنما هو في الفقه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَحَمَلُوا قُدْرَةَ الرَّبِّ وَآيَاتِهِ وَأَحْكَامَهُ وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ عَلَى عُقُولِهِمْ وَآرَائِهِمْ**)، هذا هو القياس الباطل، القياس في حق الله جَلَّ وَعَلَا الذي

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ١٢٤).

لا تتصوره عقولهم وآراؤهم، فإنهم يردون بقياس عقولهم كلام الله وكلام رسوله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَمَا وَافَقَ عُقُولَهُمْ قَبِلُوهُ وَمَا خَالَفَ عُقُولَهُمْ رَدُّوهُ)**، يحكمون عقولهم وآراءهم، فما خالفها، ردوه؛ إما بالتأويل، وإما بالرفض وعدم القبول.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَصَارَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَالسُّنَّةُ غَرِيبَةً وَأَهْلُ السُّنَّةِ غُرَبَاءَ فِي جَوْفِ دِيَارِهِمْ)**؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى للغُرَبَاءِ**»(١)، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ**»(٢)، وفي رواية: «**طُوبَى للغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي**»(٣)، يصلحون بأنفسهم، ويصلحون ما أفسد الناس، هؤلاء هم الغرباء، لماذا سموا غرباء؟ لأن من يخالفهم كثير، ومن ينكر عليهم كثير، فهم غرباء بين مواطنيهم ومعاصريهم.



---

(١) أخرجه مسلم (١٣٢) (١٤٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده (٢٤/ ٢٣٧) من حديث عبد الرحمن بن سَنَّة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي إسناده إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة. قال الحافظ: (هو واهٍ)، وقال البخاري: (حديثه ليس بقائم). انظر: تعجيل المنفعة (١/ ٨٠٠)، ومجمع الزوائد (٧/ ٢٨٧).

وأخرجه الطبراني في الكبير (٥٨٦٧) من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، وقال: (هذا حديث حسن صحيح).

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُتْعَةَ -مُتْعَةَ النِّسَاءِ- وَالاسْتِحْلالَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الشَّرْح

هذه مسألة فقهية، ولكن أتى بها؛ لأن لها تعلقًا بالعقيدة؛ لأن المتعة تحليل لما حرم الله عَزَّوَجَلَّ، والمتعة معناها: أن يتزوج امرأة مدة محددة -طويلة أو قصيرة-، وبعدها ينتهي الزواج تلقائيًا، ولا يحتاج إلى طلاق؛ كانت المتعة جائزة أول الإسلام، ثم حرمها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة خيبر(١)، ثم أباحها يوم فتح مكة، ثم حرمها تحريمًا مؤبدًا(٢)، فهي أولاً كانت حلالاً، ثم حُرمت، ثم أُبيحت، ثم حُرمت إلى الأبد، وأجمع المسلمون على تحريمها، وأنها نكاح باطل، وإجماع الأمة على تحريمها لم يخالف فيها إلا الشيعة الجعفرية الرافضة، هم الذين خالفوا فيها، وخلافهم لا عبرة به، ولا قيمة له، فالإجماع والنص على تحريم المتعة، وهي نكاح باطل، ولها حكم الزنى.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٦)، ومسلم (٢٩) (١٤٠٧) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ الحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ».

(٢) أخرجه مسلم (٢١) (١٤٠٦) عن سَبْرَة الْجُهَنِيُّ، أَنَّ أَبَاهُ، حَدَّثَهُ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ، وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا**».

وأخرجه مسلم (٢٢) (١٤٠٦) بلفظ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُتْعَةِ عَامَ الْفَتْحِ، حِينَ دَخَلْنَا مَكَّةَ، ثُمَّ لَمْ نَخْرُجْ مِنْهَا حَتَّى نَهَانَا عَنْهَا».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْمُتْعَةَ -مُتْعَةَ النِّسَاءِ**)، يخرج بذلك متعة الحج؛ أن يتمتع بالعمرة إلى الحج، ليست هذه هي المراد، التمتع عليه جمهور أهل العلم، لم يخالف فيه إلا عدد قليل، أما متعة النساء، فهي محرمة بالإجماع، لم يخالف فيه أحد يعتد بخلافه، والمتعة في الحج مسألة فقهية، أما المتعة في النكاح، فهي مسألة تتعلق بالعقيدة؛ لأنها استحلال لما حرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَاعْرِفْ لِبَنِي هَاشِمٍ فَضْلَهُمْ؛ لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاعْرِفْ فَضْلَ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ وَجَمِيعِ الْأَفْخَاذِ، فَاعْرِفْ قَدْرَهُمْ وَحُقُوقَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ، وَتَعْرِف لِسَائِرِ النَّاسِ حَقَّهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**لِبَنِي هَاشِمٍ**)؛ بنو هاشم بن عبد مناف؛ لأن عبد مناف له أولاد، هم: هاشم جد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعبد شمس جد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونوفل بن عبد مناف جد حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والمطلب ابن عبد مناف جد بني المطلب، هؤلاء هم أولاد عبد مناف، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث في بني هاشم بن عبد مناف، فهو هاشمي قرشي، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[1]، فهؤلاء هم قرابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بني هاشم، هؤلاء هم القرابة الذين لهم حق على المسلمين، تحرم عليهم الصدقة، وتُباح لهم الهدية، أما غير المؤمنين، فلا قيمة لهم، ولو كانوا من بني هاشم، إنما إذا اجتمع القرابة مع الإيمان، فلاشك أنهم يمتازون على غيرهم، ولهم حق الإكرام، والتوقير، والاحترام، والتقديم؛ لأن هذا من توقير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما إذا لم يكونوا مؤمنين، غاية ما هناك أنهم من بني هاشم، وهم كفار، فلاكرامة لهم، وكذلك كل من كان ينتسب إلى بني هاشم، وهو ليس على مذهب أهل السنة

(١) أخرجه مسلم (١) (٢٢٧٦) من حديث وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والجماعة والاستقامة، فلا قيمة له، فليس مجرد القرابة هو المقتضي للحق، وإنما القرابة مع الإيمان، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]؛ أي: قرابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قول، وجعل الله لهم حظًا من الخمس، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال:٤١]؛ قرابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَاعْرِفْ فَضْلَ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ**)، ثم من بعد بني هاشم فضل المسلمين من قريش، لهم فضل على بقية العرب، ثم العرب لهم فضل على العجم؛ لماذا؟ لأن الله أنزل القرآن بلغتهم، وبعث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم، واختارهم لتبليغ رسالته، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا في القرآن: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾؛ أي: القرآن شرف لك ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ العرب، ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٣، ٤٤]، سوف تُسألون عن القيام بهذا القرآن، والدعوة إليه، وتبليغه؛ لأن الله حملكم إياه أن تبلغوه لبقية العالم، فهذا وجه تفضيل العرب، فُضلوا من أجل ما خصهم الله به من القرآن، والسنة، وبعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنهم يقومون بتبليغ هذا الدين.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]، فهذا وجه مزية العرب، إذا تمسكوا بهذا الدين، وبلغوه، صار لهم فضل على غيرهم، أما من لم يتمسك بهذا الدين، فليس له

فضل؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى**»[(١)]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ**»[(٢)]، فهذا وجه تفضيل العرب، إذا قاموا بما حملهم الله -من نشر هذا الدين، والدعوة إليه، وبيانه للناس-، فهم أفضل من غيرهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَجَمِيعَ الْأَفْخَاذِ**)، الأفخاذ بضع من القبائل؛ أولًا القبيلة، ثم الأفخاذ، فهي قطعة من القبيلة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَاعْرِفْ قَدْرَهُمْ وَحُقُوقَهُمْ فِي الْإِسْلامِ**)، كلٌّ على قدر فضله وحقه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ**)، هذا حديث عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٣)]؛ يعني: العتيق، إذا كان عتيقًا للهاشميين، يكون حكمه حكم الهاشميين، أو عتيقًا لغيرهم، يكون حكمه حكمهم.



---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ٤٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥)، وأحمد (١٦/ ٤٥٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٦١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَوْلَى القَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**».

وَاعْرِفْ فَضْلَ الْأَنْصَارِ، وَوَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ، وَآلِ الرَّسُولِ، فَلا تَسُبَّهُمْ، وَاعْرِفْ فَضْلَهُمْ وَكَرَامَاتِهِمْ، وَجِيرَانَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَاعْرِفْ فَضْلَهُمْ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَاعْرِفْ فَضْلَ الْأَنْصَارِ**)، من الأوس والخزرج، وصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أفضل القرون؛ لقوله: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي**»[1]؛ ولأن الله اختارهم لصحبة نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأنهم بايعوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاهدوا معه، وحملوا العلم عنه، وبلغوه للناس، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفضل القرون، ولايلحقهم أحد في فضلهم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسَبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[2]؛ يعني: لو أحد تصدق بذهب مثل جبل أُحد، لا يساوي مدًا من الشعير تصدق به صحابي، فهذا فيه فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهذا فضل عظيم، يجب أن يعرف لهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ

(١) سبق تخريجه (ص٢٦٧).

(٢) سبق تخريجه (ص١٥٦).

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ أي: صفتهم في التوراة، ﴿وَمَثَلُهُمْ﴾؛ أي: صفتهم ﴿فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]، هذه الآيات في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تدل على فضلهم ومكانتهم عند الله، وعند رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم يتفاضلون فيما بينهم؛ فالخلفاء الأربعة هم أفضل الصحابة، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم المهاجرون؛ لأن الله قدمهم في الذكر على الأنصار، ولأنهم تركوا ديارهم وأموالهم وأوطانهم لله عَزَّوَجَلَّ، وهاجروا في سبيل الله، فهم أفضل من الأنصار، ثم الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم قاموا بإيواء الرسول، وإيواء المسلمين، ومناصرتهم، وواسوهم بأموالهم، وتآلفوا معهم، وأحبوهم، وأصحاب بدر الذين شهدوا بدرًا -أيضًا- لهم فضيلة ومزية، وأصحاب بيعة الرضوان، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، ثم الذين أسلموا قبل الفتح أفضل من الذين أسلموا بعد الفتح -فتح مكة-، فهم يتفاضلون بينهم، لكن هم في الجملة أفضل من غيرهم من جميع الأجيال، إلى أن تقوم الساعة، ولا أحد يساويهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَوَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ)**؛ أي: وصية الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ**»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَجِيرَانُهُ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ، فَاعْرِفْ فَضْلَهُمْ)**؛ أي: الذي يسكن في المدينة، ويصبر عليها احتسابًا، ويصبر على أجوائها احتسابًا للأجر، ويلازم الصلاة في مسجد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له أجر في ذلك، ليس هناك شك، أما الذي يسكنها، ويفسد فيها، ويشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، وينشر البدع، فهذا عذابه أشد، عذابه مضاعف، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (١٢٩) (٧٥) من حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (٤٦٧) (١٣٧٠) من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ لَمْ يَزَالُوا يَرُدُّونَ قَوْلَ الْجَهْمِيَّةِ، حَتَّى كَانَ فِي خِلَافَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ تَكَلَّمَتِ الرُّوَيْبِضَةُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ، وَطَعَنُوا عَلَى آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخَذُوا بِالْقِيَاسِ وَالرَّأْيِ، وَكَفَّرُوا مَنْ خَالَفَهُمْ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ لَمْ يَزَالُوا يَرُدُّونَ قَوْلَ الْجَهْمِيَّةِ**)، الجهمية سبق تعريفهم: أنهم أتباع الجهم بن صفوان، الذي نشر المقالة القبيحة في أن القرآن مخلوق، وجاهر بنفي أسماء الله وصفاته، وقال بالإرجاء، وله مذهب خبيث، فأتباعه يسمون بالجهمية؛ نسبة إلى الجهم، ومن أشنع أقوالهم القول بخلق القرآن، ونفي الأسماء والصفات عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتحريف كلام الله وكلام رسوله بالباطل، فهم أخطر الفرق، وأقبح الفرق، ولذلك أهل السنة وأهل العلم لم يتركوهم، بل ردوا شبهاتهم، وفندوا أقوالهم، وأبطلوها، وهذا موجود في كتب أهل العلم، منها: «رد الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ على الجهمية»، وهو موجود مطبوع، ومنها: «رد عثمان بن سعيد الدارمي على بشر المريسي العنيد»، وهو مطبوع -أيضًا.

ومنها: «بيان تلبيس الجهمية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومنها: «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» لابن القيم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**حَتَّى كَانَ فِي خِلَافَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ**)، في خلافة المأمون من بني العباس حدث الشر، وتكلم من ليس أهلًا للكلام، تكلم في العلم والأصول من ليس أهلًا للكلام، وإذا تكلم الإنسان في غير اختصاصه، فإن

الأمور تفسد، فلابد أن لا يتكلم بأمور الدين والعلم إلا أهل الاختصاص وأهل العلم، فلا يصلح الأمر فوضى، كلٌ يتكلم، ويدعي العلم -كما هو موجود الآن- من المتعالمين الذين يجترون مسائل العقيدة، ويتكلمون فيها، تكلموا في الإيمان، وتكلموا في أشياء، وهم ليسوا في العير ولا في النفير، ليس عندهم علم، ولا تعلموا على العلماء، إنما تعلموا على أنفسهم، واعتمدوا على فهمهم، وصاروا يقعدون قواعد من عندهم ومن فهمهم، فالأمر خطير جدًّا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**تَكَلَّمَتِ الرُّوَيْبِضَةُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**)، هذا في الأثر: «**وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**»[1]؛ يعني: من علامات الساعة أن يتكلم في أمر العامة من ليس معروفًا بالعلم، هذه هي الرويبضة، وتكلمهم من علامات الساعة، فلايصلح أن يتكلم في أمر العامة والمسائل العامة، إلا أهل العلم الراسخون في العلم، لايتدخل فيها كل واحد؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣]، فالأمور العامة للأمة لا يتكلم فيها إلا أهل الاختصاص.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (١٣/ ٢٩٢)، والحاكم (٤/ ٥١٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَطَعَنُوا عَلَى آثَارِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، تدخلوا حتى في الأحاديث؛ يجرحون فيها، ويؤلفون مؤلفات، ويصححون، ويضعفون، وهم ما عُرفوا بالعلم، ولا تعلموا، وليسوا من رواة الحديث، ولا من أئمة الحديث، فهم رويبضة قامت، وصارت تتكلم في أخطر شيء، وهو علم الحديث وعلم الرواية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَخَذُوا بِالْقِيَاسِ وَالرَّأْيِ وَكَفَّرُوا مَنْ خَالَفَهُمْ**)، المراد بالقياس هنا: القياس الباطل، أما القياس الصحيح، فهذا من أصول الأدلة عند أهل العلم، لكن القياس الباطل؛ كقياس الخالق على المخلوق، أو قياس مسألة لا تجتمع مع المسألة المقيس عليها في العلة؛ لأن القياس هو: إلحاق فرع بأصل في الحكم لعلة جامعة بينهما، فإذا لم تكن هناك علة جامعة، فهذا قياس باطل.



فَدَخَلَ فِي قَوْلِهِمُ الجَاهِلُ وَالمغَفَّلُ وَالَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ، حَتَّى كَفَرُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، فَهَلَكَتِ الْأُمَّةُ مِنْ وُجُوهٍ، وَكَفَرَتْ مِنْ وُجُوهٍ، وَتَزَنْدَقَتْ مِنْ وُجُوهٍ، وَضَلَّتْ مِنْ وُجُوهٍ، وَتَفَرَّقَتْ، وَابْتَدَعَتْ مِنْ وُجُوهٍ، إِلَّا مَنْ ثَبَتَ عَلَى قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْرِهِ وَأَمْرِ أَصْحَابِهِ، وَلَمْ يتخط أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلَمْ يُجَاوِزْ أَمْرَهُمْ، وَوَسِعَهُ مَا وَسِعَهُمْ، وَلَمْ يَرْغَبْ عَنْ طَرِيقَتِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْإِسْلامِ الصَّحِيحِ وَالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، فَقَلَّدَهُمْ دِينَهُ، وَاسْتَرَاحَ، وَعَلِمَ أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ، وَالتَّقْلِيدِ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَدَخَلَ فِي قَوْلِهِمُ الجَاهِلُ وَالمغَفَّلُ وَالَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ**)؛ أي: انفتح الباب لكل من هب ودب، صاروا يتكلمون في مسائل العلم، وحتى الآن -كما تعلمون- بسبب هذه الفضائيات، وهذا الكلام، والفوضى العلمية، صار حتى العوام يتكلمون في مسائل العلم، ويشككون فيها، يشككون في الأحكام الشرعية، يشككون في فتاوى الأئمة، وكما سبق أنهم كفروا من خالفهم، حتى إنهم كفروا الأئمة السابقين، وجهلوهم، حتى إن بعضهم يقول: (أنا إنسان، وأحمد بن حنبل إنسان، نحن رجال، وهم رجال، ومالك رجل، وأنا رجل). وصل بهم الحال إلى هذا، وأنه لا ميزة لقول الأئمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**حَتَّى كَفَرُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**)، كفروا من حيث لايعلمون، فالإنسان قد يقول مقالة كفرية وهو لا يدري أنها كفرية بسبب جهله، فهو يقول الكفر، ويروج الكفر، وهو لم يعلم أنه كفر بسبب أنه تدخل

في شيء لايحسنه، فالخطر عظيم عليه وعلى الأمة، هو لو اقتصر الخطر عليه، كان أخف، ولكن المشكلة أن هذا ينتشر على الأمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَهَلَكَتِ الْأُمَّةُ مِنْ وُجُوهٍ، وَكَفَرَتْ مِنْ وُجُوهٍ)**؛ يعني: لبسوا على الأمة، وأدخلوا عليها الخلل، حتى إن منهم من يأخذ الأقوال الكفرية، ويقول: هذه أقوال علماء. كما يقولون عن قول الجهم[(١)]، والمعتزلة: هذه أقوال علماء. حتى إنهم كتبوا في الصحف يقولون للعلماء: إنكم أنتم تحجرون الحق لكم، وتهدرون أقوال الأئمة؛ مثل: ابن سينا[(٢)]، وابن عربي[(٣)]، والجهم بن صفوان، وهؤلاء العلماء لهم قيمتهم.

---

(١) سبقت ترجمته (ص٣٩).

(٢) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، صاحب التصانيف في الفلسفة والطب، مولده سنة سبعين وثلاثمائة، كان يقول بقدم العالم، ونفى المعاد الجسماني، وأثبت المعاد النفساني، قال عنه الذهبي: «هو رأس الفلاسفة الإسلامية، لم يأت بعد الفارابي مثله، فالحمد لله على الإسلام والسنة، وله كتاب الشفاء وغيره، وأشياء لاتحتمل، وقد كفره الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال» ا.هـ. وقيل: إنه تاب ورجع عن أقواله قبل الممات، فالله أعلم بخاتمته، توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٥٧)، والوافي بالوفيات (١٢/ ٢٤٢ - ٢٥٠)، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص٤٣٧)، وسير الأعلام (١٧/ ٥٣٥)، والعبر (٣/ ١٦٧)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٣٤).

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو عبد الله الطائي الأندلسي، ولد بمرسية سنة ستين وخمسمائة ونشأ بها، وانتقل إلى أشبيلية سنة ثمان وسبعين، ثم ارتحل وطاف البلدان فطرق بلاد الشام والروم والمشرق، وأقام بمكة مدة وصنف فيها كتابه المسمى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلدًا فيها ما يعقل ومالا يعقل، وما ينكر وما لاينكر، وما يعرف ومالا يعرف، وله كتابه المسمى بفصوص الحكم، فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٥٦)، وشذرات الذهب (٥/ ١٩٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَتَزَنْدَقَتْ مِنْ وُجُوهٍ، وَضَلَّتْ مِنْ وُجُوهٍ وَتَفَرَّقَتْ، وَابْتَدَعَتْ مِنْ وُجُوهٍ**)، كل هذه الآفات بسبب تدخل الجهال في مسائل العلم، وقلة الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لما قل خوفهم من الله، دخلوا في هذه الأمور، ولهذا يقول بعض السلف: «قَلَّ وَرَعُهُمْ، فَتَكَلَّمُوا»[1]، أما الذي يخاف الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه لا يدخل في شيء، إلا وهو يحسنه، لا يدخل في شيء وهو لا يحسنه وليس من أهله، خصوصًا أمور الدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِلَّا مَنْ ثَبَتَ عَلَى قَوْلِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَأَمْرِهِ وَأَمْرِ أَصْحَابِهِ، وَلَمْ يتخط أَحَدًا مِنْهُمْ**)، لم يسلم من هذه الآفات -الكفر، والزيغ، والضلال، والانحراف، والتعادي، والتقاطع-، إلا من تمسك بما عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ**»، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[2].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَوَسِعَهُ مَا وَسِعَهُمْ**)، وهو الكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح -من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين، والقرون المفضلة، والأئمة-، لكن المشكل في الذي يقول: (هم رجال، ونحن رجال، وليس لكلامهم ميزة على كلامنا).

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص٢٢٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٦) قَالَ الْحَسَنُ -وَسَمِعَ قَومًا يَتَجَادَلُونَ-: «هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مَلُّوا الْعِبَادَةَ، وَخَفَّ عَلَيهِمُ الْقَولُ، وَقَلَّ وَرَعُهُمْ، فَتَكَلَّمُوا».

(٢) سبق تخريجه (ص٤٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعَلِمَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْإِسْلامِ الصَّحِيحِ، وَالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ**)؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**»(١).

فالذي يريد النجاة هذا طريقها، والذي لا يريد النجاة له ما اختار لنفسه، وليس الضرر يقتصر عليه، بل إنه يتحمل آثام الناس مع إثمه، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥].

إنه بلاشك أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والقرون المفضلة هم الذين على الإسلام الصحيح والدين الصحيح، فكيف تتركهم، وتذهب إلى من لا يُضمن أنه على الدين الصحيح وعلى الحق؟!!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَقَلَّدَهُمْ دِينَهُ وَاسْتَرَاحَ**)، قلدهم يعني: اتبعهم، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، المراد بالتقليد هنا: الاتباع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعَلِمَ أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ، وَالتَّقْلِيدِ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ كما ذكرنا: المراد بالتقليد: التقليد الصحيح، وهو الاتباع؛ كما قال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف:٣٧،٣٨]، فاتباع السلف الصالح هذا هو الحق، وليس فيه لوم إذا اتبعت هؤلاء، إنما اللوم إذا اتبعت من لا يصلح للاتباع، واقتديت بمن لا يصلح للقدوة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ. فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ سَكَتَ، فَلَمْ يَقُلْ مَخْلُوقٌ، أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَهَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»(١).

الشَّرْح

أثبت الله لنفسه الكلام في آيات كثيرة، منها: قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف:١٠٩]؛ أي: كلمات الله التي يأمر بها وينهى، ويدبر بها الكون، مَنْ يحصي كلمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ما تكتبها البحار، ولا الأقلام كلها، وكلام الله -كما يقول أهل السنة والجماعة- قديم النوع حادث الآحاد، فالقرآن من آحاد كلام الله، ومن أفراد كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكلام الله ثابت بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا شك أن العقول السليمة تثبت الكلام لله؛ لأنه صفة كمال، ونفيه صفة نقص، لكن الجهمية، وهم أتباع الجهم بن صفوان، وهو خبيث، ظهر على الناس يشككهم في دين الله، ويأمرهم بالإلحاد والكفر، ومن ذلك أنه شككهم في أن الله يتكلم، وقال: كلام الله الموجود مخلوق، خلقه في اللوح، أو خلقه في جبريل، أو خلقه في محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو من إضافة المخلوق إلى خالقه؛ مثل: بيت الله، ناقة الله، هكذا يقول -قبحه الله-، يقول الله لا يتكلم، وإضافة

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

الكلام إليه إضافة مخلوق إلى خالقه. هذا من مذهبه، وله مذهب الجبر في القدر[١]، وله مذهب في نفي الأسماء والصفات، وله مذهب -أيضًا- التكذيب بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتكذيب بالقرآن -أيضًا-، فهو ملحد خبيث، ظهر بهذه الفرية، وهذا المذهب منحدر عن اليهود؛ كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة «الحموية»[٢]، والجهم ليس هو الذي ابتدأ هذا المذهب، قبله الجعد بن درهم، هو الذي ابتدأ هذه المقالة الشنيعة، وأخذها عن طالوت اليهودي، وطالوت أخذها عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه المقالة منحدرة من اليهود، الذين يحرفون كلام الله عن موضعه، فلا يُستغرب هذا المذهب الخبيث، إذا عرف مصدره أنه من اليهود، دسوه على المسلمين بواسطة هذا الرجل الخبيث الجعد بن درهم[٣]، .....

(١) الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلًا ولا قدرة على الفعل أصلًا، والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلًا. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٦٨)، والملل والنحل (١/ ٨٥)، والتعريفات (ص١٠١).

(٢) انظر: التعليقات التوضيحية على مقدمة الفتوى الحموية، لشيخنا صالح الفوزان -حفظه الله- (ص١٦٧).

(٣) **الجعد بن درهم**: هو مؤسس مذهب التعطيل وأول من قال: إن الله لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا، ويقال له مروان الجعدي؛ لأنه كان مؤدبًا لمروان الحمار آخر خلفاء بني أمية. قتله خالد القسري يوم الأضحى سنة أربع وعشرين ومائة، وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، ونزل فقتله، وكان من أبرز تلاميذه الجهم بن صفوان، وبه عُرف مذهب التعطيل.
انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٣)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٥٠)، والكامل في التاريخ (٤/ ٤٦٦)، والنونية بشرح ابن عيسى (١/ ٥٠، ٥١).

الذي قتله خالد القسري[١] يوم عيد الأضحى؛ كما ذكر ابن القيم، قال[٢]:

وَلِأَجْلِ ذَا ضَحَّى بِجَعْدٍ خَالِدُ الـ ... ـقَسْرِيُّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلَهُ ... كَلَّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمَ الدَّانِي

شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ ... لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ أَخِي قُرْبَانِ

أخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان، فنُسبت إليه؛ لأنه هو الذي نشرها، وليس هو الذي ابتدأها.

وقد أنكر عليهم أهل السنة إنكارًا شديدًا، وغلظوا القول في ذلك، وهذا سيأتي -إن شاء الله- في المقطع الذي بعد هذا، ولكن معنا الآن جزئية من هذا المذهب الخبيث، وهو نفي الكلام عن الله، ولكن حصل عند أهل السنة إشكال، وهو: هل يقال: إن لفظي بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق؟

هذه دسوها على المسلمين -أيضًا-: هل تقول: إن لفظي بالقرآن مخلوق، أو تقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، وإن أريد به التلفظ بالقرآن، فالتلفظ مخلوق، والصوت مخلوق، فلابد من التفصيل، هذا هو التفصيل الذي قال به الإمام أحمد والبخاري، وجمع من المحققين، فلا تقل: (لفظي بالقرآن مخلوق) مطلقًا، ولا (غير مخلوق) مطلقًا، ولا تتوقف، بل تفصل في ذلك.

---

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد البجلي القشيري، أمير مكة للوليد وسليمان، وأمير العراقيين لهشام بن عبد الملك، وهو من أهل دمشق، قال الذهبي عنه: (كان جوادًا ممدحًا معظمًا عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكنه فيه نصب معروف)، توفي سنة ست وعشرين ومائة، وله ستون عامًا. انظر: تاريخ دمشق (١٦/ ١٣٥)، ووفيات الأعيان (٢/ ٢٢٦)، والوافي بالوفيات (١٣/ ١٥٥)، والعبر (١٦٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢٦).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٥٠).

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ هَلَاكُ الجَهْمِيَّةِ أَنَّهُمْ فَكَّرُوا فِي الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ، فَأَدْخَلُوا: «لِمَ» وَ«كَيْفَ»، وَتَرَكُوا الْأَثَرَ، وَوَضَعُوا الْقِيَاسَ، وَقَاسُوا الدِّينَ عَلَى رَأْيِهِمْ، فَجَاؤُوا بِالْكُفْرِ عَيَانًا لَا يَخْفَى، فَكَفَرُوا، وَكَفَّرُوا الخَلْقَ، وَاضْطَرَّهُمُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ قَالُوا بِالتَّعْطِيلِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ هَلَاكُ الجَهْمِيَّةِ أَنَّهُمْ فَكَّرُوا فِي الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ)، السبب الذي جعل الجهمية ضلوا هذا الضلال البعيد أنهم تدخلوا في شأن الرب، صاروا يبحثون فيه، فلا يجوز للمسلم أن يبحث في شأن الرب، بل عليه أن يؤمن به، وبأسمائه وأوصافه، ولا يتدخل في الكيفية، الله جَلَّوَعَلَا لا يعلم ذاته وكيفية أسمائه وصفاته، إلا هو سبحانه، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، فلاأحد يحيط بالله عَزَّوَجَلَّ، هو أعلم بنفسه وبغيره، فنحن لا نتكلم في شأن الله، إلا بما جاء بالدليل من القرآن والسنة، ونتوقف عما لم يرد.

الجهمية أنكروا القرآن والسنة، وتدخلوا بعقولهم في شأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتى قالوا: إنه لاداخل العالم، ولا خارج العالم، ولا فوق، ولا تحت، ولا يمنة، ولا يسرة.

إذًا: يكون معدومًا -تعالى الله عما يقولون-، قالوا: ليس له سمع، ولا بصر، ولا علم، ولا إرادة. إذًا: يكون جمادًا؛ لأن الجماد هو الذي يوصف بهذه الأشياء، يكون مثل الأصنام -تعالى الله عن ذلك!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَاسُوا الدِّينَ عَلَى رَأْيِهِمْ)**، اتبعوا القياس الباطل، قاسوا الله بخلقه، فنفوا أسماءه وصفاته؛ لأنها عندهم تقتضي التشبيه، ولم يعلموا أن أسماء الله وصفاته خاصة به سبحانه، وأن أسماء المخلوقين وصفات المخلوقين خاصة بهم، ولا تشابه بين هذا وهذا، فكما أن لله ذاتًا لا تشبه الذوات، فكذلك له أسماء وصفات لا تشبه الأسماء والصفات التي للمخلوقين، من أخذ هذا، استراح، وسار على الجادة الصحيحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَجَاؤُوا بِالْكُفْرِ عَيَانًا لَا يَخْفَى)**، كفروا بالله بسبب هذه المقالات الشنيعة في حقه جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَكَفَرُوا وَكَفَّرُوا الخَلْقَ)**، كَفَّروا الذين يصفون الله بأسمائه وصفاته؛ لأنهم يقولون: هذا مشبه. والتشبيه كفر، يقولون: نقول: لا، ليس هذا تشبيهًا، الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، نفى عن نفسه التشبيه، وأثبت لنفسه السمع والبصر، مع أن السمع والبصر موجودان في المخلوقين، فدل على أنه لا يتشابه هذا مع هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاضْطَرَّهُمُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ قَالُوا بِالتَّعْطِيلِ)**، التعطيل هو: جحود الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن هذا يؤول إلى التعطيل؛ لأن الذي لايسمع، ولا يبصر، ولا يتكلم، وليس له إرادة، ولا مشيئة، وأيضًا: ليس داخل العالم، ولا خارج العالم، ولا فوق، ولا تحت، إذًا: لا يكون هناك إله يُعبد، فآل بهم الأمر إلى الإلحاد والتعطيل.



وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ -مِنْهُمُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ-: الْجَهْمِيُّ كَافِرٌ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، حَلَالُ الدَّمِ، لَا يَرِثُ، وَلَا يُورَثُ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: لَا جُمُعَةَ، وَلَا جَمَاعَةَ، وَلَا عِيدَيْنِ، وَلَا صَدَقَةَ، وَقَالُوا: مَنْ لَمْ يَقُلِ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ[1].

الشَّرْح

قول العلماء: (الْجَهْمِيُّ كَافِرٌ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ)؛ أي: كافر بمجموع مقالاته؛ لأنه عطل الله جَلَّوَعَلَا، ولا شك أن هذا أشد الكفر.

مقالاتهم الكفرية تفضي إلى التعطيل -كما قال الشيخ-، وهو إنكار وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وقد رد عليهم الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «الرد على الجهمية»، وهو مطبوع ومحقق -ولله الحمد-، رد عليهم غير واحد، رد عليهم شيخ الإسلام في كتابه الضخم: «بيان تلبيس الجهمية».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حَلَالُ الدَّمِ، لَا يَرِثُ، وَلَا يُورَثُ)**؛ لأنه مرتد، فهو حلال الدم؛ لأن الذي يعصم الدم هو الإسلام، والكافر حلال الدم.

---

(١) ذكر الإمام اللالكائي في شرح السنة (٢/ ٢٥٣-٣٤٤) أقوال العلماء الذين كفّروا الجهمية، ثم قال: (فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسًا، أو أكثر من التابعين، وأتباع التابعين، والأئمة المرضيين، سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار، ومضي السنين، والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم، وتدينوا بمذاهبهم. ولو اشتغلت بنقل أقوال المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة، لكني اختصرت، وحذفت الأسانيد للاختصار، ونقلت عن هؤلاء عصرًا بعد عصر لا ينكر عليهم، ومن أنكر قولهم استتابوه، أو أمروا بقتله، أو نفيه، أو صلبه). اهـ.

لذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية (١/ ٢٩٠) بشرح ابن عيسى:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي ... عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

واللَّالَكَائِيُّ الْإِمَامُ حَكَاهُ عَنْ ... هُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لِأَنَّهُ قَالَ: لَا جُمُعَةَ، وَلَا جَمَاعَةَ**)؛ أي: لأن الجهم ينكر صلاة الجمعة، وينكر صلاة الجماعة، وإنما تكفي عنده المعرفة بالله، فالإيمان عنده هو المعرفة، فإذا عرف الإنسان ربه بقلبه، صار مؤمنًا كامل الإيمان، ولو لم يصلِّ، ولو لم يصم، ولو لم يفعل أي شيء من العبادات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا عِيدَيْنِ، وَلَا صَدَقَةَ**)؛ لأنه يرى أن الأعمال ليست من الإيمان، ولا النطق باللسان، ولا الاعتقاد -أيضًا-، وإنما الإيمان عنده مجرد المعرفة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالُوا: مَنْ لَمْ يَقُلِ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ**)، قالت الجهمية: من لم يقل القرآن مخلوق، وقال: القرآن كلام الله، فهو كافر؛ لأنه شبه الله بخلقه، والتشبيه كفر.



وَاسْتَحَلُّوا السَّيْفَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَخَالَفُوا مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، وَامْتَحَنُوا النَّاسَ بِشَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، **وَأَرَادُوا تَعْطِيلَ المَسَاجِدِ وَالجَوَامِعِ...**

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَاسْتَحَلُّوا السَّيْفَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، استحلوا قتل المسلمين الذين يخالفونهم في العقيدة، ولذلك لما تمكنوا في عهد المأمون، ماذا صنعوا بالمسلمين؟ قتلوا من العلماء من قتلوا، وعذبوا من عذبوا؛ ليرغموهم على القول بمذهب الجهمية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَخَالَفُوا مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ**) من المسلمين، فلم تظهر هذه المقالات إلا فيهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَامْتَحَنُوا النَّاسَ بِشَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، أرادوا أن يلزموا الناس بقولهم؛ كما في عهد المأمون ومن جاء بعده، لما أجبر الناس على القول بخلق القرآن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَأَرَادُوا تَعْطِيلَ المَسَاجِدِ وَالجَوَامِعِ**)؛ لأن مذهبهم في الإيمان أنه مجرد المعرفة، ولو لم يعمل شيئًا، ولو لم يتكلم بلسانه، ولو لم يعتقد بقلبه، فإذًا لاحاجة إلى المساجد والجوامع؛ لأنها لا تجب الصلاة عندهم.

وَأَوْهَنُوا الْإِسْلَامَ، وَعَطَّلُوا الْجِهَادَ، وَعَمِلُوا فِي الْفُرْقَةِ، وَخَالَفُوا الْآثَارَ، وَتَكَلَّمُوا بالمَنْسُوخِ، وَاحْتَجُّوا بِالْمُتَشَابِهِ، فَشَكَّكُوا النَّاسَ فِي أَدْيَانِهِمْ، وَاخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ، وَقَالُوا: لَيْسَ هُنَاكَ عَذَابُ قَبْرٍ، وَلَا حَوْضٌ، وَلَا شَفَاعَةٌ، وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ لَمْ يُخْلَقَا، وَأَنْكَرُوا كَثِيرًا مِمَّا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَحَلَّ مَنِ اسْتَحَلَّ تَكْفِيرَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ؛ لِأَنَّهُ مَنْ رَدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ رَدَّ الْكِتَابَ كُلَّهُ، وَمَنْ رَدَّ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ رَدَّ الْأَثَرَ كُلَّهُ، وَهُوَ كَافِرٌ باللهِ الْعَظِيمِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَأَوْهَنُوا الْإِسْلَامَ)**؛ أي: الجهمية أضعفوا الإسلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَعَطَّلُوا الْجِهَادَ)**، عطلوا الجهاد في سبيل الله؛ لأنهم لايرون تكفير الكفار؛ لأنهم يعرفون الله، ومعناه أن فرعون مسلم؛ لأنه يعرف الله بقلبه، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الإسراء:١٠٢]، فهو يعرف الله بقلبه، والمشركون في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرفون الله بقلوبهم، بل يعبدونه بأنواع من العبادات، فهم يعتقدون أن الله سبحانه هو الرب، وأنه يستحق العبادة، ولكنهم أشركوا معه غيره بزعمهم أن هذا الغير يقربهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَخَالَفُوا الْآثَارَ)**؛ أي: خالفوا الأدلة والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَتَكَلَّمُوا بالمَنْسُوخِ)**، يأخذون الأدلة المنسوخة، ولايعملون بالناسخ؛ من أجل التضليل؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ

﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٧]، ومن المتشابه المنسوخ؛ لأنه لابد أن الإنسان يعرف الناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والخاص والعام، يعرف علوم الاستدلال، لايستدل بأي نص وجده دون أن يرى هل هو منسوخ، أو أنه مخصص، أو مقيد، لا ينظرون إلى هذا؛ لأجل الزيغ؛ ولأجل إضلال الناس، ويقولون: نحن نستدل بالقرآن. وهم ما استدلوا بالقرآن، القرآن يستدل به من أخذه جميعًا، أما من أخذ بعضه، وترك البعض الآخر، فهذا كافر به، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥]، فالذي لا يجمع بين المحكم والمتشابه، هذا يأخذ ببعض الكتاب، ويترك بعضه، ولذلك قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ﴾ قالوا: ﴿كُلٌّ﴾ يعني: المحكم والمتشابه ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، فيردون المتشابه إلى المحكم، فيفسره، ويوضحه، لكن هذا يحتاج إلى عالم، لايجوز أن يدخل فيه متعالم، أو زائغ يريد التضليل، فلا يأخذ بالمتشابه إلا أحد رجلين:

* إما زائغ يريد التضليل؛ مثل: الجهمية، ولهذا قال فيهم الإمام أحمد: «يستدلون بالمتشابه من القرآن»(١).

* وإما متعالم لا يدري، ويقول على الله بغير علم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَاحْتَجُّوا بِالْمُتَشَابِهِ)**، ولذلك رد عليهم الإمام أحمد في كتابه «الرد على الجهمية» جاء على النصوص التي استدلوا بها، وأبطل رأيهم فيها، وبيَّن الوجه الصحيح فيها، وجمع بين الآيات، وبين الأحاديث.

---

(١) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص٥٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَشَكَّكُوا النَّاسَ فِي أَدْيَانِهِمْ**)، فلا شك أن هذه بلبلة للأفكار، فلا يجوز أن يتكلم في مسائل العلم -ولاسيما العقائد-، إلا من هو راسخ في العلم، لايجوز أن يتكلم فيها أنصاف المتعلمين أو المتعالمين، فضلًا عن أهل الزيغ والضلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**)، أحدثوا الجدل، قال تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ [غافر:٤]، المؤمن لايجادل في آيات الله، بل يتقبلها، ويعتقد أنها كلام الله، وأنها خير وهدى، أما الذي يتوقف فيها، ويتشكك، فهذا مجادل في كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالُوا: لَيْسَ هُنَاكَ عَذَابُ قَبْرٍ**)، هذا متوافق مع مذهبهم؛ لأن عندهم من عرف الله، فهو مؤمن، ولا يلزم أنه يصلي، ويصوم، ويحج، ويعتمر، ولا يؤدي الأعمال؛ وبناء على ذلك ليس هناك عذاب قبر؛ لأن الناس كلهم يعرفون الله، وليس هناك معصية وطاعة، فالذين في القبور كلهم يعرفون الله، إذًا: لا يُعذبون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا حَوْضٌ، وَلَا شَفَاعَةٌ**)، كل أمور الغيب أنكروها؛ لأنهم يعتمدون على عقولهم فقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ لَمْ يُخْلَقَا**)؛ أي: قال الجهمية: الجنة والنار لم يُخلقا الآن. مع أن الله أخبر أنهما مخلوقتان الآن، قال تعالى في الجنة: ﴿**أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران:١٣٣]، ﴿**أُعِدَّتۡ** ﴾ هذا يدل على أنها معدة وموجودة، وقال في النار: ﴿**أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٣١]، وأيضًا: الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ

أخبر أن شدة الحر من فيح جهنم[١]، دل على أنها موجودة، وكذلك النار لها نفسان: نفس في الشتاء، وذلك أشد ما تجدون من البرد، ونفس في الصيف، وذلك أشد ما تجدون من الحر[٢]، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ**».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَأَنْكَرُوا كَثِيرًا مِمَّا قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، أنكروا كثيرًا مما جاء في الكتاب والسنة؛ لأنه يخالف رأيهم ومعتقدهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَاسْتَحَلَّ مَنِ اسْتَحَلَّ تَكْفِيرَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ**)، من كفرهم من أهل السنة والجماعة، فإنه كفرهم لمجموع هذه المقالات الخبيثة؛ لأنها تنتهي إلى أنه ليس هناك دين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**لِأَنَّهُ مَنْ رَدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ رَدَّ الْكِتَابَ كُلَّهُ**)؛ كما سبق أنه من استدل ببعض القرآن، وترك البعض الآخر الذي يتعلق به، فقد آمن ببعض الكتاب، وترك بعضه، فالذي يستدل بالمتشابه، ويترك المحكم، هذا ممن يؤمن ببعض الكتاب، ويكفر ببعضه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه مسلم (١٨٠) (٦١٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَنَافِعٌ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ**».

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧)، ومسلم (١٨٥) (٧١٧) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ رَدَّ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ رَدَّ الْأَثَرَ كُلَّهُ)**، كذلك السنة فيها محكم، وفيها متشابه، فمن أخذ المتشابه من السنة، وترك المحكم، فقد رد السنة كلها[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ)**، هذه هي النتيجة -والعياذ بالله-؛ لأن الذي يؤمن بالله يقول: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، أما صاحب الزيغ، فإنما يأخذ المتشابه؛ لأنه يصلح له، وأما المحكم، فإنه لا يصلح له، فيتركه، هذه طريقة أهل الأهواء دائمًا، وليست خاصة بالجهمية، ولكن مصدرها من الجهمية، لكن أهل الأهواء جميعًا في أي وقت هذه طريقتهم؛ يأخذون من الأدلة ما يوافق رغبتهم، ويتركون ما يخالف رغبتهم.



(١) انظر في معنى المحكم والمتشابه: تفسير الطبري (٥/ ١٩٢- ٢٠١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٧٦-٣٧٧)، وزاد المسير (١/ ٢٥٨-٢٦٠)، والقرطبي (٤/ ٩-١١)، وابن كثير (٢/ ٦-٧).

فَدَامَتْ لَهُمُ الْمُدَّةُ، وَوَجَدُوا مِنَ السُّلْطَانِ مَعُونَةً عَلَى ذَلِكَ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ وَالسَّوْطَ عَلَى مَنْ دُونَ ذَلِكَ، فَدَرَسَ عِلْمُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَأَوْهَنُوهُمَا، فَصَارَتَا مَكْتُومَتَيْنِ؛ لِإِظْهَارِ الْبِدَعِ وَالْكَلَامِ فِيهَا وَلِكَثْرَتِهِمْ، فَاتَّخَذُوا المَجَالِسَ، وَأَظْهَرُوا رَأْيَهُمْ، وَوَضَعُوا فِيهِ الْكُتُبَ، وَأَطْمَعُوا النَّاسَ، وَطَلَبُوا لَهُمُ الرِّئَاسَةَ، فَكَانَتْ فِتْنَةً عَظِيمَةً، لَمْ يَنْجُ مِنْهَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ، فَأَدْنَى مَا كَانَ يُصِيبُ الرَّجُلَ مِنْ مُجَالَسَتِهِمْ أَنْ يَشُكَّ فِي دِينِهِ، أَوْ يُتَابِعَهُمْ، أَوْ يَرَى رَأْيَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَلَا يَدْرِي أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ أَوْ عَلَى بَاطِلٍ، فَصَارَ شَاكًّا، فَهَلَكَ الخَلْقُ، حَتَّى كَانَ أَيَّامُ جَعْفَرٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: المُتَوَكِّلُ[1]، فَأَطْفَأَ اللهُ بِهِ الْبِدَعَ، وَأَظْهَرَ بِهِ الحَقَّ، وَأَظْهَرَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَطَالَتْ أَلْسِنَتُهُمْ مَعَ قِلَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَدَامَتْ لَهُمُ الْمُدَّةُ، وَوَجَدُوا مِنَ السُّلْطَانِ مَعُونَةً عَلَى ذَلِكَ**)، يشير إلى عهد المأمون وذريته -عفا الله عنا وعنه-؛ حيث غرروا به، وخدعوه.

(١) هو الخليفة، أبو الفضل جعفر ابن المعتصم باللهِ محمد ابن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور القرشي، العباسي، البغدادي. ولد: سنة خمس ومائتين. وبويع عند موت أخيه الواثق في ذي الحجة، سنة اثنتين وثلاثين. قال خليفة بن خياطٍ: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها. توفي سنة ٢٤٧ هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٣٥٠)، وتاريخ الإسلام (٥/ ١٠٩٧)، والأعلام للزركلي (٢/ ١٢٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَوَضَعُوا السَّيْفَ وَالسَّوْطَ عَلَى مَنْ دُونَ ذَلِكَ**)؛ يعني: تسلطوا في عهد المأمون على أهل السنة والجماعة، وهذه نتيجة البطانة الخبيثة، فيجب على المسلم -سواءً كان من ولاة الأمور، أو من غير ولاة الأمور-، يجب عليه ألا يتخذ إلا بطانة صالحة، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ** ﴾؛ يعني: من غيركم، ﴿**لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا**﴾ [آل عمران:١١٨]، فالمسلم يتخذ بطانة صالحة، ويحذر من البطانة السيئة، لاسيما ولاة الأمور، انظروا ماذا أحدثت البطانة السيئة للمأمون مع ذكائه، وأصالته، وأنه من بني هاشم، مع هذا غرروا به، وانظروا ماذا فعلت البطانة السيئة في آخر بني العباس؛ ابن العلقمي، والطوسي ماذا فعلوا بالخليفة العباسي؟ جروا عليه التتار من المشرق، أتوا بهم، وفتحوا لهم الطريق، ويسروا لهم السبل، حتى قضوا على بغداد، وعلى بلاد المسلمين، وقتلوا المقاتل العظيمة، وحرقوا الكتب، ووضعوها في نهر دجلة والفرات، حتى تغيرت بها المياه، يظنون أنهم قضوا على الإسلام، لكن الإسلام مؤيد من الله، لا يُقضى عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَدَرَسَ عِلْمُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ**)؛ يعني: اندثر؛ لأن الدروس: هو الاندثار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَوْهَنُوهُمَا**)؛ يعني: أضعفوا علم الكتاب والسنة، وصار العلم عندهم علم الجدل، وعلم الكلام، وعلم المنطق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَصَارَتَا مَكْتُومَتَيْنِ لِإِظْهَارِ الْبِدَعِ وَالْكَلَامِ فِيهَا**)، تركوا السنة، واشتغلوا بالبدع، وإظهار البدع، والدعوة لها، وصار أهل السنة مكتومين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلِكَثْرَتِهِمْ، واتَّخَذُوا المَجَالِسَ، وَأَظْهَرُوا رَأْيَهُمْ**)، استغلوا المجالس، والمدارس، والتجمعات، فصاروا يظهرون آراءهم فيها، وينشرونها؛ وهكذا أهل الشر، إذا مُكن لهم، فإنهم لا يألون جهدًا في القضاء على الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَوَضَعُوا فِيهِ الْكُتُبَ**)؛ يعني: ألفوا الكتب -كتب الجهمية والمعتزلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَطْمَعُوا النَّاسَ، وَطَلَبُوا لَهُمُ الرِّئَاسَةَ**)، أقنعوا كثيرًا من الناس الذين لم يتمكنوا من العلم، اقتنعوا برأيهم، فاتبعوهم؛ لأن الفتن إذا جاءت، قل من ينجو منها، لكن من الناس من يتأثر بها تأثرًا كثيرًا، ومنهم من يتأثر تأثرًا دون ذلك، ومنهم من يسلم منها، ولكن بعد الابتلاء والامتحان، أقنعوا الناس بمذهبهم، وأغروهم بالمال، فهم تارة يأتون بالتهديد، والقتل، والضرب، والحبس، وتارة يأتون بالترغيب بالمال، والوظائف، والمستقبل المشرق، فالجاهل وصاحب الطمع يبيع دينه بدنياه -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(**فَكَانَتْ فِتْنَةً عَظِيمَةً، لَمْ يَنْجُ مِنْهَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ**)، لم ينجُ منها إلا من تمسك بالكتاب والسنة، وصبر على ما يصيبه -مثل: الإمام أحمد-، وهناك من قُتل وهو متمسك بالكتاب والسنة، أما الذي طاوعهم، وسار معهم، فهذا هلك معهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَأَدْنَى مَا كَانَ يُصِيبُ الرَّجُلَ مِنْ مُجَالَسَتِهِمْ أَنْ يَشُكَّ فِي دِينِهِ**)؛ يعني: من الناس من انحرف عن دينه، ومنهم من لم ينحرف عن دينه، لكنه حصل عنده تشكك في بعض الأمور؛ لأن مجالستهم لا تأتي بخير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَوْ يُتَابِعَهُمْ)**، من جالسهم إما أن يصيبه شيء كثير وينحرف، أو شيء من الانحراف، أو على الأقل يصير عنده نوع تشكك في بعض الأمور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يُتَابِعَهُمْ، أَوْ يَرَى رَأْيَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَلَا يَدْرِي أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ أَوْ عَلَى البَاطِلِ، فَصَار شَاكًّا)**، لاسيما وأن عندهم حججا مزورة، وعندهم بلاغة، وفصاحة، وقوة في الكلام، فهم يحتاجون إلى عالم ثابت يقاومهم، ويرد عليهم؛ مثل: الإمام أحمد، مثل: شيخ الإسلام ابن تيمية، مثل: الأئمة الذين قاموا في وجوههم، وكسروهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَهَلَكَ الخَلْقُ، حَتَّى كَانَ أَيَامُ جَعْفَرٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: المُتَوَكِّلُ، فَأَطْفَأَ اللهُ بِهِ الْبِدَعَ، وَأَظْهَرَ بِهِ الحَقَّ، وَأَظْهَرَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ)**؛ يعني: استمر هذا الابتلاء في عهد المأمون، و عهد أخيه المعتصم، و عهد الواثق بن المعتصم، فلما هلك الواثق، بويع أخوه المتوكل، فنصر السنة، ورفع المحنة عن أهل العلم، وجاء الفرج من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا، وعزز الإمام أحمد وأكرمه، يقال له: المتوكل؛ أي: المتوكل على الله، هذا لقبه، أما اسمه، فهو: جعفر بن المعتصم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَطَالَتْ أَلْسِنَتُهُمْ)**؛ يعني: أهل السنة؛ يعني: قووا على الكلام، اشتدوا بالكلام على أهل البدع؛ انعكس الأمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَعَ قِلَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا)**، ولكن الباطل لا يقاوم الحق أبدًا، وإن كان الذي على الباطل كثير، فإنهم لا يقاومون الحق

وأهله، ولو كان الذي عليه قليل، قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩]، الإمام أحمد فرد واحد، وانظر ماذا عمل في وجه الزحف الملحد! ثبت بنفسه وحده، حتى أعز الله به السنة؛ لذلك يُسمى: إمام أهل السنة.



وَالرَّسْمُ وَأَعْلَامُ الضَّلَالَةِ قَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بِهَا، وَيَدْعُونَ إِلَيْهَا، لَا مَانِعَ يَمْنَعُهُمْ، وَلَا أَحَدَ يَحْجِزُهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ وَيَعْمَلُونَ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالرَّسْمُ وَأَعْلَامُ الضَّلَالَةِ قَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بِهَا)، الشر لاينتهي، بل يبقى الخير والشر للابتلاء والامتحان، لكن أحيانًا ينتصر الحق، ويظهر، وأحيانًا يظهر الباطل، ولكن ظهور الباطل لا يستمر، أما الحق، فإنه وإن حصل عليه ما حصل، فإنه يعود بإذن الله، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣]، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طـه:١٣٢]، يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُمْتَحَنٌ فَلا ... تَعْجَبْ فَهَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

(١) سبق عزوه (ص٣٣٥).

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ تَجِئْ زَنْدَقَةٌ قَطُّ، إِلَّا مِنَ الهَمَجِ الرَّعَاعِ أَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا، فَلَا دِينَ لَهُ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية:١٧]، وَهُمْ عُلَمَاءُ السُّوءِ أَصْحَابُ الطَّمَعِ وَالْبِدَعِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ تَجِئْ زَنْدَقَةٌ قَطُّ**)، الزندقة: هي النفاق، وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، فالزنادقة هم الذين كانوا يسمون بـ(المنافقين)، ويعيشون بين الناس، وإذا سنحت لهم فرصة، ظهر شرهم، وكشرت أنيابهم ضد الحق وأهله؛ كما هو موجود في زماننا الآن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِلَّا مِنَ الهَمَجِ الرَّعَاعِ أَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ**)؛ يعني: دهماء الناس، يتبعون كل ناعق، لا يدرون أين يتجهون، أما أهل العلم أهل الرسوخ والثبات، فإنهم يتبعون الحق، فلا تغتر بالكثرة -كثرة أهل الشر-، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]، العبرة بمن على الحق، ولو كان قليلًا، قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَمَنْ كَانَ هَكَذَا، فَلَا دِينَ لَهُ**)، الذي يتذبذب ليس له دين، فهو منافق، قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤٣]، فالمذبذب هذا ليس له دين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية:١٧])، فهم لو اختلفوا عن جهل، فإنها تهون المصيبة، ولكن اختلفوا وهم يعلمون؛ لأنهم اتبعوا هواهم، فاختلفوا، ولو اتبعوا الحقن لاتفقوا واجتمعوا، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، فإذا كانت مخالفة الحق عن جهل، فهذه يُرجى أنها تزول، أما إذا كانت عن علم، فصعب زوالها؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠]، لا أحد أضل منه، وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾؛ يعني: بنو إسرائيل ما اختلفوا عن جهل، وإنما اختلفوا عن هوى، وكذلك من شابههم من هذه الأمة.



وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَزَالُ النَّاسُ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الحَقِّ وَالسُّنَّةِ، يَهْدِيهِمُ اللهُ، وَيَهْدِي بِهِمْ غَيْرَهُمْ، وَيُحْيِي بِهِمُ السُّنَنَ، فَهُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ -تَعَالَى- مَعَ قِلَّتِهِمْ عِنْدَ الاخْتِلَافِ، فَقَالَ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾، فَاسْتَثْنَاهُمْ، فَقَالَ: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣]، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»(١).

الشَّرْح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاعْلَمْ)**؛ أي: تعلم -أيها المسلم، ويا طالب العلم-، تنبه أن الحق يبقى، ويبقى عليه من وفقه الله لاتباعه مهما كثرت الفتن، ومهما حاول الأعداء أن يقضوا على الحق وأهله، فإنهم لا يستطيعون ذلك؛ لأن الله سبحانه يحميه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ

(١) أخرجه مسلم (١٧٦) (١٩٢٤) من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه بنحوه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٧١) (١٩٢١) من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه مسلم (١٧٠) (١٩٢٠) من حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه مسلم (١٧٢) (١٩٢٢) من حديث جابر ين سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه مسلم (١٧٧) (١٩٢٥) من حديث سعد ابن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. واخرجه البخاري (٧٤٦٠)، ومسلم (١٧٤) (١٠٣٧) من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»، فالحق باق، وأهله باقون، وإن قلوا في بعض السنين، أو بعض الأوقات، فإن الله لايضيع هذا الحق أبدًا، ولكن يجب على من تمسك بهذا الحق أن يصبر عليه، ويصبر على ما يلقى، وإلا فإن الله جَلَّوَعَلَا لا يضيع هذا الحق أبدًا، بل يُقيض له أنصارًا وأتباعًا، وقد ينتقل من مكان إلى مكان، فإذا ترك في مكان، قيض الله آخرين؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨]، وكما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤]، فهذا ضمان من الله جَلَّوَعَلَا لبقاء هذا الحق، وأنه سيقيض له من يقوم به ويحميه، فالخطر ليس على الدين أنه يضيع، ولكن الخطر علينا نحن إن لم نتمسك بهذا الدين ونصبر عليه، فإنه يؤخذ منا، ويُعطى لغيرنا، فعلينا أن نخاف على أنفسنا؛ لئلا يؤخذ منا هذا الدين، ويُعطى لغيرنا، ونهلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَنَّهُ لَا يَزَالُ النَّاسُ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الحَقِّ وَالسُّنَّةِ**)، عصابة يعني: جماعة؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ**»، تُسمى طائفة، وتُسمى جماعة، وتُسمى عصابة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يَهْدِيهِمُ اللهُ**) للتمسك بهذا الحق، (**وَيَهْدِي بِهِمْ غَيْرَهُمْ**)، فهم يهتدون في أنفسهم، ويهدون غيرهم، هذه صفة العلماء الربانيين: أنهم لايقتصرون على أنفسهم، بل -أيضًا- يدعون غيرهم إلى الحق، ويبصرونهم به، ويهدونهم إليه، بمعنى أنهم يرشدونهم إليه، ويوضحونه لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَيُحْيِي بِهِمُ السُّنَنَ**)؛ أي: السنن النبوية بعد أن دُرست، واندفنت، فإنهم يبعثونها، ويحيونها، هذه طريقتهم: أنهم يحيون السنن، ويميتون البدع، ويجددون هذا الدين، حتى يعود كما أنزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي كل فترة من الزمان يبعث الله لهذه الأمة من يجدد لها دينها[1]، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، هذا فضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كم تعرض هذا الدين لهجمات الأعداء؛ بالقوة، وبالدعايات، وبالتشكيك، ولكن الدين لا يزال غضًا كما أُنزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتابه وبسنته، لم تتعدَ يد عليه بالتغيير؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، ها هو القرآن كما أُنزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يُغير منه حرف واحد، وهذا من حفظ الله له، كانت الكتب السابقة يستحفظ عليها الأحبار والرهبان، فكانوا يضيعون كتابهم، ويدخل فيه التغيير، والتبديل، والتحريف؛ كما حصل للتوراة والإنجيل، إلا أن الله تكفل هو سبحانه بحفظ هذا القرآن، فلا يجرؤ أحد أن يغير منه حرفًا واحدًا، وهذا من نعمة الله على هذه الأمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَهُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ -تَعَالَى- مَعَ قِلَّتِهِمْ عِنْدَ الاخْتِلَافِ فَقَالَ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾** [البقرة:٢١٣])، ﴿**وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ**﴾؛ أي: في هذا الدين، أو في هذا

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٣٢٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٧، ٥٦٨)، عَنْ أَبِي عَلْقَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فِيمَا أَعْلَمُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**».

الكتاب ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾، فهم لم يختلفوا لأجل خفاء الحق عليهم والبحث عن الحق، وإنما اختلفوا بسبب بغي بعضهم على بعض، وبسبب الأهواء، هذا هو السبب في تفرقهم واختلافهم -الأهواء، وحب الظهور-، ولم يختلفوا عن جهل، أو عن خفاء في الحق.

فهذا فيه إقامة الحجة عليهم في أنهم جاءهم الحق، ولكنهم لم يلتفتوا إليه، وإنما يتبعون أهواءهم وأغراضهم ومطامعهم في هذه الحياة، فهذه الآية فيها ذم الاختلاف، وأن الواجب أن نجتمع على كتاب الله، وفيها ذم اتباع الهوى، ورغبات النفوس، وأن الواجب على المسلم أن يكون اتباعه للحق، وإن خالف الحق هواه، يتبع الحق ولو خالف هواه؛ لأن الأمم السابقة ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾ [المائدة:٧٠]، فهم يتبعونهم فيما وافق أهواءهم، وما خالف أهواءهم، فإما أن يقتلوا رسولهم، وإما أن يكذبوه، هذه طريقة الأمم السابقة الهالكة، فالواجب علينا الاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح -من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين-، ولو خالف أهواءنا، فإن هذا من مصلحتنا، واتباعنا لأهوائنا من مضرتنا، قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:٧١].

قوله رحمه الله: (فَاسْتَثْنَاهُمْ، فَقَالَ: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾)، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ

﴿بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة:٢١٣]، فبيَّن أن اختلافهم إنما هو بسبب البغي، والتعدي بعضهم على بعض، واتباع أهوائهم، ليس لخفاء في الحق، لكنهم لا يريدون الحق، ثم استثنى، فقال: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، هؤلاء هم أتباع الأنبياء، وأهل السنة والجماعة من هذه الأمة، وهم أهل الحق، فدل على أن هذا يحتاج إلى إيمان، لكن هدايته يضعها فيمن يستحقها، وهم أهل الإيمان ومحبة الحق، فإن الله يهديهم بإيمانهم ومحبتهم للحق، فدل هذا على أن الهداية لها سبب، وهو الإيمان، ومحبة الحق، والبحث عنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»**)، هذا الحديث اشتهر بألفاظ وروايات كثيرة، في لفظ: «**لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ**»[1]، وهي الجماعة، وفي لفظ: «طَائِفَةٌ».

(«**ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ**»)؛ أي: منتصرين على غيرهم، («**لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**») في آخر الزمان؛ يعني: قرب قيام الساعة حين تُقبض أرواح المؤمنين، فلا يبقى على الأرض مؤمن، ولا يبقى إلا أهل الكفر والشرك، ثم تقوم عليهم الساعة، فالساعة لا تقوم على المؤمنين، وإنما تقوم على الكفار، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»[2]، هؤلاء هم شرار الناس -والعياذ بالله-، فلا تقوم الساعة على مؤمن، وإنما تقوم على الكفار، والمشركين.

---

(١) انظر: (ص٣٧٣).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٤)، وابن حبان (٦/ ٩٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَالْكُتُبِ، وَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنِ اتَّبَعَ الْعِلْمَ وَالسُّنَنَ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْعِلْمِ وَالْكُتُبِ، وَمَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالْكُتُبِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَالْكُتُبِ)، العلم ليس بكثرة المعلومات، والاطلاع، وكثرة الكتب، العلم إنما هو بالفقه، وبالاتباع، والعمل -ولو كان العلم قليلًا-، فالقليل من العلم مع العمل الصالح والفقه في دين الله كثير، والعلم الكثير من غير عمل ومن غير اتباع لا فائدة فيه، فاليهود فيهم علماء، فيهم أحبار، ومع هذا لم ينفعهم علمهم، وصاروا مغضوبًا عليهم؛ لأنهم عصوا الله على بصيرة، فليس القصد كثرة العلم، وكثرة المطالعات، المقصود العمل، هذا هو المقصود بالعلم، وهذا هو طريق المنعم عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وهم: أهل العلم والعمل، ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وهم: أهل العلم بدون عمل، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦-٧]، وهم: أهل العمل بدون علم، فالعلم لا ينفع إلا مع العمل، والعمل لا ينفع إلا مع العلم، فلابد من اجتماع العلم والعمل، وهذا طريق المنعم عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنِ اتَّبَعَ الْعِلْمَ وَالسُّنَنَ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْعِلْمِ وَالْكُتُبِ)، إنما العالم من اتبع الكتاب والسنن، وإن كان قليل المحصول في

العلم، بخلاف من كان محصوله في العلم كثيرًا، أو عنده كتب كثيرة ومتنوعة، ولكنه لا يعمل، فهذا لا فائدة فيه.

العلم إنما يكثر، ويزكو، وينمو مع العمل الصالح، أما علم بدون عمل، فهو منزوع البركة، وهو لا يستقر.

والعلماء على قسمين:

الأول: علماء باللسان فقط.

الثاني: علماء باللسان والقلب، وهم أهل الخشية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]، فالعلم والخشية هما العلم الصحيح، أما علم اللسان بدون خشية، فهذا هو علم المنافقين -نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ**)؛ لأن البدعة هي: ما يتقرب به العبد إلى الله من غير دليل من كتاب ولا سنة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»(١)؛ أي: مردود عليه عمله، وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢)، فالذي يحُدث البدعة، والذي يعمل بها عمله مردود عليه؛ لأنه يعمل عملًا لم يشرعه الله، ولا رسوله، فالله لا يقبله، ومن ثَمَّ قال العلماء عن العمل: لا يُقبل إلا بشرطين:

الشرط الأول: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ من الشرك.

والشرط الثاني: المتابعة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك بترك البدع والمحدثات.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٧).

فكل عمل خالطه الشرك، فهو باطل، وكل عمل أُسس على البدعة، فهو باطل، ولا يصح إلا ما كان خالصًا لوجه الله وصوابًا على سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالْكُتُبِ)**، ما دام أنه مبتدع، فلا ينفعه علمه، ولو كان غزير العلم متبحرًا، إذا لم يكن متبعًا للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يعمل بقول فلان وفلان، فإن علمه لا فائدة فيه، وكتبه لا يستفيد منها، قال الله تعالى في اليهود: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ [الجمعة:٥]، الذي عنده مكتبة ضخمة، وهو تارك للعمل أو مبتدع، هذا مثل الحمار يحمل الكتب، ولا يستفيد منها.



وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ مَنْ قَالَ فِي دِينِ اللهِ بِرَأْيِهِ وَقِيَاسِهِ وَتَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، فَقَدْ قَالَ عَلَى اللهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَمَنْ قَالَ عَلَى اللهِ مَا لَا يَعْلَمُ، فَهُوَ مِنَ المُتَكَلِّفِينَ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ-**)، كل جملة يصدرها بقوله: (اعْلَمْ)؛ من أجل الانتباه؛ لأنها مهمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**أَنَّ مَنْ قَالَ فِي دِينِ اللهِ بِرَأْيِهِ وَقِيَاسِهِ وَتَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، فَقَدْ قَالَ عَلَى اللهِ مَا لَا يَعْلَمُ**)، فالدين ليس بالرأي، الدين إنما هو بالاتباع، ليس الدين بالرأي ولابالقياس، والمراد القياس: الفاسد، لاالقياس الصحيح، فالدين ليس بالرأي، ولا بالقياسات، ولا بالأفكار، وإنما هو بالوحي المنزل على النبي المرسل، هذا هو الدين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقِيَاسِهِ**)، المراد: القياس الباطل، أما القياس الصحيح المبني على العلة، فهذا من أصول الأدلة؛ لأن الأدلة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس الصحيح المبني على العلة الصحيحة المنصوص عليها، أو المستنبطة؛ لأن العلة على قسمين[1]:

الأول: علة منصوصة.

---

(١) انظر: بذل النظر في الأصول (ص ٤٦٩)، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣/ ١٦٣- ١٦٤)، والمسودة في أصول الفقه لآل تيمية (ص٣٨٦)، ونهاية الوصول في دراية الأصول (٧/ ٣٠٦٤).

الثاني: علة مستنبطة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَتَأْوِيلِهِ**)، المراد بالتأويل: صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل[1]، هذا هو التأويل المذموم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنْ قَالَ عَلَى اللهِ مَا لَا يَعْلَمُ فَهُوَ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**)، والتكلف: هو القول في الدين بلا حجة.



(١) انظر: المختصر في أصول الفقه لابن اللحام (ص١٣١)، والمدخل لابن بدران (١٨٨)، وروضة الناظر (ص١٧٨)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص١٨٢-١٨٥).

وَالحَقُّ: مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالسُّنَّةُ: سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَالجَمَاعَةُ: مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالحَقُّ: مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالسُّنَّةُ: سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**)، ما جاء عن الله في القرآن الكريم، وما جاء عن الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في السنة كلاهما وحي من الله جَلَّوَعَلَا، القرآن وحي من الله، والسنة وحي من الله؛ كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم:٣، ٤]، القرآن يُسمى بالوحي الأول، والسنة الوحي الثاني بعد القرآن، وهي مفسرة للقرآن، وموضحة للقرآن، ومبينة للقرآن؛ لأن الله قال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤]، الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُبيِّن القرآن بسنته، وعمله، وقوله.

والمراد بالسنة في اللغة: الطريقة[(١)]، والمراد بها هنا: ما ثبت عنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من قول، أو فعل، أو تقرير، هذه هي السنة عند المحدثين[(٢)]، وعند الفقهاء السنة: المستحب الذي يُثاب فاعله، ولا يُعاقب تاركه[(٣)].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢١١)، والصحاح (٥/ ٢١٣٨).

(٢) انظر: أصول السرخسي (١/ ١١٣)، وإرشاد الفحول (ص٦٧)، وفتح المغيث للسخاوي (١/ ٢٥)، وتدريب الراوي للسيوطي (١/ ٤١).

(٣) انظر: العدة في أصول الفقه (١/ ١٦٣)، والبرهان في أصول الفقه (١/ ١٠٧)، والمستصفى (ص ٦٠)، وروضة الناظر وجنة المناظر (١/ ١٢٤)، وشرح مختصر الروضة (١/ ٣٥٣)، والبحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٣٧٧)، وشرح الكوكب المنير (١/ ٤٠٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالجَمَاعَةُ: مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ)**، الجماعة في الدين: ما اجتمع عليه أهل الحق، وأول الجماعة ومقدم الجماعة صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين هم أفضل القرون، ما اجتمع عليه صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو الجماعة، ومن بعدهم من كان على الحق، فهو الجماعة، فالذي على الحق يسمى جماعة، ولو كان واحدًا، ولو الناس كلهم على خلافه، ليس المراد بالجماعة الكثرة، المراد بالجماعة: من كانوا على الحق، ولو كانوا طائفة يسيرة.



وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَالجَمَاعَةُ، فَلَجَ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ كُلِّهَا، وَاسْتَرَاحَ بَدَنُهُ، وَسَلِمَ لَهُ دِينُهُ -إِنْ شَاءَ اللهُ-؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي»، وَبَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاجِيَ مِنْهَا، فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»[1]، فَهَذَا هُوَ الشِّفَاءُ، وَالْبَيَانُ، وَالْأَمْرُ الْوَاضِحُ، وَالمَنَارُ الْمُسْتَنِيرُ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَعَلَيْكُمْ بِدِينِكُمُ الْعَتِيقِ»[2].

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَالجَمَاعَةُ، فَلَجَ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ كُلِّهَا)**، من ثبت على هذه الأصول العظيمة: على القرآن، وعلى السنة، وعلى ما كان عليه جماعة المسلمين، وهو الإجماع على الحق، فإنه يفلج أهل الباطل؛ يعني: يخصمهم، ويكون معه الحق دونهم، ولو كانوا كثيرين.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٥).

(٢) هو قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه الدارمي (١٤٤، ١٤٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٥٢)، والمروزي في السنة (ص٢٩)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٧٠)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٩٧) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ ذَهَابُ أَهْلِهِ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ، أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى كِتَابِ اللهِ، وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالعَتِيقِ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاسْتَرَاحَ بَدَنُهُ، وَسَلِمَ لَهُ دِينُهُ -إِنْ شَاءَ اللهُ**)، من كان على الكتاب والسنة، ومع جماعة المسلمين، سلم له بدنه ودينه، ولو كان واحدًا، وأيضًا: ينتصر على أهل الباطل بالحجة والبرهان؛ لأنهم ليس عندهم إلا شبهات وتزييف.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**«سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي»**)، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر خبرًا معناه التحذير، يخبر عن المستقبل وما يحدث؛ من أجل مصلحة المسلمين أن يكونوا على بصيرة، فأخبرهم أنه سيحصل اختلاف، ويحصل تفرق؛ لأجل أنه إذا حدث هذا، يكونون على بصيرة، وأن يأخذوا حذرهم، ولا يغتروا بكثرة المخالفين والمنازعين، ولا يزهدوا في الحق، فهذا من نصحه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأمة، في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: **أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1]، فأخبرهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سيحصل اختلاف كثير من بعده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم أوصاهم عند حصول الاختلاف أن يتمسكوا بسنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنها هي النجاة من الفتن، والعصمة من الافتراق والضلال، ثم أخبر في

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

حديث آخر أن هذه الأمة «**سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ**»، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[1]، هذا هو الذي ينجو عند الافتراق من الضلال، وينجو من النار يوم القيامة، هو من كان على ما كان عليه ﷺ وصحابته الكرام، فهذا هو المنجاة من الفتن والافتراق، فالاثنتان وسبعون فرقة كلها في النار، إلا من تمسك بما عليه الرسول ﷺ.

ودخولهم النار يختلف؛ فمنهم من يكفر، ويدخل النار مع الكفار مخلدًا فيها، ومنهم من يفسق، ويدخل النار مع العصاة، ويُعذب فيها، ثم يدخل الجنة بعد ذلك، فكونهم كلهم في النار لا يدل على كفرهم، وإنما يدل على الوعيد الشديد في مفارقة سنة الرسول ﷺ؛ فمنها ما هو كفر، ومنها ما هو ضلال، ومنها ما هو معصية، وكلٌ بحسبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَهَذَا هُوَ الشِّفَاءُ، وَالْبَيَانُ، وَالْأَمْرُ الْوَاضِحُ**)، الرسول ﷺ ما تركنا دون أن يُبيِّن لنا المستقبل، بيَّن لنا ﷺ المستقبل الذي أطلعه الله عليه؛ من أجل أن نكون على بصيرة، وهذا من نصحه وشفقته ﷺ في أننا عند حدوث الأهواء والافتراق نلزم الحق، ونصبر عليه، ونثبت عليه، فلا نجاة إلا بذلك أبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالمَنَارُ المُسْتَنِيرُ**)، كانوا من عادتهم يضعون شيئًا مرتفعًا، ويضعون عليه النار؛ من أجل أن يهتدي المسافرون، ويوضع هذا في البحار؛

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٥).

من أجل أن تهتدي السفن، ومنار الإسلام هو الكتاب والسنة، فمن سار على هذا المنار، نجا، ومن ترك هذا المنار، هلك؛ إما في بر، وإما في بحر؛ لأنه في متاهات، فهذا مثل واضح للتمسك بالحق.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ**)، التعمق والتنطع هو الغلو والتشدد في الدين؛ مثل: الذي يقول: أنا أصوم، ولا أفطر. والذي يقول: أنا أصلي، ولا أنام. والذي يقول: أنا لا أتزوج النساء. ويتبتل، هذا تشدد وتنطع، رده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغضب على من قاله، وبيَّن أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بالوسط: يصلي وينام، ويصوم ويفطر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتزوج النساء، فمن رغب عن هذه السنة، فإنه تبرأ منه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرأ من المتنطعين والمتغالين في العبادة والمتشددين، وأمر بالتوسط، وضرب لذلك مثلًا بسنته، وما هو عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَلَيْكُمْ بِدِينِكُمُ الْعَتِيقِ**)، العتيق: القديم؛ يعني: الدين الذي عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بأن نترك المحدثات، ونأخذ بما تركنا عليه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (٥) (١٤٠١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا بِهَا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا، فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنِّي أَصُومُ الدَّهْرَ، فَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الآخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، وَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: **أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لله عَزَّوَجَلَّ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي**».

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الدين القديم الذي جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونترك المحدثات والاجتهادات الخاطئة التي يحدثها الناس، وإن كانوا يظنون أنها زيادة خير، وأنها زيادة عمل، وأنها، وأنها، ما دامت مخالفة لسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا خير فيها أبدًا، هذا هو معنى العتيق؛ يعني: ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وما كان عليه القدماء من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وأتباع التابعين والقرون المفضلة، ونترك المحدثات والتجديدات المبتكرة، التي يتراءى لأصحابها أنها خير، وهي ليست بخير، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنِّي تَارِكٌ فيكم مَا إنْ تَمسَّكتم بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَي: كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّتِي**»[1]، فأي عمل، وأي قول لا تأخذ به حتى تعرضه على الكتاب والسنة، فإن كان موافقًا للكتاب وللسنة، فخذ به، وإن كان مخالفًا، فاتركه، ولا تلتفت إليه.

(١) أخرجه الدارقطني (٥/ ٤٤٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٥)، والحاكم (١/ ١٧٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ الْعَتِيقَ: مَا كَانَ مِنْ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ قَتْلُهُ أَوَّلَ الْفُرْقَةِ وَأَوَّلَ الاخْتِلافِ، فَتَحَارَبَتِ الْأُمَّةُ، وَتَفَرَّقَتْ، وَاتَّبَعَتِ الطَّمَعَ وَالْأَهْوَاءَ، وَالمَيْلَ إِلَى الدُّنْيَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ رُخْصَةٌ فِي شَيْءٍ أَحْدَثَهُ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ يَكُونُ رَجُلٌ يَدْعُو إِلَى شَيْءٍ أَحْدَثَهُ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، فَهُوَ كَمَنْ أَحْدَثَهُ، فَمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ أَوْ قَالَ بِهِ، فَقَدْ رَدَّ السُّنَّةَ، وَخَالَفَ الحَقَّ وَالجَمَاعَةَ، وَأَبَاحَ الْبِدَعَ، وَهُوَ أَضَرُّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ إِبْلِيسَ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ الْعَتِيقَ: مَا كَانَ مِنْ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**)؛ يعني: أن الجماعة الصافية التي لم يحصل فيها اختلاف هي ما كان في عهد الخلفاء الثلاثة -أبي بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-؛ لأنه في فترة الخلفاء الثلاثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما حصل اختلافات، وكان المسلمون جماعة واحدة متفقين على الحق، فلما حصل مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حينئذٍ انفتح للناس باب الخلاف والشرور والفتن بمقتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَكَانَ قَتْلُهُ أَوَّلَ الْفُرْقَةِ**)، أول الفرقة حصل بسبب قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما قُتل، اختل الأمن، وتفرقت الجماعة، وظهرت الفرق الضالة، وحصل ما حصل بما سجله التاريخ، ولكن مع هذا كله -والحمد لله- الدين محفوظ، من أراد الحق وأراد الخير، فما عليه إلا أنه يرجع إلى الكتاب والسنة وما عليه جماعة المسلمين، وسيجد الحق واضحًا، وإن كثر الخلاف والفتن

والشرور، وسبب مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة الراشد العادل ذي النورين أن يهوديًّا من يهود اليمن -يُقال له: عبدالله بن سبأ، ويُلقب ابن السوداء؛ لأن أمه حبشية- أظهر الإسلام خداعًا، ثم جاء إلى المدينة، وجعل ينفث في الناس مسبة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتنقص عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يريد بذلك نقض عهد المسلمين، وتشتيت المسلمين، ودعاة الضلال يجدون من يتبعهم ويميل، ويصغي إلى كلامهم، هذا في كل وقت وفي كل حين، دعاة الضلال تجد كثيرًا من الطغام والسفهاء يصغون إليهم، ويتتبعون أخبارهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام:١١٣]، اجتمع على ابن سبأ من الجهال ومن الطغام من اجتمع، فصاروا يسبون عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم إنه انتبه له، فهرب من المدينة إلى مصر، ووجد جماعة هناك، وذهب إلى غير مصر، ووجد جماعة، فتألب حوله طوائف من الأشرار، ثم جاؤوا، وحاصروا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيته بحجة أنهم يريدون المناظرة مع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومراجعة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أمور، هذا ما أظهروه أنهم يريدون المفاهمة منه والمحاورة معه، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما قاتلوهم؛ لأنهم يريدون مراجعة عثمان فقط، فلما كان بالليل -والعياذ بالله-، هجموا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في داره، وقتلوه في آخر الليل، والناس نيام، وفي موسم الحج، وأغلب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مكة، وهذا ما خططوا له، فقتلوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مظلومًا، عند ذلك حدثت الفتنة، والتفرق، والاختلاف، والاقتتال بين المسلمين، ولا يزال المسلمون يعانون من هذا إلى الآن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَلَيْسَ لِأَحَدٍ رُخْصَةٌ فِي شَيْءٍ أَحْدَثَهُ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، هذه هي القاعدة: أننا عند الاختلاف

نرجع إلى ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سُئل: من هي الفرقة الناجية؟ قال: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»(١)، نرجع إلى هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**أَوْ يَكُونُ رَجُلٌ يَدْعُو إِلَى شَيْءٍ أَحْدَثَهُ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، فَهُوَ كَمَنْ أَحْدَثَهُ**)، من عمل بالبدعة، فهو كمن أحدث البدعة؛ كما يدل عليه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢)، وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»(٣)، فمن عمل بالبدعة، فهو مبتدع، ولو كان الذي أحدثها غيره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ أَوْ قَالَ بِهِ، فَقَدْ رَدَّ السُّنَّةَ، وَخَالَفَ الحَقَّ وَالجَمَاعَةَ، وَأَبَاحَ الْبِدَعَ، وَهُوَ أَضَرُّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ إِبْلِيسَ**)، الذي يروج البدع، ويزهد في السنن أضر على الأمة من إبليس؛ لأن الناس يعرفون أن إبليس عدو، وأن الله حذرنا منه، لكن هذا لا يدري كثير من الناس أنه عدو؛ لأنه متلبس بالإسلام وبالعلم، ويتظاهر بالخير، فهو أضر من إبليس المصرح بالعداوة، ولذلك المنافقون أخطر على المسلمين من الكفار؛ لأن الكفار معلوم أنهم كفار، أما هؤلاء، فيتظاهرون بالإسلام، ويكيدون للمسلمين سرًّا في داخل الجماعة المسلمة، فهم أخطر، ولهذا قال الله جَلَّ وَعَلَا فيهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤].

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٣) سبق تخريجه (ص٣٧).

وَمَنْ عَرَفَ مَا تَرَكَ أَصْحَابُ الْبِدَعِ مِنَ السُّنَّةِ، وَمَا فَارَقُوا فِيهِ، فَتَمَسَّكَ بِهِ، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَصَاحِبُ جَمَاعَةٍ، وَحَقِيقٌ أَنْ يُتَّبَعَ، وَأَنْ يُعَانَ، وَأَنْ يُحْفَظَ، وَهُوَ مِمَّنْ أَوْصى بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَمَنْ عَرَفَ مَا تَرَكَ أَصْحَابُ الْبِدَعِ مِنَ السُّنَّةِ، وَمَا فَارَقُوا فِيهِ، فَتَمَسَّكَ بِهِ، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَصَاحِبُ جَمَاعَةٍ، وَحَقِيقٌ أَنْ يُتَّبَعَ، وَأَنْ يُعَانَ، وَأَنْ يُحْفَظَ، وَهُوَ مِمَّنْ أَوْصى بِهِ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ أي: في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[1]، أوصى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن نكون معهم، مع هذه الجماعة، ومع هذه العصابة، و مع هذه الطائفة التي هي على ما كان عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولكن هذا يحتاج إلى أمرين:

الأمر الأول: العلم. بأن نتعلم ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، أما الجاهل، فهو لا يعلم هذا، وقد يظن أن ما عليه المخالف هو ما عليه الرسول، وهو ليس كذلك.

الأمر الثاني: الصبر على الثبات على ما عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأن من تمسك بالسنة، سيلقى عنتًا، وتعبًا، واحتقارًا، وازدراءً، أو تهديدًا من الناس، لكن عليه أن يصبر، ولا يتضعضع عن الحق،

(١) سبق تخريجه (ص٤٥).

ولا يساوم عليه، ولايتنازل عن شيء منه، ولهذا جاء أن القابض على دينه في آخر الزمان كالقابض على الجمر، أو خبط الشوك[1]؛ لما يلقى من المشقة من الناس، والعنت، والتعب، فيحتاج إلى صبر.



(١) أخرجه أحمد (١٥/ ٣٣-٣٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، يَبِيعُ قَوْمٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ، الْمُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ - أَوْ قَالَ: عَلَى الشَّوْكِ -، قَالَ حَسَنٌ فِي حَدِيثِهِ: خَبَطِ الشَّوْكِ».

وَاعْلَمْ أَنَّ أُصُولَ الْبِدَعِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ، يَتَشَعَّبُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ هَوًى، ثُمَّ يَصِيرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْبِدَعِ يَتَشَعَّبُ، حَتَّى تَصِيرَ كُلُّهَا إِلَى أَلْفَيْنِ وَثَمَانِمَائَةٍ، كُلُّهَا ضَلَالَةٌ، وَكُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً: وَهُوَ مَنْ آمَنَ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَاعْتَقَدَهُ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ فِي قَلْبِهِ وَلَا شُكُوكٍ، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَهُوَ النَّاجِي -إِنْ شَاءَ اللهُ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاعْلَمْ أَنَّ أُصُولَ الْبِدَعِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ**)، البدع: جمع بدعة، والمراد بها: ما أُحدث في الدين من غير دليل من الكتاب والسنة[١]؛ وذلك لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»[٢]، وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»[٣]، وفي الحديث الآخر: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[٤]، وفي رواية: «**وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»[٥].

فالبدعة: ما ليس له دليل من الكتاب والسنة، مما يزعم أصحابه أنه يُقرب إلى الله من العبادات، والأقوال، والأفعال، وقد تكون البدعة:

---

(١) انظر: العين (٢/ ٥٤)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٤٢)، والصحاح (٣/ ١١٨٣)، ومقاييس اللغة (١/ ٢٠٩).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٣) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٤) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٥) أخرجه النسائي (١٧٩٩) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

أصلية: بأن تكون محدثة من أصلها، لا أصل لها في الدين.

وقد تكون إضافية: وذلك بأن يكون أصل العمل مشروعًا، لكن يُضاف إليه شيء غير مشروع؛ كأن يخصص له وقت للذكر من غير دليل على التخصيص، أو نوعًا من الذكر لا دليل عليه، أو عددًا من الذكر لا دليل عليه، أو صيامًا لادليل عليه.

والبدع كلها -إضافية، أو أصلية- لا خير فيها، فهي تبعد عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولأصحابها شبه بالنصارى الذين أحدثوا الرهبانية، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد:٢٧]، الرهبانية بدعة، ما شرعها الله لهم، ولكنهم فعلوها من باب التقرب إلى الله، ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:٢٧]، هذا هو قصدهم أنهم يبتغون رضوان الله، ولكن بغير ما شرع الله، فلا تُقبل، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»[(١)]؛ أي: مردود عليه، لا يُقبل، فيكون لصاحبه التعب والضلال، ولايؤجر على عمله -نسأل الله العافية!

ومراد المصنف هنا بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَاعْلَمْ أَنَّ أُصُولَ الْبِدَعِ أَرْبَعَةٌ)، الظاهر -والله أعلم-: أنه يقصد أصول الفِرَق التي أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن حدوثها في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ**»، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[(٢)]، هذه هي الفرقة الناجية التي بقيت على السنة؛

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٢) سبق التعريف بهم (ص٤٥).

كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**»[(١)]، فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذه الأمة ستفترق كما افترقت الأمم -اليهود، والنصارى- قبلها، وهذا الإخبار من باب التحذير، والحث على لزوم السنة عند حدوثها، وأنه لا نجاة بدون السنة، ومن ترك السنة، وصار مع الفرق، صار في النار، فالفرق التي ظهرت كثيرة جدًّا، ولكن أصولها أربع فِرق:

الفرقة الأولى: فِرَقة الشيعة[(٢)]:

وأول ما حدثت بمقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حينما جاء عبد الله بن سبأ اليهودي، وأحدث الفتنة في المسلمين، ودعا إلى التشيع لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه هو الوصي بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الصحابة ظلموه، وأخذوا الخلافة منه، فمن ذلك الوقت ظهر التشيع، وقد ذكر العلماء أن الشيعة فِرق كثيرة:

أول فرق الشيعة: المفضلة: الذين يفضلون عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حتى على أبي بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هؤلاء يسمون بـ(المفضلة)، ولكنهم لا يطعنون في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إنما يقولون: إن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل. وهذا خطأ، فعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو رابع الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ليس أفضل من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٢) سبق التعريف بهم (ص٩٦).

حتى إنه هو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنكر على من يفضله على أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهدد من يقول ذلك بالعقوبة.

الفرقة الثانية: الذين يقولون: إن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو وصي الرسول، وهو أحق بالخلافة، وخلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ظلم واغتصاب.

يقولون: إن الخلافة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الوصي بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ظلموه، واغتصبوا الخلافة منه، إلى ضلالات كثيرة عندهم.

الفرقة الثالثة: الشيعة الغلاة، الذين يقولون: إن الرسالة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ خان، فصرفها لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا فالرسالة أصلها لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقولون: (خان الأمين، وصدها عن حيدرة)، الأمين: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فصد الرسالة من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حيدرة، وهو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفرقة الرابعة: أشد منهم يقولون: إن عليًّا إله، وهم الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنار، حفر لهم الأخاديد، وأوقد فيها النار، وطرحهم فيها وهم أحياء[1]، يُروى عنه أنه قال[2]:

لَمَّا رأيتُ الأمرَ أمرًا مُنْكَرَا ... أجَّجْتُ ناري ودَعَوْتُ قَنْبَرَا

---

(١) انظر: البدء والتاريخ (٥/ ١٢٥)، وتاريخ دمشق (٤٢/ ٤٧٦)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٣٦١)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥١١)، وميزان الاعتدال (١/ ٦٢٦).

(٢) انظر: تأويل مختلف الحديث (ص٧٣)، وأحوال الرجال (ص٣٨)، والتمهيد لابن عبد البر (٥/ ٣١٨)، وتاريخ دمشق (٤٢/ ٤٧٦)، وفتح الباري (١٢/ ٢٧٠).

وقنبر: هو خادمه، فحرَّقهم بالنار لما قالوا له: (أنت هو أنت هو)، وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يرى أنه يجب قتلهم بالسيف، ولا يُحرقون بالنار؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ**»، فكان لا يمانع في قتلهم، ولكن يقول: «وَلَقَتَلْتُهُمْ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[(١)].

ونشأت من هذه الفِرق الشيعية فرق كثيرة، تشعبت منهم.

الفرقة الثانية: فِرقة القدرية[(٢)]: الذين ينكرون القدر، وقد ظهرت في أواخر عصر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم قسمان:

الأول: قدرية جبرية، غلاة في إثبات القدر.

الثاني: قدرية نفاة، ينفون القدر، وهم المعتزلة، ومن سار في ركابهم الذين يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه، وإن الله لم يخلق أفعال العباد، وإنما هم خلقوها. بينما خصومهم الجبرية يقولون: فعل العبد هو فعل الله، والعباد مجبرون على ما يقولون، ويفعلون ليس لهم اختيار. والمعتزلة يقولون: لهم اختيار مستقل. فلذلك إذا أُطلق القدرية، انصرف إلى المعتزلة، ومن قال بنفي القدر، فهم ينفون القدر، والجبرية يثبتون القدر، ويغلون فيه، حتى يقولوا: إن العبد مجبر. فهؤلاء ينفون القدر، وأولئك يغلون في إثباته، وكلهم يُطلق عليهم القدرية، وقد تشعبوا إلى فرق كثيرة.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٩٢٢): عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: «أُتِيَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِزَنَادِقَةٍ، فَأَحْرَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ؛ لِنَهْيِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ**»، وَلَقَتَلْتُهُمْ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**».

(٢) سبق التعريف بهم (ص٣٢٧).

الفرقة الثالثة: فرقة الخوارج[(١)]: الذين يخرجون على ولي الأمر المسلم، ويشقون عصا الطاعة، ويكفرون بالكبائر التي دون الشرك، ويستحلون دماء المسلمين، وهم أهل الغلو والتطرف في الدين، عندهم دين، وعندهم عبادة، وعندهم خوف من الله، صيام، وقيام، وتلاوة قرآن، ولكن على غير فقه، وعلى غير بصيرة، ولذلك ضلوا -والعياذ بالله-، وشقوا عصا الطاعة، وخرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وحصلت له معارك معهم، ونصره الله عليهم، وما زالوا يخرجون على ولاة الأمور، ويستحلون دماء المسلمين، ويكفرون بالكبائر التي دون الشرك، ويسمون بـ(الوعيدية)؛ لأنهم يعملون آيات الوعيد من غير فرق بين كبيرة الشرك، والكفر، وكبيرة المعاصي، كل أصحابها كفار عندهم، ولا يكفي أنهم يكفرونهم، بل يستحلون دماءهم، ويقاتلون المسلمين، ولا يقاتلون الكفار، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صفتهم: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ**»[(٢)]، فما ذُكر أن الخوارج قاتلوا الكفار أبدًا، وإنما يقاتلون المسلمين، وهم فِرق بعضها أشد من بعض.

الفرقة الرابعة: تقابل فرقة الخوارج، وهم المرجئة[(٣)]: الذين ينفون دخول الأعمال في الإيمان، يقولون: العمل لا يدخل في الإيمان، فالإنسان

---

(١) سبق التعريف بهم (ص١٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٤٣٥١، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٤٣) (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «...**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**».

(٣) سبق التعريف بهم (ص١٤٥).

مؤمن، ولو لم يعمل، ولو ترك العمل كله، فهو مؤمن، سموا مرجئة من الإرجاء، وهو التأخير؛ لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وهم فرق:

أشدهم الجهمية[(١)]: الذين يقولون: إن الإيمان هو مجرد المعرفة في القلب، فإذا عرف بقلبه، فهو مؤمن، ولو لم يعتقد.

الفرقة الثانية من المرجئة: الأشاعرة، الذين يقولون: الإيمان هو الاعتقاد بالقلب، ولا يدخل فيه قول اللسان، ولا عمل الجوارح، يكفي أنه يعتقد بقلبه فقط.

الفرقة الثالثة: الكرّامية[(٢)]، الذين يقولون: إن الإيمان هو النطق باللسان، ولو لم يعتقد بقلبه.

الفرقة الرابعة: مرجئة الفقهاء، الذين يقولون: الإيمان هو الاعتقاد بالقلب مع النطق باللسان، ولو لم يعمل[(٣)].

كلهم يتفقون على أن العمل لا يدخل في الإيمان، لكن يختلفون في مذاهبهم في عمل القلب وقول اللسان.

فالخوارج: غلوا في إدخال العمل في حقيقة الإيمان، وقالوا: من ترك

---

(١) سبق التعريف بهم (ص٣٩).

(٢) هو محمد بن كَرَّام بفتح الكاف وتشديد الراء، وهو الذي تنسب إليه الفرقة الكرامية، وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وكان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد مجرد عن عقد قلب وعمل جوارح، توفي سنة ٢٥٥هـ. انظر: المنتظم (١٢/ ٩٧)، وتاريخ دمشق (٥٥/ ١٢٧)، والسير للذهبي (١١/ ٥٢٣)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٠)، والأنس الجليل (١/ ٢٩٦)، وشذرات الذهب (٢/ ١٣١).

(٣) راجع كتاب الإيمان من مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٠)، وما بعدها.

العمل، يكفر مطلقًا. والمرجئة على العكس؛ غلوا في نفي العمل عن حقيقة الإيمان، وقالوا: لا يكفر من ترك العمل مطلقًا.

أما أهل السنة والجماعة -والحمد لله- قد هداهم الله إلى الحق؛ كما قال تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣]، فيقولون: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، لكنه لايزول بزوال العمل مطلقًا -كما تقوله الخوارج-، ولا يبقى مع زوال العمل كله -كما تقوله المرجئة-، بل من العمل ما تركه كفر -كترك الصلاة-، ومن العمل ما تركه كبيرة من كبائر الذنوب، لا يقتضي الكفر.

فهذا هو التفصيل الذي عليه أهل السنة والجماعة -والحمد لله-، وهو يجمع بين آيات الوعد التي تمسك بها المرجئة، وآيات الوعيد التي تمسك بها الخوارج، فأهل السنة والجماعة يجمعون بين آيات الوعد وآيات الوعيد، ويفسرون بعضها ببعض، ويقيدون بعضها ببعض، فيردون المتشابه إلى المحكم، ويعملون بالجميع، ويقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧].

هذه هي الفِرق التي تشعبت منها فِرق كثيرة، ومن أراد أن يطلع على ذلك، فليراجع كتب الفرق؛ مثل: «الملل والنحل» للشهرستاني، «الفرق بين الفِرق» للبغدادي، «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» لأبي الحسن الأشعري، «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم، فإنهم ذكروا هذه

الفِرق، وتشعيباتها، وتفرقاتها، وما أحب أن طالب العلم المبتدئ يدخل في هذه الاختلافات؛ لئلا يتشوش فكره، لكن العالم المتمكن لا بأس أن يطلع عليها.

قوله: «**وَكُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»[1]، كلها بتشعباتها في النار؛ لأنهم اتبعوا الهوى، وتركوا ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الذي هو النجاة، لكن كونهم في النار لا يقتضي أنهم كلهم كفار، فالنار قد يدخلها العاصي -ولو لم يكن كافرًا- دخولًا مؤقتًا، ثم يُخرج من النار، أما من كانت مفارقته مكفرة، فإنه يكون خالدًا مخلدًا في النار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَهُوَ مَنْ آمَنَ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَاعْتَقَدَهُ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ فِي قَلْبِهِ، وَلَا شُكُوكٍ**)، هذا الكتاب الذي هو «شرح السنة للبربهاري» إنما هو توضيح لما في الكتاب والسنة، وذكر لأصول أهل السنة والجماعة، فهذا الكتاب كما سماه «شرح أصول أهل السنة والجماعة»، وهو مأخوذ من الكتاب، والسنة، وما عليه سلف الأمة، (مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ فِي قَلْبِهِ)، أما من كان يظهر الإيمان بالأصول، ولكن عنده ريبة في قلبه، أو شك في قلبه، فهذا لا يكون مؤمنًا، بل يكون مرتابًا -والعياذ بالله- مترددًا، ويكون من أهل النفاق، فلابد أن يصدق بقلبه ما يقوله لسانه من الحق، فهو لا يقصد رَحِمَهُ اللَّهُ تزكية كتابه -كما يظنه بعضهم-، وإنما قصده تزكية ما تضمنه من أصول أهل السنة والجماعة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَهُوَ النَّاجِي إِنْ شَاءَ اللهُ**)، مَنِ اتبع الكتاب والسنة مع اليقين والإيمان في قلبه، فإنه من الفرقة الناجية؛ لأنه ينطبق عليه قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سُئل عن الفرقة الناجية، قال: «**مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[(١)]، وفي رواية: «**مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[(٢)].



(١) سبق تخريجه (ص٤٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٤٥).

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ لَوْ وَقَفُوا عِنْدَ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوهَا بِشَيْءٍ، وَلَمْ يُوَلِّدُوا كَلَامًا مِمَّا لَمْ يَجِئْ فِيهِ أَثَرٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا عَنْ أَصْحَابِهِ، لَمْ تَكُنْ بِدْعَةٌ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ لَوْ وَقَفُوا عِنْدَ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوهَا بِشَيْءٍ، وَلَمْ يُوَلِّدُوا كَلَامًا مِمَّا لَمْ يَجِئْ فِيهِ أَثَرٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا عَنْ أَصْحَابِهِ، لَمْ تَكُنْ بِدْعَةٌ)**، لو أن الناس (وَقَفُوا عِنْدَ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ)، معناه: لو توقفوا عنها، ولم يدخلوا فيها، واقتصروا على السنة، ولم يخرجوا عنها إلى البدع، لحصلت لهم النجاة، لكن من تجاوز السنة، وأحدث أقوالًا ليس لها دليل من كتاب الله، ولا من سنة رسوله، صار مع المبتدعة، ومع الفرق الضالة، فلا نجاة إلا بهذه السنة التي تركنا عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي تَارِكٌ فيكم مَا إِنْ تَمسَّكتم بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَي: كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّتِي**»[1]، وفي حديث آخر: «**لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»[2]، هذا سبيل النجاة سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما كان عليه هو وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو مضمون هذا الكتاب الذي نقرأ، هو شرح لهذا الأمر.



(١) سبق تخريجه (ص٥٠).
(٢) سبق تخريجه (ص١٩).

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا حَتَّى يَصِيرَ كَافِرًا، إِلَّا أَنْ يَجْحَدَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ، أَوْ يَزِيدَ فِي كَلامِ اللهِ، أَوْ يُنْقِصَ، أَوْ يُنْكِرَ شَيْئًا مِمَّا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، أَوْ شَيْئًا مِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَاتَّقِ اللهَ -رَحِمَكَ اللهُ-، وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَرِيقِ الحَقِّ فِي شَيْءٍ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا حَتَّى يَصِيرَ كَافِرًا إِلَّا أَنْ يَجْحَدَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ**)؛ يعني: أن نواقض الإسلام كثيرة، قد يكون الإنسان مسلمًا صحيح الإسلام مؤمنًا صادقًا، لكن -والعياذ بالله- قد يرتد عن دينه بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، وهي كثيرة، يجمعها أربعة أنواع: القول، والفعل، والاعتقاد، والشك.

الأول: القول: قول كلمة الكفر، إذا قال كلمة الكفر غير مكره، يكفر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤]؛ كأن يدعو غير الله، يستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من الأموات وغيرهم، يكفر بذلك؛ لأنه دعا غير الله، أو يتكلم بكلام فيه سخرية بالدين، أو بالكتاب، أو السنة، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، فالذي يستهزئ بالسنة، أو بالقرآن يكفر، ولو كان مازحًا، ما لم يكن مكرهًا، قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ

بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ﴾ [النحل:١٠٦]، أما من قال هذا مختارًا، فإنه يكفر.

الثاني: الفعل: كأن يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، أو يسجد لغير الله، يسجد للضريح، هذا فعل.

الثالث: الاعتقاد بالقلب: كأن يعتقد صحة الكفر، وصحة ما عليه الكفار، كالذي يعتقد صحة ما عليه اليهود والنصارى بعد بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الرابع: أو شك: كأن يشك في القرآن: هل هو صحيح، أو ليس صحيحًا؟ هل هذه الآية صحيحة، أو ليست صحيحة؟ فهذا يكفر -والعياذ بالله-، أو شك فيما صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحاديث.

هذه أصول الردة: قول، أو فعل، أو اعتقاد، أو شك، ثم ينشأ عن هذه الأربعة أنواع من نواقض الإسلام كثيرة، ذكرها العلماء، وقد لخص منها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة ذكر فيها عشرة نواقض من أخطرها وأهمها، وإلا فالنواقض كثيرة مذكورة في باب حكم المرتد من كتب الفقه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**أَوْ يَزِيدَ فِي كَلامِ اللهِ، أَوْ يُنْقِصَ**)، يزيد آية، أو حرفًا في كلام الله، أو ينقص حرفًا، أو آية من كلام الله، فهذا يكفر -والعياذ بالله-؛ لأنه محرف لكلام الله، مغير لكلام الله عَزَّوَجَلَّ، فالقرآن كله حق، وكله كما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُغير، ولم يبدل، وهو محفوظ بحفظ الله جَلَّ وَعَلَا،

ولا أحد يستطيع أن يغيره، لكن من حاول، فإنه يكفر، ويخرج من الإسلام، ولن يغير القرآن أبدًا، هو محفوظ بحفظ الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَوْ يُنْكِرَ شَيْئًا مِمَّا قَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ، **أَوْ شَيْئًا مِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، أو ينكر شيئًا من القرآن، يقول: هذا لا يصلح لهذا العصر. أو حديث الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: هذا يصلح في زمان مضى، ولا يصلح لحضارة اليوم. يعني: القرآن والسنة إنما هي لعصر مضى، وعصور مضت، ولا تصلح لنا اليوم. هذا يكفر -والعياذ بالله-، وكثير ممن يقولون: إن أحكام الشريعة لاتصلح لهذا الزمان، ولا تنطبق على هذا الزمان، وهذا كفر صريح، فإذا صح الحديث عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يجوز إنكاره، أو يُقال: هذا ما يصلح لهذا الزمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَاتَّقِ اللهَ**)، اتق الله أن يقع في نفسك شيء من هذه الأمور، فتخرج عن دينك، اتق الله في نفسك، ولا تزك نفسك، أو تأمن على دينك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ**)، انظر لنفسك، لا تنظر للناس وما عليه الناس، انظر لنفسك، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة:١٠٥]، لا تقل: هذا عليه الناس كلهم. انظر لنفسك، انج بنفسك، الناس دعهم عنك، إذا لم يقبلوا الحق، فأنت اثبت عليه، ولا تغتر بما عليه الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِيَّاكَ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ**)، هذه ناحية أخرى؛ لأن الدين يخرج الإنسان منه بأحد أمرين:

الأمر الأول: إما بتركه، أو ترك شيء منه زهدًا فيه.

الأمر الثاني: وإما بالغلو والزيادة في التشدد.

فالخروج من الدين يحصل إما بالتساهل، وإما بالتشدد، فعليك بالوسط بين التساهل والتشدد، وهذا هو ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والغلو يخرج الإنسان من الدين؛ كما أخرج الخوارج، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم: «**يَمْرُقُونَ من الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ**»(١).

فالغلو يُخرج الإنسان من الدين:

* إما إخراجًا كاملًا إلى الكفر.
* وإما إخراجًا جزئيًا بحسب ما يحصل له.

وقد يكون الغلو في الدين في العبادة؛ مثل: غلو النصارى في الرهبانية، ومثل الذين جاؤوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألون عن عمله، فلما أُخبروا، كأنهم تقالوا عمل الرسول، ولكن قالوا: (إن الرسول غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)؛ يعني: فليس هو بحاجة إلى كثرة العمل، فلما علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، غضب عليهم غضبًا شديدًا، وخطب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا بِهَا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا، فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنِّي أَصُومُ الدَّهْرَ، فَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الآخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، وَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: **أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي»**[1]، وفي رواية: أن أحدهم قال: «لَا آكُلُ اللَّحْمَ»، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[2]، قصدهم الخير، ولكن لا يكفي القصد؛ لابد من الاتباع مع القصد، لابد من اتباع السنة مع القصد والنية الصالحة، أما نية صالحة بدون اتباع، فإنها لا تنفع صاحبها.



(١) سبق تخريجه (ص٣٨٨).

(٢) أخرجها مسلم (٥) (١٤٠١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: **مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**».

وَجَمِيعُ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَهُوَ عَنِ اللهِ تَعَالَى، وَعَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ أَصْحَابِهِ، وَعَنِ التَّابِعِينَ، وَعَنِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ إِلَى الْقَرْنِ الرَّابِعِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَجَمِيعُ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَهُوَ عَنِ اللهِ تَعَالَى**)، جميع ما ذكر في هذا الكتاب من أصول الاعتقاد، فإنه مأخوذ من الكتاب والسنة، ما أتى المؤلف بشيء من عنده رَحِمَهُ اللَّهُ، بل بما كان عليه سلف هذه الأمة، ولا أحدث قولًا من عنده، وإنما هو حكاية لما في الكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة، فهو يصف الطريق السليم الذي من سلكه، نجا بإذن الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنْ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ لأنه مستند: إما إلى القرآن الكريم، وإما إلى السنة النبوية، فهو عن الله، وعن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنْ أَصْحَابِهِ وَعَنِ التَّابِعِينَ**)، وكذلك -أيضًا- ما ذُكر في هذا الكتاب، فهو عن القرون المفضلة التي أثنى عليها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»، قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟»[1]، تسمى القرون المفضلة، وهي أربعة قرون، أو ثلاثة قرون، أمرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاقتداء

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، وأبو داود (٤٦٥٧)، والترمذي (٢٢٢١) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بهم، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، القرون المفضلة: التابعون، وأتباع التابعين، كانوا يتبعون السابقين الأولين من المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والأنصار بإحسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ يعني: بإتقان، الإحسان المراد به الإتقان، الذي ليس فيه غلو، وليس فيه تساهل، ويكون عن علم بما هم عليه، هذا هو الإحسان، فكم ممن يدعي أنه على منهج السلف، ولكنه لايتبعه بإحسان؛ لأنه لا يعرف منهج السلف، ويظن أن هذا الفعل، أو هذا القول أنه من قول السلف أو فعلهم، فلا يكون بإحسان، لابد إذا أردت أن تنهج منهج السلف أن تتعلم طريقتهم، وهذا الكتاب من الكتب التي تصف لك طريقة السلف، وتبينها لك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ إِلَى الْقَرْنِ الرَّابِعِ**)، القرون التي أثنى عليها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي ثلاثة قرون: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون، وأتباع التابعين، والرابع من بعد أتباع التابعين، وإذا تأملت وجود الأئمة، ووجود الحفاظ، وجدتهم في هذه القرون، فيها الأئمة الأربعة، وفيها من الأئمة الكبار النجوم النيرة، كلهم في هذه القرون، وهذا مصداق ما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١).



(١) سبق تخريجه (ص٥١).

فَاتَّقِ اللهَ -يَا عَبْدَ اللهِ-، وَعَلَيْكَ بِالتَّصْدِيقِ، وَالتَّسْلِيمِ، وَالتَّفْوِيضِ، وَالرِّضَى لِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَلَا تَكْتُمْ هَذَا الْكِتَابَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، فَعَسَى يَرُدُّ اللهُ بِهِ حَيْرَانَ مِنْ حَيْرَتِهِ، أَوْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ مِنْ بِدْعَتِهِ، أَوْ ضَالًّا عَنْ ضَلَالَتِهِ، فَيَنْجُو بِهِ، فَاتَّقِ اللهَ، وَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ الْعَتِيقِ، وَهُوَ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَرَحِمَ اللهُ عَبْدًا، وَرَحِمَ وَالِدَيْهِ، قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ، وَبَثَّهُ، وَعَمِلَ بِهِ، وَدَعَا إِلَيْهِ، وَاحْتَجَّ بِهِ، فَإِنَّهُ دِينُ اللهِ وَدِينُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَاتَّقِ اللهَ يَا عَبْدَ اللهِ، وَعَلَيْكَ بِالتَّصْدِيقِ وَالتَّسْلِيمِ**)، عليك بالتصديق، لا تُكذب شيئًا مما ذكر في هذا الكتاب؛ لأنه مأخوذ من الكتاب والسنة، فعليك بالتسليم به، وعدم التردد في الأخذ به، والاتباع، وعدم التكاسل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالتَّفْوِيضِ**)؛ يعني: لا تحدث شيئًا من عندك، وليس التفويض الذي عليه المفوضة في الصفات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالرِّضَى لِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ**)، مما هو من أصول أهل السنة والجماعة، وليس هذا مدحًا وتزكية لكتابه -كما يظن بعض الشراح-، إنما هو يحث على الأخذ بما ذكره فيه، يحثك على أن تأخذ مما ذكره فيه من الأصول الصحيحة من الكتاب والسنة؛ لأنه لم يأتِ بشيء من عنده، أو يبتكر شيئًا من عنده أبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا تَكْتُمْ هَذَا الْكِتَابَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ**)؛ يعني: انشر هذا الكتاب، ووزعه على (أهل القبلة)؛ يعني: على المسلمين؛ ينتفعوا به؛ لأن هذا من نشر العلم النافع، ومن التواصي بالحق، وهكذا يجب أن تنشر الكتب النافعة المفيدة، ولاسيما الكتب الأصيلة، وكلما تقادم الكتاب، فهو أقرب إلى الحق؛ لأنه يكون قريبًا من القرون المفضلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَعَسَى يَرَدُّ اللهُ بِهِ حَيْرَانَ مِنْ حَيْرَتِهِ**)، هذه فائدة نشر الكتب المفيدة؛ أن الله قد يرد بها حيرانًا من حيرته، أو ضالًا عن ضلالته؛ لأن بعض الناس يكون جاهلًا، ولو بُين له الحق، لاتبعه، هذا هو الذي يستفيد من نشر الكتب، أما الزائغ الذي يتبع هواه، فهذا لن تفيده الكتب شيئًا، بل ربما تفتنه أكثر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَوْ صَاحَبَ بِدْعَةٍ مِنْ بِدْعَتِهِ، أَوْ ضَالًّا عَنْ ضَلَالَتِهِ، فَيَنْجُو بِهِ**)، فيكون لك الأجر في توزيع هذا الكتاب وأمثاله، وليس خاصًا بهذا الكتاب، كل الكتب النافعة وكتب العقيدة بالذات يجب أن تُنشر، وتوزع على الناس بدلًا من أن يُوزع عليهم كتب الضلال وكتب دعوة الضلال؛ توزع عليهم هذه الكتب؛ لأن كثيرًا من الناس على جهل، لو بُيِّن لهم الحق، لقبلوه، وانتفعوا به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَاتَّقِ اللهَ، وَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ الْعَتِيقِ**)؛ أي: التزم بالأمر الأول، وهو ما كان عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والقرون المفضلة، (العتيق) يعني: القديم، وهذا فيه التحذير مما جد من الشرور

والفتن، فإذا رأيت الاختلاف، ورأيت كثرة الأقوال، فعليك أن تنظر لما عليه السلف الصالح، وتمسك به؛ لأنه الحق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهُوَ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ**)؛ أي: ما ذكره من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة وبسطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ووسع فيها القول.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَرَحِمَ اللهُ عَبْدًا، وَرَحِمَ وَالِدَيْهِ، قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ وَبَثَّهُ وَعَمِلَ بِهِ، وَدَعَا إِلَيْهِ**)؛ أي: وأمثاله من الكتب النافعة، فالكتب النافعة يجب أن تبث، وتنشر، ولمن بثها ونشرها أجر نشر العلم، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، أكثر الناس إنما وقعوا في الضلالة؛ لأنهم لم تصل إليهم هذه الكتب الأصيلة، وإنما تصل إليهم كتب أهل الضلال والفرق الضالة، ويظنونها حقًا، فلو أن هذه الكتب الأصيلة أُعتني بها، ووزعت على الناس، لهدى الله بها من شاء من خلقه.

بعض الشُّراح ينقمون على المؤلف، ويقولون: هذه تزكية لكتابه. ونقول: لا، ليس هذا تزكية لكتابه، وإنما هو حث على لزوم منهج السلف المذكور في هذا الكتاب وفي غيره.



فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَحَلَّ شَيْئًا خِلَافَ مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يِدِينُ للهِ بِدِينٍ، وَقَدْ رَدَّهُ كُلَّهُ؛ كَمَا لَوْ أَنَّ عَبْدًا آمَنَ بِجَمِيعِ مَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، إِلَّا أَنَّهُ شَكَّ فِي حَرْفٍ، فَقَدْ رَدَّ جَمِيعَ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَى، وَهُوَ كَافِرٌ؛ كَمَا أَنَّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا تُقْبَلُ مِنْ صَاحِبِهَا، إِلَّا بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَخَالِصِ الْيَقِينِ، كَذَلِكَ لَا يَقْبَلُ اللهُ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ فِي تَرْكِ بَعْضٍ، وَمَنْ تَرَكَ مِنَ السُّنَّةِ شَيْئًا، فَقَدْ تَرَكَ السُّنَّةَ كُلَّهَا، فَعَلَيْكَ بِالْقَبُولِ، وَدَعْ عَنْكَ الْمُمَاحَلَةَ وَاللَّجَاجَةَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ دِينِ اللهِ فِي شَيْءٍ، وَزَمَانُكَ خَاصَّةً زَمَانُ سُوءٍ، فَاتَّقِ اللهَ.

الشرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَحَلَّ شَيْئًا خِلَافَ مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يِدِينُ للهِ بِدِينٍ**)؛ أي: من خرج عن منهج أهل السنة والجماعة الذي بُيِّن في هذا الكتاب، وفي غيره من كتب الاعتقاد الصحيح، من خرج عن هذا المنهج، فإنه يكون مع أهل الضلال؛ مع المبتدعة، مع المعتزلة، مع الجهمية، مع الفرق الضالة، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣٢]، فلابد أن الإنسان يعرف الحق أولًا، وما عليه سلف الأمة، لاينظر إلى كثرة المذاهب وكثرة الأقوال، وإنما ينظر إلى شيء واحد، هو ما عليه سلف هذه الأمة؛ كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلَنْ يَصْلِحَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ إِلَّا بِمَا صَلُحَ بِهِ أَوْلُهَا»(١)، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

(١) سبق تخريجه (ص٥٢).

وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1]، فإذا التبست علينا الأمور، وكثرت الدعايات، فالحمد لله المخرج موجود، وهو اتباع الكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة، كلٌ يدعي أنه على الكتاب والسنة، ما الذي يفرق بيننا وبينهم؟ الذي يفرق بيننا هو منهج السلف؛ لأن السلف هم الذين فهموا الكتاب والسنة، وساروا عليهما، فنحن نتبع السلف الصالح، هذا هو الفرق بيننا وبين أهل الضلال والفرق المنحرفة؛ عملًا بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ**»، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[2].

الحق واضح، والطريق واضح لمن طلب النجاة، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٣، ١٢٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**خِلَافًا لَمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ**)؛ يعني: خلافًا لما في هذا الكتاب من أصول العقيدة، وليس من كلامه هو، وإن ما في هذا الكتاب إنما هو من

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).
(٢) سبق تخريجه (ص٤٥).

كلام الله، وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلام السلف الصالح، هذا الذي في هذا الكتاب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لَيْسَ يِدِينُ للهِ بِدِينٍ)**؛ لأنه على منهج أهل الضلال، من خالف الكتاب والسنة ومنهج السلف، فهو على منهج الضلال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كَمَا لَوْ أَنَّ عَبْدًا آمَنَ بِجَمِيعِ مَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا أَنَّهُ شَكَّ فِي حَرْفٍ)**، لابد من الإيمان بالكتاب كله، وبالسنة التي كان عليها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلها، أما من آمن ببعضها، ولم يؤمن بالبعض الآخر منها، فإنه كافر بالجميع؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٨٥]، فالذي لا يأخذ من الكتاب والسنة إلا ما يوافق هواه، ويترك ما خالف هواه، هذا مثل أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧]، هذه سيرة كفار أهل الكتاب؛ أنهم إنما يأخذون عن الأنبياء ما يوافق أهواءهم، وما خالف أهواءهم مما جاءت به الأنبياء، فإما أن يكذبوا به، وإما أن يقتلوا النبي الذي جاء به، وقد قتلوا من الأنبياء من قتلوا؛ لأنهم خالفوا أهواءهم، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة:٧٠]، هذه طريقتهم، فالذي يأخذ من الكتاب والسنة ما يوافق هواه، ويؤيد منهجه وطريقته، ويرفض ما خالف هواه ومنهجه، هذا

مثل هؤلاء؛ يؤمن ببعض الكتاب، ويكفر ببعض، ولا ينفعه أنه عمل ببعض الكتاب؛ لأنه كافر بالجميع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَقَدْ رَدَّ جَمِيعَ مَا قَالَ اللهُ وَهُوَ كَافِرٌ**)، من رد حرفًا من القرآن، فهو كافر، لو -مثلًا- في قوله تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق:١]، قال: ﴿قٓ﴾ هذه ليست من القرآن، ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق:١] تكفي. مثل من قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، نقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال: ﴿قُلْ﴾ هذه ليست من القرآن، فهذا كافر -والعياذ بالله-؛ لأنه رد كلمة من كلام الله، أو رد حرفًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كَمَا أَنَّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا تُقْبَلُ مِنْ صَاحِبِهَا إِلَّا بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَخَالِصِ الْيَقِينِ**). (لا إله إلا الله) هي كلمة الإخلاص، وكلمة التقوى، والعروة الوثقى، ومفتاح الجنة، لكن لا تنفع صاحبها إلا بسبعة، أو ثمانية، نظمها العلماء بقولهم[1]:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ ... مَعْ مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولِ لَهَا

هذه سبعة شروط.

وَزِيدَ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ ... بِمَا سِوَى الْإِلَهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ قَدْ أُلِّهَا

---

(١) ذكر معناها الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَبِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّدَتْ ... وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ
فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا ... بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا
الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالْقَبُولُ ... وَالِانْقِيَادُ فَادْرِ مَا أَقُولُ
وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّهْ ... وَفَّقَكَ اللهُ لِمَا أَحَبَّهْ

انظر: معارج القَبُول (١ / ٣٢).

من أخل بشرط منها، لم تنفعه (لا إله إلا الله):

الشرط الأول: العلم بمعناها، وضده الجهل بمعناها.

الشرط الثاني: اليقين بما تدل عليه، وضده الشك.

الشرط الثالث: الإخلاص، وضده الشرك بالله.

الشرط الرابع: الصدق، وضده الكذب والتكذيب بما تدل عليه.

الشرط الخامس: المحبة لما تدل عليه من التوحيد، وضدها بغض ما تدل عليه.

الشرط السادس: الانقياد لما تدل عليه، وضده الإعراض عما تدل عليه.

الشرط السابع: القبول لما تدل عليه، وضده الرفض لما تدل عليه.

الشرط الثامن: الكفر بما يعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ، وضده عدم الكفر به.

هذه ثمانية شروط لابد أن تتحقق فيمن قال: (لا إله إلا الله)، فليست كلمة تُقال باللسان فقط، فـ (لا إله إلا الله) لها أركان، ولها شروط، أركانها ركنان:

الركن الأول: النفي.

الركن الثاني: الإثبات.

فلا ينفع النفي بدون إثبات، ولا ينفع الإثبات بدون نفي، فلو قلت: الله إله. ما كفى هذا، ولو قلت: لا إله. هذا نفي فقط؛ لأنك جحدت الآلهة نهائيًّا، تكون من الذين يجحدون الآلهة نهائيًا، معناها: ليس في الكون إله.

أما الصوفية الذين يقولون: (الله الله)، أو (هو هو)، هذا كلام باطل، وهذيان، ولا يفيد شيئًا، فلابد من قول: (لا إله إلا الله) بالنفي والإثبات، وهو

معنى قوله -تعالى-: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾، هذا النفي، ﴿وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ﴾، هذا الإثبات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كَذَلِكَ لَا يَقْبَلُ اللهُ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ فِي تَرْكِ بَعْضٍ**)؛ كما أنه لا يصح الإيمان ببعض القرآن وترك بعضه -ولو آية، أو حرفًا-، فكذلك السنة لا يصح الإيمان، إلا إذا آمن بها جميعًا، فلا يجحد شيئًا مما صح عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذا من مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله؛ أن تعمل بسنته، وتطيعه، وتترك ما نهاك عنه، هذا من مقتضى شهادة أنه رسول الله، أما لو شهد أنه رسول الله، ولكن لم يؤمن بما جاء به وبما قاله من الأحاديث، أو رد بعض الأحاديث، وهي صحيحة؛ لأنها لا توافق هواه، أو لا تنطبق على منهجه، فهذا كافر بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو من الذين قال الله فيهم: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]، فلابد أن تؤمن بجميع السنة؛ ما يوافق هواك، وما يخالف هواك، ما يوافق منهجك، وما يخالف منهجك، ويجب أن تؤسس منهجك على الكتاب والسنة، لاتؤسسه على الهوى، أو على قول فلان، أو على نظام الحزب أو الجماعة الفلانية، لا تؤسسه على ذلك، أسسه على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنْ ردَ مِنَ السُّنَّةِ شَيْئًا**)، مثلًا: المعتزلة وعلماء الكلام الذين لا يؤمنون بأحاديث الآحاد يقولون: لأنها لا تفيد العلم. فلا يقبلونها في العقائد، ويأتون بقواعد المنطق وعلم الكلام، يقولون: لأن المنطق وعلم الكلام يفيد اليقين؛ لأنه براهين عقلية، وأما كلام الرسول، إذا كان خبر آحاد،

فإنه لا يفيد اليقين. والحديث لا يفيد اليقين عندهم ولو كان في الصحيحين، هذا ضلال -والعياذ بالله-، ما صح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يفيد العلم، ويفيد اليقين؛ لأنه كلام من لا ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣-٤]، فهؤلاء كذبوا ببعض الوحي؛ حيث ردوا أحاديث الآحاد في العقائد، ولم يقبلوها، وردوا شيئًا من الوحي المنزل، فهذه طريقة ضالة -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَقَدْ تَرَكَ السُّنَّةَ كُلَّهَا**)، ولا ينفعه ما قبل منها، حتى يقبلها كلها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَعَلَيْكَ بِالْقَبُولِ، وَدَعْ عَنْكَ الْمُمَاحَلَةَ وَاللَّجَاجَةَ**)، المماحلة: المجادلة، واللجاجة: الجدال الذي لا طائلة تحته، ورفع الصوت من أجل أن تنتصر على خصمك، هذا لا يفيدك شيئًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ دِينِ اللهِ فِي شَيْءٍ**)، الجدال بالباطل ليس من دين الله، قال تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [غافر:٤]، يجادلون فيها: هل هي من عند الله، أو ليست من عند الله؟ هل القرآن كلام الله أو لا؟ هل هو منزل، أو مخلوق؟ هذا كله من الجدال في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ومن المماراة الباطلة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَزَمَانُكَ خَاصَّةً زَمَانُ سُوءٍ فَاتَّقِ اللهَ**)، هذا في وقت المؤلف، فكيف بما بعده من الأزمنة؟! الفتنة أشد، وكان زمانه على ما فيه من الفتن فيه علماء، لكن كلما تأخر الزمان، قل العلماء، وكثر الشر، فالخطر أشد في آخر الزمان.

وَإِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، فَالْزَمْ جَوْفَ بَيْتِكَ، وَفِرَّ مِنْ جِوَارِ الْفِتْنَةِ، وَإِيَّاكَ وَالْعَصَبِيَّةَ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ قِتَالٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الدُّنْيَا، فَهُوَ فِتْنَةٌ، فَاتَّقِ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تَخْرُجْ فِيهَا، وَلَا تُقَاتِلْ فِيهَا، وَلَا تَهْوَ، وَلَا تُشَايِعْ، وَلَا تُمَايِلْ، وَلَا تُحِبَّ شَيْئًا مِنْ أُمُورِهِمْ؛ فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَنْ أَحَبَّ فِعَالَ قَوْمٍ -خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا-، كَانَ كَمَنْ عَمِلَهُ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَرْضَاتِهِ، وَجَنَّبَنَا وَإِيَّاكُمْ مَعَاصِيَهُ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فَالْزَمْ جَوْفَ بَيْتِكَ**)، إذا وقعت الفتنة -وهي القتال بين المسلمين-، فالزم بيتك، كف يدك ولسانك لتسلم، هذا إذا كان ليس لخروجك من بيتك فائدة، ولا يُقبل منك، فالزم بيتك، أما إذا كان لخروجك مع الناس واختلاطك بهم ودعوتهم إلى الله وبيان الحق فائدة، فاخرج، وهذا ما يسمى بـ(الاختلاط والعزلة)، الاختلاط والعزلة أيهما أفضل؟ نقول: هذا يختلف، إذا كان في الاختلاط فائدة، ودعوة إلى الله، وبيان للحق، فالاختلاط أفضل، وإذا كان الاختلاط بالناس، ودعوتهم لا تفيد شيئًا، فالاعتزال أحسن، وهذا الذي عنده علم، أما الذي ليس عنده علم، فهذا يعتزل على كل حال؛ لئلا يُفتن وهو لا يدري ولا يعرف، فالجاهل يلزم بيته، أما العالم، فكما ذكرنا من التفصيل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِيَّاكَ وَالْعَصَبِيَّةَ**)؛ أي: التعصب للباطل، والانتصار لرأيك، أو لجماعتك التي تنتمي إليها، اجعل الحق هو مقصودك وهدفك،

سواء كان معك، أو مع غيرك، سواء كان مع جماعتك، أو مع جماعة غير جماعتك، اجعل هدفك الحق، والحق ضالة المؤمن أينما وجده، أخذه، أما من يتعصب لرأيه، ويرفض الحق، فهذا من دين الجاهلية، ومن عصبية الجاهلية، وليست من الإسلام، فالمسلم يبحث عن الحق، ويتبع الحق مع من كان، هذا هو المسلم الصحيح، يجعل هواه تابعًا لما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي في الأربعين، وصححه النووي رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»[1]، وهذا يصدقه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمُ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ قِتَالٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الدُّنْيَا فَهُوَ فِتْنَةٌ**)، القتال بين المسلمين لا يجوز؛ لأن دم المسلم حرام، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ**»[2]، فدم المسلم معصوم، وكذلك دم المعاهد الذي بينه وبين ولي المسلمين عهد، أو بينه وبين أحد أفراد المسلمين أمان، فإنه حرام الدم بالعهد والأمان، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]، والنفس التي حرم الله هي النفس المؤمنة، أو النفس المعاهدة أو المستأمنة، هذه النفس التي حرم الله، فلا يجوز أن تُقتل إلا بالحق، والحق هو ما بيَّنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٠).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٢٧).

بإحدى ثلاث: إما قصاص نفس بنفس، وإما زان محصن يُرجم حتى يموت، وإما مرتد يُقتل لردته، هذا الذي يُبيح دم المسلم، وما عدا ذلك، فإن دم المسلم حرام، إلا إذا كان هناك بغاة أو خوارج خرجوا على المسلمين، أو بغوا على المسلمين، فإنهم يُقاتلون دفعًا لشرهم، لا لكفرهم، فيُقاتل الخوارج، ويُقاتل البغاة الذين يصولون على المسلمين، ويستحلون الحرمات، يُقاتلون دفعًا لشرهم، وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتالهم، وأمر الله بقتال البغاة، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:٩]، أمر بقتال البغاة، وأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتال الخوارج، فقال: «**فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**»[1]؛ دفعًا لشرهم عن المسلمين.

هذا التفصيل في قتال المسلمين، الأصل أنه لا يجوز إلا في حالة البغي، أو حالة الخروج عن المسلمين، وكذلك إذا صال عليك مسلم يريد أخذ مالك، أو يريد قتلك، أو يريد الفجور بأهلك، فإنك تدفعه بأيسر الأمور وأسهلها، فإن لم يندفع إلا بالقتل، فإنك تقتله، وقتله هدر، فيحل دم المسلم بالصيالة، والبغي، والخروج، وقطع الطريق، هذا الذي يبيح دم المسلم؛ وذلك ليس لكفره، وإنما دفعًا لشره عن النفس، أو عن الحرمة، أو عن المال، حتى المال لاتتركه يأخذ مالك، دافعه، ولو بالقتل، وكذلك الاعتداء العام على المسلمين وعلى أمنهم بقطع الطريق أو بالبغي بالخروج على المسلمين.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٧٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عَلَى الدُّنْيَا فَهُوَ فِتْنَةٌ**)؛ أي: إذا كان القتال بين المسلمين لأجل الدنيا، وليس دفاعًا عن الأمن، أو دفاعًا عن حرمة المسلمين، أو عن أموال المسلمين، وإنما هو لأجل سلب المال وأخذ المال، وإذا تقاتل المسلمان على المال، فالقاتل والمقتول في النار، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ**»؛ يعني: لماذا المقتول يصير بالنار؟ قال: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»[1]، نيته أنه يقتل صاحبه لو تمكن، فصار في النار -والعياذ بالله- على نيته واستباحته لدم أخيه، فدخل النار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا تَخْرَجْ فِيهَا وَلَا تُقَاتِلْ فِيهَا**)؛ يعني: في الفتنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا تَهْوَ وَلَا تُشَايِعْ وَلَا تُمَايِلْ**)، لا تشايع أهل الفتنة، وتؤيدهم، وتناصرهم، وتدافع عنهم؛ لأنك تشاركهم إذا دافعت عنهم، وصوبت رأيهم، ولو لم تخرج معهم، فإنك تشاركهم في الإثم، والبغي، والعدوان، والآن هناك من يؤيد أهل التفجيرات وأهل التخريب، ويسمي هذا «جهادًا في سبيل الله»، يقتلون في المسلمين والمعاهدين، ويدمرون، ويروعون المسلمين، ويقولون أو يقول من يؤيدهم: هذا جهاد في سبيل الله. ويدافعون عنهم، وهؤلاء مثلهم في الحكم -والعياذ بالله-؛ لأنهم أيدوهم، وصوبوا رأيهم، فالمسألة فيها خطر عظيم، فأنت تشاركهم، ولو لم تحمل السلاح معهم، بسبب أنك تؤيدهم، تصوب رأيهم، بل أشد من ذلك أنك تصف عملهم بالجهاد في سبيل الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (١٤) (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَنْ أَحَبَّ فِعَالَ قَوْمٍ -خَيْرًا كَانْ أَوْ شَرًّا- كَانَ كَمَنْ عَمِلَهُ**)، من أحب فعال قوم، كان كمن عمله، فإن كان خيرًا، فله مثل أجرهم، وإن كان شرًا، فله مثل وزرهم وإثمهم -والعياذ بالله-، ولهذا جاء في الذي يتمنى أن يكون مثل العالم الذي يعلم الناس الخير أن له مثل أجره، والذي يتمنى أن يكون مثل الغني الذي ينفق ماله في سبيل الله، يُعطى مثل أجره على حسب نيته، وكذلك العكس الذي يتمنى أنه يكون مثل المجرم، مثل أهل المعاصي، يكون شريكًا لهم في الإثم، أو يؤيد رأيهم ويصوبه، هو مثلهم، ولو لم يفعل مثل فعلهم، مجرد أنه صوب رأيهم، ومال معهم.

فليحذر الإنسان أن يهلك وهو لا يدري في هذه الفتن وهذه الشرور، لاتتكلم إلا بخير، وإلا فاسكت.



وَأَقَلَّ مِنَ النَّظَرِ فِي النُّجُومِ، إِلَّا مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، وَالْهُ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الزَّنْدَقَةِ.

الشَّرْح

النظر في النجوم على قسمين:

القسم الأول: الاستدلال بها على الحوادث الأرضية، وهو ما يسمى «علم التأثير»؛ كهبوب الرياح، ونزول الأمطار، وحدوث الأمراض، وموت فلان، أو حياة فلان، هذا تنجيم محرم، وهذا مثل فعل قوم النمرود الذين يعبدون التماثيل التي صورها على صور الكواكب، وصاروا يعبدونها؛ لأنهم يعتقدون في النجوم أنها تؤثر الحوادث، ولا ينسبون هذا إلى الله جَلَّوَعَلَا، فعملوا التماثيل على أشكالها، وصاروا يعبدونها من دون الله، فبعث الله خليله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأنكر عليهم، ودعاهم إلى توحيد الله، وقال لهم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢]، هذا هو التنجيم المحرم، والكفر، والشرك، فالتنجيم -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: (هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية)[1].

هذا هو التنجيم المحرم؛ كما يُنشر الآن في بعض المجلات وبعض الجرائد غير الملتزمة في صفحة التنجيم، والحظوظ، وقراءة الكف، والفنجان، وما أشبه ذلك، كل هذا من أعمال الشياطين ومن الشعوذة، وهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ نسأل الله العافية!

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢).

القسم الثاني: وهو ما يُسمى «علم التسيير»؛ بأن تعرف منازل القمر، وتعرف مجاري الشمس في السنة، بقصد معرفة المواقيت: مواقيت الزراعة، والحرث، ومواقيت الصلاة، وقت الظهر كذا، ووقت العصر كذا، هذا لا بأس به، قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾؛ يعني: القمر ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس:٥]، وقال:﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء:١٢]، وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩].

فعلم التسيير لا بأس به؛ لأن فيه فوائد، وليس فيه اعتقاد سيئ، أما علم التأثير -وهو الاستدلال بالنجوم لغير ذلك-، فهذا حرام وشرك؛ الاستدلال بها على الحظوظ، والنحوس، والخير، والشر، هذا شرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

ولهذا يقول قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ؛ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ»[1].

فالله خلق النجوم لثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: زينة للسماء، قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [فصلت:١٢].

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا- كتاب بَدء الخلق، باب في النجوم (ص٥٧٨)، والطبري في تفسيره (١٤/ ٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩١٣)، والبغوي في شرح السنة (٤/ ٣٩٥). وانظر: الدر المنثور (٣/ ٣٢٨).

الفائدة الثانية: رجومًا للشياطين، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر:١٨].

الفائدة الثالثة: علامات يُهتدى بها في الأسفار، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧].

هذه الفوائد من النجوم، أما الذي يعتقد فيها أنها تؤثر في الحوادث، وأن طلوع النجم الفلاني وقت سعادة، وطلوع الثاني وقت شقاء، فهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٢]؛ أي: تنسبون الرزق إلى النجوم، وطلوعها، وغروبها، وقد صلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صلاة الصبح بالحديبية قريبًا من مكة، فقال -كما في الحديث القدسي-: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: **«أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»**. قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»**[1]، فالمطر ليس من تأثير النجوم، طلوعها، وغروبها، وإنما إنزال المطر من الله جَلَّ وَعَلَا،

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦، ١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣)، ومسلم (٧١).

هو الذي ينزله، ويقدره، ويسيره، ويحبسه إذا شاء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى:٢٨]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤]، خمسة أمور لايعلمها إلا الله، ومنها: إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالذي ينسبه إلى غير الله مشرك.

وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي الْكَلَامِ، وَالْجُلُوسَ إِلَى أَصْحَابِ الْكَلَامِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي الْكَلَامِ**)، يجب العمل بالكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح من الاعتقاد، والعمل، والسلوك، هذا هو المنهج السليم، ومن ترك منهج السلف الصالح في الاعتقاد، وفي غيره، وذهب مع علماء الكلام الذين يثبتون العقائد بقواعد المنطق، وعلم الكلام، والجدل، والمقدمات، والنتائج، يسمونها براهين عقلية، فهذا ضلال في العقيدة، وضلال في الاستدلال، والله أغنانا عن علم الكلام وعن غيره بما أنزل على رسوله من الكتاب والسنة، فلا خير إلا في الكتاب والسنة، لاسيما في أمور العقيدة التي هي الأصل، و هي الأساس، فلا نبني عقيدتنا إلا على أدلة الكتاب والسنة، ولا نبنيها على قواعد المنطق وعلم الكلام، فكلام العلماء في علم الكلام والمتكلمين معلوم.

يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَيُقَالَ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ)[1].

فعلم الكلام مذموم، وكان السلف يحذرون منه غاية التحذير، وأنه لايُتخذ منهجًا في العقائد يُسار عليه، ويُترك الكتاب والسنة؛ مثل: الذين

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩)، وقال الذهبي عقبه: (لعل هذا متواترًا عن الإمام)، وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٧٢).

يقولون: الجسم، والجوهر.. إلى آخره، ويقولون: إثبات الصفات يقتضي التجسيم، والأجسام متشابهة. فينفون أسماء الله وصفاته فرارًا من التجسيم، والجسم هو ما يتكون من الجواهر الفردية، والجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ، والعرض هو ما يقوم بغيره، والجسم ما يقوم بنفسه، فبنوا عقيدتهم على الجسم، وعلى العرض، وغير ذلك من التوهمات الباطلة، وتركوا الكتاب والسنة، وهذا هو الضلال المبين -والعياذ بالله-، ولا يشتغل مسلم بعلم الجدل، ويترك الاشتغال بعلم الكتاب والسنة، إلا من أضله الله عَزَّوَجَلَّ، وكان سلف هذه الأمة يسير على الكتاب والسنة، إلى أن عُربت الكتب الرومية في عهد المأمون، وجاء علم المنطق، وعلم الجدل، فحدث الشر في الأمة من ذاك التاريخ، وبنى كثيرٌ منهم عقائدهم على علم الجدل والمنطق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالْجُلُوسَ إِلَى أَصْحَابِ الْكَلَامِ**)، احذر من تعلم علم الكلام والنظر فيه؛ لئلا تُفتن، وتعجب به، واحذر مجالسة علماء الكلام، وجالس أهل الحديث، وأهل العلم، ولا تجالس علماء الكلام؛ لئلا يؤثروا عليك، ويزهدوك في علم الكتاب والسنة، فمجالسة الأشرار تؤثر على الجليس، ولهذا شبه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجليس الصالح بحامل المسك، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ**»؛ يعني: يعطيك من مسكه، «**وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً**»؛ أي: مدة جلوسك عنده، وشبه الجليس السوء بنافخ الكير، «**إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (١٤٦) (٢٦٢٨) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ =

هذا مثل الجليس الصالح وجليس السوء، وعلماء الكلام من جلساء السوء، فلا تجلس معهم؛ فإنهم يفسدون عقيدتك، ويزهدونك بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



= صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً».

وَعَلَيْكَ بِالْآثَارِ وَأَهْلِ الْآثَارِ، وَإِيَّاهُمْ فَاسْأَلْ، وَمَعَهُمْ فَاجْلِسْ، وَمِنْهُمْ فَاقْتَبِسْ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعَلَيْكَ بِالْآثَارِ**)؛ أي: الأحاديث، (**وَأَهْلِ الْآثَارِ**)، ومعنى (عَلَيْكَ): الزم؛ كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [المائدة:١٠٥]؛ أي: ألزموها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِيَّاهُمْ فَاسْأَلْ**)، قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣]؛ يعني: أهل العلم من أهل القرآن المستقيمين، وأهل العلم من هذه الأمة هم الذين يُسألون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَعَهُمْ فَاجْلِسْ، وَمِنْهُمْ فَاقْتَبِسْ**) قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ ﴾ [النساء:١٤٠]، إذا جالستموهم، إنكم إذًا مثلهم، فليحذر الإنسان من مجالسة أهل الشر وعلماء الضلال، وليلازم مجالسة أهل العلم، أهل العقيدة الصحيحة، وأهل المنهج السليم، يجالسهم، ويستفيد منهم.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا عُبِدَ اللهُ بِمِثْلِ الخَوْفِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَطَرِيقُ الخَوْفِ وَالحُزْنِ وَالشَّفَقَاتِ وَالحَيَاءِ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا عُبِدَ اللهُ بِشيء مِثْلِ الخَوْفِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ)**، العبادة تتركز على ثلاثة أشياء: الخوف، والرجاء، والمحبة، فعبادة الله جَلَّ وَعَلَا لا تكون عبادة إلا إذا توافرت فيها هذه الأمور: الخوف من الله، ورجاء رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يكون خوف فقط؛ حتى يقنط من رحمة الله، ولا يكون رجاء فقط؛ حتى يأمن من مكر الله، ولا يكون محبة فقط بدون خوف ورجاء، بل لابد من الثلاثة: خوف، ورجاء، ومحبة لله عَزَّ وَجَلَّ، ولهذا قالوا: (من عبد الله بالخوف فقط، فهو خارجي)؛ لأن هذه طريقة الخوارج؛ لأنهم أصحاب الوعيد، (ومن عبد الله بالرجاء فقط، فهو مرجئي)؛ لأن هذه طريقة المرجئة الذين لا يخافون الله، وإنما يعتمدون على الرجاء فقط، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ **أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ** ﴾ [الأعراف:٩٩]، (ومن عبد الله بالمحبة فقط، فهو صوفي)[(١)]؛ لأن الصوفية يقولون: (لا نعبد الله طمعًا في جنته، ولا نعبده خوفًا من ناره، وإنما نعبده محبة له فقط)[(٢)]، وهذا ضلال، فلابد أن تعبد الله بالخوف، والرجاء، والمحبة.

---

(١) هذا القول لم أجده فيما بين يدي من كتب قبل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو موجود في كتب كثيرة لشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: أمراض القلوب وشفاؤها (١/ ٧٥)، والتفسير القيم (١/ ٢٦٠).

(٢) هذا القول نُسب إلى أحمد بن الموفق أبو الحسن الصوفي، المتوفى سنة خمس وستين ومائتين، =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَطَرِيقُ الخَوْفِ وَالحُزْنِ وَالشَّفَقَاتِ وَالحَيَاءِ مِنَ اللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى)؛ أي: عليك بالحياء من الله، والحياء من الله: أن لا يراك على معصيته، أنت تستحي من المخلوقين أن يروك على شيء لا يليق، فكيف لاتستحي من الله أن يراك على معصيته، هذا شيء عجيب من الإنسان؛ كما قال الله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء:١٠٨]، فعليك أن تستحي من الله أولًا، وتتجنب معاصيه؛ لأنه يراك.



=أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٧٢)، انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١٢/ ١١٠ -١١٣)، وصفة الصفوة (٢/ ٣٨٦)، وطبقات الحنابلة (١/ ٢٣٠، ٢٣١)، والمقصد الأرشد (٢/ ٢٦٨).

وَاحْذَرْ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إِلَى الشَّوْقِ وَالمَحَبَّةِ، وَمَنْ يَخْلُو مَعَ النِّسَاءِ وَطَرِيقِ المَذْهَبِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاحْذَرْ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إِلَى الشَّوْقِ وَالمَحَبَّةِ**)، وهم الصوفية، لما حذرك من الجلوس مع علماء الكلام، حذرك من الجلوس مع فرقة أخرى ضالة، وهم الصوفية الذين يعبدون الله بالبدع والمحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ويتركون السنة، بل لا يعبؤون بالحديث، ولا يعبؤون بطلب العلم، ويحذرون من طلب العلم، يقولون: (طلب العلم يشغلك عن ذكر الله، يشغلك عن العبادة)، وهذا ضلال؛ لأن العبادة لا تصلح، والذكر لا يصلح، إلا إذا كان على وفق الكتاب والسنة، ولا يكون كذلك إلا بالعلم، ولذلك ضلوا -والعياذ بالله-، زهدوا في العلم والتعلم، وقالوا للناس: (اشتغلوا بذكر الله، اشتغلوا بالعبادة)، هذا هو عين الضلال؛ لأن العبادة والذكر لا يصحان، إلا إذا كانا على علم صحيح، واتباع للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما إذا كانا على غير علم واتباع، كانا ضلالًا، وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»[1]، كيف تعلم أن هذا عليه أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا بالتعلم، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»[2].

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٧).

كيف تعلم أنه محدث، إلا إذا قابلته بسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلابد من التعلم أولًا، ولا تزهد في العلم وطلب العلم، طلب العلم أفضل من نوافل العبادات، فالذي يجلس يذاكر مسألة من العلم أفضل من الذي يقوم الليل كله؛ لماذا؟ لأنه يعبد الله على علم وبصيرة؛ ولأن العالم ينفع نفسه، وينفع غيره، أما العابد الذي يصلي الليل كله، ويصوم النهار، هذا ينفع نفسه فقط، ولا ينفع الناس، فنفعه قاصر على نفسه، فأنت إذا تعلمت، نفعت نفسك، ونفعت الناس، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ**»[1]؛ لأن القمر ينير الكون، ويسير عليه الركبان، ويصلح الله به الثمار، وله منافع عظيمة، أما الكوكب، فهو إنما ينور نفسه فقط، نوره قاصر عليه، هذا في العابد الذي يعبد الله على حق، فكيف بالعابد الذي يعبد الله على جهل؟ هذا ربما تكون عبادته ضلالًا

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد في المسند (٣٦/ ٤٦)، والدارمي (٣٥٤)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٢٠) عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: «كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا جِئْتُكَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

مردودة عليه، فلابد من العلم وطلب العلم، ولا يغرك هؤلاء الذين يحثون الناس على الذكر، والخروج، وصلاة الليل، والصيام، ويزهدون في طلب العلم والجلوس في المساجد لطلب العلم على العلماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنْ يَخْلُو مَعَ النِّسَاءِ**)؛ لأن بعض الصوفية لا يتورعون عن الحرام، يقولون: (نحن ما علينا إثم، نحن من العارفين بالله). ويستبيحون المعاصي، ويقولون: (نحن ما علينا تحريم، وليس علينا واجبات؛ لأننا وصلنا إلى الله، لسنا بحاجة إلى العبادة)، ولذلك يستعملون اللواط، ويستعملون الزنا، ويستعملون النظر المحرم، ويقولون: (ما علينا إثم في هذا؛ لأننا ننظر في آيات الله)، يقولون: (هذا من النظر في آيات الله)، يزين لهم الشيطان هذا الشيء، ويخلون مع المردان، ويحصل منهم شرور، ويزعمون أنهم أولياء الله، وأنهم ليس عليهم حرج فيما فعلوا، انظر كيف يصل العبد إلى هذا الحد -والعياذ بالله-، فلا تجلس مع هؤلاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَطَرِيقِ المَذْهَبِ**)؛ أي: طريق مذهب الصوفية، يقولون: (اجعل لك شيخًا)؛ أي: شيخ طريقة تسلك على يديه، (الذي ليس له شيخ شيخه الشيطان). لابد أنك تتبع لشيخ، وتبايعه على الطريقة؛ أنك ما تخرج عنها، لهم اصطلاحات خبيثة، فعليك أن تحذر منهم، يدعون الناس إلى الخروج من دين الله إلى دين الشيطان -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ**)، هؤلاء الصوفية -بما فيهم عامتهم، وعلماؤهم، ومريدوهم، ومشايخهم- كلهم على ضلالة، إلا من عمل بالسنة، فهذا على الحق.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ -تَعَالَى- دَعَا الخَلْقَ كُلَّهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمَنَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَا يَشَاءُ بِالْإِسْلَامِ تَفَضُّلًا مِنْهُ.

الشَّرْح

المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول:** (وَاعْلَمْ) أيها المسلم، يا طالب العلم، وتنبه إلى أن الله خلق الخلق كلهم لعبادته، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، هذا من ناحية الإخبار، ومن ناحية الأمر قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١، ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج:١]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر:٥]، فهذا خطاب لجميع الناس -مؤمنهم وكافرهم، جنهم وإنسهم- بأن يفردوا الله بالعبادة، ولا يعبدوا معه سواه؛ لأنه لا رب لهم إلا الله جَلَّ وَعَلَا، والغالب على النداءات في السور المكية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، والغالب في المدنية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾، وإن كان قد يوجد شيء في السور المكية أو السور المدنية غير ذلك، لكن العبرة بالغالب، فهذا النداء يدل دلالة صريحة على أن العبادة لا تصلح إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله جَلَّ وَعَلَا أمر بها جميع الناس، وخلقهم من أجلها، فليس لأحد

فيها أي استحقاق؛ لا الملائكة، ولا الأنبياء، ولا الأولياء، ولاالصالحين، ولا الجن، ولا الإنس، ولا أي مخلوق، العبادة حق لله على الخلق أجمعين.

فالدعوة إلى عبادة الله عامة، ولكن الممتثلين لهذه الدعوة هم خواص العباد، والكثير من الناس أعرضوا عن عبادة الله، والقليل هم الذين أصغوا إلى هذا النداء وهذا الأمر، فامتثلوا أمر الله، فهداهم الله جَلَّوَعَلَا لذلك، ووفقهم؛ بسبب إقبالهم وإصغائهم لنداء الله، فالسبب من قِبل العبد، والتوفيق من قِبل الله، وتوفيق الله مترتب على سبب من العبد، فإذا فعل العبد السبب، فإن الله يوفقه وييسره؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٤- ١٠]، فالهداية لها سبب، والضلال له سبب من قِبل العبد، فهذا يجب التنبه له؛ لأن هناك من يقول: (إن كان قدر لي الهداية، فسأهتدي، وإن قدر لي الضلالة، فسأضل)، هذا كلام باطل، واحتجاج بالقدر، وينسى هذا أن فعل السبب من قِبله هو، لن يحصل علي الهداية بدون سبب أبدًا، أنت إذا أردت الأولاد، لابد أن تتزوج، تفعل السبب، وهو الزواج، أما لو بقيت عَزَبًا، ولم تتزوج، فلن يأتيك أولاد، وكذلك الرزق، أنت لو جلست، ولم تعمل شيئًا، واعتمدت على القدر، لن يأتيك شيء، وإذا قمت، وعملت، وتسببت، وطلبت الرزق، يسر الله لك. الطيور والبهائم لا تبقى في أوكارها ومأواها، بل تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا[1]، تذهب لطلب

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (١/ ٣٣٢)، وابن حبان (٢/ ٥٠٩)، والحاكم (٤/ ٣٥٤) عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: =

الرزق، فلابد من فعل السبب، فالهداية لاتحصل بدون سبب، والضلال لا يحصل بدون سبب من العبد، الله لا يظلم أحدًا، فالذي يريد الخير، ييسره الله للخير، ويشرح صدره له، والذي يريد الشر، ييسره الله للشر، ويهيئه له؛ جزاء على ميوله ورغبته، فليتفطن العبد لهذا الأمر؛ فإنه دقيق جدًّا، فلابد من فعل الأسباب لجميع الأمور، ومنها الإيمان والهداية، ودخول الجنة والنار.

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَا يَشَاءُ بِالْإِسْلَامِ تَفَضُّلًا مِنْهُ**)؛ أي: منَّ الله على من يشاء بالإسلام تفضلًا منه سبحانه، لكن التفضل من الله له سبب، والحرمان له سبب من قِبل العبد، فلابد أن يُلاحظ هذا، ولا يحتج الإنسان بالقدر؛ كالذين قالوا: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨]، هذا احتجاج بالقدر؛ كما احتج إبليس، فقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الأعراف:١٦]، احتج بالقدر، ونسي أنه تكبر هو عن أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله أغواه بسبب ماذا؟ بسبب أنه أبى، واستكبر، وكان من الكافرين، أبى أن يسجد كما أمره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا حجة له بذلك، الحجة قائمة عليه؛ لأن ما حصل عليه من الشقاوة كان بسبب عصيانه.



=قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**».

وَالْكَفُّ عَنْ حَرْبِ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَعَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ -رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ- وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ، وَلَا تُخَاصِمْ فِيهِمْ، وَكِلْ أَمْرَهُمْ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَذِكْرَ أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي وَأَخْتَانِي»(١)، وقوله: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظَرَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(٢).

الشرح

قوله: **(وَالْكَفُّ عَنْ حَرْبِ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَعَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ)**، هذا أصل عظيم، وهو أنه يجب على المسلم في حق صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين آزروا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحموه، وجاهدوا معه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم، وتركوا ديارهم وأوطانهم، وتبعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلهم من الفضل ما ليس لغيرهم، فهم خير القرون،؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(٣)، فخير القرون هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لما قاموا به من صحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومناصرته، ونشر دينه، وتبليغه لمن جاء بعدهم من الأمة، فحازوا على هذا الفضل الذي لا يساويهم فيهم غيرهم، ولذلك الله جَلَّ وَعَلَا أثنى عليهم، ورضي عنهم؛ كما

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ١٠٤)، بلفظ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي وَأَخْتَانِي**».

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٨)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٣) سبق تخريجه (ص٥١).

ذكر ذلك في كثير من الآيات في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة:١١٧، ١١٨]، ثم قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩]، مع الصادقين، مع هؤلاء صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:١٨]، وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ [الفتح:٢٩]، إلى آخر سورة الفتح، هذه في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقال تعالى لما ذكر الفيء في سورة (الحشر): ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ

وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر:٦-٨]، ثم ذكر الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:٩-١٠].

هذا موقف المسلمين من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ والغل: هو البغض، ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، وفي السنة أحاديث كثيرة، منها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسَبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١).

لو تصدق واحد من المتأخرين غير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولو هو من التابعين تصدق بمثل، أو عدل جبل أحد من الذهب الخالص لوجه الله، لو يتصدق به، لم يعادل في الأجر ما يُتصدق به الصحابي من المد -من الشعير، من التمر-، أو نصف المد -نصيفه-، جبل من الذهب من غير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا يعادل المد منهم، لماذا؟ لفضلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٥٦).

فموقف المسلم من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: احترامهم، والترضي عنهم، والاقتداء بهم، واتباعهم، والدفاع عن أعراضهم، هذا هو موقف المسلم من صحابة رسول الله، وحبهم من حب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن كان يحب رسول الله، فليحب أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن كان يبغض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهو يبغض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَمَنْ أَحَبَّهُمْ، فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ»**(١).

وأما مسألة ما أشار إليه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من عدم الخوض فيما جرى بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فأفراد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كغيرهم من البشر يخطئون، لكن كانت نياتهم خالصة، ومقاصدهم طيبة، وأهدافهم حميدة، لا يشك في هذا من في قلبه ذرة من إيمان، ولا يتهم أحدًا منهم، لكن لما جرت الفتنة -والفتنة ليس لأحد فيها حيلة، نسأل الله العافية من الفتن-، لما جرت في عهدهم بسبب الخبيث اليهودي عبد الله بن سبأ الذي أظهر الإسلام، ثم جاء، وجعل يطعن في خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يطعن فيه، ويجتمع عليه الغوغاء من الناس، والذين يحبون الشر، و يحبون الفوضى، ولا يخلو زمان من أمثال هؤلاء، الناس لو وجدوا من يقودهم إلى الشر، اجتمعوا عليه -إلا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢)، وأحمد (٢٧/ ٣٥٨)، والبيهقي في الشعب (٢/ ١٩١)، وابن حبان (١٦/ ٢٤٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ المُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ أَوْشَكَ أَنْ يَأْخُذَهُ»**.

من رحم الله-؛ لأنهم يحبون الغوغاء، والشغب، والتشويش، ويحبون الكلام في ولاة الأمور، يحبون إفساد الأمر، وتفريق الكلمة، يوجد هذا في الناس، فإذا وجدوا من يدعو إلى هذا، اجتمعوا عليه، فاجتمع على هذا الخبيث من اجتمع، وكان المسلمون أمة واحدة تحت خليفة واحد -هو عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثالث الخلفاء الراشدين-، فأثر عليهم هذا الخبيث، وانتهى الأمر بقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلما قتلوا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اندلعت الفتنة بين المسلمين، وغار المسلمون لقتل عثمان من بينهم، وأرادوا الانتقام ممن قتله، فتكونت من ذلك وقعة الجمل بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين يريدون القصاص من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخرجوا من المدينة، وكانت البيعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، كانت البيعة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو رابع الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فطلبوا من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يقتص من هؤلاء، وتفاوض هؤلاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين خرجوا من المدينة، ومعهم أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تفاوضوا مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أن يسلم هؤلاء القتلة، ولكن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يتمكن من تسليمهم؛ لأنهم تسللوا في جيشه، وجعلوا يعملون الفتنة، وقد بات علي وإخوانه طلحة والزبير وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن جاء من المدينة باتوا متصالحين، فلما أحس هؤلاء بالتصالح بين صحابة رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكف القتال، هيجوا الفتنة، وأظهروا الحرب، تناوشوا، وصاحوا في الجيش، وظن الصحابة أن الحرب قامت، فدارت المعركة في واقعة (الجمل) من غير قصد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإنما الذي أذكاها هم هؤلاء

الذين قتلوا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقُتل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من قُتل في هذه الفتنة وفي هذه الواقعة، وانتهت، ثم قام معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الشام ومعه أهل الشام يطالبون بقتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للقصاص منهم، ولكن الفئة الضالة عملوا المكر والخداع، وإذكاء الفتنة، فدارت معركة صفين بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وسببها هؤلاء الغواة والضلال الذين يشعلون الفتنة بين المسلمين، وانتهى الأمر بقتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قتله الخوارج، الذين خرجوا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ألحقوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، وقتلوه، ليس قصدهم العدل والإنصاف، بل قصدهم الحقد والانتقام، وأرادوا قتل معاوية وعمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولكن الله نجى معاوية وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ونفذ قدر الله في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاستشهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالواجب على المسلم أن يكف عن هذه الأمور، وأن لا يدخل فيها، وأن لا يذكرها إلا على وجه الاعتذار والاستغفار لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويعرف أنهم مجتهدون، فمنهم من أصاب الحق، فله أجران، ومنهم من أخطأ، فله أجر، وأن لهم فضائل عظيمة تغطي ما قد يحصل من بعضهم من الخطأ؛ لأنهم صحابة رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكما في الحديث: «**لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ فقال اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[1]، فهم مغفور لهم على كل حال، المغفرة لهم حاصلة لمن أصاب ومن أخطأ منهم؛ لأن الذي أخطأ منهم ليس عن قصد، وإنما هو عن اجتهاد، فيجب على المسلم ألَّا يدخل في هذا أبدًا، ولا يخطّئ أحدًا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل

(١) سبق تخريجه (ص١٥٨).

يعتذر لهم، ويستغفر لهم، ويترحم عليهم، فيكون من الذين قال الله جَلَّ وَعَلَا فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

وقد ظهرت أشرطة من بعض الجهال، سجل فيها هذه الأمور، وما جرى بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأخرجها بأشرطة يتداولها الناس، فهذا لا يخلو:

إما أنه جاهل لم يدرس العقيدة.

وإما إنه مغرض يريد أن يبث البغض لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فليحذر المسلمون من هذه الأشرطة وأمثالها، وليحذر من كيد الشيعة وسبهم لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسلبهم، والتماس المعايب لهم، فليحذر المسلم من هذا؛ لئلا يكون من الهالكين -والعياذ بالله!

وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ[١]، وَإِنْ كَانَ مَعَ رَجُلٍ مَالٌ حَرَامٌ، فَقَدْ ضَمِنَهُ، لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا، إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَتُوبَ هَذَا، فَيُرِيدَ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَى أَرْبَابِهِ، فَأَخَذْتَ حَرَامًا.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَاعْلَمْ رحمك الله أَنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ)، من احترام المسلمين: احترام دمائهم وأموالهم، واحترام أعراضهم؛ لأن من أسلم، فقد حمى بالإسلام دمه، وحمى ماله، وحمى عرضه، فلا يجوز التعدي على المسلم، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[٢]، وقال في خطبته في حجة الوداع: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا -يعني يوم النحر-، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا -وهي مكة المشرفة-، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا -يعني شهر ذي الحجة-»[٣].

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد في المسند (٣٤/ ٢٩٩)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ١٤٠)، والدارقطني في سننه (٣/ ٢٦)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١٠٠)، من حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٣٢) (٢٥٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا؛ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَهُنَا». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ».

(٣) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فيحرم دم المسلم، وماله، وعرضه، فلا يجوز التعدي على مال المسلم، ولا أخذه إلا بطيبة من نفس المسلم، إذا سمح بشيء من ماله، فهو حلال، وأما أن يؤخذ منه قهرًا، أو بغير طيب نفس، أو غصبًا، أو سرقة، أو خيانة، فإنه حرام كحرمة دمه وعرضه، وهذا كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة:١٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النساء:٢٩]، كثير من الناس لا يبالي بهذا؛ إما أن يقتل أخاه المسلم لأخذ ماله، وإما أن يأخذ ماله بالسرقة، بقطع الطريق، بالخيانة، بالغش في البيع والشراء، فلا يبالي بهذا، فيأخذ مال أخيه بالباطل من غير طيبة من نفسه، هذا كله حرام، وكبيرة من كبائر الذنوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِنْ كَانَ مَعَ رَجُلٍ مَالٌ حَرَامٌ، فَقَدْ ضَمِنَهُ**)، إذا أخذ مال أخيه بغير حق بأي نوع من أنواع الأخذ، فإنه مضمون عليه حتى يؤديه إلى صاحبه؛ لأنه لابد من أداء المظالم إلى أصحابها قبل الموت، وإلا فإن أصحابها سيقتصون من الظالم يوم القيامة، يقتصون من حسناته، حتى ربما لا تبقى له حسنة، ثم تؤخذ من سيئات المظلومين، فتحمل عليه، ويُلقى في النار -والعياذ بالله-، فمال المسلم ولو أخذته بغصب، لو بمعاملة محرمة، أو أخذته بقهر، أو بسرقة، فإنه مضمون، لابد أن تؤديه إما في الدنيا، وإما في الآخرة، فتنبه لذلك، هو مضمون عليك، ولابد من أدائه في الدنيا أو في الآخرة، وأداؤه في الدنيا أسهل عليك من أدائه في الآخرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَتُوبَ هَذَا فَيُرِيدَ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَى أَرْبَابِهِ فَأَخَذْتَ حَرَامًا**)، فلا يجوز أخذك شيئًا تعلم بأنه حرام ومن مكسب حرام لأمور:

أولًا: أنك تعلم أنه حرام، فكيف تستحله، وأنت تعلم أنه حرام، وأن هذا الشخص لا يملكه؟!

ثانيًا: لو تاب هذا الظالم، وأراد أن يرد المال، وقد أخذته منه، فإنه لايتمكن من رده.

ثالثًا: أنك تكون شريكًا له في الجريمة والظلم.



وَالمَكَاسِبُ مَا بَانَ لَكَ صِحَّتُهُ، فَهُوَ مُطْلَقٌ، إِلَّا مَا ظَهَرَ فَسَادُهُ، وَإِنْ كَانَ فَاسِدًا يَأْخُذُ مِنَ الْفَسَادِ مُمْسِكَةَ نَفْسِهِ، وَلَا تَقُولْ: أَتْرُكُ المَكَاسِبَ، وَآخُذُ مَا أَعْطَوْنِي. لَمْ يَفْعَلْ هَذَا الصَّحَابَةُ وَلَا الْعُلَمَاءُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كَسْبٌ فِيهِ بَعْضُ الدَّنِيَّةِ خَيْرٌ مِنَ الحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ**»(١).

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالمَكَاسِبُ مَا بَانَ لَكَ صِحَّتُهُ، فَهُوَ مُطْلَقٌ**)، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ**»(٢)، فالحلال البيِّن يؤخذ؛ لأن الأصل في المعاملات الحِل، إلا ما تبين أنه حرام، وكذلك الحرام بيِّن، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣]، وكذلك الميسر، والقمار، والخمر، هذا حرام بنص القرآن، وكذلك تحريم السرقة، والغصب، وأكل أموال الناس بالباطل، هذا حرام بيِّن.

والمشتبه الذي لا يُدرى هل هو حلال أم حرام لتعارض الأدلة فيه، فهذا يتوقف فيه حتى يتبين، هذه هي القاعدة التي وضعها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي قاعدة بينة واضحة، وهذا معنى قول المؤلف هنا: (**إِلَّا مَا ظَهَرَ فَسَادُهُ**).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٣٢١)، وابن حبان في الثقات (٨/ ٢٠٤).
(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِنْ كَانَ فَاسِدًا، يَأْخُذُ مِنَ الْفَسَادِ مُمْسِكَةَ نَفْسِهِ**)، هذه مسألة الضرورة، إذا خاف الإنسان على نفسه الهلاك إن لم يأكل، فإنه يأكل مما عنده ما يُبقي عليه حياته، ولو كان من مال غيره، ولو كان هذا المال حرامًا، لو كان ميتةً، أو غير ذلك، يأكل منه لأجل الضرورة؛ لئلا يموت، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣]، فتأخذ من الحرام قدر ما يُمسك عليك حياتك، ثم تُمسك عن الباقي، وقال: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩]، فلا حرام مع ضرورة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا تَقُولْ: أَتْرُكُ المَكَاسِبَ، وَآخُذُ مَا أَعْطَوْنِي**)، بعض الناس يقول: (أنا متوكل على الله، وأنا سأجلس للعبادة، ولطلب العلم، والناس يعطونني)، هذا لا يجوز، بل عليك أن تطلب الرزق الذي يكفيك، ويكفي زوجتك وأولادك ومن في بيتك، عليك أن تطلب الرزق، وهذا من العبادة، فلا تجلس تتحرى صدقات الناس، بل عليك أن تطلب الرزق، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَمْ يَفْعَلْ هَذَا الصَّحَابَةُ وَلَا الْعُلَمَاءُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا**)، لم يفعل هذا الفعل، وهو الجلوس عن طلب الرزق والنظر إلى ما بأيدي الناس أحد من صحابة رسول الله، وهم أتقى الناس، بل أعبد الناس لله عَزَّوَجَلَّ، بل كانوا أصحاب أعمال؛ كان منهم مزارعون، وكان منهم تجار يتاجرون بالبيع والشراء، ومنهم أبو بكر، ومنهم الزبير بن العوام، ومنهم

عبد الرحمن بن عوف، ومنهم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أصحاب أموال يبيعون ويشترون، وهم أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكانوا ينفقون في سبيل الله، ويجهزون الجيوش من أموالهم، لم يتركوا طلب الرزق، أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يبيع، ويشتري، ويساعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ بعثه الله في مكة، وهو يساعده من ماله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مواقفه المشهورة، يطعم المساكين، ويشتري العبيد المعذبين، ويعتقهم -كبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيره-، ما ترك الكسب، وقال: (أنا أجلس، وأعبد الله، وأنا من أصحاب رسول الله).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **كَسْبٌ فِيهِ بَعْضُ الدَّنِيَّةِ خَيْرٌ مِنَ الحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ**)، كونك تحترف حرفة فيها دناءة -كالحجامة-، تأخذ منها أجرًا تنفقه على نفسك، خير من سؤال الناس والذلة لهم.



وَالصَّلَوَاتُ الخَمْسُ جَائِزَةٌ خَلْفَ مَنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَهْمِيًّا، فَإِنَّهُ مُعَطِّلٌ، وَإِنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ، فَأَعِدْ صَلَاتَكَ، وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ جَهْمِيًّا، وَهُوَ سُلْطَانٌ، فَصَلِّ خَلْفَهُ، وَأَعِدْ صَلَاتَكَ، وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ صَاحِبَ سُنَّةٍ، فَصَلِّ خَلْفَهُ، وَلَا تُعِدْ صَلَاتَكَ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالصَّلَوَاتُ الخَمْسُ جَائِزَةٌ خَلْفَ مَنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ**).

هذه مسألة الإمامة في الصلاة، من الذي يصح أن يكون إمامًا؟ والذي لا تصح إمامته؟

أولًا: إذا كان الإمام هو السلطان، فهذا يُصلى خلفه، كما يأتي دون نظر إلى بعض ممارساته التي يكون فيها معصية، أو مخالفة ما لم يخرج عن الدين؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بالصلاة خلفهم؛ لأجل جمع الكلمة، وعدم التفرق، فمهما كان عنده من الذنوب والمعاصي، ما لم يصل إلى حد الكفر، فإنه يُصلى خلفه؛ من أجل جمع الكلمة، خصوصًا في الجمع والأعياد، وكذلك في الفرائض، وإن كان ولي الأمر جهميًا، فإنك تصلى خلفه، وتعيد صلاتك.

ثانيًا: إذا كان الإمام الفاسق غير سلطان، فهذا محل خلاف بين العلماء على قولين:

القول الأول: بعض العلماء يُشترط فيه العدالة، فلا تصح خلف الفاسق الذي يأتي كبيرة من كبائر الذنوب دون الشرك، قالوا: لا يُصلى خلفه؛ لأنه ليس بعدل، ولا يُتخذ إمامًا.

القول الثاني: ما دام أنه مسلم، تصح صلاته في نفسه، فإنها تصح الصلاة خلفه، فيُصلى خلف كل مسلم، ولو كان عنده شيء من المعاصي دون الشرك، ودون الكفر، فإنه يُصلى خلفه. وهذا ظاهر كلام المصنف.



وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا- فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دُفِنَا هُنَالِكَ مَعَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَ الْقَبْرَ، فَالتَّسْلِيمُ عَلَيْهِمَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجِبٌ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا- فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)، لما توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اختلف الناس: أين يدفنونه؟ هل يدفنونه مع أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في البقيع، أو ماذا يعملون؟

فذُكر لهم حديث عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ**»(١)، عند ذلك انحلت المشكلة، فدفنوه تحت الفراش الذي مات عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجرة عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لأنه مرض في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الناحية الثانية: أنه لو أُبرز قبره، ودُفن في البقيع، لحصل بذلك الغلو، وتزاحم الناس على قبره، فلأجل صيانته وحمايته دُفن في بيته، ولهذا قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما ذكرت حديث النهي عن الغلو في القبور، وأن اليهود والنصارى غلوا في قبور أنبيائهم، واتخذوها أوثانًا، قالت: «وَلَوْلَا ذَلِكَ

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٦، ٢٠٧)، وعبد الزاق في مصنفه (٣/ ٥١٦) عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: «أَخْبَرَنِي أَبِي، «أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَدْرُوا أَيْنَ يَقْبُرُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى قَالَ أَبُو بَكْرٍ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ، فَأَخَّرُوا فِرَاشَهُ، وَحَفَرُوا لَهُ تَحْتَ فِرَاشِهِ**».

أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»[1]، فبينت الحكمة من دفنه في بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان بيته خارج المسجد؛ لأن حُجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكتنف المسجد من جهة الشرق، ومن جهة الجنوب، فبقي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته مقبورًا خارج المسجد إلى أن أراد الوليد بن عبد الملك توسعة المسجد، فأدخل الحجرة فيه على ما عليه، لم يغير فيها شيئًا، وإنما أُدخلت بحجة التوسعة للمسجد النبوي، وإلا فهو في بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يزال في بيته، وليس في المسجد، ثم لما توفي أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُفن مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلف ظهره؛ إكرامًا له، وميزة له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولأنه كان صاحبه الملازم له في حياته، فدُفن معه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُم لما توفي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تريد أن تُدفن في حجرتها مع زوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع أبيها، ولكن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استأذنها لحبه لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولحبه لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، استأذنها أن يُدفن معهما، فأذنت له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وآثرته على نفسها، فدُفن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحجرة، فهذه هي القبور الثلاثة: قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يلي القبلة، ثم قبر أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم قبر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما ماتت، دُفنت في البقيع مع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦، ١٣٣٠، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤١، ٥٨١٥)، ومسلم (٥٣١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: **لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا».

فيجب الإيمان بذلك؛ لأن معرفة ذلك، ومعرفة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقبر صاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيها فائدة للمسلم: لأجل أن يسلم عليهما، ويزورهما، ويسلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى صاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لينال بذلك الأجر والثواب؛ ثواب الزيارة، والسلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَإِذَا أَتَيْتَ الْقَبْرَ، فَالتَّسْلِيمُ عَلَيْهِمَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَاجِبٌ**)، هذه الثمرة، أو الحكمة من معرفة أين دُفن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحباه أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثمرة ذلك: أن تسلم عليهم إذا زرت المسجد النبوي، وصليت فيه، فإنك تسلم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى صاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لتنال بذلك ثواب الزيارة.

وزيارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لأجل السلام عليهما، والدعاء لهما، والاستغفار لهما، لا لأجل الغلو، وطلب البركة، أو طلب قضاء الحاجات من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما يظنه الخرافيون الذين يؤذون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنما هو السلام فقط، وأيضًا: السلام إنما هو للقادم من سفر، سواءً كان من أهل المدينة، أو من خارج المدينة، فالقادم من سفر يسلم عليهم أول ما يدخل المسجد بعد السفر، ولا يكرر السلام عليهما كلما دخل المسجد النبوي؛ لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يفعلوا ذلك؛ عملًا بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**»[1]؛ يعني: تترددون عليه؛ لأن العيد هو ما يُعتاد، ويتكرر، فلا يتخذ عادة كلما دخل المسجد النبوي، يذهب، ويسلم

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (١٤/ ٤٠٣)، وابن أبي شيبة (٢/ ٦٠)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: =

على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى صاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، هذا بدعة، وهذا وسيلة إلى الشرك، ومن اتخاذ قبره عيدًا، إنما هذا للقادم من سفر.

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، أَتَى قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ»[1]، وإذا أراد أن يدعو، فإنه يتنحى، ويستقبل القبلة، ويدعو الله، لايستقبل القبر، إنما يستقبل القبلة.



=قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**».

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٦٦)، والبيهقي في الصغرى (٢/ ٢١٠)، وفي الكبرى (٥/ ٤٠٢، ٤٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٥، ٥٢)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٨)، وعبد الرزاق (٣/ ٥٧٦).

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ، إِلَّا مَنْ خِفْتَ سَيْفَهُ أَوْ عَصَاهُ.

الشَّرْح

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»(١)، وهذا كما جاء بالقرآن، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١]، بخلاف المنافقين والمنافقات، فإنهم بالعكس يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف -نسأل الله العافية-، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾؛ يعني: عن الصدقة، والإنفاق في سبيل الله، لايبسطون أيديهم في النفقة وبذل المعروف؛ لأنهم لا يؤمنون بالله، ولأن المال أحب إليهم من كل شيء، خلاف المؤمنين والمؤمنات؛ فإنهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة،

(١) أخرجه مسلم (٧٨) (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويطيعون الله ورسوله، مع أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وهذا لأجل إقامة الدين، وتطهير المجتمع من الفساد، ولايكفي أن الإنسان يقول: (ليس عليَّ إلا نفسي)، يصلح في نفسه، ويترك الآخرين، بل عليه أن يُصلح الآخرين ما استطاع؛ لأن هذا من النصيحة، ومن إرادة الخير للناس، فكونك تأمر أخاك بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، هذا أمر واجب عليك، ومن حقه عليك -أيضًا- أن تأمره بالمعروف، إذا رأيت عليه تقصيرًا في الطاعة، وتنهاه عن المنكر، إذا رأيت عليه خطأ يقع فيه، ولا تتركه يهلك، وأنت تقدر على تنبيهه، وليس كما يقول أهل النفاق وأهل الشر: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدخل في أمور الناس، أو وصاية على الناس)؛ كما يقولونه الآن في الصحف وغيرها.

هذا كلام أهل النفاق وأهل الباطل، أما أهل الإيمان، فيرون أن هذا من النصيحة لإخوانهم، ومن إخراجهم من الضرر إلى النفع، ومن الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣]، وقال لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧]، فهذه الآية مثل سورة العصر تمامًا؛ أن يأمر الإنسان بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويصبر إذا ناله شيء في سبيل ذلك؛ لأنه في سبيل الله، وما يناله محتسب له عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومعلوم أن كثيرًا من الناس يثقل عليهم أهل الأمر بالمعروف والنهي من المنكر، وينالونهم بالكلام عليهم، والغيبة، والنميمة، وسبهم، وشتمهم، فيصبرون على ذلك؛ لأنهم في سبيل الله، وفي طاعة الله، وفي إنقاذ إخوانهم،

ليس من النصيحة أنك تترك إخوانك على التقصير في العبادة والخلل في أمر المنكر، وأنت تقدر على نصيحتهم، وتنبيههم، وتوجيههم، هذا من التقصير في حقهم، وأنت تريد لهم الخير، وتريد لهم النجاة، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ**»(١)، فإذا كنت تحب لنفسك الخير، وتحب النجاة، فليكن -أيضًا- أخوك مثل نفسك في هذا، أنت تأمره، وتنصحه، لكن بالطريقة التي أرشد إليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ**»(٢)، إن كان يستطيع أن يغيره بيده -كولي الأمر، أو من فوضه ولي الأمر للإنكار باليد؛ كرجال الحسبة-، فإنه يغيره بيده، ويزيل المنكر بيده، وكذلك صاحب البيت له اليد على من في بيته، فيغير المنكر بيده في داخل بيته؛ لأنه راع على أهل بيته، ومسؤول عن رعيته، وقد قال الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ**﴾ [التحريم:٦]، فأنت مكلف بأهل بيتك، أما إذا لم يكن لك يد، وليس لك سلطة عامة ولا خاصة، فإنك تنكر باللسان؛ بأن تبين أن هذا حرام، وأن هذه معصية، وهذا لا يجوز، تُبين بالموعظة، بالخطب، بالدرس، بالنصيحة السرية بينك وبين أخيك، تبين له، وأيضًا: تبلغ عنه، إذا لم تُجِدِ النصيحة، ولم يُجِدِ الكلام معه، فإنك تبلغ من يقدر على إزالة المنكر بيده، تبلغ رجال الحسبة، تبلغ الهيئات، تبلغ ولي الأمر، هذا من الإنكار باللسان.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهذا لفظ البخاري «لِأَخِيهِ» من غير شك، وجاء عند مسلم «لِأَخِيهِ أَوْ قَالَ لِجَارِهِ» على الشك.

(٢) سبق تخريجه (ص٤٦٣).

فإذا لم تقدر على الإنكار باللسان؛ كأن تمنع من ذلك، فإنك تنكر بقلبك، ولاتقر المنكر بحال، فتنكره بقلبك، فتعتزل مجالس المنكر، وتبتعد عن أهل المنكر، ولا تجالسهم؛ لتسلم بنفسك.

هذه هي مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦]، وقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فإذا عملت بهذه الخطوات، فقد أنكرت المنكر، وقد سلمت، أما إذا لم تنكر المنكر -لا باليد، ولا باللسان، ولا بالقلب-، فهذا يدل على عدم الإيمان؛ كما في قوله: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[1]، فالذي لا ينكر المنكر بقلبه ليس عنده إيمان أصلاً، فلابد من إنكار المنكر، لكن بهذا النظام الذي أرشد إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يحتج أحد بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة:١٠٥]، يظن بعض الناس أن هذه الآية تدل على أن إنكار المنكر ليس بلازم، وأن الإنسان إذا صلح في نفسه، فما عليه من الآخرين، ولا ينكر المنكر، ولا يأمر بمعروف، هذا خلاف الكتاب والسنة، والآية الكريمة لا تعني هذا؛ كما بيَّن ذلك أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما سُئل عنها[2]، وقال

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠) (٥٠) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وأحمد (١/ ٢٢١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة:١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ».

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلَّا وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا**»[1]، فمعنى الآية: إنك إذا أمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، ولم يُعمل بقولك، فعليك بنفسك، ولاتقل: أنا مثل الناس، أو هذا شيء عليه الناس. بل تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، فإذا لم يُقبل منك، فلا تتنازل عن شيء من دينك، وتجامل الناس، وتمشي معهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**إِلَّا مَنْ خِفْتَ سَيْفَهُ أَوْ عَصَاهُ**)، إذا خفت إذا أنكرت أن تُقتل، أو أن تُضرب، فإنك تنتقل إلى المرتبة الثانية، وهي البيان باللسان، إذا خفت من البيان باللسان، تنتقل إلى المرتبة الثالثة، وهذه لا أحد يمنعك منها، لا أحد يمنع من الإنكار بالقلوب؛ لأنه لا يعلم ما في القلوب إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦)، والترمذي (٣٠٤٧)، وابن ماجه (٤٠٠٦)، وأحمد (٦/ ٢٥٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَٰسِقُونَ﴾** [المائدة:٨١]، **ثُمَّ قَالَ: كَلَّا وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا**».

وَالتَّسْلِيمُ عَلَى عِبَادِ اللهِ أَجْمَعِينَ(١).

الشَّرْح

من حق المسلمين بعضهم على بعض: إفشاء السلام فيما بينهم، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور:٦١]؛ يعني: يسلم بعضهم على بعض؛ لأن المؤمنين كالنفس الواحدة، وكالجسد الواحد(٢)، والسلام تحية المؤمنين يوم يلقون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب:٤٤] يسلم الله عليهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويسمعون كلامه وتسليمه، ويردون عليه السلام، فيقولون: (اللهم أنت السلام، ومنك السلام)(٣)، وكذلك أهل الجنة تحيتهم

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٦٣) (٣٩) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**».

وأخرج مسلم (٩٣) (٥٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**».

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٠٠)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص٩٢)، والطبري (١٩/ ٤٦٧) عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: «**إِذَا فَرَغَ اللهُ** =

فيها سلام فيما بينهم، فيحيي بعضهم بعضًا بالسلام في الجنة، وكذلك هم في الدنيا يُحيي بعضهم بعضًا بالسلام، وإفشاء السلام من أسباب دخول الجنة بسلام؛ كما في الحديث، «**أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»(١)، فإفشاء السلام مطلوب بين المسلمين، ومعناه: الدعاء للمسلمين بالسلامة، وقيل معناه: أن اسم الله عليكم؛ لأن من أسماء الله السلام، فإذا قلت: (السلام عليكم)؛ أي: اسم الله عليك، وهو السلام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذه كلمة عظيمة تُنشر بين المسلمين، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»(٢).

فإفشاء السلام يورث المحبة في القلوب، وأنت إذا لقيك مسلم، ولم يسلم عليك، صار في نفسك عليه شيء، تقول: لماذا لم يسلم عليَّ؟ فإذا سلم

=**مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ أَقْبَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَمَعَهُ المَلَائِكَةُ، فَيَقِفُ عَلَى أَهْلِ أَوَّلِ دَرَجَةٍ مِنَ الجَنَّةِ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾** [يس:٥٨]».

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٣٩/ ٢٠١)، والدارمي (١٥٠١)، والحاكم (٣/ ١٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**».

(٢) سبق تخريجه الصفحة السابقة.

عليك، زال ما في نفسك، واستأنست به، وأحببته، وهذا مصداق قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»، فإفشاء السلام له أثر عظيم في نفوس المسلمين، ولا يكفي أن تقول: حياك الله، كيف أصبحت، كيف أمسيت؟ هذه الألفاظ تابعة للسلام، إذا قلت: السلام عليكم، فإنك تقول: كيف حالك، كيف أصبحت... وما أشبه ذلك، وكذلك لا يكفي الإيماء باليد؛ لأن هذه تحية اليهود[1]، إنما الإيماء باليد إذا كان المُسلم عليه بعيدًا، فتسلم عليه باللفظ، وتومئ بيدك؛ لتشعره أنك تسلم عليه؛ من أجل أن يرد عليك السلام.



(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠١٠٠)، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٢٨٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٢٦٣) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تُسَلِّمُوا تَسْلِيمَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَهُمْ بِالْأَكُفِّ، وَالرُّؤُوسِ، وَالْإِشَارَةِ**».

وَمَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَالْعُذْرُ كَمَرَضٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَسْجِدِ، أَوْ خَوْفٍ مِنْ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ، فَلَا عُذْرَ لَكَ. وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ، فَلَمْ يَقْتَدِ بِهِ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ)؛ لأنه معتزل عن جماعة المسلمين، واعتزال جماعة المسلمين والشذوذ بدعة، وصلاة الجماعة واجبة وفرض على المسلم، وكذلك آكد من هذا صلاة الجمعة، فيجب على المسلم أن يحضر الجمعة والجماعة مع المسلمين، ولايعتزل عن جماعة المسلمين في الصلاة في الجمعة والجماعة؛ لأن الصلاة في الجماعة لابد منها؛ لأن صلاة الجماعة واجبة وفرض على كل مسلم، ويأثم من تركها، بل يؤدب -أيضًا-؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**». قَالُوا: وَمَا الْعُذْرُ؟، قَالَ: «**خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ**»(١).

ولما جاء رجل أعمى إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر له ما بينه وبين المسجد من المشقة، وليس له قائد يلائمه، وطلب من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرخص له

(١) أخرجه أبو داود بنحوه (٥٥١)، والدارقطني (٢/ ٢٩٤)، والحاكم (١/ ٣٧٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنَ اتِّبَاعِهِ، عُذْرٌ**، قَالُوا: وَمَا الْعُذْرُ؟، قَالَ: **خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلى**». وأخرجه ابن ماجه (٧٩٣)، وابن حبان (٥/ ٤١٥)، والحاكم (١/ ٣٧٣) بلفظ: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ، إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**».

أن يصلي في بيته، قال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **فَأَجِبْ**»(١)، فالذي يسمع النداء لا يسعه أن يتخلف، ولهذا قال: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**»(٢)، صلاته غير صحيحة، فالنفي قيل: إنه نفي للصحة، وقيل: «**فَلَا صَلَاةَ لَهُ**»؛ يعني: ليس له صلاة كاملة، فالنفي للكمال، ولكن ظاهر الحديث أنه لا تصح صلاته، إلا إذا كان له عذر، فهذا دليل على وجوب صلاة الجماعة في المسجد؛ حيث يُنادى لها، ولهذا يقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنَ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥) (٦٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ، فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى، دَعَاهُ، فَقَالَ: **هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **فَأَجِبْ**».

(٢) سبق تخريجه الصفحة السابقة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٧) (٦٥٤).

هكذا كان صحابة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مع صلاة الجماعة، حتى المريض الذي لايستطيع المشي يأتون به يهادونه بين رجلين حتى يُقام في الصف؛ لعلمهم أن صلاة الجماعة واجبة.

والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وصف المتخلفين عن صلاة الجماعة بالنفاق، قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَثْقَلُ الصَّلاةِ عَلى المُنَافِقِينَ: صَلاةُ العِشَاءِ، وَصَلاةُ الفَجْرِ**»[(١)]، وشهد الله بالإيمان لمن يعمر المساجد بالصلاة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨].

فصلاة الجماعة أمرها عظيم، فلا يُتساهل بها، أو يُلتفت إلى من يثبط عنها، لماذا إذًا بنيت المساجد؟ لو كانت صلاة الجماعة ليست واجبة، لماذا تُقام المساجد، ويُنفق عليها، وتُبنى بنفقات، ويرتب لها الأئمة، والمؤذنون لماذا؟ هل من أجل أنها سنة؟ لا، هذا يدل على أن صلاة الجماعة واجبة، لم تُبنَ المساجد من أجل سنة فقط، إنما بُنيت لأجل واجب، فيجب التنبه لهذا، ولايُلتفت إلى هذيان هؤلاء الذين يأخذون الأقوال المخالفة للدليل ويجمعونها، ويقولون: هذه أقوال العلماء، نقول: أقوال العلماء تخطئ وتصيب، فالواجب اتباع الدليل، لا اتباع أقوال الناس.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**وَمَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ**)، قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَهَاوُنًا بِهَا طُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ**»[(٢)]، وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٢٥٢) (٦٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٥٢)، وابن ماجه (١١٢٥)، والنسائي (١٦٦٨)، وأحمد =

«لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالْعُذْرُ كَمَرَضٍ**)؛ كما في آخر الحديث، قال: «**خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ**»، المرض الذي يعوق الإنسان من الذهاب إلى المسجد، أو يخشى زيادة المرض عليه، أو التعرض لمؤثر يزيد في مرضه، أو خوف من عدو، أو خوف من سبع، خوف محقق، وليس جبنًا، وإنما هو خوف محقق، في الطريق يعترضه عدوٌ، أو يعترضه سبعٌ يفتك به، فهذا له عذر أن يصلي في بيته، أما الآمن والمعافى، فليس له عذر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ، فَلَمْ يَقْتَدِ بِهِ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ**)؛ لأن هذا مخالف لقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ**»[(٢)]، والآن أهل الضلال والتكفيريون لا يصلون مع المسلمين، وإن صلوا، فهم ناوين الانفراد، هذه من البدع المحدثة، فأنت تصلي مع المسلمين، وتحسن الظن بالمسلمين، فلا تسئ الظن بأئمة المساجد.



=(٢٤/ ٢٥٥)، والدارمي (١٦١٢)، وابن حبان (٧/ ٢٦)، والحاكم (١/ ٤١٥) من حديث أَبِي الْجَعْدِ الضَّمْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٢) (٨٦٥) من حديث عبد الله بن عمر، وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٨)، ومسلم (٧٧) (٤١١) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْيَدِ، وَاللِّسَانِ، وَالْقَلْبِ، بِلَا سَيْفٍ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ بِلَا سَيْفٍ)، سبق بيان وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأنه على حسب الاستطاعة[1]، لكن قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بِلاَ سَيْفٍ)؛ يعني: لا يجوز حمل السيف على السلطان، ويُقال: (هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، هذا مذهب الخوارج والمعتزلة، يخرجون على السلطان، ويقولون: (إن السلطان فاسق، وهذا من إنكار المنكر)، وهذا هو المنكر نفسه؛ لأن الخروج على ولي الأمر هو المنكر نفسه؛ لأنه معصية للرسول، ولما يترتب عليه من الضرر العظيم من سفك الدماء، واختلال الأمن، وتفرق الكلمة، مفاسد عظيمة أشد من الصبر على معصيته ومخالفته؛ لأن معصيته ومخالفته ضررها عليه فقط، أما الخروج عليه بالسيف، فهذا ضرره على المسلمين، وهذا مذهب المعتزلة والخوارج، فإن من أصول المعتزلة[2]:

أولًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ويريدون بذلك: الخروج على ولاة الأمور، يقولون: هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) انظر: (ص٤٦٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨٧، ٢٨/ ١٢٩)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٣٣٤)، وشرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (١/ ٤٣٧، ٤٣٨).

ثانيًا: التوحيد: ومعناه: نفي الأسماء والصفات؛ لأن إثبات الأسماء والصفات شرك عندهم.

ثالثًا: العدل: ومعناه: نفي القدر، يقولون: لو عذبهم الله، والله قدر عليهم المعصية، يكون ظلمًا لهم.

رابعًا: المنزلة بين المنزلتين: وهي أن مرتكب الكبيرة لا يُقال: إنه كافر، ولا يُقال: إنه مسلم، بل هو بالمنزلة بين المنزلتين.

خامسًا: إنفاذ الوعد: وهو تكفير مرتكب الكبيرة التي دون الشرك.



وَالمَسْتُورُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ لَا يَظْهَرُ مِنْهُ رِيبَةٌ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالمَسْتُورُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ لَا يَظْهَرُ مِنْهُ رِيبَةٌ**)، الأصل في المسلم العدالة، ولا تسئ الظن بأخيك المسلم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ**»[(١)]؛ أي: حديث النفس. واستعذ بالله، وأحسن الظن بإخوانك المسلمين، فإذا ثبت لك أن هذا المسلم عليه ملاحظة، فإنك تناصحه سرًّا، وتستر عليه، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٢)]، ولاتفضحه، وتشهر به في المجالس، بل عليك أن تناصحه سرًّا بينك وبينه، مع الستر عليه.

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٨) (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٥٨) (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وَكُلُّ عِلْمٍ ادَّعَاهُ الْعِبَادُ مِنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ لَمْ يُوجَدْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَهُوَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، وَلَا يَدْعُوَ إِلَيْهِ.

الشَّرْح

علم الباطن عند الباطنية من الإسماعيلية[1] وغيرهم، الذين يقولون: (إن للنصوص ظاهرًا وباطنًا)، الباطن لا يعرفه إلا خواصهم، وأما الظاهر، فهذا عند العامة، يقولون: (المراد بالصلاة: الدعاء، فمن دعا، فقد صلى، ليس المراد الصلوات الخمس وصلاة النافلة)، ويقولون: (المراد بالزكاة: طهارة النفس، وتنقية النفس، وليس المراد زكاة المال)، ويقولون: (المراد بالصيام: كتم أسرارهم ومذهبهم)، ولذلك هم يسمون بالمنظمات السرية، ويقولون: (الحج معناه: الذهاب إلى مشايخهم، وليس المراد الذهاب إلى بيت الله للحج والعمرة).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهُوَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ**)؛ أي: القول بعلم الباطن بدعة في الدين، وضلالة عن الحق، والعلم لا يحصل إلا بالتعلم على العلماء الربانيين، ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]:

---

(١) هي إحدى فرق الشيعة الباطنية، نسبوا إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر، وزعموا أن دور الإمامة انتهى إليه لأنه سابع، واحتجوا بأن السموات سبع، والأرضين سبع، وأيام الأسبوع سبعة، فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة، ويقولون: إن الله لا موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز، وكذا سائر الصفات، تعالى الله عما يقول الظالمون، وهم يزعمون أن الشريعة لها ظاهر وباطن، وأن الظاهر للعوام، والباطن للخواص، وغرضهم من هذا إبطال الشرع والانسلاخ من الدين. انظر: تلبيس إبليس (١/ ١٢٥)، ومجموع الفتاوى (٤/ ١٦٢)، والفرق بين الفرق (ص٦٨، ٢١٣)، والاعتصام (٤٤٣)، والتعاريف للمناوي (ص٦٢).

(٢) انظر: النونية لابن القيم مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٣٨٣).

وَالْجَـهْـلُ دَاءٌ قَـاتِـلٌ وَشِـفَـاؤُهُ أَمْـرَانِ فِي الـتَّرْكِـيـبِ مُتَّفِقَانِ
نَـصٌّ مِـنَ الْـقُـرْآنِ أَوْ مِـنْ سُنَّةٍ وَطَـبِـيـبُ ذَاكَ الْـعَـالِمُ الرَّبَّانِي

هذا هو العلم، ليس العلم بالذوق والإلهام، ولا علم الباطن الذي عند الباطنية، إنما العلم ما جاء عن الله ورسوله، وما قاله صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو العلم، وما خرج عن ذلك، فهو جهل وضلال، وليس علمًا ولا هدىً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، وَلَا يَدْعُوَ إِلَيْهِ**)، بل يجب الحذر من هذا؛ لأنه من نزغات الصوفية وشطحات الصوفية، الذين يرون أن العلم ليس في الكتاب والسنة، إنما هذا للعوام والذين لا يعرفون، ويسمون هذا علم شريعة، أما العارفون بالله، فهم أهل علم الحقيقة.



وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ، فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لَهُ -يُعَاقَبَانِ إِنْ نَالَ مِنْهَا شَيْئًا-، إِلَّا بِوَلِيٍّ، وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ، وَصَدَاقٍ.

الشَّرْح

النكاح لا يصح إلا بشروط:

منها: الولي، الذي يعقد لها، وهو القريب من عصباتها، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ**»[1]، فلا يجوز للمرأة أن تعقد لنفسها، بل لابد أن يعقد لها وليها، فإن عقدت لنفسها، فعقدها فاسد، وهذا مذهب جمهور أهل العلم، وعند الحنفية: أنه يجوز للمرأة أن تعقد لنفسها، فلا يشترطون الولي، لكن هذا مذهب مخالف للدليل ولما عليه أكثر أهل العلم، ولأن المرأة قاصرة، فربما تعلق برجل لا يصلح لها، ولا يصلح لأسرتها؛ لأنها صاحبة عاطفة ونظرة عاجلة، ولذلك رُد الأمر إلى الولي، والله جَلَّ وَعَلَا خاطب الرجال بالنكاح، قال تعالى: ﴿**وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ**﴾ [النور:٣٢]، هذا خطاب للرجال، فأمر الرجال بإنكاح الأيامى -يعني: الذين ليس لهم أزواج-، والحديث: «**لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ**»، وفي حديث: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ**»[2]، ثلاث مرات، الولي يكون مانعًا حصينًا لها من التلاعب. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَتَاكُمْ**» الخطاب للأولياء «**مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ، وَخُلُقَهُ،**

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٢٣).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٢٣).

فَزَوِّجُوهُ إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»[1]، والله نهى عن العضل: أن يمنع الولي موليته من كفء رضيت به، ولا يكفي أن ترضى به، ولكن لابد أن يكون كفؤًا أيضًا، لابد من الأمرين: أن يكون كفؤًا، وأن ترضى به، والكفاءة لا يعرفها إلا الرجال أهل العقول، لا تعرفها النساء صاحبات العواطف والنفوس الضعيفة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ)**، هبة المرأة نفسها لرجل هذا خاص بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب:٥٠]؛ لأن الرسول ولي للأمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يُعَاقَبَانِ إِنْ نَالَ مِنْهَا شَيْئًا)**، فإن تزوجته بدون إذن وليها، فإنه يُفرق بينهما، ويُعاقبان على ذلك؛ لأن هذا العقد فاسد.



(١) أخرجه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧)، والحاكم (٢/ ١٧٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى وَصَاحِبُ قَوْلِ سُوءٍ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي، فَأَمْسِكُوا»(١)، فَقَدْ عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الزَّلَلِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَلَمْ يَقُلْ فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا، وَقَوْلُهُ: «ذَرُوا أَصْحَابِي، لَا تَقُولُوا فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا»(٢)، وَلَا تَحُدِّثْ بِشَيْءٍ مِنْ زَلَلِهِمْ، وَلَا حَرْبِهِمْ، وَلَا مَا غَابَ عَنْكَ عِلْمُهُ، وَلَا تَسْمَعْهُ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْلَمُ لَكَ قَلْبُكَ إِنْ سَمِعْتَ.

الشرح

من علامات أهل الضلال وأهل النفاق: أنهم يطعنون في أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم يبغضونهم، ومن يبغضهم، فهو منافق يظهر الإيمان

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٩٨)، والحارث في مسنده (٢/ ٧٤٨ - زوائد الهيثمي)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ١٤٢، ٧/ ١٣٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨)، وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٦/ ٢٨١): (رواه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن مسعود)، وانظر: مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٢)، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٤١): (إسناده حسن). وكذا حسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٧٧) عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا».

(٢) لم أجده بهذا للفظ، ووجدته عند أحمد (٢١/ ٣١٩)، والضياء في المختارة (٦/ ٦٦) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَلَامٌ، فَقَالَ خَالِدٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: تَسْتَطِيلُونَ عَلَيْنَا بِأَيَّامِ سَبَقْتُمُونَا بِهَا، فَبَلَغَنَا أَنَّ ذَلِكَ ذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دَعُوا لِي أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أُحُدٍ - أَوْ مِثْلَ الْجِبَالِ - ذَهَبًا، مَا بَلَغْتُمْ أَعْمَالَهُمْ».

ويبطن الكفر؛ لأن حبهم إيمان، وبغضهم نفاق؛ كما في الحديث[1]؛ لأنهم صحابة رسول الله أوصى بهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرًا، ونهى عن مسبتهم، فهم الذين ناصروا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهاجروا معه، وناصروه، وآووه، الذين هاجروا هم المهاجرون، والذين آووا ونصروا هم الأنصار، ولابد من حبهم جميعًا، والثناء عليهم، والاقتداء بهم، فالذي يطعن فيهم، ويتنقصهم، هذا دليل على أنه لايحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لو كان يحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأحب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فما أبغضهم إلا من بغض الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أبغض الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان كافرًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:(**فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى وَصَاحِبُ قَوْلِ سُوءٍ**)؛ أي: من يسب الصحابة صاحب هوى يتبع هواه، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ**﴾ [القصص:٥٠]، وصاحب بدعة، وصاحب نفاق، فكل شر فيه.

قوله: (إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا)، الواجب السكوت عن أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعدم الكلام فيهم إلا بالخير، والثناء عليهم، وعدم الدخول في شؤونهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨٤)، ومسلم (٧٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ». وأخرج البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (١٢٩) (٧٥) عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ: «**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَقَدْ عَلِمَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الزَّلَلِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَلَمْ يَقُلْ فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا**)، العصمة بالنسبة للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لإجماعهم، فإذا أجمعوا، فإجماعهم معصوم، وإجماعهم حجة قاطعة، وأما إذا اختلفوا، فهذا يُنظر إلى من معه الدليل منهم -كغيرهم-، وليسوا معصومين من الخطأ بالنسبة لأفرادهم، فقد يحصل منهم بعض الخطأ، ولكن الله غفر لهم، وخصهم بالصحبة، فلهم فضائل تغطي ما قد يصدر من بعضهم من الخطأ، وذلك لأمور:

أولًا: لأنه مجتهد، لم يقصد الخطأ، إنما اجتهد، ولم يصب الحق، فهو مأجور مغفور له خطؤه.

وثانيًا: أن لهم من الفضائل ما يغطي ما قد يحصل من بعضهم من الأخطاء؛ لأن الله رضي عنهم، واطلع على أهل بدر، «**فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[(١)]، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، وقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١١٧]، هذه عامة، فقد تاب الله عليهم، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٥]، هم مغفور لهم، فهم لا مطعن فيهم أبدًا[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه (ص١٥٨).

(٢) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مساويهم مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ وَالصَّحِيحِ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ إمَّا مُجْتَهِدُونَ =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَدْ عَلِمَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الزَّلَلِ بَعْدَ مَوْتِهِ**)، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الغيب، إلا ما أطلعه الله عليه، فقول المؤلف: (قَدْ عَلِمَ)؛ يعني: بما علمه الله من ذلك، وما أطلعه، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**»(١)، أخبره الله أنه سيقع اختلاف، فأوصاهم ماذا يصنعون عند الاختلاف، وكانوا كذلك، كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إذا اختلفوا في شيء، رجعوا إلى الكتاب والسنة، فأنهوا اختلافهم، ورجعوا إلى الحق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَلَمْ يَقُلْ فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا**)، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثنى عليهم، مع ما أطلعه على ما يحصل فيهم بعده.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ذَرُوا أَصْحَابِي، لَا تَقُولُوا فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا**)، ذروا: يعني اتركوا أصحابي من الكلام فيهم، لا تقولوا فيهم إلا خيرًا، وأصح من ذلك حديث: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(٢)، فالعمل القليل من آحادهم خير من العمل العظيم ممن جاء بعدهم؛ لسابقتهم بالإسلام.

=مُصِيبُونَ وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَايَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ وَلَهُمْ مِنْ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إنْ صَدَرَ حَتَّى إنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنْ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِأَنَّ لَهُمْ مِنْ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ). انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٥).

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٢) سبق تخريجه (ص١٥٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا تُحَدِّثْ بِشَيْءٍ مِنْ زَلَلِهِمْ، وَلَا حَرْبِهِمْ**)، لا تتحدث بما جرى بينهم، إلا على وجه الاعتذار عنهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا تَسْمَعْهُ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْلَمُ لَكَ قَلْبُكَ إِنْ سَمِعْتَ**)، لا تستمع للذين يتكلمون في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في المجالس، أو في الدروس، أو في أي مجال، يتكلمون في صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تحضر هذه المجالس، ولا تستمر في سماعها، بل اقطعها، وابتعد عنها؛ لئلا يدخل شيء في قلبك، فتحقد على أصحاب رسول الله، وتبغضهم، فتهلك.



وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَى الْآثَارِ، أَوْ يَرَدُّ الْآثَارَ، أَوْ يُرِيدُ غَيْرَ الْآثَارِ، فَاتَّهِمْهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلَا تَشُكَّ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى مُبْتَدِعٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ جَوْرَ السُّلْطَانِ لَا يُنْقِصُ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ الَّتِي افْتَرَضَهَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَوْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَتَطَوُّعُكَ وَبِرُّكَ مَعَهُ تَامٌّ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى-؛ يَعْنِي: الجَمَاعَةَ وَالجُمُعَةَ مَعَهُمْ، وَالجِهَادَ مَعَهُمْ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَشَارِكْهُمْ فِيهِ، فَلَكَ نِيَّتُكَ.

الشَّرْح

هذا سبق بيانه وشرحه، فلا حاجة لإعادته[1].

(١) انظر: (ص٢٦٢).

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو عَلَى السُّلْطَانِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو لِلسُّلْطَانِ بِالصَّلَاحِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ -إِنْ شَاءَ اللهُ-؛ لِقَوْلِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ: «لَوْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، مَا جَعَلْتُهَا إِلَّا فِي السُّلْطَانِ.

قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، فَسِّرْ لَنَا هَذَا، قَالَ: إِذَا جَعَلْتُهَا فِي نَفْسِي، لَمْ تَعْدُنِي، وَإِذَا جَعَلْتُهَا فِي السُّلْطَانِ، صَلُحَ، فَصَلُحَ بِصَلَاحِهِ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ»[1].

فَأُمِرْنَا أَنْ نَدْعُوَ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، وَلَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نَدْعُوَ عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا؛ لِأَنَّ ظُلْمَهُمْ وَجَوْرَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَصَلَاحَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ.

الشَّرْح

هذه العبارة مأثورة عن السلف: (وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو عَلَى السُّلْطَانِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى)، هذه نزعة خارجية، ونزعة اعتزالية؛ لأن الخوارج والمعتزلة هم الذين يدعون على ولاة أمور المسلمين، والواجب العكس؛ أن يدعو لهم بالصلاح والتوفيق؛ لأن صلاحهم صلاح للإسلام، والمسلمين، فأنت إذا دعوت لهم، فإنك تدعو للمسلمين؛ لأن صلاح الوالي صلاح للرعية، فهذا منهج السلف: الدعاء لولاة الأمور بالصلاح.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٩١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو لِلسُّلْطَانِ بِالصَّلَاحِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ -إِنْ شَاءَ اللهُ**)، إذا رأيته يدعو لهم بالصلاح، فاعلم أنه صاحب سنة؛ لأن هذا هدي السلف مع ولاة الأمور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لِقَوْلِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ**)، الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أكابر العلماء والعباد والزهاد[1]، يقول هذه العبارة: (لَوْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، مَا جَعَلْتُهَا إِلَّا فِي السُّلْطَانِ)، هذا من النصح؛ عملًا بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدِّينُ النَصيحَةُ**، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **لِلهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»[2]، ومن النصيحة لأئمة المسلمين الدعاء لهم بالصلاح، ومن الغش لهم: الدعاء عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَأُمِرْنَا أَنْ نَدْعُوَ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، وَلَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نَدْعُوَ عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا**)؛ لأن الدعاء عليهم دعاء على المسلمين؛ لأنه إذا انحل الأمر، وسقط السلطان، فإنه تُسفك الدماء، ويختل الأمن، وينتشر الفساد، وتعطل الحدود، ففي سقوطه مفاسد، وفي وقتنا الآن صار من يدعو للسلطان متهمًا بالمداهنة عند أصحاب الأهواء من الحزبيين وأتباع الخوارج، فينطبق عليهم قول المؤلف أنهم مخالفون للسنة وأصحاب أهواء، فليتنبه لهذا.

---

(١) هو الإمام الزاهد العابد أحد صلحاء الدنيا، الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر أبو علي التميمي ثم اليربوعي الخراساني المروزي، أخذ الفقه عن أبي حنيفة، وروى عنه الإمام الشافعي، كان في أول أمره شاطرًا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، ثم أراد الله عَزَّوَجَلَّ له الهداية. انظر: تاريخ دمشق (٤٨/ ٣٧٥)، ووفيات الأعيان (٤/ ٤٧)، وطبقات الحنفية (ص٤٠٩)، وشذرات الذهب (١/ ٣١٧).

(٢) سبق تخريجه (ص١٧٩).

وَلَا تَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ إِلَّا بِخَيْرٍ.

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا تَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ إِلَّا بِخَيْرٍ)، أمهات المؤمنين: زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله هو الذي سماهنَّ أمهات المؤمنين في قوله سبحانه: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]، والمراد أمهاتهم في القدر، والاحترام، وحرمة نكاحهن بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولسنَ أمهاتهم في النسب، وإنما في القدر، والاحترام، لهنَّ حق الأمهات على المسلمين؛ لأنهنَّ زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتجب محبتهنَّ، واحترامهنَّ، وعدم تنقص أحد منهنَّ، فإن هذا من مذهب الرافضة الذين يتنقصون بعض أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا فيه اتهام لله أنه اختار لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لاتصلح له، واتهام للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه اختار أمًا للمؤمنين لاتصلح، وهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْفَرَائِضَ فِي جَمَاعَةٍ -مَعَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ-، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى-، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ بِالْفَرَائِضِ فِي جَمَاعَةٍ -وَإِنْ كَانَ مَعَ السُّلْطَانِ-، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْفَرَائِضَ فِي جَمَاعَةٍ -مَعَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ-، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى)؛ أي: إذا رأيت الرجل يحافظ على صلاة الجماعة مع السلطان ومع غيره، فهذا دليل على أنه من أهل السنة، ومن أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة:١٨].

وقد ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الذي يتعلق قلبه بالمساجد أنه من السبعة الذين يظلهم الله في ظله، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ**»[1]، فارتياد المساجد لأداء صلاة الجماعة علامة الإيمان، وعلامة أهل السنة، والذي يعتزل الصلاة مع المسلمين، ويرى أن المسلمين ليسوا على حق، وأنها لا تصح الصلاة معهم، هذا لاشك أنه مفارق لجماعة المسلمين،

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (٩١) (١٠٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**».

ومشاق لله ولرسوله وللمسلمين، ولذلك تجدون أهل الأفكار المنحرفة لا يقربون المساجد، ولا يصلون مع المسلمين، بل بعضهم يحكم ببطلان صلاة المسلمين، فهذه علامة الشر، وعلامة الانحراف وفساد العقيدة والانشقاق، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، فالواجب على المسلم أن يكون مع المسلمين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، المسلم يكون مع المسلمين، ولا ينعزل وينفرد، ويكون مع جماعة ينحازون، ويصبحون منعزلين عن المسلمين، هذه علامة الهوى والشر وفساد الفكر والانحراف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ بِالْفَرَائِضِ فِي جَمَاعَةٍ -وَإِنْ كَانَ مَعَ السُّلْطَانِ-، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى)**، إذا رأيت الرجل يترك صلاة الجماعة:

فإن كان يتركها مع السلطان، فهو صاحب هوى، وهو من المعتزلة، أو الخوارج الذين يكفرون ولاة المسلمين بالمعصية.

أما إذا كان يعتزل الجماعة مع غير السلطان، فهذا منافق؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ**»[1]، فعد التخلف عن الصلاة نفاقًا، حتى قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ»[2]، فالذي

(١) سبق تخريجه (ص٤٧٣).
(٢) سبق تخريجه (ص٤٧٢).

يتخلف عن صلاة الجماعة من غير عذر هذا دليل على نفاقه؛ لأن المنافقين يتخلفون عن الصلاة خصوصًا بالليل؛ لأن الليل لا يراهم أحد، أما بالنهار، فيحضرون؛ لأن الناس يرونهم، وهم يراؤون بأعمالهم، وينافقون.

وَالحَلَالُ: مَا شَهِدْتَ عَلَيْهِ، وَحَلَفْتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَلَالٌ؛ وَكَذَلِكَ الحَرَامُ، وَمَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، فَهُوَ شُبْهَةٌ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَالحَلَالُ مَا شَهِدْتَ عَلَيْهِ، وَحَلَفْتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَلَالٌ)**، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ**»[1]، هناك حلال لاشك فيه، و هناك حرام لاشك فيه، و هناك قسم ثالث مشتبه، لا يُدرى هل هو حلال أم حرام، وهذا لا يعرفه إلا العلماء، وأكثر الناس لا يعرفونه، فهذا حقه أن تتوقف فيه حتى تعرف من أي قسم هو، فالحلال تأخذه، والحرام تتجنبه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**»[2]، فهذا تجد نفسك لا ترتاح له، وعدم ارتياح نفسك له دليل على أن فيه شبهة، فعليك أن تتركه، (وَالْحَلَالُ مَا شَهِدْتَ عَلَيْهِ وَحَلَفْتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَلَالٌ)؛ أي: اطمأننت إليه، ولم يساورك شك فيه، حتى إنك تحلف عليه أنه حلال؛ لأنه بيِّن؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْحَلَالَ بَيِّنٌ**».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَكَذَلِكَ الحَرَامُ)**، الحرام -أيضًا- بيِّن مما نص على تحريم -كالميتة، والخمر، ولحم الخنزير-، هذا حرام بيِّن؛ لأن الله حرمه.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٤) (٢٥٥٣) عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: **الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**».

وَالمَسْتُورُ: مَنْ بَانَ سِتْرُهُ، وَالمَهْتُوكُ مَنْ بَانَ هَتْكُهُ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالمَسْتُورُ: مَنْ بَانَ سِتْرُهُ، وَالمَهْتُوكُ: مَنْ بَانَ هَتْكُهُ)، الأصل في المسلم العدالة والخير، فلا تسئ به الظن؛ لهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ**»[(١)]، فلا تظن بمسلم إلا خيرًا، ما لم يظهر عليه خلاف ذلك، وإذا عثرت له على خطأ، فعليك بالستر، «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٢)]، لكن مع النصيحة تستر عليه، ولا تفضحه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩].

(١) سبق تخريجه (ص٤٧٧).
(٢) سبق تخريجه (ص٤٧٧).

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فُلَانٌ نَاصِبِيٌّ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ رَافِضِيٌّ، وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فُلَانٌ مُشَبِّهٌ، أَوْ فُلَانٌ يَتَكَلَّمُ بِالتَّشْبِيهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: تَكَلَّمْ بِالتَّوْحِيدِ، وَاشْرَحْ لِيَ التَّوْحِيدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ خَارِجِيٌّ مُعْتَزَلِيٌّ، أَوْ يَقُولُ: فُلَانٌ مُجْبَرٌ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالْإِجْبَارِ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالْعَدْلِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدَرِيٌّ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ مُحْدَثَةٌ، أَحْدَثَهَا أَهْلُ الْبِدَعِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فُلَانٌ نَاصِبِيٌّ**)، النواصب هم الذين يبغضون أهل البيت[1]، والروافض يتهمون أهل السنة بأنهم يبغضون أهل البيت[2]، ومن يبغض أهل البيت، فهم نواصب، (**فَاعْلَمْ أَنَّهُ رَافِضِيٌّ**)؛ لأن هذا مذهب الروافض، حتى إنهم جعلوا الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ نواصب؛

---

(١) **النواصب عند أهل السنة**: هم المتدينون بِبُغض علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لأنهم نصبوا له، أي: عادوه.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة:(ويحبون أهل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...، ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة).
انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٤).
فالنواصب هم الذين عادوا أهل البيت، لاسيما عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فمنهم من يسبُّه، ومنهم من يفسِّقه، ومنهم من يكفره؛ كما أشار لذلك شيخ الإسلام. انظر: منهاج السنة (٧/ ٣٣٩).
قال العلامة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (النواصب هم الذين ينصبون العداء لآل البيت، ويقدحون فيهم، ويسبونهم، فهم على النقيض من الروافض). انظر: شرح الواسطية (٢/ ٢٨٣). النواصب عند الشيعة: هي صفة لكل مسلم سني.

(٢) سبق التعريف بهم (ص١٨٩).

لأنهم -بزعمهم- يبغضون أهل البيت، واغتصبوا منهم الخلافة، هكذا يقولون -قبحهم الله-، فالذي يقول: إن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نواصب، أو إن أهل السنة نواصب. هذا دليل على أنه من الروافض.

وأهل السنة لا يبغضون أهل البيت، بل إنهم يحبونهم، ويحترمونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكنهم لا يغلون فيهم غلو الروافض، ولا يتخذونهم أربابًا من دون الله، ولا يعتقدون فيهم العصمة؛ كما يعتقد الشيعة العصمة لأئمتهم، يسمونهم (الأئمة المعصومون)، أهل السنة لايعتقدون لهم العصمة، ولا يغلون فيهم، وإنما ينزلونهم منزلتهم، يحبونهم لقرابتهم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و يحبونهم لإيمانهم، فهم يحبونهم لأمرين: الإيمان، والقرابة، أما إذا وجدت القرابة، ولم يوجد الإيمان، فإنهم لا حب لهم، فأبو لهب عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو في النار؛ لأن مجرد القرابة لا يكفي إلا مع الإيمان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فُلَانٌ مُشَبِّهٌ، أَوْ فُلَانٌ يَتَكَلَّمُ بِالتَّشْبِيهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ)**؛ لأن الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية[1] يرون أن إثبات الصفات تشبيه، فيسمون أهل السنة الذين

(١) هم أصحاب محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، المتكلم، وماتريد قرية من قرى سمرقند، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب تأويلات القرآن، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بسمرقند، ومن المسائل التي اشتهر الماتريدية بالخلاف فيها: مسألة الاستثناء في الإيمان، والاستثناء في الكفر، ومسألة القرآن هل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتكلم بمشيئته وقدرته أم القرآن لازم لذاته، وغير ذلك من مسائل الصفات. انظر: فتح الباري (١٣/ ٤٥٥)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣/ ٣٦٠)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٤٣١ - ٤٣٤)، ومنهاج السنة (٢/ ٣٦٢)، وانظر: رسالة الماتريدية للشيخ شمس الدين الأفغاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

يثبتون لله الأسماء والصفات بالمشبهة؛ لأنهم يثبتون الصفات، أو يسمونهم مجسمة؛ لأن إثبات الصفات عندهم يقتضي الجسمية لله، والأجسام متشابهة، فهذه مقالاتهم، إذا رأيت من يتفوه بذلك، يقول: فلان مشبه، فلان مجسم، فاعلم أنه جهمي، أو معتزلي، أو ممن تتلمذ عليهم من بقية الفرق؛ لأنهم يعتقدون أن إثبات الصفات الثابتة لله تشبيه وتجسيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: تَكَلَّمْ بِالتَّوْحِيدِ، وَاشْرَحْ لِيَ التَّوْحِيدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ خَارِجِيٌّ مُعْتَزِلِيٌّ)**؛ لأن التوحيد من أصول المعتزلة، وهو عندهم نفي الصفات، فعندهم أن إثبات الصفات شرك، ونفي الصفات توحيد، لا تظن أنه يريد التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة، ولكن المراد به عنده نفي الصفات؛ لأن إثبات الصفات عندهم يقتضي الشرك، ولهذا يقولون: القرآن جاء بالشرك؛ لأنه يثبت الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ، فهذا قصد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قصده التوحيد الذي هو على مذهب المعتزلة، أما التوحيد الذي هو على مذهب أهل السنة، وهو إفراد الله بالعبادة، فإذا طلبت بيان هذا التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة، ونفي الشرك، فهذا لا بأس به، بل هو مطلب جليل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَوْ يَقُولُ فُلَانٌ مُجْبَرٌ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالْإِجْبَارِ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالْعَدْلِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدَرِيٌّ)**، من أصول المعتزلة -أيضًا- العدل، وهو نفي القدر؛ لأنهم يقولون: لو أثبتنا القدر، لوصفنا الله بالجور؛ حيث إنه يعذبهم على شيء قد قدره عليهم، فنقول لهم: الله لم يعذبهم على القدر، وإنما عذبهم على أفعالهم، وعلى كفرهم، وشركهم، لم يعذبهم لأنه قدر عليهم، إنما يعذبهم

بأفعالهم، وشركهم، ومعصيتهم، فالجزاء على الأعمال، وليس على القدر، فالله لا يثيب أحدًا؛ لأنه قدر أن يكون مؤمنًا حتى يؤمن بالفعل، ويعمل بالإيمان، ولا يُعذب أحدًا لمجرد أنه قدر عليه فعل المعصية حتى يفعل المعصية، ويفعل سبب العذاب، فالثواب والعقاب منوطان بأفعال العباد، وليسا منوطين بالقدر أبدًا، فإذا رأيت من يقول: فلان جبري، فاعلم أنه معتزلي؛ لأن المعتزلة يقولون: الإنسان حر يخلق فعل نفسه، وليس مقدر عليه شيء، ويقولون: هو الذي فعل هذا بدون أن يقدره الله عليه. ويصفون من قال: إن أفعال العباد بقدر الله أنه جبري.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لِأَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ مُحْدَثَةٌ، أَحْدَثَهَا أَهْلُ الْبِدَعِ**)، أحدثها أهل البدع -من الشيعة، والجهمية، والمعتزلة-، أما أهل السنة، فلم يدخلوا في هذه الأمور، إلا على مقتضى الكتاب والسنة، فأثبتوا الأسماء والصفات لله، أثبتوا القدر، وآمنوا به، ولم يقولوا: إنه يلزم عليه الإجبار، أو يلزم عليه الجور من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولم يقولوا: إن إثبات الصفات شرك، وإنه تشبيه. لم يقل هذا إلا أهل البدع.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «**لَا تَأْخُذُوا عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي الرَّفْضِ شَيْئًا، وَلَا عَنْ أَهْلِ الشَّامِ فِي السَّيْفِ شَيْئًا، وَلَا عَنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي الْقَدَرِ شَيْئًا، وَلَا عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ فِي الْإِرْجَاءِ شَيْئًا، وَلَا عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الصَّرْفِ شَيْئًا، وَلَا عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي الْغِنَاءِ، وَلَا تَأْخُذُوا عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ شَيْئًا**»[1].

الشَّرْح

قول عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: (لَا تَأْخُذُوا عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي الرَّفْضِ شَيْئًا)؛ لأن غالب الشيعة إنما نشؤوا من الكوفة، فلا تأخذوا عنهم من مذهبهم شيئًا؛ من طعنهم في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وغلوهم في أهل البيت.

ثم قال: (وَلَا عَنْ أَهْلِ الشَّامِ فِي السَّيْفِ شَيْئًا)، ظاهر كلام المصنف أن الخوارج يغلب أنهم من أهل الشام، فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِي السَّيْفِ)؛ يعني: الخروج عن ولي الأمر، وقتال المسلمين، لكن هذا فيه نظر؛ لأن الخوارج في العراق، وليسوا في الشام، أو كان يقصد حربهم مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم قال: (وَلَا عَنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي الْقَدَرِ شَيْئًا)؛ لأن الاعتزال نشأ من البصرة، والتصوف نشأ من أهل البصرة.

ثم قال: (وَلَا عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ فِي الْإِرْجَاءِ شَيْئًا)؛ لأن الإرجاء نشأ من قطر خراسان، وهو من أقطار بلاد فارس، وكانت بلادًا واسعة، وبلادًا فيها علماء، وبلادًا فيها خير كثير، وعادات طيبة، لكن نبت فيها مذهب الإرجاء، والإرجاء: هو إخراج العمل عن حقيقة الإيمان، فيقولون: الإيمان لا يدخل

(١) حكاه عنه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ٣٧).

فيه العمل، فالإنسان مؤمن، ولو لم يعمل، ما دام أنه مصدق بقلبه. وبعضهم يقول: مصدق بقلبه وناطق بلسانه، وبعضهم يقول: حتى ولو لم يصدق بقلبه ما دام يعرف مجرد معرفة، فهو مؤمن.

والعمل لا يدخل في الإيمان عند جميع فرق المرجئة، الإنسان مؤمن عندهم، ولو لم يعمل، هذا مذهب المرجئة، وهذا مذهب باطل؛ لأن الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، ما يتكون الإيمان إلا من هذه الأمور الثلاثة؛ لأنه من اعتقد بقلبه، ولم ينطق بلسانه، فهذا شأن الكفار؛ لأنهم يعرفون صدق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اليهود والنصارى يعرفون صدق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يكونوا مؤمنين لمجرد معرفتهم أو اعتقادهم بالقلب، دون النطق باللسان، بعضهم يقول: النطق باللسان يكفي، ولو لم يعتقد. يلزم على هذا أن المنافقين مؤمنون، والله جَلَّ وَعَلَا نفى عنهم الإيمان، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الصَّرْفِ شَيْئًا**)، الصرف: بيع النقد بالنقد؛ لأنهم يتساهلون فيه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا عَنْ أَهْلِ المَدِينَةِ فِي الْغِنَاءِ**)؛ لأن منهم من يبيح الغناء، ولا يرى في الغناء بأسًا، فلا يؤخذ عنهم في هذا شيء.

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، وَأُسَيْدَ بْنَ الْحُضَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ -إِنْ شَاءَ اللهُ-، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَيُّوبَ[١]، وَابْنَ عَوْنٍ[٢]، وَيُونُسَ بْنَ عُبَيْدٍ[٣]، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ إِدْرِيسَ الأَوْدِيَّ[٤]،

---

(١) هو أيوب بن أبي تميمة السختياني، ويكنى أبا بكر، ولد سنة ثمان وستين، وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة، قال ابن عيينة: (لقيت ستا وثمانين من التابعين ما رأيت فيهم مثل أيوب). اهـ. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٤٦)، والعبر (١/ ١٧٢)، وشذرات الذهب (١/ ١٨١)، وطبقات الحفاظ (ص٥٩).

(٢) هو الإمام، القدوة، عالم البصرة، الحافظ. عبد الله بن عون بن أرطبان أبو عون المزني مولاهم البصري أحد الأئمة الأعلام. قال عبد الرحمن بن مهدي: ما كان بالعراق أعلم بالسنة من ابن عون. وقال ابن المبارك: ما رأيت أحدًا أفضل من ابن عون. [الوفاة: ١٥١ - ١٦٠ هـ].

انظر: تاريخ الإسلام (٤/ ١٠١)، وإكمال تهذيب الكمال (٨/ ١٠٥)، والأعلام للزركلي (٤/ ١١١).

(٣) هو يونس بن عبيد بن دينار العبدي مولاهم، الإمام، القدوة، الحجة، أبو عبد الله العبدي مولاهم، البصري. من صغار التابعين، وفضلائهم. رأى: أنس بن مالك. قال علي بن المديني: له نحو مائتي حديث. وقال ابن سعد: كان ثقةً، كثير الحديث. وقال أحمد، وابن معين، والناس: ثقة. وقال أبو حاتم: هو أحب إليَّ من هشام بن حسانٍ، وأكبر من سليمان التيمي، لا يبلغ التيمي منزلة يونس. قال محمد بن سعد: مات يونس سنة أربعين ومائة. وقال فهد بن حيان: مات سنة تسع وثلاثين.

انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٨٨-٢٩٦)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٧٦٠)، وتهذيب الكمال (٣٢/ ٥٣٤)، والطبقات الكبرى (٧/ ٢٦٠)، والأعلام للزركلي (٨/ ٢٦٢).

(٤) هو الإمام، الحافظ، المقرئ، القدوة، شيخ الإسلام، أبو محمد، عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي، الكوفيُّ. وُلِد: سنة عشرين ومائةٍ. وقيل: بل كان مولده سنة خمس عشرة ومائة، ومات بالكوفة، في ذي الحجة، سنة اثنتين وتسعين ومائة. قال بشر بن الحارث: ما شرب أحد ماء الفرات فسلم، إلا عبد الله بن إدريس. وقال أحمد =

وَالشَّعْبِيَّ[(١)]، وَمَالِكَ بْنَ مِغْوَلٍ[(٢)]، وَيَزِيدَ بْنَ زُرَيْعٍ[(٣)]، .....

=ابن حنبل: كان ابن إدريس نسيج وحده. وقال يعقوب بن شيبة: كان عابدًا، فاضلًا، كان يسلك في كثير من فتياه ومذاهبه مسالك أهل المدينة، يخالف الكوفيين، وكان بينه وبين مالكٍ صداقةٌ.

انظر: تاريخ الإسلام (٤/ ١١٣٦)، وإكمال تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٣)، والأعلام للزركلي (٤/ ٧١).

(١) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي من شعب همدان، ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومات سنة أربع ومائة، وقيل سنة سبع ومائة، كان علامة أهل الكوفة إمامًا حافظًا ذا فنون. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٢٤٦)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٧)، وتاريخ دمشق (٢٥/ ٣٣٥)، وحلية الأولياء (٤/ ٣١٠)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤)، ووفيات الأعيان (٣/ ١٢)، والوافي بالوفيات (١٦/ ٣٣٦)، والبداية والنهاية (٩/ ٢٣٠).

(٢) هو مالك بن مغول بن عاصم بن غزية بن خرشة البجلي، الإمام، الثقة، المحدث، أبو عبد الله البجلي، الكوفي. قال أحمد: ثقة، ثبت في الحديث. وقال ابن معين، وأبو حاتم، وجماعة: ثقة. قال أبو نعيم، وأبو بكر بن أبي شيبة: توفي سنة تسع وخمسين ومائة. وقال محمد بن سعد: سنة ثمان وخمسين.

انظر: الثقات لابن حبان (٧/ ٤٦٢)، وتاريخ الإسلام (٤/ ١٩٠)، وإكمال تهذيب الكمال (١١/ ٥٠).

(٣) هو يزيد بن زريع أبو معاوية العيشي البصري، الحافظ، المجود، محدث البصرة. يكنى يزيد أبا معاوية العيشي، البصري. قال أحمد بن حنبل: كان ريحانة البصرة، ما أتقنه! وما أحفظه! وقال أبو حاتم الرازي: ثقة، إمام. وقال بشر الحافي: كان يزيد بن زريع متقنًا، حافظًا، ما أعلم أني رأيت مثله ومثل صحة حديثه. مولده: في سنة إحدى ومائة، ومات: في سنة اثنين وثمانين ومائة.

انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ١٢٤)، وتاريخ الإسلام (٤/ ١٠٠٥)، والأعلام للزركلي (٨/ ١٨٢).

وَمُعَاذَ بْنَ مُعَاذٍ[١]، وَوَهْبَ بْنَ جَرِيرٍ[٢]، وَحَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ[٣]، وَحَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ[٤]،

---

(١) هو معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان التميمي. ابن الحر بن مالك بن الخشخاش التميمي، القاضي، الإمام، الحافظ، أبو المثنى العنبري، البصري. قال أحمد بن حنبل: معاذ بن معاذ، إليه المنتهى في التثبت بالبصرة، وقال: هو قرة عين في الحديث. وقال النسائي: معاذ: ثقة، ثبت. ولد معاذ بن معاذ في سنة تسع عشرة ومائة، في آخرها. وقال عبيد الله بن معاذ: مات أبي سنة ست وتسعين ومائة.

انظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ١٣٢)، وتاريخ الإسلام (٤/ ١٢٠٩)، وإكمال تهذيب الكمال (١١/ ٢٥١)، والأعلام للزركلي (٧/ ٢٥٨).

(٢) هو وهب بن جرير بن حازم بن زيد الأزدي. ابن عبد الله بن شجاع، الحافظ، الصدوق، الإمام، أبو العباس الأزدي، البصري. أمر أحمد بن حنبل بالكتابة عنه، وأكثر عنه في «مسنده». وقال أبو محمد بن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: صدوق. توفي: بالمنجشانية، على ستة أميال من المدينة، منصرفًا من الحج، فحمل حتى دفن بالبصرة. ولد: بعد الثلاثين ومائة. قال ابن سعد: مات وهب سنة ستٍّ ومائتين.

انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٨/ ٣٤٢)، وتهذيب الكمال (٣١/ ١٢١)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٢١٥)، وإكمال تهذيب الكمال (١٢/ ٢٥٧).

(٣) هو حماد بن سلمة بن دينار الإمام العلم أبو سلمة البزار الخرقي البطائني شيخ أهل البصرة، كان إمامًا رأسًا في العربية فصيحًا بليغًا كبير القدر، شديدًا على المبتدعة، صاحب أثر وسنة، وله تصانيف في الحديث، توفي سنة سبع وستين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٨٢)، والوافي بالوفيات (١٣/ ٨٩)، والعبر (١/ ٢٤٩)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٤)، والأنساب (٢/ ٣٥٦)، وشذرات الذهب (١/ ٢٦٢)، وطبقات الحفاظ (ص٩٤).

(٤) هو إمام أهل البصرة حماد بن زيد بن درهم الأزدي مولاهم البصري الضرير أبو إسماعيل، كان من أهل الورع والدين، وكان ثقة ثبتًا حجة كثير الحديث، ولد سنة ثمان وتسعين، ومات يوم الجمعة لعشر خلون من رمضان سنة تسع وسبعين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٢٨٦)، والوافي بالوفيات (١٣/ ٩٠)، والعبر (١/ ٢٧٤)، وشذرات الذهب (ص٢٩٢)، وطبقات الحفاظ (ص١٠٣).

وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ[١]، وَالأَوْزَاعِيَّ[٢]، وَزَائِدَةَ بْنَ قُدَامَةَ[٣]، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ، وَالحَجَّاجَ بْنَ الْمِنْهَالِ[٤]،

---

(١) هو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيلان بن حشد بن عمر بن الحارث، وهو ذو أصبح الحميري أبو عبد الله المدني إمام دار الهجرة في زمانه، ولد سنة أربع وتسعين، وتوفي في الرابع عشر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة. انظر: العبر للذهبي (١/ ٢٧٢)، والبداية والنهاية (١٠/ ١٧٤)، وشذرات الذهب (١/ ٢٨٩).

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمرو الأوزاعي، إمام أهل الشام في الحديث والفقه، ولد في حياة الصحابة سنة ثمان وثمانين، وكان رأسًا في العلم والعمل جم المناقب، ومع علمه كان بارعًا في الكتابة والترسل، كان يسكن دمشق خارج باب الفراديس بمحلة الأوزاع، ثم تحول إلى بيروت فسكنها مرابطًا إلى أن مات بها سنة سبع وخمسين ومائة. انظر: تاريخ دمشق (٣٥/ ١٤٧)، ووفيات الأعيان (٣/ ١٢٧)، والوافي بالوفيات (١٨/ ١٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧)، والبداية والنهاية (١٠/ ١١٥)، وشذرات الذهب (١/ ٢٤١).

(٣) هو زائدة بن قدامة، الإمام، الثبت، الحافظ، أبو الصلت الثقفي، الكوفي. قال أبو حاتم: ثقة، صاحب سنة، هو أحب إليَّ من أبي عوانة، وأحفظ من شريك وأبي بكر بن عياش. قال النسائي، وغيره: ثقة. قال مطين: مات في أرض الروم، عام غزا الحسن بن قحطبة سنة ستين، أو إحدى وستين ومائة.

انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب (٨/ ٣٧٣٣)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٣٦٥)، وإكمال تهذيب الكمال (٥/ ٢٨)، والأعلام للزركلي (٣/ ٤٠).

(٤) هو حجاج بن منهال. الحافظ، الإمام، القدوة، العابد، الحجة، أبو محمد البصري. قال أبو حاتم: ثقة، فاضل. قال خلف كردوس: كان حجاج صاحب سنة يظهرها، مات في سنة ست عشرة ومائتين. وقال ابن سعد، والبخاري: مات سنة سبع عشرة، في شوال.

انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٤٥٧)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٢٩٢)، وإكمال تهذيب الكمال (٣/ ٤٠٢).

وَأَحْمَدَ بْنَ نَصْرٍ[1]، وَذَكَرَهُمْ بِخَيْرٍ، وَقَالَ بِقَوْلِهِمْ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَبَا هُرَيْرَةَ... إلخ)، محبة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عمومًا واجبة -كما سبق-، وهي من الإيمان، لكن هناك أفرادًا من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ طعن فيهم أهل الأهواء؛ مثل: أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ راوي الحديث، الذي روى أحاديث كثيرة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم يغيظهم حفظ السنة، فلذلك أبغضوا أبا هريرة؛ بسبب عنايته برواية الحديث، وحفظه على الأمة كثيرًا من أحاديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أبغضوه من أجل هذا.

(وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ) خادم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (وَأُسَيْدَ بْنَ الْحُضَيْرِ) الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فهم يبغضون هؤلاء؛ لأنهم ينقمون عليهم بعض الأشياء التي اختصوا بها من الفضائل دون غيرهم من صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) هو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم أبو عبد الله الخزاعي، كان من أهل العلم والديانة والعمل الصالح والاجتهاد في الخير، وكان من أئمة السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكان في ولاية الواثق الذي هو من أشد الناس في القول بخلق القرآن يدعو لذلك ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، اعتمادًا على ما كان عليه أبوه قبله وعمه المأمون، فقام أحمد بن نصر يدعو إلى الله، والقول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، فاجتمع له خلق كثير، وانتظمت له البيعة في السير على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج على السلطان لبدعته، وانتهى به الأمر إلى أن قبض عليه نائب الوالي في بغداد، وأرسله إلى الواثق فقتله بيده سنة إحدى وثلاثين ومائتين. انظر قصته ضمن ترجمته في: تاريخ بغداد (٥/ ١٧٣ - ١٧٩)، والوافي بالوفيات (٨/ ١٣٧)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٥١)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٦)، والبداية والنهاية (١٠/ ٣٠٣ - ٣٠٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَيُّوبَ، وَابْنَ عَوْنٍ، وَيُونُسَ بْنَ عُبَيْدٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ إِدْرِيسَ الْأَوْدِيَّ، وَالشَّعْبِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ مِغْوَلٍ، وَيَزِيدَ بْنَ زُرَيْعٍ، وَمُعَاذَ بْنَ مُعَاذٍ، وَوَهْبَ بْنَ جَرِيرٍ، وَحَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ، وَحَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَالْأَوْزَاعِيَّ، وَزَائِدَةَ بْنَ قُدَامَةَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ)؛ لأن هؤلاء من رواة السنة، و من حفاظ الحديث، وعلماء الجرح والتعديل، فالذي يبغضهم يبغض أعمالهم الطيبة، وهو حفظهم للسنة، والعناية بها بأسانيدها، وروايتها، ورد الكذب والوضع عنها، فهم لم يبغضوهم إلا لعملهم في السنة، هذا العمل الجليل الذي حفظ الله به سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ، وَالحَجَّاجَ بْنَ الْمِنْهَالِ، وَأَحْمَدَ بْنَ نَصْرٍ، وَذَكَرَهُمْ بِخَيْرٍ، وَقَالَ بِقَوْلِهِمْ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ)، هؤلاء هم الأئمة الذين امتحنوا على القول بخلق القرآن، فأبوا أن يقولوا بذلك في وقت المأمون، والمعتصم، والواثق، امتحنوهم بسبب المعتزلة؛ لأن المعتزلة صاروا حاشية للخلفاء، وصاروا مستشارين لهم، فأثروا عليهم، وأدخلوا عليهم مذهب الاعتزال، وأفتوهم بإلزام الناس بالقول بخلق القرآن، فحصلت محنة عظيمة، وقف منها الإمام أحمد الموقف الصلب والجبل الشامخ، ولم يقدروا منه على شيء، بل صمد، ووقف، وصبر على العذاب والإهانة والسجن، حتى نصر الله به هذا الدين، وقمع به هؤلاء الزنادقة، ومن العلماء من قُتل؛ مثل: أحمد بن نصر، وغيره، وابن

نوح[1]، فقُتل منهم أناس أبوا أن يقولوا بخلق القرآن، فقتلوهم، والإمام أحمد عذبوه، وطالب المعتزلة بقتله، لكن الله نجاه من القتل، وعصم الخليفة من قتله، لكنهم عذبوه، وآذوه، فصبر على ذلك حتى أيده الله بالمتوكل ابن المعتصم، ورفع عنه المحنة، وأكرمه، وأعزه، وأظهر السنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه سنة الله أن الفرج يأتي بعد الشدة، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥-٦].

(١) هو محمد بن نوح، الإمام، الحافظ، الثبت، أبو الحسن الجنديسابوري الفارسي، نزيل بغداد. قال أبو سعيد بن يونس: ثقة حافظ. وقال الدارقطني: ثقة مأمون، ما رأيت كتبًا أصح من كتبه، ولا أحسن. مات في ذي القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة.
انظر: تاريخ الإسلام (٧/ ٤٥٠)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ٣٢)، وطبقات الحفاظ (ص٣٤٥).

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَجْلِسُ مَعَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، فَاحْذَرْهُ، وَعَرِّفْهُ، فَإِنْ جَلَسَ مَعَهُ بَعْدَ مَا عَلِمَ، فَاتَّقِهِ؛ فَإِنَّهُ صَاحِبُ هَوًى.

الشَّرْح

أَهْلِ الْأَهْوَاءِ: هم الذين يتبعون أهواءهم ونزعاتهم، ولا يتبعون الكتاب، والسنة، إنما يتبعون ما تهواه أنفسهم، فإذا خالف الكتاب والسنة أهواءهم، وتركوا الكتاب والسنة، وما وافق أهوائهم، أخذوه، لا عن إيمان به، ولكن لأنه وافق أهواءهم، وهذه طريقة اليهود، فإن اليهود إنما يطيعون الرسل فيما وافق أهواءهم، وما خالف أهواءهم، خالفوا الرسل فيه، فإما أن يقتلوهم، وإما أن يكذبوهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة:٧٠]، وقال في المنافقين من هذه الأمة: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور:٤٨، ٤٩]، هذه طريقة أهل الأهواء قديمًا وحديثًا، فالمقياس للحق عندهم هو ما وافق أهواءهم، وما خالف أهواءهم، فهو الباطل، ولو نزل به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه عندهم الباطل، هذه طريقتهم، وهذا ما عليه فرق الضلال من هذه الأمة، فإنهم لا يقبلون ما جاء عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل لا يقبلون ما جاء في القرآن، ولا يقبلون ما جاء في السنة مما يخالف نحلهم وأهواءهم، فإما أن يؤولوه، ويحرفوه، وإما أن يكذبوه، هذه طريقتهم.

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فاحذر هؤلاء أن تجلس معهم؛ لأنهم يؤثرون عليك، وربما تقتنع بطريقتهم، فتكون معهم، فابتعد عنهم، لا تجالس أهل البدع، سواءً كانت بدعًا في الاعتقاد -كالجهمية، والمعتزلة، وغيرهم من أهل البدع-، أو بدعًا في العبادة -كالذين يعبدون الله على جهل وضلال، ويتزهدون، ويتعبدون، ولكنهم على غير دليل، وعلى غير هدى-، وهذا ينطبق على الصوفية ومن وافقهم، ممن هم مبتدعة في العبادة، أو كانت بدعتهم فيما هو دون ذلك.

والبدع تختلف، وكلها شر، لا يُتساهل فيها، ولا يُقال: هذه بدعة يسيرة. لايتساهل بالبدع؛ لأنها كالشرارة من النار، إذا تُركت، أحرقت ما حولها، وإذا بُودرت وأُطفئت، سلم الناس من شرها، البدع هكذا، فعلى المسلمين أن يحذروا من المبتدعة، ولا يحسنوا بهم الظن، أو يغتروا بما يظهر منهم من بعض المظاهر، ويقولون: هؤلاء أهل عبادة، هؤلاء أهل توبة، هؤلاء يرققون القلوب، هؤلاء أهل ذكر، هؤلاء يتوبون العصاة. كما يقال في جماعة التبليغ، ما داموا مبتدعة صوفية، فلا تغتر بهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَجْلِسُ مَعَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، فَاحْذَرْهُ)**، إذا رأيت الرجل يجلس مع المبتدعة، فاحذره؛ لأن جلوسه معهم دليل على أنه يحبهم، ويألفهم، وربما أثروا عليه، والمرء من جليسه، فالذي يجالس أهل الخير، فهذا دليل على أنه يحب الخير وأهل الخير، والذي يجالس أهل الشر هذا دليل على أنه يألف الشر، ويحب أهل الشر، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا

يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨]، وقال تعالى: ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ ﴾ [النساء:١٤٠]، وأمر نبيه أن يجلس مع أهل الخير، فقال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [الكهف:٢٨]، فأمره الله أن يجلس مع بلال وعمار وسلمان -فقراء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، ولا يجلس مع أكابر قريش وغيرهم، كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجلس معهم طمعًا في إيمانهم وتأليفهم، ولكن الله نهاه عن ذلك؛ لأنهم قالوا: اطرد عنا هؤلاء حتى نجلس، ونسمع لك. فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حرصه على الخير همَّ أن يجعل لهؤلاء الضعفاء مجلسًا آخر؛ استجابة لطلب الأكابر من قريش؛ طمعًا في إسلامهم، فنهاه الله عن ذلك قبل أن ينفذه، وقال: ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف:٢٨]؛ لأن الله يعلم أن هؤلاء لا يقبلون، ولا يؤمنون، فقال لهم: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٥٢][1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَعَرِّفْهُ، فَإِنْ جَلَسَ مَعَهُ بَعْدَمَا عَلِمَ، فَاتَّقِهِ، فَإِنَّهُ صَاحِبُ هَوًى)**، معناه: أنك تناصحه عن مجالسة أهل الشر، فإن لم يقبل النصح، فاعتزله؛ لأنه جلس مع صاحب البدعة عن علم لا عن جهل.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٧٤-٣٨١)، وزاد المسير (٢/ ٣١)، وابن كثير (٣/ ٢٦٠).

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ تَأْتِيهِ بِالْأَثَرِ، فَلَا يُرِيدُهُ، وَيُرِيدُ الْقُرْآنَ، فَلَا تَشُكَّ أَنَّهُ رَجُلٌ قَدِ احْتَوَى عَلَى الزَّنْدَقَةِ، فَقُمْ مِنْ عِنْدِهِ، وَدَعْهُ.

الشَّرْح

هناك جماعة يسمون القرآنية، لا يحتجون إلا بالقرآن بزعمهم، ويرفضون السنة، وهؤلاء زنادقة؛ لأن العمل بالسنة عمل بالقرآن، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، ولأن السنة مفسرة للقرآن، ومبينة له، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، وهؤلاء القرآنية قد أخبر عنهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ**»[1]، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ**﴾، يعني: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم:٣، ٤]، فالأحاديث وحي من الله جَلَّ وَعَلَا، وإن كانت ألفاظها من الرسول، لكن معانيها من الله جَلَّ وَعَلَا.

فهذا الذي يحتج بالقرآن بزعمه، ولا يحتج بالسنة زنديق؛ يعني: منافق، الزنديق يُراد به: المنافق، هذا معنى قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَدِ احْتَوَى عَلَى الزَّنْدَقَةِ).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَقُمْ مِنْ عِنْدِهِ، وَدَعْهُ**)، لا تجلس معه؛ لأن بعض الناس يقول: هذا يحتج بالقرآن، فيغتر به، وهو لم يحتج بالقرآن؛ لأن القرآن أمر بالأخذ بالسنة، فهذا لم يحتج بالقرآن، إنما يريد التغطية والتعمية على الناس.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٦٣).

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَهْوَاءَ كُلَّهَا رَدِيَّةٌ، تَدْعُو كُلُّهَا إِلَى السَّيْفِ، وَأَرْدَؤُهَا وَأَكْفَرُهَا الرَّوَافِضُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ، فَإِنَّهُمْ يَرِدُونَ النَّاسَ عَلَى التَّعْطِيلِ وَالزَّنْدَقَةِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَهْوَاءَ كُلَّهَا رَدِيَّةٌ**)، الأهواء: ما خالف الكتاب والسنة -من المذاهب، والآراء، والأفكار-، فكل ما خالف الكتاب والسنة -من المذاهب، والآراء، والأفكار، والحزبيات، وغير ذلك-، فإنه من الأهواء، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠]، فهذا هو واجب المسلم؛ أن يتبع ما جاء عن الله ورسوله، ولا يتبع ما رغبت فيه نفسه، أو قال به فلان وعلان، الواجب أن يعرض أقوال الناس على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة، أخذ به، وما خالف الكتاب والسنة، تركه، هذا هو صاحب الحق، أما الذي يذهب مع الناس أينما ذهبوا، ويكون إمعة، ولا يفكر فيما هم عليه، ولايختبر ما هم عليه، فهذا صاحب هوى، يتبع هواه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**تَدْعُو كُلُّهَا إِلَى السَّيْفِ**)؛ يعني: أن الأهواء تدعو إلى الفتنة، فالحروب التي وقعت بين المسلمين، وانشقاق الكلمة إنما جاءت عن أصحاب الأهواء -من المعتزلة، والخوارج، وغيرهم-، هم الذين سببوا الفتنة، ما جاءت الفتن إلا من قبلهم، وبسببهم، من الذي قتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟ من الذي قتل عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟ من الذي أوقد الفتنة بين المسلمين بعد ذلك؟ إلا أصحاب الأهواء، من الذي أغرى المأمون ومن جاء بعده بامتحان أهل

السنة -حتى سحبوا إمامهم أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وضربوه، وسجنوه-؟ إلا أهل الأهواء، من الذي سجن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى مات في السجن؟ إلا هؤلاء أهل الأهواء، فعلينا أن نحذر من هؤلاء؛ لأن شرهم يؤول في النهاية إلى تمزيق كلمة المسلمين، والخروج على ولي أمر المسلمين، وتفريق جماعة المسلمين؛ ليكونوا شيعًا وأحزابًا، بدلًا أن يكونوا أمة واحدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَرْدَؤُهَا وَأَكْفَرُهَا الرَّوَافِضُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ**)، هؤلاء هم شر أصحاب الأهواء، وفي قمتها الرافضة من الشيعة، سموا رافضة؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما دعوه أن يوافقهم على سب أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقال: (لا، أبو بكر وعمر وزيرا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فلما أبى أن يوافقهم، قالوا: إذًا: نرفضك. فسموا بالرافضة.

والجهمية أتباع الجهم بن صفوان الذي تكرر ذكره.

والمعتزلة أتباع عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الذين اعتزلوا مجالس الحسن البصري، وانحازوا، ولم يأخذوا العلم عن علماء السنة، فسموا (معتزلة).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّهُمْ يَرِدُونَ النَّاسَ عَلَى التَّعْطِيلِ وَالزَّنْدَقَةِ**)، التعطيل: نفي الأسماء والصفات، والزندقة: هي رفض الكتاب والسنة، والأخذ بدلهما بالأهواء والرغبات.



وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَنَاوَلَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **و** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، **فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدًا** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَقَدْ آذَاهُ فِي قَبْرِهِ.**

وَإِذَا ظَهَرَ لَكَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ مِنَ الْبِدَعِ، فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّ الَّذِي أَخْفَى عَنْكَ أَكْثَرُ مِمَّا أَظْهَرَ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَنَاوَلَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ أي: من سب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتنقصهم، فإنه يسب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم أصحابه، وأعوانه، وأنصاره، فإذا طعن فيهم، طعن في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي جمعهم، وهو الذي سار بهم، وهو الذي يدبر شؤونهم، فهذا طعن في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه يستصحب أناسًا أشرارًا، فهذا طعن في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقولون: (الجبت والطاغوت أبو بكر وعمر)، وهذا طعن في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كيف يكون صاحباه ووزيراه جبتًا وطاغوتًا؟! إذًا: الرسول لايفهم، ولا يعرف! -نسأل الله العافية-، الرسول -أيضًا- يمدح الصحابة، ويثني عليهم، إذًا: هو لا يعرف حقيقتهم، يقول: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[1]، يمدحهم، فإذًا: يكون الرسول قد غلط في مدحهم والثناء عليهم، وهم أشرار، وجبت، وطاغوت، وكفرة!!! هذا طعن في

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٥٦).

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل هذا طعن في القرآن، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة:١١٧]، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، إذًا: هذا قدح في القرآن الذي أثنى عليهم، ومدحهم، فلايسب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من في قلبه ذرة من إيمان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدًا** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَقَدْ آذَاهُ فِي قَبْرِهِ)**، من يسب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد آذى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يرضى أن يُسب أصحابه، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧]، فالذي يسب الصحابة قد آذى الله ورسوله، ولا يكون هذا خاصًّا في حياة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل يؤذيه وهو في قبره بعد موته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن يفعل هذا، فهو ملعون: ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ -نسأل الله العافية!

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ رَدِيءَ الطَّرِيقِ وَالمَذْهَبِ، فَاسِقًا فَاجِرًا، صَاحِبَ مَعَاصٍ ظَالِمًا، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَاصْحَبْهُ، وَاجْلِسْ مَعَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ تَضُرُّكَ مَعْصِيَتُهُ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ رَدِيءَ الطَّرِيقِ وَالمَذْهَبِ، فَاسِقًا فَاجِرًا، صَاحِبَ مَعَاصٍ ظَالِمًا، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَاصْحَبْهُ**)، مصاحبتك للفاسق السني على ما فيه من الفسق، وفعل المعاصي، ومجالستك له خير من مجالستك للمبتدع؛ لأن العاصي يعرف أنه عاص، ويُرجى أن يتوب، بخلاف المبتدع؛ فإنه يعتقد أنه على حق، ولا يتوب، فالمبتدعة لا يتوبون في الغالب؛ لأنهم يرون أنهم على حق، فليس هذا معناه أنك تجالس العصاة، ولكن معناه أن مجالسة العصاة من أهل السنة خير من مجالسة المبتدعة، وإن كان ظاهرهم العبادة والصلاح، هذا قصد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولاشك أن البدعة شر، وأحب إلى الشيطان من المعصية؛ لأن صاحب البدعة لا يتوب منها، بخلاف صاحب المعصية؛ فإنه يُرجى أن يتوب منها؛ لأنه يعتقد أنها معصية، ويخجل، ولا يبينها، بخلاف المبتدع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهُوَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَاصْحَبْهُ**)؛ أي: لم يخرج عن الإسلام، إنما عنده كبائر دون الشرك، وليس عنده بدع، فمجالستك له أخف من مجالسة المبتدع، وإن كان المبتدع يظهر الصلاح والتُقى؛ وكما ذكرت ليس معنى هذا أن الشيخ يقول لك: جالس أهل المعاصي، وإنما هو يقارن بين مفسدة مجالسة

العاصي، ومفسدة مُجالس المبتدع، فمفسدة مُجالسة المبتدع أشد من مجالسة العاصي، فكيف بصاحب السنة المتمسك؟ إذا كانت مجالسة صاحب السنة العاصي خيرًا من مجالسة المبتدعة، فكيف بمجالسة صاحب السنة المهتدي المتمسك؟ هذا هو الجليس الصالح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّهُ لَيْسَ تَضُرُّكَ مَعْصِيَتُهُ**)؛ لأن معصيته عليه، هذا من باب المقارنة، لكن المبتدع تضرك بدعته، أما العاصي، فلا تضرك معصيته.



وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُتَقَشِّفًا مُحْتَرِقًا بِالْعِبَادَةِ صَاحِبَ هَوًى، فَلَا تَجْلِسْ مَعَهُ، وَلَا تَسْمَعْ كَلَامَهُ، وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ تَسْتَحْلِيَ طَرِيقَهُ، فَتَهْلِكَ مَعَهُ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُتَقَشِّفًا مُحْتَرِقًا بِالْعِبَادَةِ صَاحِبَ هَوًى، فَلَا تَجْلِسْ مَعَهُ، وَلَا تَسْمَعْ كَلَامَهُ)، فلا تغتر بكون المبتدع يظهر التنسك، والعبادة، والزهد، والتقشف، ويصلي بالليل، ما دام أنه عنده هوى وبدعة، فلا تتساهل فيه، ابتعد عنه غاية الابتعاد، وكما قال بعض السلف: «اقْتِصَادٌ فِي سُنَّةٍ، خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي بِدْعَةٍ»[1].

(١) أخرجه الدارمي (٢٢٣)، والمروزي في السنة (ص ٣٠)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٠٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣٢٠)، والحاكم (١/ ١٨٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٣٤)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢٨)، وأحمد في الزهد (١/ ١٣١) عَنِ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «اقْتِصَادٌ فِي سُنَّةٍ، خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وأخرج ابن المبارك في الزهد (٢/ ٢١)، والإمام أحمد في الزهد (١/ ١٦١)، وابن أبي شيبة في مصنَّفه (٧/ ٢٢٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٩)، وأبو نُعَيم في الحلية (١/ ٢٥٢) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ اللهَ تَعَالَى فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ أَبَدًا. وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ وَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ مَخَافَةِ اللهِ تَعَالَى إِلَّا كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبِسَ وَرَقُهَا، فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ أَصَابَتْهَا الرِّيحُ فَتَحَاتَّ عَنْهَا وَرَقُهَا، إِلَّا تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتَّ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا. وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ، خَيْرٌ مِنِ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ**)، هذا عطف على ما سبق من التحذير من مصاحبة المبتدعة، ومجالسة المبتدعة، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذر من هذا، قال: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**»[1]، «**إِيَّاكُمْ**» هذا تحذير، وقال: «**وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا**»[2]، فالبدعة شر من المعصية، والمبتدع شر من العاصي، فيجب أن يُتنبه لهذا الأمر، (وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ)؛ لأنه يؤثر عليك، ويدخل عليك البدعة، لاسيما وأنت تُحسن الظن به؛ لما يظهر منه من العبادة، والتقشف، والزهد، فتسري عليك بدعته، فهو خطير جدًّا؛ كما مثل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجليس الصالح ببائع المسك، فإما أن يعطيك من مسكه، وإما أن تشتري منه، وإما أن تجد منه رائحة طيبة، ما دمت جالسًا عنده، إن لم تحصل منه على شيء -لا بالهبة، ولا بالبيع-، فإنك تجد رائحة المسك، وأنت جالس عنده، أما جليس السوء، فهو كنافخ الكير؛ إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد منه رائحة خبيثة[3]، وهذا ينطبق على جماعة التبليغ الذين قد اغتر بهم كثير من الناس اليوم؛ نظرًا لما يظهر منهم من التعبد وتتويب العصاة -كما يقولون-، وشدة تأثيرهم على من يصحبهم، ولكن هم يخرجون العصاة من المعصية إلى البدعة، والبدعة شر من المعصية، والعاصي من أهل السنة خير من العابد من أهل البدع، فليتنبه لذلك، وما قلت هذا كراهية للخير الذي معهم -إن كان فيهم خير-، وإنما قلته كراهية للبدعة؛ فإن البدعة تذهب بالخير، والبدع التي عند جماعة التبليغ قد ذكرها من صحبهم، ثم تاب من

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤٣) (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) سبق تخريجه (ص٤٣٣).

مصاحبتهم، وألفت كتب كثيرة في التحذير منهم، وبيان بدعهم، وكون الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ رخص لبعضهم في الدعوة في المملكة في أول الأمر؛ لأنه لم يتبين له أمرهم، وقد رد عليهم ردًا بليغًا، لما تبين له أمرهم؛ كما في مجموع فتاواه[1]، وقد اشترط عليهم الدعوة إلى التوحيد، فلم يفوا بهذا الشرط، وكذلك كون الشيخ ابن باز أثنى عليهم في أول الأمر؛ لأنه لم يتبين له أمرهم، فلما تبين له أمرهم، تراجع عن ذلك، وقال: (لا يخرج معهم إلا من يريد أن يدعوهم إلى الحق والتوحيد، وينكر ما هم عليه من المخالفة)[2]،

---

(١) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٢٦٧/ ٣٦٨).

(٢٠٢- كلية الدعوة والتبليغ الاسلامي)

(من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأَمير خالد بن سعود رئيس الديوان الملكي... الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

فقد تلقيت خطاب سموكم رقم ٣٧-٤-٥-د في ٢١-١-٨٢هـ وما برفقه وهو الالتماس المرفوع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم من محمد عبد الحامد القادري وشاه أَحمد نوراني وعبد السلام القادري وسعود أَحمد دهلوي حول طلبهم المساعدة في مشروع جمعيتهم التي سموها (كلية الدعوة والتبليغ الاسلامية) وكذلك الكتيبات الثلاثة المرفوعة ضمن رسالتهم.

وأَعرض لسموكم أَن هذه جمعية لا خير فيها، فإنها جمعية بدعة وضلالة. وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك الأَمر الذي لايسع السكوت عنه. ولذا فسنقوم إن شاءَ الله بالرد عليها بما يكشف ضلالها ويدفع باطلها. ونسأَل الله أَن ينصر دينه ويعلي كلمته. والسلام عليكم ورحمة الله). (ص-م-٤٠٥ في ٢٩-١-٨٢هـ).

(٢) انظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٨/ ٣٣١).

جماعة التبليغ، والصلاة في المساجد التي فيها قبور: =

هكذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مع أن صاحب البدعة لايقبل الدعوة، وكذا صاحب المنهج لايتراجع عن منهجه الذي بايع عليه شيوخه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ تَسْتَحْلِيَ طَرِيقَهُ، فَتَهْلِكَ مَعَهُ**)، هذه هي النتيجة: إذا مشيت معه، وجالسته، وراقت لك حاله، فإنه تسري عليك بدعته، فتستسيغها، فتهلك معه، تكون مبتدعًا، فالخطر شديد من المبتدعة، وما أكثرهم في هذا الزمان! لكن يجب أن نعرف ما هي البدعة؛ لأن بعض الناس كل شيء عنده بدعة، البدعة لها ضوابط، فإذا تحقق أن هذا الذي هو عليه بدعة، فلا تجلس معه، ولا تصاحبه.

= (س: سؤال من: م.ع- من أمريكا يقول: خرجت مع جماعة التبليغ للهند والباكستان، وكنا نجتمع ونصلي في مساجد يوجد بها قبور، وسمعت أن الصلاة في المسجد الذي يوجد به قبر باطلة، فما رأيكم في صلاتي؟ وهل أعيدها؟ وما حكم الخروج معهم لهذه الأماكن؟

ج: بسم الله، والحمد لله، أما بعد:

جماعة التبليغ ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة، فلا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة حتى يرشدهم وينصحهم ويتعاون معهم على الخير؛ لأنهم نشيطون في عملهم، لكنهم يحتاجون إلى المزيد من العلم، وإلى من يبصرهم من علماء التوحيد والسنة. رزق الله الجميع الفقه في الدين والثبات عليه.

أما الصلاة في المساجد التي فيها القبور فلا تصح، والواجب إعادة ما صليت فيها؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» متفق على صحته، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**»، أخرجه مسلم في صحيحه. والأحاديث في هذا الباب كثيرة. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم).

رَأَى يُونُسَ بْنَ عُبَيْدٍ ابْنَهُ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ صَاحِبِ هَوًى، فَقَالَ: «يَا بُنَيَّ، مِنْ أَيْنَ خَرَجْتَ؟ قَالَ: مِنْ عِنْدِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ. قَالَ: يَا بُنَيَّ، لِأَنْ أَرَاكَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِ خُنْثَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَاكَ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَلِأَنْ تَلْقَى اللهَ -يَا بُنَيَّ- زَانِيًا فَاسِقًا سَارِقًا خَائِنًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ بِقَوْلِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ»[1]. أَلَا تَرَى أَنَّ يُونُسَ بْنَ عُبَيْدٍ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْخُنْثَى لَا يُضِلُّ ابْنَهُ عَنْ دِينِهِ، وَأَنَّ صَاحِبَ الْبِدْعَةِ يُضِلُّهُ حَتَّى يَكْفُرَ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رَأَى يُونُسَ بْنَ عُبَيْدٍ ابْنَهُ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ صَاحِبِ هَوًى، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، مِنْ أَيْنَ خَرَجْتَ؟ قَالَ: مِنْ عِنْدِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ) عمرو بن عبيد هو شيخ المعتزلة[2]، (قَالَ: يَا بُنَيَّ، لِأَنْ أَرَاكَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِ خُنْثَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَاكَ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ)، الكلمة هذه ليست واضحة (خُنْثَى)، وفي بعض النسخ (من بيت هيتي)، فهي غير واضحة -أيضًا-، لكن المقصود أنك لاتجالس أهل البدع، فلو أنك خرجت من عند صاحب سنة، ولكنه عاص، هذا أسهل من أن تجلس إلى صاحب بدعة،

(١) أخرجه بنحوه ابن الجعد في مسنده (ص٢٠٣، برقم ١٣٣٠)، واللالكائي (٤/ ٨١٧)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٤٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٠).

(٢) هو عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان، سكن البصرة وجالس الحسن البصري وحفظ عنه واشتهر بصحبته، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة، فقال بالقدر، ودعا إليه، واعتزل أصحاب الحسن، توفي سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع وأربعين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٧٣)، وتاريخ بغداد (١٢/ ١٦٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٤٦٠)، والعبر (١/ ١٩٣)، وشذرات الذهب (١/ ٢١٠).

هذا ما حذر منه يونس ولده؛ لأنه جلس إلى عمرو بن عبيد رأس المعتزلة، فكونه يجلس عند مسلم صاحب سنة، ولو كان عنده نقص في دينه، فإن هذا أسهل وأخف ضررًا من مجالسته للمبتدع، ومن باب أولى التعلم، لا تتعلم من أهل الأهواء والبدع والمحدثات، تعلم على أهل السنة، على علماء أهل السنة، علماء العقيدة الصحيحة؛ كما قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»[1]، فإذا كان مجرد المجالسة فيها هذا الخطر، فكيف بالتعلم على المبتدعة؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلِأَنْ تَلْقَى اللهَ -يَا بُنَيَّ- زَانِيًا فَاسِقًا سَارِقًا خَائِنًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ بِقَوْلِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ)**، يقول لابنه: كونك تموت عاصيًا مرتكبًا لكبيرة دون الشرك، فأنت ترجو الرحمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وحتى لو عُذب صاحب الكبيرة في النار، فإن مآله إلى الجنة، ولا يُخلد في النار، أما صاحب البدعة، فإنه قد تجره بدعته إلى الكفر، فيكون من الخالدين في النار؛ لأنه أحدث في دين الله ما ليس منه، والعاصي لم يقل: إن معصيته دين. فكونك تموت على معصية -ولو كبيرة- دون الشرك أخف من أن تموت على بدعة، هذا الكلام واضح جدًّا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَلَا تَرَى أَنَّ يُونُسَ بْنَ عُبَيْدٍ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْخُنْثَى لَا يُضِلُّ ابْنَهُ عَنْ دِينِهِ، وَأَنَّ صَاحِبَ الْبِدْعَةِ يُضِلُّهُ حَتَّى يَكْفُرَ)**، هذه هي الحكمة في

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٤)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣٣٤)، والدارمي (٤٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٧٨).

كونه لايجلس إلى المبتدع، أما أن يجلس إلى صاحب سنة، وإن كان ناقصًا في دينه وإيمانه، فإن الضرر الذي يحصل بمجالسة المبتدع أشد من الضرر الذي يحصل من مجالسة صاحب السنة العاصي؛ لأن صاحب البدعة يدعوك إلى البدعة، وإلى مخالفة الكتاب والسنة، أما العاصي، فإنه لا يحذرك من الكتاب والسنة، لايحذرك من اتباع السنة أبدًا، فهناك فرق بين توجيه هذا وتوجيه هذا، غاية ما يكون أنه قد يحسن لك فعل المعصية فقط، أما إنه يحذرك من السنة، فلا، لا يحذرك من السنة، بل يحترم السنة، ويعظم السنة، بخلاف المبتدع؛ فإنه لا يعظم السنة.



وَاحْذَرْ ثُمَّ احْذَرْ أَهْلَ زَمَانِكَ خَاصَّةً، وَانْظُرْ مَنْ تُجَالِسُ، وَمَنْ تَسْمَعُ، وَمَنْ تَصْحَبُ، فَإِنَّ الخَلْقَ كَأَنَّهُمْ فِي رِدَّةٍ، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنْهُمْ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاحْذَرْ ثُمَّ احْذَرْ أَهْلَ زَمَانِكَ خَاصَّةً)**؛ لأنه في وقت المؤلف البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عظمت الفتنة جدًّا، فيحذر من كل أهل زمان ظهر فيه الشر، والأهواء، والبدع، فهو يحذر منها، وهذا ليس خاصًا بزمانه، بل كل زمان تظهر فيه الشرور، تظهر فيه الأهواء، تظهر فيه الدعوات الباطلة، فإنه يشتد الحذر على المسلم؛ فيأخذ حذره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِنَّ الخَلْقَ كَأَنَّهُمْ فِي رِدَّةٍ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنْهُمْ)**، هذا في وقته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأيضًا هذا يتكرر، فوقتنا هذا وما بعده -والله أعلم- أشد؛ لأن كلما تأخر الزمان، كثرت الفتن، وكثرت الشرور، واُستغربت السنة، وقل المتمسكون بها، فالخطر أشد.



وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَذْكُرُ ابْنَ أَبِي دُؤَادَ[١]، وَبِشْرًا المَرِيسِيَّ[٢]، وَثُمَامَةَ[٣]،

---

(١) هو أحمد بْن أبي دؤاد بْن حَرِيز، القاضي أبو عبد الله الأياديّ الْبَصْرِيُّ ثم البَغْداديُّ. واسم أبيه: الفَرَج. ولي القضاء للمعتصم وللواثق بالله، وكان مصرِّحًا بمذهب الجَهْميّة، داعيةً إلى القول بخلْق القرآن. مات يوم السّبت لسبْعٍ بقين من المحرَّم سنة أربعين.
انظر: تاريخ الإسلام (٥/ ٧٥٨)، وميزان الاعتدال (١/ ٩٧)، وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر (٢/ ٥٠١).

(٢) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي، من موالي آل زيد بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان من كبار الفقهاء، أخذ عن القاضي أبي يوسف، وروى عن حماد ابن سلمة وسفيان بن عيينة، ونظر في الكلام فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه، حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم وكفره عدة، ولم يدرك جهم بن صفوان بل تلقف مقالاته من أتباعه، مات في آخر سنة ثماني عشرة ومائتين وقد قارب الثمانين، فهو بشر الشر، وبشر الحافي بشر الخير؛ كما أن أحمد بن حنبل هو أحمد السنة، وأحمد بن أبي دؤاد هو أحمد البدعة. انتهى من كلام الذهبي.
ورد عليه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه القيم الذي كان يوصي به شيخ الإسلام ابن تيمية، والمسمى: «نقض عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد»، وهو مطبوع، وهو حقيق بالعناية والمراجعة.
انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٥٦)، والأنساب (٥/ ٢٦٧)، والوافي بالوفيات (١٠/ ٩٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩، ٢٠٠)، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٨١).

(٣) هو ثمامة بن أشرس أبو معن النميري أحد رؤوس المعتزلة البصريين، وإليه تُنسب فرقة (الثمامية)، توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين، كان جامعًا بين سخافة الدين والخلاعة مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد بالنار إذا مات على فسقه من غير توبة، وهو في حال حياته في منزله بين منزلتين، وانفرد عن أصحابه المعتزلة بمسائل، منها: قوله: (إن الأفعال المتولدة لا فاعل لها». وقوله في الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة والدهرية: «إنهم يصيرون في القيامة ترابًا). وكذلك قوله في البهائم والطيور وأطفال المؤمنين. وقوله: (لا فعل للإنسان إلا الإرادة وما عداها فهو حدث لا محدث له ولد).
انظر: تاريخ بغداد (٧/ ١٤٥)، والوافي بالوفيات (١١/ ١٦)، والأنساب (١/ ٥١٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٠٣)، وميزان الاعتدال (٢/ ٩٤)، ولسان الميزان (٢/ ٨٣).

أَوْ أَبَا هُذَيْلٍ[(١)]، أَوْ هِشَامًا الْفُوطِيَّ[(٢)]، أَوْ وَاحِدًا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، وَأَشْيَاعِهِمْ، فَاحْذَرْهُ؛ فَإِنَّهُ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا عَلَى الرِّدَّةِ، وَاتْرُكْ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي ذَكَرَهُمْ بِخَيْرٍ، وَمَنْ ذَكَرَ مِنْهُمْ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَذْكُرُ ابْنَ أَبِي دُؤَادَ، وَبِشْرًا الْمَرِيسِيَّ، وَثُمَامَةَ، أَوْ أَبَا هُذَيْلٍ، أَوْ هِشَامًا الْفُوطِيَّ**)، إذا رأيت الرجل يُثني على أهل الشر وعلماء الضلال -مثل هؤلاء الذين هم أفراخ الجهمية-؛ فاعلم أنه فاسق، وأنه فاسد، وأنه ضال؛ لأنه لم يمدحهم، إلا لأنه يحبهم، ويسوغ طريقتهم، وإذا رأيت الرجل يمدح أهل السنة -مثل الإمام أحمد، وابن المبارك-، وكذلك يمدح علماء التابعين ومن جاء بعدهم، فاعلم أنه صاحب خير؛ لأنه ما مدح أهل السنة، إلا وهو يحب السنة والتمسك بها، وهذا يعطينا درسًا في أن بعض الإخوان، أو بعض طلبة العلم يُثني على بعض

(١) هو محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول، أبو الهذيل العلاف مولى عبد القيس، شيخ المعتزلة، ورأس البدعة، ولد سنة خمس وثلاثين ومائة، وتوفي في أول خلافة المتوكل في سنة خمس وثلاثين ومائتين، قال الخطيب البغدادي: «كان خبيث القول، فارق إجماع المسلمين، ورد نص كتاب الله عَزَّوَجَلَّ... وجحد صفات الله التي وصف بها نفسه، وزعم أن علم الله هو الله، وقدرة الله هي الله، فجعل الله علمًا وقدرة، تعالى الله عما وصفه به علوًا كبيرًا» ا.هـ. انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٦)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٦٥)، والوافي بالوفيات (٥/ ١٠٧)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٢)، والعبر (١/ ٤٢٢)، وشذرات الذهب (٢/ ٨٥). وانظر: تفصيل مقالته في الفرق بين الفِرق للبغدادي (ص١١)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٥١).

(٢) سبقت ترجمته (ص٣٠٣).

المبتدعة، أو أصحاب الأهواء والأفكار المنحرفة، ولا ينظر إلى أفكارهم وإلى اتجاهاتهم، ويقع في أهل الخير، ويتنقص أهل الخير؛ لأنه يسمع من أولئك تنقصًا لهم، ويصدقهم، فهذا خطر شديد، إذا تنقص أهل الخير، وأهل العلم، وأهل السنة، ومدح أهل الأفكار المنحرفة، والتوجهات المنحرفة، فهذا خطر شديد، ولو لم يجالسهم، فهذا مما يحذرنا مما وقع فيه كثير من الناس الآن.

(**ابْنَ أَبِي دُؤَادَ، وَبِشْرًا المَرِيسِيَّ**)، هما اللذان أشاروا على المأمون بتعذيب الإمام أحمد وغيره من الأئمة؛ لأجل أن يقولوا بخلق القرآن، (**ثُمَامَةَ**) ابن الأشرس هذا من قادة أهل الضلال.

(**وَأَبَـو الْهُذَيْلِ**) العلاف من كبار المعتزلة، و(**هِشَام الْفُوطِيَّ**) من المبتدعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَوْ وَاحِدًا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، وَأَشْيَاعِهِمْ، فَاحْذَرْهُ**)، إذا رأيته يثني على أهل الشر وأهل الانحراف، فاحذر منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا عَلَى الرِّدَّةِ**)؛ أي: بعضهم مرتد، وهم أئمة الجهمية والمعتزلة، الذين تعمدوا مخالفة الكتاب والسنة، هؤلاء لا شك في كفرهم، أما المقلد منهم، فيُحكم عليه بالضلال، ولا يُحكم عليه بالكفر، حتى يُبين له، أما أئمتهم ودعاتهم، فهم يعرفون ما هم عليه من الضلال، فلذلك حُكم عليهم بالردة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَاتْرُكْ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي ذَكَرَهُمْ بِخَيْرٍ**)، لا تغتر بمدح هذا الرجل الذي يثني عليهم، ويمدحهم، قد يكون في أهل الضلال خصال

طيبة، لكن انظر إلى ما عندهم من الضلال، فلا تغتر بخصلة من خصال الخير، وتغفل عن الخصال الكثيرة من الشر، وهذه -أيضًا- حكمة عظيمة؛ لأن بعض الناس يقول: فلان عنده خير. ولو كان منحرفًا، لا خير فيه؛ كما أن صاحب السنة ولو كان عنده شر قليل، فالزمه؛ لأنه صاحب سنة.



وَالْمِحْنَةُ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةٌ، وَأَمَّا الْيَوْمَ، فَيُمْتَحَنُ بِالسُّنَّةِ؛ لِقَوْلِهِ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»(١)، وَقَوْلِهِ: «لاَ تَقْبَلُوا الحَدِيثَ إِلَّا مِمَّنْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَهُ»(٢)، فَتَنْظُرُ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبَ سُنَّةٍ، لَهُ مَعْرِفَةٌ، صَدُوقًا، كَتَبْتَ عَنْهُ، وَإِلَّا تَرَكْتَهُ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْمِحْنَةُ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةٌ، وَأَمَّا الْيَوْمَ، فَيُمْتَحَنُ بِالسُّنَّةِ)، الأصل في المسلم الخير، وإحسان الظن به، ما لم يظهر منه خلاف ذلك، هذه هي القاعدة، فالمؤلف يقول: ما دام المسلم لم يظهر منه إلا الخير، فإننا نقبل منه الخير، حتى المنافق، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل ظاهر المنافقين، ووكل سرائرهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما دام أنه لم يظهر منه شيء، فأنت تحسن الظن به، لكن إذا ظهر منه بغض للسنة، ولأهل السنة، فحينئذٍ فاحذره، هذا معنى قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْمِحْنَةُ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةٌ)؛ يعني: أي مسلم لم يظهر منه سوء، فلا تمتحنه.

(وَأَمَّا الْيَوْمَ)؛ أي: في وقته، فصار يُمتحن بالسنة؛ لأنها كثرت الفرق الضالة التي تدعي الإسلام، فلابد أن يعرف من هو على السنة، ولا يغتر

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٢٤).

(٢) ورد على أنه من قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخرجه الخطيب في الكفاية (ص٩٥)، والرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص٤١١)، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا، ولايصح، بل هو موضوع. انظر: العلل المتناهية لابن الجوزي (ص١٢٤)، والسلسة الضعيفة (٣٠٩٠)، وضعيف الجامع (٦١٨٠).

بكونه يدعي الإسلام، فالذي يحب أهل السنة هذا دليل على أنه من أهل الخير، والذي يحب أهل البدعة هذا دليل على أنه من أهل الشر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لِقَوْلِهِ: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ)**، التعلم يكون على أيدي علماء أهل السنة، ولا يكون على أيدي علماء أهل البدعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَا تَقْبَلُوا الحَدِيثَ إِلَّا مِمَّنْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَهُ)**؛ يعني: لاتقبلوا من الرواة للحديث، إلا من تقبلون شهادته عند القاضي؛ لأنه قد كثر الضعفاء في الرواية، وكثر الكذب في الرواية، هذا في حق من يعرف علم الحديث، أما من ليس كذلك، فإنه يرجع إلى كتب السنة الصحيحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَتَنْظُرُ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبَ سُنَّةٍ، لَهُ مَعْرِفَةٌ، صَدُوقٌ، كَتَبْتَ عَنْهُ، وَإِلَّا تَرَكْتَهُ)**، هذا بيان لقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ»، انظر فيمن تتعلم عليه، وتروي عنه الحديث، فإن رأيته صاحب سنة واستقامة، فاكتب عنه الحديث، واروه عنه، وإن كان بخلاف ذلك، فلا تأخذ عنه الحديث؛ لأن هناك من يحدث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو كذاب، وما أكثر الوضاعين! هذا من حيث رواية الحديث بسنده، أما من حيث نقل الحديث، فارجع إلى كتب السنة الصحيحة.



وَإِذَا أَرَدْتَ الاسْتِقَامَةَ عَلَى الحَقِّ وَطَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ قَبْلَكَ، فَاحْذَرِ الْكَلَامَ وَأَصْحَابَ الْكَلَامِ، وَالجِدَالَ وَالْمِرَاءَ، وَالْقِيَاسَ وَالْمُنَاظَرَةَ فِي الدِّينِ، فَإِنَّ اسْتِمَاعَكَ مِنْهُمْ -وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ- يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ، وَكَفَى بِهِ قَبُولًا، فَتَهْلِكُ، وَمَا كَانَتْ زَنْدَقَةٌ قَطُّ، وَلَا بِدْعَةٌ، وَلَا هَوًى، وَلَا ضَلَالَةٌ، إِلَّا مِنَ الْكَلَامِ وَالجِدَالِ، وَالْمِرَاءِ وَالْقِيَاسِ، وَهِيَ أَبْوَابُ الْبِدْعَةِ وَالشُّكُوكِ وَالزَّنْدَقَةِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَإِذَا أَرَدْتَ الاسْتِقَامَةَ عَلَى الحَقِّ وَطَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ قَبْلَكَ، فَاحْذَرِ الْكَلَامَ وَأَصْحَابَ الْكَلَامِ**)، من فتن أهل الضلال أنهم جلبوا علم الكلام والجدل، وعلم المنطق، وجعلوه هو الأدلة والبراهين التي يعتمدون عليها في عقيدتهم، وتركوا الكتاب والسنة؛ لأنها لا تفيد اليقين عندهم، وأدلة المنطق وعلم الكلام عندهم أدلة يقينية وبراهين قطعية، فبذلك دخل الشر على المسلمين عن طريق علماء الكلام والجدل والمنطق، الذين يعتمدون على قواعد المنطق وعلم الكلام، ويجعلونها براهين وأدلة، ولا يعتمدون على الكتاب والسنة؛ لأن الكتاب والسنة -بزعمهم- لا يفيدان اليقين، وأما هذه القواعد، فهي تفيد اليقين عندهم، ويسمونها البراهين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالجِدَالَ وَالْمِرَاءَ وَالْقِيَاسَ وَالْمُنَاظَرَةَ فِي الدِّينِ**)، أمور الدين لا يجوز أن تُجعل محلًا للأخذ، والرد، والجدال، وحرية الرأي -كما يقولون-، وأن تخضع للصحف والجرائد، وتلاك بها الألسنة، لا يجوز هذا؛ لأن أمور الدين تُحترم، ويقتصر فيها على ما دل عليه الكتاب والسنة،

ولا يصير فيها جدال أبدًا، هذه هي القاعدة والمنهج السليم، وهذا مقتضى الإيمان بالله ورسوله؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ [غافر:٤]، الذين يجادلون في القرآن: هل هو كلام الله، أو هو كلام البشر؟ هل يفيد اليقين، أو لا يفيد اليقين؟ أو... أو... إلى آخره، هذا من الجدال في آيات الله عَزَّوَجَلَّ؛ يعني: كأنهم لا يثقون في آيات الله، فيجادلون فيها، أو أحاديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ المعصوم، الذي ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ [النجم:٣]، كأنها محل شك وأخذ ورد، وأمور الدين ليس فيها مناظرة، بل هي أمور ثابتة، يسلم لها، وليس فيها شك؛ حتى تُطرح للبحث -كما يقولون.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**فَإِنَّ اسْتِمَاعَكَ مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ**)؛ يعني: استماعك للجدال في أمور الدين من هؤلاء -وإن لم تصدقهم-، فهو يؤثر على قلبك، وتتهاون فيها في المستقبل؛ لأنه إذا كثر الإمساس، قل الإحساس -كما يقولون-، قبل أن تأتي هذه الفضائيات وما يدور فيها من الجدال في الدين والعقيدة كان المسلمون في هذه البلاد على عقيدة سليمة، وليس عندهم شكوك، ولا أوهام، ولا أحد يتجرأ منهم أنه يتكلم في مسألة من مسائل الدين، بل يرجعون فيها إلى علمائهم، أما الآن، فصارت أمور الدين محل الجدال، والأخذ، والرد، وحرية الرأي -كما يقولون-؛ بسبب هذه الفضائيات الخبيثة، فالأمر خطير جدًّا، يقول قائلهم: هذه المسألة فيها خلاف، والعلماء يكتمون هذا عنا. فهذا يقدح في نفوس الناس، العلماء يعلمون الخلاف، ولكن لا يبينونه للناس، إنما يبينونه

فيما بينهم، ويبحثون فيما بينهم؛ لأنهم أهل لذلك، أما إنهم يذكرونه للناس، وعلى المنابر، وفي الإذاعة، يقولون: المسألة فيها خلاف، وفيها أقوال. هذا فيه تشكيك في الدين؛ فلايجوز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَا كَانَتْ زَنْدَقَةٌ قَطُّ، وَلَا بِدْعَةٌ، وَلَا هَوًى، وَلَا ضَلَالَةٌ، إِلَّا مِنَ الْكَلَامِ وَالْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَالْقِيَاسِ**)؛ لأنه يفتح المجال للناس للجدل في أمور الدين، (وَالْقِيَاسِ)؛ يعني: القياس الفاسد، أما القياس الصحيح، فهذا من أصول الأدلة، فالقياس ثلاثة أنواع:

الأول: قياس الأولى؛ بأن يقال: كل كمال لايستلزم نقصًا، فالله تعالى أولى به؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم:٢٧].

الثاني: قياس التمثيل، بأن يقال: صفات الخالق مثل صفات المخلوق -كما تقوله الممثلة-، وهذا باطل.

الثالث: قياس العلة، وهذا من أدلة أصول الفقه، يستعمل في المسائل الفقهية، وهذا يقول به جمهور أهل العلم.

فاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ، وَعَلَيْكَ بِالْآثَارِ وَأَصْحَابِ الْأَثَرِ وَالتَّقْلِيدِ؛ فَإِنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ؛ يَعْنِي: لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ -رُضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-، وَمَنْ قَبْلَنَا لَمْ يَدَعُونَا فِي لَبْسٍ، فَقَلِّدْهُمْ، وَاسْتَرِحْ، وَلَا تُجَاوِزِ الْأَثَرَ وَأَهْلَ الْأَثَرِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ، وَعَلَيْكَ بِالْآثَارِ وَأَصْحَابِ الْأَثَرِ وَالتَّقْلِيدِ)**، المراد بالتقليد: الاتباع، وليس هو التقليد الذي عند المتأخرين، بل المراد به الاتباع، والاقتداء بأهل العلم وأهل الصلاح؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقوله: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف:٣٨]، فهذا اتباع، والتقليد الذي هو بمعنى الاتباع على الحق محمود، أما التقليد الأعمى الذي بدون دليل، فهذا هو المردود، فالتقليد على قسمين:

القسم الأول: تقليد بمعنى الاتباع على الحق، وهذا محمود.

القسم الثاني: تقليد من غير دليل ومن غير معرفة ما عليه المقلد من حق أو باطل، فهذا هو المذموم.

(وَعَلَيْكَ بِالْآثَارِ)؛ يعني: الزم السنة والأحاديث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَإِنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ؛ يَعْنِي: لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ رُضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)**، وهذا هو الاتباع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنْ قَبْلَنَا لَمْ يَدَعُونَا فِي لَبْسٍ**)، من قبلنا -من القرون المفضلة، والأئمة- لم يدعونا في لبس من ديننا، بينوا لنا هذا الدين، وأصَّلوه، وحرروه، فما علينا إلا أن نتبعهم في ذلك، ونسير على منهجهم؛ لأنهم لم يقصروا في بيان هذا الدين، وتأصيله، ونفي البدع والشوائب التي أُلحقت به، وجددوه، ووضحوه رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَقَلِّدْهُمْ، وَاسْتَرِحْ**)، لا تكلف نفسك؛ فقد كفيت، فإنك على حق إذا قلدتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا تُجَاوِزِ الْأَثَرَ وَأَهْلَ الْأَثَرِ**)، لا تجاوز الحديث، وأهل الحديث، فإنهم على حق، وهم الفرقة الناجية، لما سُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من هم الفرقة الناجية؟ قال: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم»[1].



(١) أخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص٢)، وأبو الفضل الهروي في «مشتبه أسامي المحدثين» (ص٢١)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٥ - ٢٧)، و«تاريخ بغداد» (٤/ ١١٨). وانظر: فتح الباري (١/ ١٦٤، ١٣/ ٢٩٣)، وعمدة القاري (٢/ ٥٢)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٧).

وَقِفْ عِنْدَ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَالحَدِيثِ، وَلَا تَقِسْ شَيْئًا.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقِفْ عِنْدَ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَالحَدِيثِ، وَلَا تَقِسْ شَيْئًا)، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران:٧-٩]، فأخبر سبحانه أنه أنزل القرآن فيه آيات محكمات واضحة المعنى، لا تحتاج في تفسيرها إلى غيرها، وآيات متشابهات تحتاج في تفسيرها إلى غيرها من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك كالمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والناسخ والمنسوخ، كل هذا موجود في كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأهل الزيغ يأخذون المتشابه، ويتركون المحكم؛ لأنهم يريدون الفتنة، ويقولون: نحن نستدل بكلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ويأخذون طرفًا، وهو المتشابه، ويتركون الطرف الآخر الذي يفسره، ويوضحه، ويقيده، ويبينه. أما الراسخون في العلم الثابتون في العلم، فإنهم يقولون: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، فيردون المتشابه إلى المحكم، فيفسره، ويوضحه، ويبينه لهم، فيعملون بالقرآن كله، وبالسنة كلها، ويقولون: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، أما أهل الزيغ، فيأخذون

طرفًا، ويتركون الطرف الآخر، ويقولون: هذا من القرآن. نعم هو من القرآن، ولكن هو في نفسه غير واضح، يحتاج إلى توضيح، والله قد وضحه في آيات أخر، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد وضح في أحاديث صحيحة، فيُرد كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بعضه، فيفسر بعضه بعضًا، ويصدق بعضه بعضًا، ويوضح بعضه بعضًا، هذه طريقة أهل العلم الراسخين، أما أهل الزيغ، فإنهم يأخذون ببعض الكتاب، ويتركون بعضه، وهذا موجود في كل زمان ومكان، بعضهم يفعل هذا عن تعمد، ويريد التضليل، وبعضهم يفعل هذا عن جهل؛ لأنه متعالم لايدري، لم يدرس الأصول، ولم يدرس علوم القرآن، وعلوم الحديث، والمصطلح، وأصول الفقه، لم يدرس هذه الأمور، غاية ما هناك أنه كثير المطالعة، وكثير الحفظ، فظن أنه عالم، إذا كان يحفظ كثيرًا، ويطالع كثيرًا، لكن ليس عنده أصول العلم وقواعد العلم؛ لأنه لم يتعلم على أهل العلم، فهذا على جهل، وهو في نفس الأمر ضال؛ لأن الطريق الذي يسير فيه طريق ضلال؛ أمور الدين وأمور الأحكام الشرعية تحتاج إلى عناية، وتحتاج إلى تعلم، وتحتاج إلى تلق عن أهل العلم، فهم بين أمرين:

* إما زائغ يعرف أنه مخطئ، ولكن يريد التضليل، ويقول: هذه آية، وهذا حديث، أنا أستدل من كلام الله، ومن كلام رسوله. ويغر الناس.

* وإما جاهل لا يدري ما طريقة الاستدلال، ولا طريقة فهم النصوص، لا يعرف هذه الأمور؛ لأنه لم يتعلم على أهل العلم، فإنما تعلم على الورق.

فالأمر خطير جدًّا؛ لذلك يتعين على طلبة العلم أن يعتنوا بهذا الأمر، وأن يدرسوه دراسة حقيقية على أهل العلم، و على أهل البصيرة -إن كانوا

يريدون الهدى والخير-، وإلا فالمسألة خطيرة جدًّا، وليس الأمر مقصورًا عليهم؛ أنهم يهلكون وحدهم، لكن يهلكون غيرهم ممن يقتدي بهم ويتبعهم، فأدلة الشرع مترابطة بعضها ببعض، والأحكام الشرعية مترابطة، والذي يقطع الصلة بينها يقطع ما أمر الله به أن يوصل، ويكون من الذين قال الله فيهم: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥] -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا تَقِسْ شَيْئًا)**، المراد: القياس الباطل، مثلًا: قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤]، وفي الآية التي بعدها قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [البقرة:٢٤٠]، جعل عدة الوفاة سنة كاملة، بأي الآيتين تأخذ؟

العلماء جمعوا بين الآيتين بأن الآية الأخيرة هذه كانت في أول الأمر، كان في أول الأمر المتوفى عنها تبقى في بيتها سنة كاملة في العدة، ثم خفف الله جَلَّ وَعَلَا، فأنزل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ يعني: بلغن أربعة أشهر وعشرا، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، لا جناح أن تخرج من العدة، وتتزوج، وتتزين، وتتطيب؛ لأنها انتهت عدتها.

الله جَلَّ وَعَلَا أمر بقطع يد السارق، فقال: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]؛ أي اليدين تُقطع؟ ومن أي مكان تُقطع؟ وكم المبلغ الذي تُقطع به اليد؟ كل هذا ليس في القرآن، هذا في سنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الذي وكل الله إليه بيان القرآن، فبين أن التي تُقطع اليد اليمنى، والقطع من مفصل الكف، وأنه لايجوز القطع إلا إذا بلغت السرقة النصاب ثلاثة دراهم، أو ربع دينار. فالسنة مفسرة للقرآن.

الله أمر بإقام الصلاة، كم الصلوات؟ وما مواقيتها؟ وما أعداد الركعات؟ من الذي بين هذا؟ هو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة، السنة تُفسر القرآن، وتوضحه، وتدل عليه، فالمسألة تحتاج إلى علم، وتحتاج إلى بصيرة، وتحتاج إلى فقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ.

كذلك يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(١)، هذا يدل على أن الذي يقتل المؤمن يكون كافرًا خارجًا من الملة، لكن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ [البقرة:١٧٨]، فسمى القتيل أخًا للقاتل في قوله: ﴿ مِنْ أَخِيهِ ﴾؛ يعني: القتيل، فدل على أن القاتل لا يخرج من الإسلام، وأن الأخوة الإيمانية باقية، فيكون المراد بالكفر في قوله: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا» الكفر الأصغر الذي لايُخرج من الملة، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾ [الحجرات:٩]، من المؤمنين، دل على أنه لا يزول الإيمان بالاقتتال بين المؤمنين، وإنما هذا كبيرة من كبائر الذنوب، وهو كفر أصغر، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾، جعل المتقاتلين إخوة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (١١٨) (٦٥) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلابد من التروي في هذه الأمور، والتفقه في دين الله، وأخذ العلم من مصادره، وعن حملته.

وكما أن في القرآن آيات متشابهة، فكذلك في الحديث أحاديث متشابهة، يُرد بعضها إلى بعض، فيوضح بعضها بعضًا، ويُفسر بعضها بعضًا.



وَلَا تَطْلُبْ مِنْ عِنْدِكَ حِيلَةً تَرُدُّ بِهَا عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ، فَإِنَّكَ أُمِرْتَ بِالسُّكُوتِ عَنْهُمْ، وَلَا تُمَكِّنْهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ(١) -مَعَ فَضْلِهِ- لَمْ يُجِبْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا سَمِعَ مِنْهُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «أَخَافُ أَنْ يُحَرِّفَهَا؛ فَيَقَعَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ»(٢).

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا تَطْلُبْ مِنْ عِنْدِكَ حِيلَةً تَرُدُّ بِهَا عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ)، إذا أردت أن ترد على أهل البدع، فلا ترد عليهم بجهل؛ فإن هذا يزيد البلاء بلاء، فلا ترد عليهم إلا بعلم، إذا كان عندك علم واستعداد لمعرفة الرد، فرد،

(١) هو محمد بن سيرين، الإمام، شيخ الإسلام، أبو بكر الأنصاري، الأنسي، البصري، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كان أبوه من سبي جرجرايا، تملكه أنس، ثم كاتبه على ألوف من المال، فوفاه. قال عوف الأعرابي: كان ابن سيرين حسن العلم بالفرائض والقضاء والحساب. قال محمد بن جرير الطبري: كان ابن سيرين فقيهًا، عالمًا، ورعًا، أديبًا، كثير الحديث، صدوقًا، شهد له أهل العلم والفضل بذلك، وهو حجة. قال غير واحدٍ: مات محمد بعد الحسن البصري بمائة يوم، سنة عشر ومائة.
انظر: التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٩٠)، وتاريخ الإسلام (٣/ ١٥١)، والأعلام للزركلي (٦/ ١٥٤).

(٢) روى هذه القصة الدارمي في سننه (٤١١) (١/ ٣٨٩- ٣٩٠)، والفريابي في القدر (٣٧٣) (١/ ٢٤٩)، والآجري في الشريعة (١٢١) (١/ ٤٤٠): عَنْ أَسْمَاءَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: «دَخَلَ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ عَلَى ابْنِ سِيرِينَ فَقَالَا: يَا أَبَا بَكْرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَا: فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: لَا، لِتَقُومَانِّ عَنِّي أَوْ لَأَقُومَنَّ. قَالَ: فَخَرَجَا، فَقَالَ: بَعْضُ الْقَوْمِ. يَا أَبَا بَكْرٍ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ يَقْرَآ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْرَآ عَلَيَّ آيَةً فَيُحَرِّفَانِهَا، فَيَقِرَّ ذَلِكَ فِي قَلْبِي».

وإلا فلاتدخل في هذا الميدان، فيكون ما تُفسد أكثر مما تصلح، لا ترد عليهم بهواك، أو بما يتراءى لك من الفكر، لا ترد إلا بعلم، وإلا فتوقف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّكَ أُمِرْتَ بِالسُّكُوتِ عَنْهُمْ**)، إذا لم يكن عندك علم، فاسكت، نعم، اكره ما هم عليه، وأنكره بقلبك، لكن لا تتدخل معهم في رد بدون علم، فيكون ما تفسد أكثر مما تصلح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا تُمَكِّنْهُمْ مِنْ نَفْسِكَ**)؛ لأنك إذا رددت بجهل، مكنتهم من أنهم يردون، ويتغلبون عليك، ويذكرون الأخطاء التي وقعت فيها، فتكون أنت المخطئ، لكن إذا رددت بعلم وحُجج، ما استطاعوا أنهم يردون عليك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **-مَعَ فَضْلِهِ- لَمْ يُجِبْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ**)، محمد بن سيرين من كبار التابعين، ومن أهل العلم المشهورين، ومع هذا لم يدخل في الرد على هذا الرجل؛ لأنه يرى أن الرد عليه لا يجدي؛ لأن سؤاله ليس سؤال علم، وإنما سؤال تعنت، وهذا من الحكمة؛ لأن قصد أهل الشر أن يثيروا الشر، فهو لما أدرك منهم هذا، وأنهم ليسوا مسترشدين، ولا طالبين للحق، وإنما يريدون التشويش، سكت عنهم، وتركهم، والشاعر يقول:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ ... خَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ[1]

---

(١) هذا البيت من أبيات الحكمة، وقد نسب لأكثر من واحد، فقد عزاه ابن أبي الدنيا في كتابه الحلم (ص ٣٤)، والمستعصمي في كتابه الدر الفريد وبيت القصيد (٣/ ٢٥٠) إلى المؤمل الشاعر، وعزاه ابن حبان في كتابه روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ١٤٠) إلى سالم بن ميمون الخواص، وعزاه الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٣) إلى عمرو بن علي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا سَمِعَ مِنْهُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ)، إذا من يقول: أسمعك آية، أو نريد أن نبحث في معناها. وهو يعرف مقصوده، وأنه ليس قصده الاسترشاد، فإنه لا يجيبه، ولا يفسر له الآية.

(**فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «أَخَافُ أَنْ يُحَرِّفَهَا، فَيَقَعَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ»**)، إذا فتح له المجال، ربما يقع في قلب ابن سيرين شيء من شبهاته، فهو يريد سد هذا الباب.

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: إِنَّا نَحْنُ نُعَظِّمُ اللهَ، إِذَا سَمِعَ آثَارَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ أَثَرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَدْفَعَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُعَظِّمُ اللهَ، وَيُنَزِّهُهُ إِذَا سَمِعَ حَدِيثَ الرُّؤْيَةِ، وَحَدِيثَ النُّزُولِ، وَغَيْرَهُ، أَفَلَيْسَ قَدْ رَدَّ أَثَرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا قَالَ: إِنَّا نَحْنُ نُعَظِّمُ اللهَ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ أَعْلَمُ باللهِ مِنْ غَيْرِهِ، فَاحْذَرْ هَؤُلَاءِ، فَإِنَّ جُمْهُورَ النَّاسِ مِنَ السُّوقَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى هَذَا الحَالِ، وَحَذِّرِ النَّاسَ مِنْهُمْ.

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: إِنَّا نَحْنُ نُعَظِّمُ اللهَ، إِذَا سَمِعَ آثَارَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ**)؛ لأن الجهمي إذا سمع أحاديث الصفات -مثل: حديث النزول، وحديث رؤية المؤمنين الله عَزَّوَجَلَّ، إذا سمعها، قال: إننا نعظم الله عَزَّوَجَلَّ. أي: أننا نعظمه عن هذه الأحاديث؛ لأنها عنده تقتضي تشبيه الله بخلقه، وهذا تنقص لله، فيكون عنده أن أحاديث الرسول فيها تنقص لله، وفيها تشبيه، فهو لا يريد تعظيم الله التعظيم الحقيقي، لكن له هدف من هذه الكلمة، هو يريد أنه لا يعمل بهذه الأحاديث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ أَثَرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَدْفَعَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ**) أي: بكلمة (نعظِّمُ الله)، فهي كلمة حق، ولكن يُراد بها باطل، يراد بها رد أحاديث الصفات الصحيحة الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه زعم أنها تنقص الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ أَعْلَمُ باللهِ مِنْ غَيْرِه**)؛ أي: أنه أعلم بالله من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهل بعد هذا الكفر كفر -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّ جُمْهُورَ النَّاسِ مِنَ السُّوقَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى هَذَا الحَالِ**)، السوقة: يعني العوام، إذا سمعوا كلمة (نعظم الله)، أخذوا كلام الجهمي على ظاهره؛ لأنهم لا يدرون عن مراده.



وَإِذَا سَأَلَكَ أَحَدٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ، وَهُوَ مُسْتَرْشِدٌ، فَكَلِّمْهُ، وَأَرْشِدْهُ، وَإِذَا جَاءَكَ يُنَاظِرُكَ، فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّ فِي الْمُنَاظَرَةِ الْمِرَاءَ، وَالْجِدَالَ، وَالْمُغَالَبَةَ، وَالْخُصُومَةَ، وَالْغَضَبَ، وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ جَمِيعِ هَذَا جِدًّا، وَهُوَ يُزِيلُ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ، وَلَمْ يَبْلُغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ فُقَهَائِنَا وَعُلَمَائِنَا أَنَّهُ نَاظَرَ، أَوْ جَادَلَ، أَوْ خَاصَمَ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِذَا سَأَلَكَ أَحَدٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ، وَهُوَ مُسْتَرْشِدٌ، فَكَلِّمْهُ، وَأَرْشِدْهُ**) السائل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: سائل مسترشد، فهذا له الحق أن تجيبه، وتوضح له، وتشجعه.

القسم الثاني: سائل متعنت معترض يُشبه على الناس، فهذا احذره، ولاتدخل معه في ميدان، فإنك إذا تركته، انحسم الأمر، وإذا دخلت معه، فإن الأمر يزيد شرًّا، وهو يريد أن يحرك الفتنة.

(**فِي هَذَا الْبَابِ**)؛ يعني: باب الأسماء والصفات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِذَا جَاءَكَ يُنَاظِرُكَ، فَاحْذَرْهُ**)، إن كان قصده المناظرة والمجادلة، فاتركه، لا تدخل معه؛ لأنه يريد الضلال، ويريد التلبيس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّ فِي الْمُنَاظَرَةِ الْمِرَاءَ، وَالْجِدَالَ، وَالْمُغَالَبَةَ، وَالْخُصُومَةَ، وَالْغَضَبَ**)، لذلك لما دخل رجل على الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وهو في الحلقة-، قال: إن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، كيف استوى؟

فأطرق مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ برأسه حتى عرق من الحياء من الله عَزَّوَجَلَّ، ثم رفع رأسه، وقال: «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا رَجُلَ سُوءٍ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْمَجْلِسِ»[1]؛ لأنه لايقصد الاسترشاد، وإنما يقصد التشبيه على الناس، ونفي الاستواء، وتفسيره بغير تفسيره الصحيح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَمْ يَبْلُغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ فُقَهَائِنَا وَعُلَمَائِنَا أَنَّهُ نَاظَرَ، أَوْ جَادَلَ، أَوْ خَاصَمَ**)؛ أي: لم يفعل هذا النوع من المخاصمة التي يُراد بها إثارة الفتنة، وتشكيك الناس، ونشر البلبلة، لا أحد من الأئمة والعلماء -سلف هذه الأمة- دخل هذا الميدان، وإنما يرشدون السائل المسترشد، لا السائل المتعنت، الذي لايريد الفائدة، وإنما يريد إثارة الفتنة، والجدال، والمناظرة.

والدين واضح -ولله الحمد-، قال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر:٤]، والقرآن واضح بيِّن، فليس فيه جدال، نؤمن به، ونثبت ما جاء به، نؤمن به لفظًا ومعنى، ونعمل به كما جاء عن الله ورسوله، هذا هو الواجب علينا.



(١) سبق تخريجه (ص٨٢).

قَالَ الحَسَنُ الْبَصْرِيُّ[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «**الحَكِيمُ لاَ يُمَارِي، وَلاَ يُدَارِي، حِكْمَتُهُ يَنْشُرُهَا، إِنْ قُبِلَتْ، حَمِدَ اللهَ، وَإِنْ رُدَّتْ، حَمِدَ اللهَ**»[(٢)].

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الحَسَنِ، فَقَالَ: «أَنَا أُنَاظِرُكَ فِي الدِّينِ، فَقَالَ الحَسَنُ: أَنَا عَرَفْتُ دِينِي، فَإِنْ ضَلَّ دِينُكَ، فَاذْهَبْ فَاطْلُبْهُ»[(٣)].

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قَالَ الحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: (الحَكِيمُ لَا يُمَارِي، وَلَا يُدَارِي)**، الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن البصري، الإمام المشهور، من التابعين، يقول: (الْحَكِيمُ)؛ أي: الذي عنده حكمة، والحكمة: وضع الشيء

(١) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، إمام أهل البصرة وخير أهل زمانه، واسم أبي الحسن يسار، يُقال إنه من سبي ميسان وقع إلى المدينة، فاشترته الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك فأعتقته، ولد لسنتين بقيتا في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومات في رجب سنة عشر ومائة، قال ابن سعد في الطبقات: (كان الحسن جامعًا عالمًا عاليًا رفيعًا ثقةً مأمونًا عابدًا ناسكًا كبير العلم فصيحًا جميلًا وسيمًا) ا.هـ. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ١٥٦)، والجرح والتعديل (٣/ ٤٠) وتهذيب الكمال (٦/ ٩٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣)، والعبر (١/ ١٣٦)، وشذرات الذهب (١/ ١٣٦).

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في «زوائده على الزهد لابن المبارك» (ص٨)، ولفظه: «قِيلَ لِلْحَسَنِ، فِي شَيْءٍ قَالَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا مِنَ الْفُقَهَاءِ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: وَهَلْ رَأَيْتَ فَقِيهًا قَطُّ؟ إِنَّمَا الْفَقِيهُ: الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبُ فِي الْآخِرَةِ، الدَّائِبُ فِي الْعِبَادَةِ، قَالَ: وَمَا رَأَيْتُ فَقِيهًا قَطُّ، يُدَارِي وَلَا يُمَارِي، يَنْشُرُ حِكْمَةَ اللهِ، فَإِنْ قُبِلَتْ حَمِدَ اللهَ، وَإِنْ رُدَّتْ حَمِدَ اللهَ».

(٣) أخرجه اللالكائي في اعتقاد اهل السنة (١/ ١٤٤، برقم ٢١٥)، والآجري في الشريعة (١/ ٤٣٨)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٥٠٩)، والفريابي في القدر (ص٢٥١، برقم ٣٨٠)، ولفظه: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، تَعَالَ حَتَّى أُخَاصِمَكَ فِي الدِّينِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي، فَإِنْ كُنْتَ أَضْلَلْتَ دِينَكَ فَالْتَمِسْهُ».

في موضعه، وكذلك الحكيم يعني: الفقيه، فالحكيم يُراد به معنيان: المعنى الأول مراده: الذي يضع الأمور في مواضعها، ويُراد به -أيضًا- الفقيه؛ لأن الحكمة هي الفقه، ومعرفة مراد الله ورسوله، (لَا يُمَارِي)، لا يجادل جدالًا عقيمًا، ليس القصد منه الفائدة، (وَلَا يُدَارِي)، لا يداري أهل الباطل ويستسلم لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**حِكْمَتُهُ**)؛ يعني: علمه (**يَنْشُرُهَا، إِنْ قُبِلَتْ، حَمِدَ اللهَ**)، هذا هو المطلوب، وإن لم تُقبل، فإنه يكون أبرأ ذمته، وبلغ الحجة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**حَمِدَ اللهَ**)؛ لأنه أقام الحجة، وبلغ الحجة، وأدى ما عليه، وهداية القلوب بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قول الحَسَنِ: (**أَنَا عَرَفْتُ دِينِي، فَإِنْ ضَلَّ دِينُكَ، فَاذْهَبْ، فَاطْلُبْهُ**)، هذه كلمة حكمة، لما قال: أنا أناظرك في الدين، فَقَالَ الْحَسَنُ: (أَنَا عَرَفْتُ دِينِي)؛ يعني: أنا لست في لبس حتى أناظر، وأتجادل معك، أما أنت، إذا كان دينك ليس معك، فاذهب اطلبه، والتمسه.



واعلم أنَّ الدِّينَ هُوَ التَّقْلِيدِ، والتَّقْلِيدِ لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشَّرْح

تقدم شرح هذا[1].

(١) انظر: (ص٥٣٦).

وَسَمِعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِهِ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كَذَا؟ وَيَقُولُ الْآخَرُ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كَذَا؟ فَخَرَجَ مُغْضَبًا، فَقَالَ: «أَبِهَذَا أَمَرْتُكُمْ، أَمْ بِهَذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ؟ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؟»[1]، فَنَهَاهُمْ عَنِ الْجِدَالِ.

الشَّرْح

المناظرة إنما تكون في الأشياء الخفية التي لا يُدرى من الحق معه، فهذا يحصل فيه مناظرة؛ من أجل أن يتضح الحق، ويتبين مع أي الفريقين، أو مع أي الرجلين، أما إذا اتضح الحق، واستبان، فلا نقبل المناظرة؛ لأن المناظر يريد التأثير على الحق، وصرف الناس عنه.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أَبِهَذَا أَمَرْتُكُمْ..**). هذا حديث عظيم، لما سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومًا يتجادلون في القرآن، ويأخذون الآيات المتشابهات، ويحتجون بها، كل يأخذ آية تعارض الآية الأخرى، ويقول: (ألم يقل الله كذا؟)، ثم يقول الآخر: (ألم يقل الله كذا؟)، فهذه طريقة أهل الزيغ، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ

---

(١) أخرجه أحمد (١١/ ٤٣٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٧٧) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: «أَنَّ نَفَرًا كَانُوا جُلُوسًا بِبَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كَذَا وَكَذَا؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كَذَا وَكَذَا؟ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، فَقَالَ: بِهَذَا أُمِرْتُمْ؟ أَوْ بِهَذَا بُعِثْتُمْ؟ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؟ إِنَّمَا ضَلَّتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّا هَاهُنَا فِي شَيْءٍ، انْظُرُوا الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَالَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ، فَانْتَهُوا».

﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران:٧]، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَبِهَذَا أَمَرْتُكُمْ**»، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهى عن هذا، قال: «**أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؟**» كتاب الله لا يتضارب أبدًا، ولا يتعارض، إذا وفق العالم لفهمه، فإنه إنما يتعارض ويتضارب عند الجاهل الذي ليس معه أصول العلم الصحيح.



وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَكْرَهُ الْمُنَاظَرَةَ(١)، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ(٢)، وَمَنْ فَوْقَهُ وَمَنْ دُونَهُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

وَقَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَكْبَرُ مِنْ قَوْلِ الْخَلْقِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر:٤].

وَسَأَلَ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [النازعات:٢]؟ فَقَالَ: «لَوْ كُنْتَ مَحْلُوقًا، لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ»(٣).

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لَا يُمَارِي، وَلَا أَشْفَعُ لِلْمُمَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَدَعُوا الْمِرَاءَ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ»(٤).

---

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٧، برقم ١٩٩) عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «قِيلَ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّ نَجْدَةَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَجَعَلَ لَا يَسْمَعُ مِنْهُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ مِنْهُ شَيْءٌ».

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٥٠٧، برقم ٥٨٣)، والآجري في الشريعة (١/ ٤٣٧، برقم١١٧) عن مَعْن بْنُ عِيسَى، قَالَ: «انْصَرَفَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى يَدَيَّ قَالَ: فَلَحِقَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْجُوَيْرِيَةِ، كَانَ يُتَّهَمُ بِالْإِرْجَاءِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ اسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا أُكَلِّمْكَ بِهِ، وَأُحَاجَّكَ، وَأُخْبِرْكَ بِرَأْيِي قَالَ: فَإِنْ غَلَبَتْنِي؟ قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتُكَ اتَّبَعْتَنِي قَالَ: فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ، فَكَلَّمَنَا، فَغَلَبَنَا؟ قَالَ: نَتَّبِعُهُ، فَقَالَ مَالِكٌ: يَا عَبْدَ اللهِ، بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِينٍ وَاحِدٍ، وَأَرَاكَ تَنْتَقِلُ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ، قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ». وانظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٦).

(٣) هذا الرجل هو صبيغ بن عسل، وأخرجه بهذا اللفظ: اللالكائي (٤/ ٧٠١، برقم ١١٣٦)، والبزار (١/ ٤٢٣)، والآجري في الشريعة (١/ ٤٨١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٤١٤، برقم ٣٣٠). وانظر قصته في تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ١٥٢، برقم ٧٦٥٩)، والآجري في الشريعة (١/ ٤٣١، برقم ١١١).

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **يَكْرَهُ الْمُنَاظَرَةَ**)، المراد المناظرة التي القصد منها التشويش على الناس، وكل ينتصر لرأيه، لا يراد الحق، وإنما يريد أن ينتصر لرأيه، وأن يغلب خصمه، هذه مناظرة مذمومة، أما إن كان القصد منها الوصول للحق، ومعرفة الحق مع من كان، ثم يرجعون إلى الحق، فهذا شيء مطلوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَمَنْ فَوْقَهُ وَمَنْ دُونَهُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا**)، يعني: يكرهون المناظرة، مع أن المناظرة قد تتعين أحيانًا، لكن الإنسان في عافية، ما يدخل في المناظرة إلا عند الضرورة، وإذا كان عنده استعداد، وتجرد عن الهوى، لا يكون همه أنه ينتصر، يكون همه أن ينتصر للحق، سواء كان معه، أو مع خصمه، هذه المناظرة الصحيحة؛ لهذا جاء عن الإمام الشافعي أنه قال: (ما ناظرت أحدًا، إلا أحببت أن يظهر الحق على يده، فأنتفع)؛ لأنه ليس قصده الهوى، وأنه ينتصر هو، بل قصده ظهور الحق، وبيان الحق، سواء معه أو مع غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقوله تَعَالَى**: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر:٤])، المجادلة في آيات الله تكون بإنكارها، وتكون بضرب بعض القرآن ببعض، ومعارضة بعضه ببعض، هذا فعل الكفار؛ لهذا لما سمعوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو في صلاته، يقول: «يَا اللهُ، يَا رَحْمَنُ، قال المشركون: انظروا إلى هذا الرجل، يزعم أنه يعبد إلهًا واحدًا، وهو يقول: «يَا اللهُ، يَا رَحْمَنُ»؛

يعبد إلهين! فأنزل الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ﴾ [الإسراء:١١٠]»[1]، يلبسون على الناس أن الرحمن إله مستقل، والرحيم إله مستقل، فأنزل الله جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَسَأَلَ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ**)، وهو صبيغ بن عسل، الذي كان مشهورًا بالجدال والفضوليات في عهد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، سأله عن ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ ما هي؟ وهو ليس بحاجة إلى هذا، كان الواجب أن يسأل عن أمور دينه، وعن أمور عقيدته، أما السؤال عن ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾، فهذا ميسور في كتب التفسير، ولا يحتاج إلى الوقوف عنده، فالواجب أن يسأل عما هو أعظم من هذا، وحاجته إليه أكثر، ففضول الأسئلة لا ينبغي لطالب العلم أن يشغل نفسه، ويشغل مدرسه بها، إنما يسأل عن أمهات المسائل، وعن المهمات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَوْ كُنْتَ مَحْلُوقًا**)؛ يعني: حليق الرأس؛ لأن هذه صفة الخوارج، هم الذين يسألون عن مثل هذه الأسئلة، فلو كانت عليك علامتهم، لأوجعتك ضربًا، فهذا السؤال من جنس أسئلة الخوارج؛ لأنهم يسألون عن أشياء ليسوا بحاجة إليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ**)؛ يعني: قتلتك؛ لأن الخوارج أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتلهم، قال: «**فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ**

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٢٣)، وزاد المسير (٣/ ٦٠)، وابن كثير (٥/ ١٢٨)، والتحرير والتنوير (١٥/ ٢٣٦).

لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[(١)]، والخطاب هذا خطاب لولاة الأمور، وليس خطابًا لكل أحد، فلا تأخذ معك سلاحًا، وتقتل كل من اتهمته أنه من الخوارج، هذه فوضى، الذي يقتل هو ولي الأمر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو ولي الأمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ لَا يُمَارِي، وَلَا أَشْفَعُ لِلْمُمَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَدَعُوا الْمِرَاءَ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ**»، المراء: هو الجدال بغير فائدة[(٢)]، الذي يبعث على التشكيك، ويشغل الوقت بغير فائدة، المماراة، والمجادلة، والمناظرة، كلها بمعنى واحد، «الْمُؤْمِنُ لَا يُمَارِي»؛ أي: من علامات المؤمن أنه يتجنب المماراة التي لا فائدة فيها، «وَلَا أَشْفَعُ لِلْمُمَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، هذا وعيد شديد للمماري، فيه التحذير من المماراة، «فَدَعُوا الْمِرَاءَ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ»، يقول بعض العلماء في كتب العقائد المنظومة[(٣)]:

فَلَا مِرَاءَ وَمَا فِي الدِّينِ مِنْ جَدَلٍ وَهَلْ يُجَادِلُ إِلَّا كُلُّ مَنْ كَفَرْ

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٠٠).

(٢) انظر: جمهرة اللغة (٢/ ١٠٦٩)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٢٠٤)، ولسان العرب (١٥/ ٢٧٨).

(٣) البيت من مقدمة ابن أبي زيد القيرواني. انظر: عقيدة السلف - مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة (٦٨)، وقطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص٥٤).

وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ: فُلَانٌ صَاحِبُ سُنَّةٍ، حَتَّى يَعْلَمَ مِنْهُ أَنَّهُ قَدِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ خِصَالُ السُّنَّةِ، لَا يُقَالُ لَهُ: صَاحِبُ سُنَّةٍ، حَتَّى تَجْتَمِعَ فِيهِ السُّنَّةُ كُلُّهَا.

الشَّرْح

لا تزكى الشخص، وتمدحه، إلا عن علم؛ لئلا يغتر الناس بمدحك له، وهو ليس كذلك، فإذا تحققت منه، ومن طريقته، ومن علمه، ومن استقامته، فإنك تزكيه، أما أن تنبعث في مدحه وتزكيته، وأنت لا تعلم عنه شيئًا، فهذه تزكية خطيرة تغر الناس بهذا الشخص، فليت الذين يزكون الناس يتوقفون عند ذلك، فلا يزكون إلا من توافرت فيه شروط التزكية؛ لأن التزكية شهادة، فإذا كانت التزكية غير صحيحة، صارت شهادة زور.

وله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَدِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ خِصَالُ السُّنَّةِ**)؛ خصال السنة في العقيدة، وفي العلم، وفي العمل، وفي الاقتداء بالسلف الصالح، أما أنه ليس فيه إلا خصلة واحدة، فلا تحكم عليه أنه من أهل السنة بموجب خصلة واحدة، أو شيء واحد، فكيف بمن ليس عنده شيء منها؟!



قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارِكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَصْلُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ هَوًى أَرْبَعَةُ أَهْوَاءَ، فَمِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَهْوَاءَ تَشَعَّبَتِ الِاثْنَانِ وَسَبْعُونَ هَوًى: الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِئَةُ، وَالشِّيعَةُ، وَالْخَوَارِجُ»(١).

الشَّرْح

قول عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارِكِ: (أَصْلُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ هَوًى أَرْبَعَةُ أَهْوَاءَ، فَمِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَهْوَاءَ تَشَعَّبَتِ الِاثْنَانِ وَسَبْعُونَ هَوًى: الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِئَةُ، وَالشِّيعَةُ، وَالْخَوَارِجُ)، هذا ذكره المؤلف في أول الرسالة، وشرحناه هناك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَهْوَاءَ)؛ لأن الذي حملهم على الافتراق هو الهوى؛ كلٌ يتبع هواه، لو اتبعوا الحق، ما تشعبوا إلى ثلاث وسبعين فرقة، الذي يتبع الحق ما يتشعب به الهوى، فكل واحد يركب هواه، قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣]، كل واحد يتبع هواه، والأهواء لا تنتهي، ولكن الحق واحد، لا يتقسم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾؛ صراط واحد ﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فالذي يخرج عن الصراط المستقيم يقع في هذه السبل المتفرقة التي لا نهاية لها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْقَدَرِيَّةُ)، وهم الذين يتكلمون في القدر؛ لأن الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة: «الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣٧٩، برقم ٢٧٨) من طريق حفص بن حميد، عن ابن المبارك.

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1]؛ بأن الله قدَّره، وكتبه في اللوح المحفوظ، وشاءه، وأراده، وأوجده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بالقضاء والقدر بهذه المراتب الأربع، المخالفون لهم على فريقين:

الفرقة الأولى: القدرية النفاة، الذين ينفون القدر، ويقولون: كل واحد يخلق فعل نفسه، ولم يقدره الله عليه، وإنما هو الذي فعله مستقلًا، وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم.

الفرقة الثانية: القدرية المجبرة الذين يغلون في إثبات القدر، ويقولون: العبد ليس له اختيار، ولا إرادة، ولا فعل، وإنما هو فعل الله فيه، فهو كالريشة يحركها الهواء، وكالميت بيد الغاسل، مجبر ليس له اختيار. هؤلاء يسمون المجبرة، غلوا في إثبات القدر -والعياذ بالله-، حتى سلبوا العبد من اختياره وأفعاله، وجعلوه مجبرًا على أفعاله؛ لا يصلي باختياره، ولا يزني باختياره، ولايزكي باختياره، ولا يأخذ الربا باختياره، وإنما هو مجبر، كل واحد عندهم مجبر، هذا قول الجبرية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**المُرْجِئَةُ**)، هذا في باب الإيمان، والإيمان -كما عرَّفه أهل السنة والجماعة-: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

المرجئة يقولون: الأعمال لا تدخل في الإيمان، فإذا كان معتقدًا بقلبه، ولو ترك جميع الأعمال، لو ما صلى، ولا صام، ولا فعل أي شيء، يدخل

(١) سبق تخريجه (ص١٢٨).

الجنة، والإيمان لا يزيد، ولا ينقص عندهم؛ لأنه في القلب، فإيمان أبي بكر وإيمان أفسق الناس عندهم سواء؛ لأنه في القلب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الشِّيعَةُ**)، هم الذين يزعمون أنهم يحبون أهل البيت، ويتشيعون لعلي وذريته، ويعتقدون أنهم ظُلموا حقهم، وأن الخلافة كانت لعلي بعد الرسول، وأن عليًا هو وصي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الصحابة سلبوها منه، وغصبوها منه، فهم ظلمة وطواغيت. هذا اعتقادهم -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالخَوَارِجُ**)، هم الذين يخرجون على ولي الأمر بالسيف، إذا حصل منه خطأ لا يصل إلى حد الكفر، ويشقون عصا الطاعة، ويكفرون المسلمين بالكبائر التي دون الشرك، فمذهبهم يتكون من شيئين:

الأول: الخروج على ولاة أمر المسلمين، وشق عصا الطاعة.

الثاني: تكفير مرتكب الكبائر التي دون الشرك، يحكمون على الزاني بأنه كافر، وعلى السارق بأنه كافر، وعلى آكل الربا بأنه كافر، هكذا مذهب الخوارج، وهو مذهب الغلو والتشدد -والعياذ بالله-، ويحملون السيف على المسلمين، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ**»[1]، ما عُهد في التاريخ أن الخوارج قاتلوا الكفار أبدًا، وإنما يقاتلون المؤمنين دائمًا وأبدًا.



(١) سبق تخريجه (ص٤٠٠).

فَمَنْ قَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْبَاقِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَدَعَا لَهُمْ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ التَّشَيُّعِ -أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَمَنْ قَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْبَاقِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَدَعَا لَهُمْ**) هذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ خلافًا للشيعة، فأهل السنة والجماعة يقدمون أبا بكر، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْبَاقِينَ**) من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**إِلَّا بِخَيْرٍ**)، وثناء عليهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (**وَدَعَا لَهُمْ**)، بدل أن يلعنهم؛ كما تلعنهم الشيعة، أو يذمهم؛ كما يفعل بعض الناس، يذم بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو يتكلم في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مع أن الواجب العكس، الواجب الثناء عليهم، ومدحهم، وعدم الدخول في حقهم، وتخطئة أحد منهم؛ لأن الله رضي عنهم، ومدحهم في آيات كثيرة، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدحهم، ورضي عنهم، والذي يتكلم في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو في أحد منهم، يكون من أهل الضلال، ويكون مخالفًا لله ولرسوله في حق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلا يجوز أبدًا الدخول في حق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -لا في أفرادهم، ولا في جماعتهم-، إلا بخير؛ لما لهم من الميزة على الأمة، فهم خير القرون، وأفضل القرون بشهادة

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي**»[1]؛ يعني: القرن الذي فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم خير القرون، (**وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْبَاقِينَ**)؛ لا في أفرادهم، ولا في مجموعهم، (**إِلَّا بِخَيْرٍ**).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَقَدْ خَرَجَ مِنَ التَّشَيُّعِ -أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ**)، من قدم الخلفاء الأربعة على ترتيبهم، وأثنى على بقية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهذا مذهب أهل السنة، وفيه البراءة من التشيع.



(١) سبق تخريجه (ص٥١).

وَمَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِرْجَاءِ -أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ.

وَمَنْ قَالَ: الصَّلَاةُ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَالْجِهَادُ مَعَ كُلِّ خَلِيفَةٍ، وَلَمْ يَرَ الْخُرُوجَ عَلَى السُّلْطَانِ بِالسَّيْفِ، وَدَعَا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الْخَوَارِجِ -أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ.

وَمَنْ قَالَ: الْمَقَادِيرُ كُلُّهَا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ -أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ-، وَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِرْجَاءِ -أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ)، لما ذكر أن المرجئة من أصول الفرق الضالة، بيَّن مذهب أهل السنة والجماعة، وأنه ضد مذهبهم؛ لأن أهل السنة يرون أن الإيمان قول، وعمل، واعتقاد، وأنه يزيد، وينقص؛ كما دلت على ذلك الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بخلاف مذهب المرجئة، الذين يرون أن العمل ليس داخلًا في حقيقة الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ قَالَ: الصَّلَاةُ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَالْجِهَادُ مَعَ كُلِّ خَلِيفَةٍ، وَلَمْ يَرَ الْخُرُوجَ عَلَى السُّلْطَانِ بِالسَّيْفِ، وَدَعَا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ)، هذا برئ

من فرقة الخوارج؛ لأنه ذكر الفرق الأربع، فمن التزم بالسمع والطاعة لولي أمر المسلمين، ولم يخرج عليه بسبب خطأ أخطأ فيه، وهو دون الكفر، أو معصية وقع فيها، وهي دون الكفر، فهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الصلاة خلف الأمراء من المسلمين، والجهاد معهم في سبيل الله، والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق، هذا مذهب أهل السنة والجماعة مع ولاة الأمور، فمن خالف في شيء من ذلك، فعنده نزعة من نزعة أهل الضلال، من نزعة الخوارج.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْجِهَادُ مَعَ كُلِّ خَلِيفَةٍ)**، إذا أمر بالجهاد، فإنه يجب الجهاد معه، فهذا هو الواجب: السمع والطاعة، والصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وعدم الخروج عليهم بالقتال -كما تفعل الخوارج-، فهذا مذهب أهل السنة والجماعة في ولاة الأمور، عكس ما تقوله الخوارج والمعتزلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ قَالَ: الْمَقَادِيرُ كُلُّهَا مِنَ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ، **خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ -أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ)**، كل شيء يحدث، فهو من قدر الله: الكفر والإيمان، والمعصية والطاعة، والفقر والغنى، والمرض والصحة، وغير ذلك، كل ما يجري في الكون، فإنه بقضاء الله وقدره، لا يخرج شيء عن قضاء الله وقدره، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، خلافًا للقدرية بقسميها: النفاة، والمجبرة.

(يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ)، ولا يضل إلا من ارتكب سبب الضلالة، فالله يضله، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف:٥]، ولم يأتِ في

القرآن إهلاك، أو إضلال، أو عذاب، إلا ويذكر سببه من قبل العبد، وأن الله قدره عليه بسبب من العبد، ولذلك نقول: يضل من يشاء بعدله، يقيم العدل على أهل الضلال، ولا يجعلهم مثل أهل الهدى، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦]، ويهدي من يشاء بفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَبِدْعَةٌ ظَهَرَتْ هِيَ كُفْرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَمَنْ قَالَ بِهَا، فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ، لَا شَكَّ فِيهِ، مَنْ يُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ، وَيَقُولُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَيٌّ، وَسَيَرْجِعُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَمُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ. وَيَتَكَلَّمُونَ فِي الْإِمَامَةِ، وَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، فَاحْذَرْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَنْ يُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ**)، هذا عند الشيعة، فهم يقولون: إن الأموات من الأئمة من أهل البيت يرجعون في آخر الزمان، ويقومون بالعدل، ويخرجون عمر، وأبا بكر، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من قبورهم، ويحرقونهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنْ قَالَ بِهَا، فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ لَا شَكَّ فِيهِ**)، الذي يقول بالرجعة على هذا النحو لا شك أنه كافر بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَيَقُولُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَيٌّ**)، الغلاة منهم من يقولون: علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يمت، وهو في السحاب، ويعبدونه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ**) بن الحسين الباقر، (**وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ**)، جعفر بن علي بن الحسين، وهو جعفر الصادق، (**وَمُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ**)؛ الكاظم ابن جعفر الصادق، ولذلك الرافضة يسمون أنفسهم بـ(الموسوية)، و(الموسوي)؛ نسبة إلى موسى الكاظم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَيَتَكَلَّمُونَ فِي الْإِمَامَةِ، وَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ**)، يعتقدون في أئمتهم أنهم يعلمون الغيب، وأنهم يشرعون ما شاؤوا، وينسخون ما شاؤوا من الشرع؛ لأن الله فوضهم بهذا.

(**وَأَنَّهُمْ**)؛ أي: الأئمة (**يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ**)، وهل أحد يعلم الغيب إلا الله؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَاحْذَرْهُمْ، فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ**)، من ادعى علم الغيب، أو أن أحدًا يعلم الغيب، إلا ما علمه الله من رسله، فهو كافر، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦، ٢٧]، هذا خاص بالرسل؛ لأجل مصلحة الأمة، والدعوة إلى الله، وليكون معجزة لهم، أما غير الرسل، فلا أحد يطلعه الله على شيء من الغيب.



قَالَ طُعْمَةُ بْنُ عَمْرٍو[(١)]، وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ[(٢)]: مَنْ وَقَفَ عِنْدَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، فَهُوَ شِيعِيٌّ، لَا يُعَدَّلُ، وَلَا يُكَلَّمُ، وَلَا يُجَالَسُ، وَمَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ، فَهُوَ رَافِضِيٌّ، قَدْ رَفَضَ آثَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَنْ قَدَّمَ الْأَرْبَعَةَ عَلَى جَمِيعِهِمْ، وَتَرَحَّمَ عَلَى الْبَاقِينَ، وَكَفَّ عَنْ زَلَلِهِمْ، فَهُوَ عَلَى طَرِيقِ الاسْتِقَامَةِ وَالْهُدَى فِي هَذَا الْبَابِ.

الشَّرْح

من توقف في شأن عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال: إن الخلافة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليست لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو شيعي، فكيف بالذي يقول: إن الخلافة ليست لأبي بكر، وعمر، بل هي لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو الوصي؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لَا يُعَدَّلُ، وَلَا يُكَلَّمُ، وَلَا يُجَالَسُ)**، فهو شيعي، يُتبرأ منه، (لَا يُعَدَّلُ)؛ يعني: لا يحكم بعدالته، (وَلَا يُكَلَّمُ)؛ تكليم إكرام، وانبساط، وموافقة، (وَلَا يُجَالَسُ)؛ لأن ضرره ينتشر على مَنْ جالسه؛ لأن دعاة الضلال يؤثرون على جلسائهم ومن صحبهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَمَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ، فَهُوَ رَافِضِيٌّ)**؛ يعني: في الخلافة، أما مسألة الأفضلية: أيهما أفضل؟ فهي مسألة نزاع بين العلماء، بعضهم يفضل

---

(١) هو طُعْمَةُ بْنُ عَمْرٍو الْجَعْفَرِيُّ الْعَامِرِيُّ الْكُوفِيُّ. وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ. وَقَال أبو حاتم: صالح الحديث، لا بأس به. قال مُحَمَّد بْن عَبد اللهِ الحضرمي مطين: مات سنة تسع وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٣/ ٢٨٣)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٦٥٦)، وإكمال تهذيب الكمال (٧/ ٦٢)، وتهذيب التهذيب (٥/ ١٣).

(٢) بداية كلام طعمة بن عمرو وسفيان بن عيينة المنقول عنهما.

عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعضهم يفضل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أما الخلافة، فمن قدم عليًا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فإنه يكون من أهل الضلال؛ لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -وفيهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه- أجمعوا على تقديم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قَدْ رَفَضَ آثَارَ أَصْحَابِ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، سموا بالرافضة؛ لأنهم قالوا لزيد بن علي: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: أحبهم، وأتولاهم؛ لأنهما وزيرا جدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقالوا: إذًا نرفضك. فرفضوه، فسموا بالرافضة؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَمَنْ قَدَّمَ الْأَرْبَعَةَ عَلَى جَمِيعِهِمْ**)؛ أي: جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، (**وَتَرَحَّمَ عَلَى الْبَاقِينَ**) من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كما قال في أول الكلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَكَفَّ عَنْ زَلَلِهِمْ**)، كف عما يصدر من بعضهم من أخطاء؛ لأنهم ليسوا معصومين في أفرادهم، فقد يقع بعض الأخطاء من بعضهم، ولكن لهم من الفضائل، ولهم من الإيمان ما يغطي خطأهم، ولهم من الصحبة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يغطي ما قد يقع من الخطأ اليسير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَهُوَ عَلَى طَرِيقِ الاسْتِقَامَةِ وَالْهُدَى فِي هَذَا الْبَابِ**)، من اعتقد في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بهذا، فهو من أهل الهدى، قدم من قدمه الله منهم، وترضى عن الباقين، ولم يلتمس لهم الأخطاء، فإنه يكون من أهل السنة والجماعة؛ لأن هذا مذهب أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالسُّنَّةُ أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا شَكَّ فِيهِ(١).

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَالسُّنَّةُ أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**)، السنة أن تشهد لمن شهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بالجنة، وهم العشرة: الخلفاء الأربعة، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ابن عم عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هؤلاء هم الذين شهد لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، فنحن نشهد لهم بالجنة بشهادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**لَا شَكَّ فِيهِ**)، من شك أن واحدًا من هؤلاء ليس من أهل الجنة، فإنه يكون كافرًا، ما بالك بالذي يلعن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويصفهم بأنهم أصنام؟!



(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٥٦)، وابن ماجه (١٣٣)، وأحمد (١/ ١٨٨)، ولفظ عند الترمذي: عن عبد الرحمن بن عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أبو بَكْرٍ في الجَنَّةِ، وَعُمَرُ في الجَنَّةِ، وَعُثْمانُ في الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ في الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ في الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ في الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرحمن بن عَوْفٍ في الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ في الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ في الجَنَّةِ، وأبو عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ في الجَنَّةِ**».

وَلَا تَفَرُّدَ بِالصَّلاةِ عَلَى أَحَدٍ، إِلَّا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ فَقَطْ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَا تَفَرُّدَ بِالصَّلاةِ عَلَى أَحَدٍ، إِلَّا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ فَقَطْ**).

الصلاة في اللغة: هي الدعاء[1]، وأما الصلاة في الشرع، فهي العبادة المبتدأة بالتكبير، والمختتمة بالتسليم؛ لما تشتمل عليه من قيام، وركوع، وسجود، وجلوس، وقراءة للقرآن، وتكبير، وتسبيح، فهي أعمال وأقوال، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، هذه هي الصلاة في الشرع.

فإذا جُمع بين الآل والأصحاب، فالآل هم: القرابة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأصحاب: جمع صحابي، وقد لا يكون من قرابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد يكون.

وإذا أُفرد الآل، دخل فيهم الصحابة؛ لأن الآل يُطلق إطلاقين:

الإطلاق الأول: إطلاق يُراد به: القرابة، وهم الذين تحرم عليهم الصدقة.

الإطلاق الثاني: إطلاق يُراد به: أتباعه؛ فإن الأتباع يُقال لهم: (آل)، مثل: (آل فرعون)؛ يعني: أتباع فرعون، و(آل محمد): أتباع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) انظر في معنى الصلاة: تهذيب اللغة (١٢/ ١٦٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣٧٢)، ومختار الصحاح (١/ ١٥٤).

أما الصلاة على غير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منفردًا -كالصحابي وحده، أو المسلم وحده-، فهذا يجوز، ما لم تتخذ شعارًا، تقول: اللهم، صلِّ على فلان! فهذا جائز، ما لم يُتخذ شعارًا -كما هو عند الرافضة-، وأما الصلاة على غير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض الأحيان، فلا بأس بذلك، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**»(١)، والله جَلَّ وَعَلَا أمره بذلك، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: ادعو لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:١٠٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَلَى آلِهِ فَقَطْ**)، آله: المراد بهم أتباعه.



(١) أخرجه البخاري (١٤٩٧، ٤١٦٦)، ومسلم (١٠٧٨) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَتعْلَمْ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَمَنْ قَتَلَهُ كَانَ ظَالِمًا.

فَمَنْ أَقَرَّ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَآمَنَ بِهِ، وَاتَّخَذَهُ إِمَامًا، وَلَمْ يَشُكَّ فِي حَرْفٍ مِنْهُ، وَلَمْ يَجْحَدْ حَرْفًا وَاحِدًا، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَجَمَاعَةٍ كَامِلٌ، قَدِ اكْتَمَلَتْ فِيهِ الجَمَاعَةُ، وَمَنْ جَحَدَ حَرْفًا مِمَّا فِي هَذَا الْكِتَابِ، أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنْهُ، أَوْ شَكَّ وَوَقَفَ، فَهُوَ صَاحِبُ هَوًى.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَتعْلَمْ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قُتِلَ مَظْلُومًا**)، هذا سبق بيانه[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَمَنْ أَقَرَّ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَآمَنَ بِهِ، وَاتَّخَذَهُ إِمَامًا، وَلَمْ يَشُكَّ فِي حَرْفٍ مِنْهُ، وَلَمْ يَجْحَدْ حَرْفًا وَاحِدًا، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَجَمَاعَةٍ**)، ما ذُكر في هذا الكتاب هو اعتقاد أهل السنة والجماعة، فلم يقل: (من لم يعتقد ما قلت)، وإنما قال: من لم يعتقد ما في هذا الكتاب، وهو أصول مذهب أهل السنة والجماعة، فلا مأخذ عليه في هذا الكلام -كما ظنه بعض القراء-؛ لأنه دوَّن في هذا الكتاب أصول أهل السنة والجماعة، فمن أنكر شيئًا منها، أو أنكرها، فهو ضال لاشك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَجَمَاعَةٍ كَامِلٌ، قَدِ اكْتَمَلَتْ فِيهِ الجَمَاعَةُ**)؛ لأنه اعتقد ما عليه أهل السنة والجماعة مما ذُكر في هذا الكتاب، وإذا اعتقد اعتقاد أهل السنة والجماعة، صار منهم، ومن أنكر شيئًا من اعتقاد أهل السنة والجماعة، صار من المبتدعة.

(١) انظر: (ص٣٩٠-٣٩١).

وَمَنْ جَحَدَ أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ فِي شَيْءٍ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَقِيَ اللهَ تَعَالَى مُكَذِّبًا، فَاتَّقِ اللهَ، وَاحْذَرْ، وَتَعَاهَدْ إِيمَانَكَ.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَمَنْ جَحَدَ، أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ فِي شَيْءٍ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، من شك في شيء من القرآن -ولو حرفًا من القرآن-، فهو كافر؛ لأنه مكذب لله عَزَّوَجَلَّ، أو شك في شيء من كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثابت عنه -كأن يقول: ولو صح هذا الحديث عن الرسول، ولكن أنا لاأعتقد ما فيه، أو أشك، أو أتوقف-، فهو مكذب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الواجب التصديق الجازم لكلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وألَّا يتردد الإنسان، أو يتوقف في شيء من ذلك، بل يؤمن بالقرآن كله، ويؤمن بما صح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كله، على ما جاء عن الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يشك، أو يتوقف في ذلك، هذا سبيل أهل الإيمان: التصديق بما في كتاب الله، و بما في سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَاتَّقِ اللهَ، وَاحْذَرْ، وَتَعَاهَدْ إِيمَانَكَ**)؛ أي: اتق الله أن يقع في نفسك شك في كلام الله، أو شك في كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو شك في اعتقاد أهل السنة والجماعة، تفقد إيمانك عن أن يقع فيه شيء من ذلك.

وَمِنَ السُّنَّةِ أَن لَّا تُطِيعَ أَحَدًا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا الْوَالِدَيْنِ، وَالخَلْقِ أَجْمَعِينَ؛ لَا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يُحِبَّ عَلَيْهِ أَحَدًا، وَاكْرَهْ ذَلِكَ كُلَّهُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمِنَ السُّنَّةِ أَلَّا تُطِيعَ أَحَدًا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ**)، هذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة؛ أخذًا من قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»(١)، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»(٢)، فمن أمر بمعصية الله، فلا تطعه في هذه المعصية، ولو كان أباك، أو أمك، أو أقرب الناس إليك، أو هو ولي أمر، أو سلطان، لا تطعه في المعصية، قال تعالى في اليهود والنصارى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، لما أطاعوهم في المعصية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا الْوَالِدَيْنِ وَالخَلْقِ أَجْمَعِينَ**)، قال تعالى في الوالدين: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾ [لقمان:١٤، ١٥]، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا

(١) سبق تخريجه (ص١٦٣).
(٢) سبق تخريجه (ص١٦٣).

﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٨]، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، مهما كان هذا المخلوق، ولو كان أقرب الناس إليك؛ كالوالدين، فكيف بغيرهما؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا يُحِبَّ عَلَيْهِ أَحَدًا، وَاكْرَهْ ذَلِكَ كُلَّهُ للهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى)؛ أي: لاتحب المعصية، أو تحب من أمر بها، بل تكره ذلك، تكره المعصية، وتكره أهلها ومن أمر بها، وذلك لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ**»[1]، فتكره المعاصي، وتكره أهلها، هذا من الإيمان.



(١) سبق تخريجه (ص٤٦٣).

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ التَّوْبَةَ فَرِيضَةٌ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَتُوبُوا إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ كَبِيرِ المَعَاصِي وَصَغِيرِهَا.

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ التَّوْبَةَ فَرِيضَةٌ عَلَى الْعِبَادِ)، يجب الإيمان بأن التوبة فرض، التوبة من الذنوب فرض، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التحريم:٨]، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١]، فيجب على المسلم أن يتوب من ذنوبه، وسيئاته، ولايستمر، أو يصر عليها، أو يتساهل بها، ويقول: هذه سهلة. لا يتساهل بها؛ فهي من المعاصي، بل يبادر بالتوبة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦]، فأثنى الله عليهم، ووعدهم، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء:١٧-١٨].

إذا حضر الموت، لا تُقبل التوبة، وإن كان الإنسان حيًّا، فلا تقبل توبته عند حضور الموت، فعليه أن يبادر بالتوبة، ولا يؤجلها، فور ما يخطئ يتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والإنسان ليس معصومًا، يقع منه خطأ، يقع منه تقصير، يقع منه ذنب، ولكن الله جَلَّوَعَلَا برحمته فتح باب التوبة، فتح لك باب التوبة، ودعاك إليها، ووعدك أن يغفر لك، إذا صدقت في توبتك، حتى الكافر إذا تاب، تاب الله عليه، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨]، من الكفر، والشرك، وقتل النفوس، وغير ذلك، إذا تابوا، تاب الله عليهم، وفي الحديث: «**التَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا**»(١)، فالمسلم بحاجة إلى التوبة، وكان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يستغفر الله، ويتوب إليه في اليوم أكثر من مائة مرة(٢)، قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(٣)، ويحصي له أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في المجلس «أستغفر الله، أستغفر الله» أكثر من مائة مرة(٤) صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فكيف بغيره؟!

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ. وأخرج مسلم (١٩٢) (١٢١) من حديث عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وفيه: «....أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟...».

(٢) أخرجه مسلم (٤٢) (٢٧٠٢) عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَغَرَّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**».

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤) وابن ماجه (٣٨١٤)، والنسائي (١٠٢١٩)، وأحمد (٨/ ٣٥٠)، وابن حبان (٣/ ٢٠٦) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: =

فنحن بحاجة إلى التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والإنسان ليس معصومًا؛ يقع منه ذنوب، ويقع منه تقصير، ويقع منه خطأ، فهو بحاجة إلى التوبة، والحمد لله أن الله فتح لنا باب التوبة، ووعدنا أن يقبل منا، ويمحو ذنوبنا.



=«إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». واللفظ لأبي داود.

وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالجَنَّةِ، فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ وَضَلالَةٍ، شَاكٌّ فِيمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالجَنَّةِ، فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ وَضَلالَةٍ)**، الشهادة بالجنة أو النار هذا عند أهل السنة والجماعة فيه تفصيل: فمن شهد له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجنة أو نار، شهدنا له بذلك؛ لأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى.

أما من لم يأت دليل على أنه في الجنة، أو أنه في النار، فنحن لا نشهد بجنة، أو بنار لأحد، بل نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء، هذا من حيث الأفراد.

أما من حيث العموم، فنحن نعتقد أن المؤمنين في الجنة، وأن الكفار كلهم في النار من حيث العموم، أما من حيث الأفراد، فلابد من التفصيل، فنحن لا نجزم لأحد بجنة أو بنار إلا بدليل من الكتاب والسنة، وقد شهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأناس من الصحابة أنهم في الجنة، فنحن نقطع أنهم من أهل الجنة بأعيانهم وأشخاصهم، وهم: العشرة المشهود لهم بالجنة؛ الخلفاء الأربعة -أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي-، وطلحة، والزبير، وسعد بن

(١) نهاية كلام طعمة بن عمرو وسفيان بن عيينة المنقول عنهما. انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٤١).

أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هؤلاء شهد لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم من أهل الجنة، فنحن نؤمن بذلك، ونقطع أنهم من أهل الجنة بأعيانهم، ونؤمن بأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلهم في الجنة، الذين ماتوا على الصحبة، ولم يرتدوا؛ أنهم في الجنة؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة:١٠٠]، فصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم في الجنة بشهادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وخص منهم العشرة، وأهل بيعة الرضوان، وأهل بدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الذين ورد لهم فضل خاص، والذين آمنوا وأنفقوا قبل فتح مكة أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، فالذين أسلموا قبل الفتح هؤلاء أفضل من الذين أسلموا بعد فتح مكة، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتفاضلون بلاشك، ولكن كلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، ولا أحد يطعن في صحابي من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أهل الأهواء، و أهل البدع -من الخوارج، والرافضة، وغيرهم-، فالذي يطعن في الخلفاء الراشدين -أبي بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، ويصفهم بالظلم، ويصف أبا بكر وعمر بأنهما صنما قريش، وأنهما الجبت والطاغوت، هذا أعظم ضلالًا من اليهود والنصارى، اليهود والنصارى لا يقولون هذا

في صحابة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهم يهود ونصارى، وهؤلاء يدعون الإسلام، ويقولون هذه المقالة الشنيعة، ولو قيل لليهود والنصارى: من خيركم؟ قالوا: أصحاب موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ. ولو قيل للنصارى: من خيركم؟ قالوا: أصحاب عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ. وهؤلاء لو قيل لهم: من شركم؟ قالوا: صحابة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. نسأل الله العافية! فهذه مسألة خطيرة جدًّا.

قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: «مَنْ لَزِمَ السُّنَّةَ، وَسَلِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَاتَ، كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِنْ كَانَ لَهُ تَقْصِيرٌ فِي الْعَمَلِ»(١).

وَقَالَ بِشْرُ بْنُ الحَارِثِ(٢): «السُّنَّةُ هِيَ الإِسْلاَمُ، وَالإِسْلاَمُ هُوَ السُّنَّةُ»(٣).

الشرح

قول الإمام مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَنْ لَزِمَ السُّنَّةَ، وَسَلِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَاتَ، كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ)، من لزم السنة: أي: سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمًا، وعملًا، واعتقادًا، ومات على ذلك، وسلم منه صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لم يطعن فيهم، أو في أحد منهم، صار مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ لأنه مطيع لله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ

(١) انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٤١).

(٢) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، أبو نصر المروزي، الزاهد المعروف بالحافي، كان مولده سنة خمسين ومائة، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين وقيل سبع وعشرين ومائتين، وكان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، تفرد بوفور العقل، وأنواع الفضل، وحسن الطريقة، واستقامة المذهب، وعزوف النفس، وإسقاط الفضول، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة في عبادته وزهده وورعه ونسكه وتقشفه. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٦٧)، وتاريخ دمشق (١٠/ ١٧٧)، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٩٧)، والأنساب (٢/ ١٥٩)، والوافي بالوفيات (١٠/ ٩١)، ووفيات الأعيان (١/ ٢٧٤).

(٣) انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٤١).

ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء:٦٩].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَسَلِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فلم ينتقصهم ويطعن فيهم، والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾؛ يعني: الصحابة المهاجرين والأنصار، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «العقيدة الواسطية»: (ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم، وألسنتهم لأصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1]، وذكر هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا﴾، هذه سلامة الألسن، ﴿وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾، هذه سلامة القلوب لأصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِنْ كَانَ لَهُ تَقْصِيرٌ فِي الْعَمَلِ**)، وإن حصل عنده تقصير في العمل، فإن الله يغفر لمن يشاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

قول بِشْرُ بْنُ الحَارِثِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السُّنَّةُ هِيَ الْإِسْلَامُ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ السُّنَّةُ**)، العبارة هذه سبقت في أول الكتاب[2].

---

(١) سبق عزوه (ص١٥٦).

(٢) انظر: (ص٢٩).

وَقَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «إِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَكَأَنَّمَا أَرَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، فَكَأَنَّمَا أَرَى رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ»(١).

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ: «الْعَجَبُ مِمَّنْ يَدْعُو الْيَوْمَ إِلَى السُّنَّةِ، وَأَعْجَبُ مِنْهُ الْمُجِيبُ إِلَى السُّنَّةِ»(٢).

الشَّرْح

قول فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَكَأَنَّمَا أَرَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ لأنه تابع لهم؛ لأن من تبعهم، صار منهم، وهو كما قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ)، فمن اتبعهم، صار منهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، فَكَأَنَّمَا أَرَى رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ)، إذا رأيت رجلًا من أهل البدع والأهواء المخالفين لأهل السنة،

---

(١) أخرج أبو نعيم في الحلية (٩/ ١٠٩) من كلام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ الشطر الأول منه، بلفظ: «إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، كَأَنِّي رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».
وأخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص٣٩١، برقم ٦٨٩)، بلفظ: «كُلَّمَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، فَكَأَنَّمَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

(٢) أخرجه بنحوه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٤، برقم ٢١، ٢٢، ٢٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ١٨٥، برقم ٢٠) عن حَزْم بْنُ أَبِي حَزْمٍ، قَالَ: «مَرَّ بِنَا يُونُسُ عَلَى حِمَارٍ وَنَحْنُ قُعُودٌ عَلَى بَابِ ابْنِ لَاحِقٍ فَوَقَفَ فَقَالَ: أَصْبَحَ مَنْ إِذَا عَرَفَ السُّنَّةَ عَرَفَهَا غَرِيبًا، وَأَغْرَبُ مِنْهُ الَّذِي يَعْرِفُهَا».

فكأنما رأيت رجلًا من المنافقين، الذين كانوا يدعون الإسلام في الظاهر، وهم كفار في الباطن؛ يريدون المخادعة، فأهل الأهواء وأهل البدع فيهم شبه من المنافقين؛ لأنهم يظهرون الإسلام، ولكنهم يبتدعون، ولا يتبعون السنة، هذه صفة المنافقين.

قول يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْعَجَبُ مِمَّنْ يَدْعُو الْيَوْمَ إِلَى السُّنَّةِ وَأَعْجَبُ مِنْهُ الْمُجِيبُ إِلَى السُّنَّةِ**)، صارت السنة غريبة، غريب من يدعو إليها، وأغرب منه من يعمل بها، فلا شك أنه يأتي أزمان تكون السنة غريبة في أهلها، وكلما تأخر الزمان، صارت السنة غريبة، وأهل السنة غرباء، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ**»[1]، وفي رواية: «**طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي**»[2]، هؤلاء هم الغرباء في آخر الزمان، إذا فسد الناس، فهم يتمسكون بالسنة، ويصبرون على ما نالهم من الأذى، ويصبرون على الغربة بين الناس؛ لأن الذين يخالفونهم كثيرون، فهم يعيشون في غربة بين الناس.



(١) سبق تخريجه (ص٣٣٦).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٣٦).

وَكَانَ ابْنُ عَوْنٍ يَقُولُ عِنْدَ الْمَوْتِ: «السُّنَّةَ السُّنَّةَ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبِدَعَ»، حَتَّى مَاتَ[١].

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَرُئِيَ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: قُولُوا لِأَبِي عَبْدِ اللهِ: عَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي رَبِّي عَزَّوَجَلَّ عَنِ السُّنَّةِ»[٢].

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ[٣]: «مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ مَسْتُورًا، فَهُوَ صِدِّيقٌ، ويقال: الاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ»[٤].

الشَّرْح

قول ابْنُ عَوْنٍ: (السُّنَّةَ، السُّنَّةَ)؛ أي: الزموا السنة، منصوب على الإغراء؛ أي: الزموا السنة، وتمسكوا بها.

---

(١) انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٤٢).

(٢) انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٤٢).

(٣) هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري. الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أبو العالية الرياحي، البصري، أحد الأعلام. كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم. أدرك زمان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه. قال أبو خلدة: مات أبو العالية في شوال، سنة تسعين. وقال البخاري وغيره: مات سنة ثلاث وتسعين.
انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٣٢٦)، والثقات لابن حبان (٤/ ٢٣٩)، وأسد الغابة (٢/ ٢٩٤)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١٢٠٢).

(٤) أخرجه الدارمي (٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٩)، واللالكائي (١/ ٦٢، برقم ١٥)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣١٩، برقم١٥٩-١/ ٣٢٠، برقم ١٦٠) عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: «كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: إِنَّ الِاعْتِصَامَ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِيَّاكُمْ**) تحذير، (**وَالْبِدَعَ**) ما خالف السنة، أوصى بهذا عند الموت؛ من باب النصح للأمة.

قول الإمام أَحْمَدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَرُئِيَ فِي المَنَامِ، فَقَالَ: قُولُوا لِأَبِي عَبْدِ اللهِ: عَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي رَبِّي** عَزَّوَجَلَّ **عَنِ السُّنَّةِ**)، هذا رجل من أصحاب الإمام أحمد إمام أهل السنة الصابر على المحنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ مات، فرُئي في المنام، فأوصى من رآه أن يبلغ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن يتمسك بالسنة، ويقول: (إِنَّ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي رَبِّي عَنِ السُّنَّةِ)، فهذا فيه الحث على التمسك بالسنة، والصبر عليها.

قول أَبُي الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(**مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ مَسْتُورًا فَهُوَ صِدِّيقٌ**) الصديق: هو كثير الصدق، وهو في المرتبة التي تلي النبيين، فمقام الصديقية مقام رفيع، والمراد بذلك: ملازمة الصدق في أقواله وأعماله، وقد بيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هو الصديق، فقال: «**وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا**»[1]، يصدق هو في نفسه، ويتحرى الصدق فيما يقوله الناس، ولا يشيع كل ما سمع، وكل ما قيل، بل يتثبت، ويتحرى

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (١٠٥) (٢٦٠٧)، واللفظ لمسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**».

الصدق؛ لأنه هو صادق في نفسه، فلا يخبر، ولا يقول إلا ما هو صدق، هذا هو الصديق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ**)؛ أي: متمسكًا بالإسلام، والمراد بالسنة الإسلام، والإسلام هو السنة، من مات على ذلك (مَسْتُورًا)، لم يتبين منه شيء يخالف، فإنه يموت صديقًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ**)؛ أي: التمسك بالسنة نجاة من الفتن، ومن العذاب، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**»[1]، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿**وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟**﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ**﴾ [الأنعام:١٥٣]، هذه وصية الله، ووصية رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي التمسك بالسنة والاعتصام بها.



(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ[١]: «مَنْ أَصْغَى بِأُذُنِهِ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ، خَرَجَ مِنْ عِصْمَةِ اللهِ، وَوُكِلَ إِلَيْهَا»[٢]؛ يَعْنِي: إِلَى الْبِدَعِ.

وَقَالَ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ[٣]: «أَوْحَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ: لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْبِدَعِ، فَإِنْ جَالَسْتَهُمْ، فَحَاكَ فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ مِمَّا يَقُولُونَ، أُكْبِبْتَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»[٤].

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «مَنْ جَالَسَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، لَمْ يُعْطَ الْحِكْمَةَ»[٥].

---

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري، من أهل الكوفة، ولد سنة سبع وتسعين في خلافة سليمان بن عبد الملك، كان من كبار أئمة المسلمين لا يختلف في إمامته وأمانته وحفظه وعلمه وزهده، وتوفي بالبصرة وهو مستخف في شعبان سنة إحدى وستين ومائة في خلافة المهدي. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٣٧١)، وحلية الأولياء (٦/ ٣٥٦)، وتاريخ بغداد (٩/ ١٢٥)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٨٦)، والوافي بالوفيات (١٥/ ١٧٤)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩)، وطبقات الحفاظ (ص٩٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٤٦١، برقم ٤٤٤).

(٣) هو داود بن أبي هند دينار بن عذافر الخراساني. الإمام، الحافظ، الثقة، أبو محمد الخراساني، ثم البصري، من موالي بني قشير -فيما قيل- ويقال: كنيته أبو بكر. قال يزيد بن هارون، ويحيى القطان، وطائفة: مات داود بن أبي هند سنة تسع وثلاثين ومائة. وقال ابن المديني، وغيره: مات سنة أربعين ومائة.
انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢٣١)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٦٤٣)، وإكمال تهذيب الكمال (٤/ ٢٦٩).

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٤٤٢، برقم ١٢٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٤٣٣، برقم٣٥٩، ٢/ ٤٣٤، برقم ٣٦٠، ٢/ ٤٩٩، برقم ٥٥٦)، عَنْ خُصَيْفٍ، قَالَ: «مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ: يَا مُوسَى لَا تُخَاصِمْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، يَا مُوسَى لَا تُجَادِلْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَيَقَعَ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ فَيُرْدِيكَ، فَيُدْخِلَكَ النَّارَ».

(٥) أخرجه اللالكائي (٤/ ٧٠٦، برقم ١١٤٨)، وابن بطة (٢/ ٤٥٩، برقم ٤٣٩)، وأبو نعيم (٨/ ١٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٦٤).

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «لَا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ»(١).

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «مَنْ أَحَبَّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَهُ، وَأَخْرَجَ نُورَ الْإِسْلَامِ مِنْ قَلْبِهِ»(٢).

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ، فَجُزْ فِي طَرِيقٍ غَيْرِهِ»(٣).

الشَّرْح

قول سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَنْ أَصْغَى بِأُذُنِهِ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ، خَرَجَ مِنْ عِصْمَةِ اللهِ)، سبق لنا الحديث عن الفرار من أهل البدع، وعدم مجالستهم ومصاحبتهم، فمن صاحبهم، وأصغى إلى أقوالهم، ولم ينكرها، هلك معهم، فلا يجوز لك أن تصغي إلى أهل البدع، وتستمع لهم، وتقول: أنا مؤمن قوي الإيمان، وعارف العقيدة، ولا يؤثرون عليَّ. هذا غرور، قد يُفتن الإنسان، فالبعد عنهم وعدم سماع أقوالهم الباطلة عصمة، أما إذا أصغيت لهم، فإنك حري أن تُفتن معهم.

---

(١) أخرجه اللالكائي (١/ ١٥٥، برقم ٢٦٢)، وابن بطة (٢/ ٤٥٩، برقم ٤٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٦٢).

(٢) أخرجه اللالكائي (١/ ١٥٥، برقم ٢٦٣)، وابن بطة (٢/ ٤٥٩، برقم ٤٤٠)، وأبو نعيم (٨/ ١٠٣).

(٣) أخرجه ابن بطة (٢/ ٤٧٥، برقم ٤٩٣)، وأبو نعيم (٨/ ١٠٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَوُكِلَ إِلَيْهَا؛ يَعْنِي: إِلَى الْبِدَعِ**)؛ لأن من اعتصم بالله، عصمه الله، ومن استمع إلى البدع، فإنه حري أن يُفتن بها، ويوكل إليها، يخرج من عصمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قول دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَوْحَى اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْبِدَعِ، فَإِنْ جَالَسْتَهُمْ، فَحَاكَ فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ مِمَّا يَقُولُونَ، أُكْبِتَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**)، هذا مروي عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (**أن اللهُ أَوْحَى إليه: لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْبِدَعِ**)، هذا وهو كليم الله، ينهاه الله عن مجالسة أهل البدع والمخالفين؛ لأنه حري إذا جالسهم أن يتأثر بهم، فكيف بغيره؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَحَاكَ فِي نفسك شَيْءٌ مِمَّا يَقُولُونَ**)، هذا هو الخطر؛ أنك إذا جالستهم، وسمعت كلامهم، فإنه يحيك في نفسك، أو قد يحيك في نفسك شيء منه، ولا تعتمد على قوة إيمانك أو علمك؛ لأن عندهم زيف، وعندهم تزوير، وعندهم كلام معسول، وعندهم أساليب، فعليك أن تحذر منهم، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾، فاحذرهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤]، فلا تتساهل مع أهل البدع؛ تستمع لهم، أو تجلس إليهم.

قول الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: (**مَنْ جَالَسَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، لَمْ يُعْطَ الْحِكْمَةَ**)؛ أي: حُرم من الحكمة، والحكمة: هي الفقه في دين الله، فالذي يجالس أهل البدع يُحرم من الفقه في دين الله؛ عقوبة له.

قول الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: (**لَا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ**)؛ لأن صاحب البدعة ينزل عليه العذاب والغضب،

والزيغ، فيُخشى أن يصيبك شيء مما أصابه، ولهذا قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨]، وقال تعالى للمؤمنين: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠]، وهذا فيه التحذير من مجالسة أهل الضلال و أهل الأهواء، ومجالستهم ومصاحبتهم، والاستماع إلى كلامهم، أو قراءة كتبهم، عليك بالابتعاد عن هذه الأمور -والله المستعان-، الذي يعمل هذا الآن يقولون عنه: منغلق، ومتحجر، وعنده شك في الناس، ... إلى آخر ما يقولون.

قول الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: (مَنْ أَحَبَّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ)، فحري أن يحبط الله عمله، هذا وعيد شديد خصوصًا إذا كانت البدعة مكفرة، فإنه قد يستحسن كلامهم، وشركهم، وكفرهم، فيحبط عمله، وهذا من باب التحذير، فالإنسان لا يعجب بنفسه، أو يظن أنه لا يتأثر، لا، فالإنسان بشر.

قول الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ، فَجُزْ فِي طَرِيقٍ غَيْرِهِ) حتى في الطريق، إذا رأيته في طريق، لا تذهب معه، ولا تصاحبهم في الطريق، وفي السفر؛ يؤثرون عليك، فأين الذين يذهبون مع المبتدعة، ويصاحبونهم بحجة الدعوة؟!

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ[١]، وَمَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ، فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢]، وَمَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ مُبْتَدِعٍ، فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا، وَمَنْ تَبِعَ جِنَازَةَ مُبْتَدِعٍ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطٍ مِنَ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ»[٣].

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، وَرَّثَهُ الْعَمَى»[٤].

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «آكُلُ مَعَ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ، وَلَا آكُلُ مَعَ مُبْتَدِعٍ، وَأُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حِصْنٌ مِنْ حَدِيدٍ»[٥].

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «إِذَا عَلِمَ اللهُ مِنَ الرَّجُلِ أَنَّهُ مُبْغِضٌ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ، غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ[٦]، وَلَا يَكُنْ صَاحِبُ سُنَّةٍ يُمَالِئُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ،

---

(١) أخرجه بنحوه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٠٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٩٩، ٢٠٠) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَعْرَضَ عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ بِوَجْهِهِ بُغْضًا لَهُ فِي اللهِ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا وَمَنْ نَهَى عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ أَمَّنَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْفَزَعَ الْأَكْبَرَ وَمَنْ سَلَّمَ عَلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ وَلَقِيَهُ بِالْبُشْرَى وَاسْتَقْبَلَهُ بِالْبُشْرَى فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». وهو موضوع. انظر: كشف الخفاء (٢/ ٣٠٨، برقم ٢٤٢١).

(٣) أخرج شطره الأول أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٠٣)، واللالكائي (٤/ ٨٠٩، برقم ١٣٥٨).

(٤) أخرجه اللالكائي (١/ ١٥٦، برقم ٢٦٤).

(٥) أخرجه اللالكائي (٤/ ٧٠٦، برقم ١١٤٩)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٦٨، برقم ٤٧٠)، وأبو نعيم (٨/ ١٠٣).

(٦) أخرجه أبو نعيم (٨/ ١٠٣)، ولفظه: «لَأَنْ آكُلَ عِنْدَ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ آكُلَ عِنْدَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ فَإِنِّي إِذَا أَكَلْتُ عِنْدَهُمَا لَا يُقْتَدَى بِي وَإِذَا أَكَلْتُ عِنْدَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ =

إِلَّا نِفَاقًا، وَمَنْ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا[1]**، وَمَنِ انْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، آمَنَهُ اللهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، رَفَعَهُ اللهُ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، فَلَا تَكُنْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي اللهِ أَبَدًا».**

اِنْتَهَى، واللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

الشَّرْح

قول الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ)**؛ لأن البدعة ضد الإسلام، فإذا شجعت المبتدع، فقد أعنت على هدم الإسلام؛ لأن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام -كما سبق[2]-، فالواجب على الإنسان أن لا يعظم أهل البدع، ولا يمدحهم، ولا يثني عليهم، والآن كما تسمعون من مدح الكفار، واليهود، والنصارى،

=اقْتَدَى بِي النَّاسُ، أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حِصْنٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَعَمَلٌ قَلِيلٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ صَاحِبِ بِدْعَةٍ وَمَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ لَمْ يُعْطَ الْحِكْمَةَ وَمَنْ جَلَسَ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ فَاحْذَرْهُ، وَصَاحِبُ بِدْعَةٍ لَا تَأْمَنُهُ عَلَى دِينِكَ وَلَا تُشَاوِرْهُ فِي أَمْرِكَ وَلَا تَجْلِسْ إِلَيْهِ، فَمَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ وَرَّثَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْعَمَى وَإِذَا عَلِمَ اللهُ مِنْ رَجُلٍ أَنَّهُ مُبْغِضٌ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ رَجَوْتُ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُ، وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ فَإِنِّي أَرْجُو لَهُ، لِأَنَّ صَاحِبَ السُّنَّةِ يَعْرِضُ كُلَّ خَيْرٍ وَصَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا يَرْتَفِعُ لَهُ إِلَى اللهِ عَمَلٌ، وَإِنْ كَثُرَ عَمَلُهُ».

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٥٦، برقم ٤٢٩)، واللالكائي (١/ ١٥٦، برقم ٢٦٦)، ولفظه: «**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ سُنَّةٍ يُمَالِئُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ إِلَّا مِنَ النِّفَاقِ**».

(٢) انظر: (ص٢٩).

والثناء عليهم، وأنهم أصحاب التقدم، والرقي، والحضارة، وأننا متخلفون متأخرون.. إلى آخر ما يقولون، هذا من أشد النفاق -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ، فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **عَلَى مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ لأن المبتدع مخالف لما أنزل الله على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا تبسم في وجهه منبسطًا معه، فإنه يكون قد خالف ما جاء في الكتاب والسنة من هجرهم، وبغضهم، والابتعاد عنهم، وعدم الرضى عنهم؛ لأن الابتسام يدل على الرضى، والانبساط معهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ مُبْتَدِعٍ، فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا**)، الواجب على من عنده مولية -بنت، أو أخت- أو من يتولى عقد نكاحها أن يختار لها الكفء الصالح، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ، وَخُلُقَهُ، فَزَوِّجُوهُ إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»[1]، فإذا لم تتحر لموليتك المرضي في دينه وأمانته، يحصل فساد كبير؛ حيث يتزوجها واحد من أهل النفاق، أو من أهل البدع، فتضل معه، وتكون أنت السبب في ذلك.

قال: (**وَمَنْ تَبِعَ جِنَازَةَ مُبْتَدِعٍ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطٍ مِنَ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ**)، إذا ماتوا، لا تصاحب جنائزهم؛ لأنهم ينزل عليهم الغضب والعذاب، ويصيبكم ما أصابهم.

قول الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: (**مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، وَرَّثَهُ الْعَمَى**)؛ يعني: العمى في البصيرة، وعمى القلب.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٨١).

قول الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: (آكُلُ مَعَ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ، وَلَا آكُلُ مَعَ مُبْتَدِعٍ)؛ لأن اليهودي، والنصراني معروف أنه صاحب دين، وملة دينية مخالفة لديننا، وهو من أهل الكتاب، أما المبتدع، فإنه يدعي الإسلام، أما اليهودي أو النصراني، فلا يدعي الإسلام، وتعرف أنه يهودي أو نصراني، لكن المشكلة فيمن يدعي الإسلام، وتثق به، وتجلس معه، فيجرك إلى الشر، وخطره أشد من خطر العدو المصرح بالعداوة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حِصْنٌ مِنْ حَدِيدٍ)؛ يعني: يمنع الاختلاط به.

قول الْفُضَيْلُ: (إِذَا عَلِمَ اللهُ مِنَ الرَّجُلِ أَنَّهُ مُبْغِضٌ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ، غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ)؛ لأن هذا من الولاء والبراء؛ الولاء لأهل الإيمان، والبراء من أعداء الله، هذا أصل من أصول العقيدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا يَكُونُ صَاحِبُ سُنَّةٍ يُمَالِئُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، إِلَّا نِفَاقًا)، إذا مالأ صاحب السنة صاحب البدعة، فهذا نوع من النفاق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا)؛ لأن هذا من البراء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنِ انْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، آمَنَهُ اللهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ)، من انتهره بالكلام، وأنكر عليه، فإن الله جَلَّ وَعَلَا يجازيه يوم القيامة يوم الفزع الأكبر بالجزاء الحسن؛ لأنه أنكر المنكر، أما إذا أثنى عليه، ومدحه، فإن هذا من النفاق، ومن موالاة أعداء الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، رَفَعَهُ اللهُ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ)**، الواجب عدم إكرام أهل البدع بالمجلس، أو بالمدح، أو بغير ذلك من أنواع الإكـرام، الواجب إهانتهم؛ لأن الله أهانهم، وهذا -أيضًا- من الولاء والبراء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَلَا تَكُنْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي اللهِ أَبَدًا)**، عليك مجانبة البدع، ولا تتساهل فيها أبدًا؛ من أجل أن تحافظ على دينك، وعلى سنة نبيك.

الخاتمة

قد استفدنا من هذا الكتاب، وما فيه من أصول أهل السنة والجماعة، ومن الوصايا النافعة والمفيدة، فجزى الله مؤلفه خير الجزاء، ونفعنا بما قرأنا وسمعنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه.

انتهى هذا التعليق المبارك في يوم الأحد الموافق للرابع عشر من شهر صفر لعام ألف وأربعمائة وثمان وعشرين من الهجرة النبوية المباركة.



فهرس المراجع

- الإبانة الكبرى لابن بطة، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
- أبجد العلوم، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، المؤلف: أحمد بن محمد ابن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ)، المحقق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ، عدد الأجزاء: ١.
- اجتماع الجيوش الإسلامية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٢ (الجزء الأول دراسة من المحقق).
- الآحاد والمثاني، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: د. باسم فيصل

أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١، عدد الأجزاء: ٦.

* الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١٣.
* أحكام القرآن، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ.
* الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، عدد الأجزاء: ٤.
* أحوال الرجال، المؤلف: إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني، أبو إسحاق (المتوفى: ٢٥٩هـ)، المحقق: عبد العليم عبد العظيم البَستوي، دار النشر: حديث اكادمي - فيصل آباد، باكستان، عدد الأجزاء: ١.

- الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب، عدد الأجزاء: ٣.
- أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، المؤلف: محمد بن علي ابن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٨ (٧ ومجلد فهارس).
- الأسماء والصفات للبيهقي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢.
- اشتقاق أسماء الله، المؤلف: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، المحقق: د. عبد الحسين

المبارك، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.

* الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.
* إصلاح المال، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ١.
* أصول السرخسي، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.
* إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)، المؤلف: أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (المتوفى: ١٣١٠هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
* الاعْتِصَام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) تحقيق ودراسة: الجزء الأول:

د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٣.

* الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
* اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.
* أعلام النبوة، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأول - ١٤٠٩ هـ، عدد الأجزاء: ١
* الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
* الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: موسى بن أحمد بن موسى ابن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

* إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١٢.
* أمراض القلب وشفاؤها، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ، عدد الأجزاء: ١
* الإنباء في تاريخ الخلفاء، المؤلف: محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني، (المتوفى: ٥٨٠هـ)، المحقق: قاسم السامرائي، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١.
* الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (المتوفى: ٩٢٨هـ)، المحقق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، الناشر: مكتبة دنديس - عمان، عدد الأجزاء: ٢.
* الأنساب، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م، عدد الأجزاء: ١.

- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ، عدد الأجزاء: ١٢.
- أهوال القبور، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: عاطف صابر شاهين، الناشر: دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١.
- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، محمد بن نصر المرتضى (ابن الوزير)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة، عدد الأجزاء: ٣.
- الإيمان الأوسط، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين، المحقق: محمود أبو سن أبو يحي، الناشر: دار طيبة، سنة النشر: ١٤٢٤، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ١.
- الإيمان، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني تقي الدين، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، سنة النشر: ١٤١٦ - ١٩٩٦، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٥.

* البحر المحيط في أصول الفقه، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٨.
* البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
* البدء والتاريخ، المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، عدد الأجزاء: ٦.
* البداية والنهاية، لعماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ.
* بدائع التفسير، ابن القيم، دار ابن الجوزي.
* بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٤.
* بذل النظر في الأصول، المؤلف: العلاء محمد بن عبد الحميد الأسمندي (٥٥٢ هـ)، حققه وعلق عليه: الدكتور محمد زكي عبد البر، الناشر: مكتبة التراث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١.
* البرهان في أصول الفقه، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى:

٤٧٨هـ)، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٢.

* بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، المؤلف: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: ٢٨٢هـ)، المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ)، المحقق: د. حسين أحمد صالح الباكري، الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ - ١٩٩٢، عدد الأجزاء: ٢.
* بغية الطلب في تاريخ حلب، المؤلف: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، عدد الأجزاء: ١٢.
* بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.
* تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

* تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر تدمري، طبعة ١٤٠٩هـ.
* تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.
* التاريخ الكبير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: ٨.
* تاريخ المدينة لابن شبة، المؤلف: عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة، عام النشر: ١٣٩٩ هـ.
* تاريخ بغداد، اسم المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
* تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر ـ دار الفكر ـ بيروت.
* تأويل مختلف الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق، الطبعة: الطبعة الثانية- مزيده ومنقحة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.
* التبيان في أقسام القرآن، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ١.

- تحرير ألفاظ التنبيه، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: عبد الغني الدقر، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١٠.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة، عدد الأجزاء: ٢.
- التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شركة العبيكان للطباعة والنشر.
- تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ (مطبوع ضمن مجموع رسائل ابن عبد الهادي)، المؤلف: يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المِبْرَد الحنبلي (المتوفى: ٩٠٩ هـ)، عناية: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، عدد الأجزاء: ١.

* تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٤.
* التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
* تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د. إكرام الله إمداد الحق، الناشر: دار البشائر ـ بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.
* التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
* تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
* التعليقات التوضيحية على مقدمة الفتوى الحموية، مكتبة دار الإمام الذهبي بالكويت، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ، أجزاء: ١.
* تفسير ابن سعدي، وهو تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مؤسسة الرسالة، بيروت.
* التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت

لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٤ وجزء للفهارس).

* تفسير الثعلبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
* تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.
* تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن ابن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.
* تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن

محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٨.

* تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
* تلبيس إبليس، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
* التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.
* تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد ابن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الخباني، دار النشر: أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م، عدد الأجزاء: ٥.
* تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني - القاهرة، عدد الأجزاء: ٢.
* تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- تهذيب الكمال، يوسف أبو الحجاج المزي، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢.
- الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣، عدد الأجزاء: ٩.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكَلِم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية١٤٢٠هـ.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي

(المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات).

* الجرح والتعديل، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢م.

* جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، عدد الأجزاء: ١.

* الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. علي حسن ناصر، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

* الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي، عدد الأجزاء: ٢.

* حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة، عدد الأجزاء: ١.
* الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، المؤلف: إسماعيل ابن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: دار الراية - السعودية / الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.
* الحلم، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: محمد عبد القادر أحمد عطا، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣، عدد الأجزاء: ١.
* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ - دار الكتاب العربي - بيروت. ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٣- دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: ١٠.
* الدر الفريد وبيت القصيد، المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩هـ - ٧١٠ هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر:

دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، عدد الأجزاء: ١٣ (آخر جزئين فهارس).

* الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، عدد الأجزاء: ١١.
* الدر المنثور، عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٣م.
* درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ١٠.
* الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ١٦.
* دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، عدد الأجزاء:٢.

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين ابن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ، عدد الأجزاء: ٧.
- دلائل النبوة، المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عامر حسن صبري، الناشر: دار حراء - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى،، ١٤٠٦هـ، عدد الأجزاء: ١
- ديوان ابن الرومي، المؤلف: علي بن العباس بن جريج ابن الرومي، المحقق: أحمد حسن بسج، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢٣ - ٢٠٠٢، عدد المجلدات: ٣، رقم الطبعة: ٣، عدد الصفحات: ١٦٤٠.
- ذيل طبقات الحنابلة، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٥.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (المتوفى: ٧٠٣ هـ)، حققه وعلق عليه: الدكتور إحسان عباس، الدكتور محمد بن شريفة، الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة: الأولى، ٢٠١٢ م، عدد الأجزاء: ٥.

* الرد على الجهمية والزنادقة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: صبري ابن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١.
* الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد الدارمي، تحقيق: د. بدر بن عبد الله البدر. دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
* الرسالة الماتريدية، رسالة ماجستير للشيخ شمس الدين الأفغاني بالجامعة الإسلامية.
* الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١
* روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.
* روضة الناظر، لابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.
- الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»)، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المَرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.
- الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١٤.

* سلم الوصول إلى طبقات الفحول، المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ)، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول - تركيا، عام النشر: ٢٠١٠ م، عدد الأجزاء: ٦ (الأخير فهارس).
* السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
* السنة لعبد الله بن أحمد، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني. دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
* السنة، اسم المؤلف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: سالم أحمد السلف.
* السنة، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ٧.
* سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
* سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
* سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ.

* سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
* سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ابن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبداللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٥.
* سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
* السنن الصغرى للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
* السنن الصغرى للنسائي (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
* السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
* سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ.
* السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

* شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
* شرح أصول اعتقاد أهل السنة؛ لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.
* شرح الزركشي، المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (المتوفى: ٧٧٢هـ)، الناشر: دار العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء:٧.
* شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١٥.
* شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ ابن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ١.
* شرح العقيدة الواسطية، المؤلف صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة دار العاصمة بالرياض، عدد الأجزاء: ١.
* شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل،

الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

* شرح الكافية الشافية، المؤلف: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، حققه وقدم له: عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م، عدد الأجزاء: ٥ بترقيم متسلسل (الأخير فهارس).
* الشرح الكبير على متن المقنع، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (المتوفى: ٦٨٢هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار.
* شرح الكوكب المنير، المؤلف: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ)، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ مـ.
* شرح مختصر الروضة، المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٣.
* شرف أصحاب الحديث، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ابن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. محمد

سعيد خطي أوغلي، الناشر: دار إحياء السنة النبوية - أنقرة، عدد الأجزاء: ١.

* الشريعة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٥.
* شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣، ومجلد للفهارس).
* شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، عدد الأجزاء: ١.
* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.

- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- صحيح ابن خزيمة، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٢.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- الصفات، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق عبد الله الغنيمان، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
- صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء:٢.
- الصفدية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية١٤٠٦هـ.
- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ٤.

* ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي.
* طبقات الحفاظ، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١.
* طبقات الحنابلة، المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.
* طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء، مير محمد كتب خانة، كراتشي.
* طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١٠.
* الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
* العبر في خبر من غبر، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو هاجر محمد

السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

* العدة في أصول الفقه، المؤلف: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء في ترقيم مسلسل واحد.
* العظمة، لأبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
* عقيدة السلف - مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، نظمها: أحمد بن علي بن حسين بن مشرّف الوهيبي التميمي المالكي الأحسائي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار العاصمة، عدد الأجزاء: ١.
* العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، عدد الأجزاء: ٢.

* العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ١
* عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد ابن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥.
* عمل اليوم والليلة، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، المحقق: د. فاروق حمادة، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦.
* عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٤
* العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.
* غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)،

الناشر: مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٢.

* غريب الحديث، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر – دمشق، عام النشر: ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م، عدد الأجزاء: ٣.
* فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (المتوفى: ١٣٨٩هـ)، جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ. عدد الأجزاء: ١٣.
* فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة، بيروت.
* فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
* فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: محمد

حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

* فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: علي حسين علي، الناشر: مكتبة السنة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٤.
* الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م، عدد الأجزاء: ١.
* الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، عدد الأجزاء: ٥.
* فضائل الصحابة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، عدد الأجزاء: ٢.
* القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة

الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

* القضاء والقدر، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الثالثة عشر، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
* قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المؤلف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، الناشر: دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢، عدد الأجزاء: ١.
* قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، المؤلف: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠ - ٩٤٧ هـ)، عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري، الناشر: دار المنهاج - جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٦.
* الكافي (من كتب الشيعة)، المؤلف: الكليني، الوفاة: ٣٢٩، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الخامسة.
* الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
* الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، شارك في

تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

* الكبائر، المؤلف: تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الندوة الجديدة - بيروت، عدد الأجزاء: ١
* كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٢.
* كتاب القدر، المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء:١.
* كشف الخفاء ومزيل اللباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي،

ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، تاريخ النشر: ١٩٤١م، عدد الأجزاء: ٦ (١، ٢كشف الظنون، و٣، ٤ إيضاح المكنون، و ٥، ٦ هداية العارفين).

* الكفاية في علم الرواية، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة، عدد الأجزاء: ١.
* لسان العرب، لابن منظور جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
* لسان الميزان، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: دائرة المعرف النظامية - الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م، عدد الأجزاء: ٧.
* لمعة الاعتقاد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الصفحات: ٤٦، عدد الأجزاء: ١.
* لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن

سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، عدد الأجزاء: ٢.

* المبدع في شرح المقنع، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء:٨.
* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف: نصر الله بن محمد ابن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، عام النشر:١٤٢٠ هـ.
* المجروحين من المحدثين، المؤلف: ابن حبان، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولي، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢.
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.
* مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

* مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، عدد الأجزاء: ٣٠ جزءا.
* المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١١ (١٠ مجلد للفهارس).
* المحلى بالآثار، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ١٢
* مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.
* المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقق: د. محمد مظهربقا، الناشر: جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة، عدد الأجزاء: ١.
* مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء:٢.

* المدخل إلى السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، عدد الأجزاء: ١.
* المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران (المتوفى: ١٣٤٦هـ)، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١، عدد الأجزاء: ١.
* مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، المؤلف: شمس الدين أبو المظفر يوسف ابن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١ - ٦٥٤هـ)، تحقيق وتعليق: [بأول كل جزء تفصيل أسماء محققيه]، محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، عدد الأجزاء: ٢٣ (الأخير فهارس).
* المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
* المستصفى، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ١.

* المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد ابن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، عدد الأجزاء: ١.
* مسند ابن الجعد، المؤلف: علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة نادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ - ١٩٩٠.
* مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
* مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ١٣.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
* مسند الإمام الشافعي، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، رتبه على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي، عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، تولى

نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله على نسختين مخطوطتين: السيد يوسف علي الزواوي الحسني، السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٧٠ هـ – ١٩٥١م، عدد الأجزاء: ٢.

* مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
* مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله ابن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٤.
* مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
* مسند الشهاب، اسم المؤلف: محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
* مسند عبد بن حميد، تحقيق صبحي البدري ومحمود محمد خليل، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
* المسودة في أصول الفقه، المؤلف: آل تيمية [بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت: ٦٥٢هـ)، وأضاف إليها الأب:

عبد الحليم بن تيمية (ت: ٦٨٢هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)]، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتاب العربي، عدد الأجزاء: ١.

* مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ، عدد الأجزاء: ٤.
* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد).
* مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
* المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١١.
* معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المؤلف: حافظ ابن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٣.

* معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٨.
* معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٥.
* معجم ابن الأعرابي، المؤلف: أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد ابن بشر بن درهم البصري الصوفي (المتوفى: ٣٤٠هـ)، تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٣.
* المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.
* معجم الصحابة، المؤلف: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ابن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: ٣١٧هـ)، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الناشر: مكتبة دار البيان - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، طبع على نفقة: سعد بن عبد العزيز بن عبد المحسن الراشد أبو باسل، عدد الأجزاء: ٥.

* المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
* المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
* المعجم في مشتبه أسامي المحدثين، المؤلف: أبو الفضل عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن يوسف الهروي (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المحقق: نظر محمد الفاريابي، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١، عدد الأجزاء: ١.
* معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦.
* معرفة السنن والآثار، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٥.
* معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن

يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: عدد الأجزاء: ٧ (٦ أجزاء ومجلد فهارس).

* معرفة علوم الحديث، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المحقق: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، عدد الأجزاء: ١.
* المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.
* المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
* المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، عدد الأجزاء: ١.
- مقدمة في أصول التفسير، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م، عدد الأجزاء: ١.
- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، المؤلف: إبراهيم بن محمد ابن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٣.
- المقفى الكبير، المؤلف: تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥ هـ = ١٤٤٠م)، المحقق: محمد اليعلاوي، الناشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ٨ (الأخير فهارس).
- المقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المؤلف: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ)، قدم له وترجم لمؤلفه: عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه: محمود

الأرناؤوط، ياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١.

* الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، المحقق: محمد سيد كيلاني، الناشر: مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: ٣.
* الممتع في شرح المقنع، تصنيف: زين الدين المُنَجَّى بن عثمان بن أسعد ابن المنجى التنوخي الحنبلي (٦٣١ - ٦٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، يُطلب من: مكتبة الأسدي - مكة المكرمة، عدد الأجزاء: ٤.
* منار السبيل في شرح الدليل، المؤلف: ابن ضويان، إبراهيم بن محمد ابن سالم (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: السابعة ١٤٠٩ هـ-١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ٢.
* المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٩.
* منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق:

محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد المجلدات: ٩.

* المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

* المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)، المحقق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ١.

* موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عالم على مدى ١٥ قرنًا)، المؤلف: أبو سهل محمد ابن عبد الرحمن المغراوي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش - المغرب، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١٠.

* موضح أوهام الجمع والتفريق، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ٢.

* موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، مصر.
* ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي عوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٥م.
* النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، طبعة١٣٨٦هـ.
* نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (مطبوع ملحقا بكتاب سبل السلام)، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عصام الصبابطي - عماد السيد، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.
* نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر: مطبعة سفير بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء:١.
* نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني، مكتبة المتنبي، القاهرة.
* نهاية الوصول في دراية الأصول، المؤلف: صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (٧١٥ هـ)، المحقق: د. صالح بن سليمان اليوسف - د. سعد بن سالم السويح، أصل الكتاب: رسالتا دكتوراه بجامعة الإمام

بالرياض، الناشر: المكتبة التجارية بمكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٩ (في ترقيم واحد متسلسل) (الأخير فهارس).

* النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

* الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩.

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٣ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١، الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، الجزء: ٦ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٧ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ٧.

فهرس الموضوعات

مقدمة الناشر..... ٥
ترجمة الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ..... ٩
مقدمة المعلق في التعريف بالكتاب والمؤلف..... ١٣
خطبة الكتاب..... ٢٣
الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام..... ٢٩
معاني السنة..... ٣٠
مِنَ السُنَّةِ: لُزُومُ الْجَمَاعَةِ..... ٣١
معنى الجماعة..... ٣١
شرح قول المؤلف: (فَمَنْ رَغِبَ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَفَارَقَهَا، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ)..... ٣١
الجماعة لا تكون إلا بأمرين..... ٣٢
الْأَسَاسُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ: هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ..... ٣٥
تعريف البدعة..... ٣٧
ليس هناك بدعة حسنة..... ٣٨
تكفير الجهمية..... ٣٩
شرح قول عُمَر بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي ضَلَالَةٍ رَكِبَهَا حَسِبَهَا هُدًى....»..... ٤١

السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ قَد أَحْكَمَا أَمْرَ الدِّينِ كُلَّهُ، وَتَبيَّنَ لِلنَّاسِ، فَعَلَى النَّاسِ الِاتِّبَاعُ..... ٤٤
ليس لأحدٍ أن يشرع دينًا لم يأذن الله به..... ٤٦
صلاح العمل بأمرين..... ٤٧
سبيل النجاة..... ٤٨
لا حجة لمن خالف..... ٤٩
الواجب على الإنسان أن يحذر من هواه..... ٤٩
أهل السنة والجماعة هم السواد الأعظم..... ٥٢
شرح قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمَنْ خَالَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَقَدْ كَفَرَ) ٥٣
من أسباب البدع ترك السنة..... ٥٤
نشأت البدع صغارًا ثم صارت كبارًا..... ٥٨
كان السلف في القرون المفضلة محاصرين للبدع..... ٦٠
التثبت في الدين..... ٦٢
وصية عظيمة..... ٦٥
الدين باق إلى أن تقوم الساعة، ولا يتغير بتغير الزمان، وهو شامل للزمان والمكان..... ٦٦
الخروج من السنة إلى البدعة بإحدى طريقين..... ٦٨
لَا يَتِمُّ إِسْلَامُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ مُتَّبِعًا مُصَدِّقًا مُسْلِمًا..... ٧٢
المراد بالسنة..... ٧٦

لَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا تُضْرَبُ لَهَا الأَمْثَالُ، وَلَا تُتَّبَعُ فِيهَا الأَهْوَاءُ.....٧٦
شرح قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَلْ هُوَ التَّصْدِيقُ بِآثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
بِلا كَيْفٍ وَلَا شَرْحٍ، وَلَا يُقَالُ: لِمَ وَلَا كَيف) ٧٧
ذم الكلام والخصومة والمراء في الدين.....٧٩
الكلام في الله تعالى بغير ما ورد بدعة وضلالة.....٨١
اعتقاد أهل السنة والجماعة: أن القرآن كلام الله، تكلم به حقيقة،
وسمعه منه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ونزل به على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....٩٥
المضاف إلى الله قسمان.....٩٧
رؤية الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة.....١٠٤
خلاف الناس في رؤية الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة.....١٠٥
الإيمان بالميزان.....١١٠
الْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ.....١١٣
الْإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....١١٧
من أصول أهل السنة والجماعة: الإيمان بالشفاعة.....١١٩
شروط الشفاعة.....١٢٢
المخالفون لأهل السنة في الشفاعة على طرفي نقيض.....١٢٢
الإيمان بالصراط.....١٢٥
الْإِيمَانُ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَلَائِكَةِ.....١٢٨
الفرق بين النبي والرسول.....١٣٠
الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ.....١٣٣

من أصول أهل السنة والجماعة: الإيمان بالمسيح الدجال.....١٣٧
الْإِيْمَانُ بِنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.....١٤١
الْإِيـمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَنِيَّةٌ وَإِصَابَةٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.....١٤٤
تعريف الإيمان لغة وشرعًا.....١٤٤
اعتقاد أهل السنة في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.....١٤٨
أفضل الصحابة الثلاثة الخلفاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.....١٤٨
أفضل الناس بعد الثلاثة بقية العشرة ثم بقية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.....١٥٢
تعريف الصحابي.....١٥٢
واجبنا نحو الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.....١٥٨
من أصول أهل السـنة والجماعة المبنية على كتاب الله وسـنة الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين.....١٦٢
بيانٌ بما تنعقد به الإمامة.....١٦٣
الحج والغزو والصلاة مع الإمام.....١٦٧
الكلام على صلاة الجمعة ونافلتها.....١٦٨
الخلافة في قريش.....١٧١
حكم الخروج على الأئمة.....١٧٣
علامة الخوارج.....١٧٤
ثمرة طاعة ولي أمر المسلمين.....١٧٥
تحريم الخروج على السلطان أو قتاله.....١٧٧
قتال الخوارج.....١٨٠

شرط قتال الخوارج أن يعرضوا للمسلمين.....١٨٠
شرط طاعة الأئمة أن تكون في غير معصية.....١٨٢
أقسام المحرمات.....١٨٥
الْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ سُنَّةٌ.....١٨٩
من الرخص التي جاء بها الشرع؛ تسهيلًا على العباد، ورفعًا للحرج:
القصر في السفر.....١٩١
من الرخص التي رخص الله بها لعباده: الإفطار في رمضان في السفر....١٩٢
الصلاة في السراويل.....١٩٤
تعريف النفاق.....١٩٥
الأصل أن الدنيا دار إيمان وإسلام.....١٩٨
الصلاة على من مات من أهل القبلة.....٢٠٣
حكم إخراج شخص من أهل القبلة من الإسلام.....٢٠٥
الإثبات والنفي فيما يتعلق بصفات الله وأفعاله.....٢٠٨
مذهب أهل السنة وسط بين المعطلة والممثلة.....٢٠٩
إثبات الأصابع لله تعالى.....٢٠٩
معنى الهرولة.....٢١٠
إثبات النزول لله تعالى.....٢١١
إثبات الصورة.....٢١١
التفويض الصحيح هو تفويض الكيفية، لا تفويض المعنى.....٢١٢

من زعم أن أحدًا يرى الله في الدنيا رؤية عين لا رؤية رؤيا في المنام، فهو كافر..... ٢١٥
النهي عن التفكر في الله..... ٢١٧
سائر المخلوقات مأمورة مسيرة بما قدره الله لها..... ٢١٩
وجوب إثبات العلم لله جَلَّوَعَلَا، وإحاطته بكل شيء..... ٢٢١
إدخال السلف لبعض المسائل الفقهية ضمن كتب العقائد..... ٢٢٣
وَلَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ..... ٢٢٧
دَمُ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ أَبَدًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ..... ٢٢٧
كل شَيْءٍ مِمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيهِ الفَنَاءَ يَفْنَى، إِلَّا الجَنَّةَ وَالنَّارَ والْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ وَالصُّورَ وَالْقَلَمَ وَاللَّوْحَ..... ٢٣١
يبعث الناس على ما ماتوا عليه..... ٢٣٤
الإيمان بالبعث هو أحد أركان الإيمان الستة..... ٢٣٤
الحساب..... ٢٣٥
القصاص بين الخلق يوم القيامة..... ٢٣٨
إخلاص العمل لله أن لايكون فيه شرك..... ٢٤٠
الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان الستة..... ٢٤١
الإيمان بالقضاء والقدر يتضمن أربع مراتب، ووجوب الإيمان بها.... ٢٤١
الصَّبْرُ عَلَىَ حُكْمِ اللهِ. وَالْإِيـمَانُ بِأَقْدَارِ اللهِ كُلِّهَا خَيْرِهَا وَشَرِّهَا حُلْوِهَا وَمُرِّهَا..... ٢٤٤

علم الله بكل شيء..... ٢٤٤
التكبير على الجنازة أربع تكبيرات..... ٢٤٨
تعريف المعجزة..... ٢٥١
سماع الأموات للأحياء..... ٢٥١
الله لا يضيع أجر المؤمنين، ويُجري المصائب على المؤمنين؛ للتمحيص.... ٢٥٣
ألم الأطفال لما يصيبهم..... ٢٥٥
الجنة فضلٌ من الله جَلَّوَعَلَا..... ٢٥٦
تعريف الظلم..... ٢٥٨
الدور ثلاث..... ٢٦٠
الطعن في الآثار من سيما أهل الأهواء..... ٢٦٢
أصول الأدلة في الإسلام المجمع عليها..... ٢٦٢
بطلان قول من يفرق بين الحديث المتواتر، وحديث الآحاد..... ٢٦٥
معنى أن القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن..... ٢٦٨
الخصومة في القدر..... ٢٧٠
ذم الخصومة والمراء في القدر..... ٢٧٤
الإيمان بالإسراء والمعراج..... ٢٧٧
الإيمان بحياة البرزخ..... ٢٨٤
من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات صفة الكلام لله جَلَّوَعَلَا.... ٢٨٧
الإيمان بقضاء الله وقدره..... ٢٨٩
حقيقة العقل..... ٢٩٠

التفضيل بين العباد.....٢٩٣
تفضيل الله للمؤمنين على الكافرين والطائعين على العاصين.....٢٩٤
النصيحة للمسلمين.....٢٩٥
إثبات صفات الله وسبق علمه بخلقه وما سيعملون.....٢٩٨
سبق العلم لله عَزَّوَجَلَّ.....٢٩٨
أقسام البشارات عند الموت.....٣٠٠
أول من ينظر إلى الله تعالى.....٣٠١
نشأة البدع والزندقات بسبب المراء والخصومات.....٣٠٢
الإيمان بأن الله يعذب الخلق في النار.....٣٠٣
الصلاة والزكاة من فرائض الإسلام.....٣٠٥
فريضة الصلاة لا يزاد فيها ولا ينقص منها.....٣٠٦
فريضة الزكاة وطريقة إخراجها.....٣٠٨
أول الإسلام وأول واجب على المكلف.....٣١٠
الإيمان بالشرائع.....٣١٣
البيع والشراء في أسواق المسلمين.....٣١٥
الخوف والرجاء.....٣١٧
أَطْلَعَ الله نَبِيَّهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَى مَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.....٣٢١
افتراق الأمة وظهور الفرق.....٣٢٣
استقامة الناس على السنة في صدر الإسلام حتى جاءت الطبقة الرابعة....٣٣١
فشو البدع في عهد المأمون وكتمان السنن.....٣٣١

تحريم نكاح المتعة.....٣٣٧
حقوق بني هاشم وقريش والأنصار والعرب.....٣٣٩
الرد على المخالف لمنهج أهل السنة.....٣٤٥
حكم من قال: لفظي بالقرآن مخلوق.....٣٥٢
أصول الجهمية وكيف وضعت.....٣٥٥
كفر الجهمية.....٣٥٧
أصول الجهمية التي كفروا بها.....٣٥٧
الأصل الأول: قولهم: لا جمعة ولا جماعة ولا عيدين ولا صدقة.....٣٥٨
الأصل الثاني: تكفير من لم يقل بخلق القرآن.....٣٥٨
الأصل الثالث: استحلال السيف على أمة محمد.....٣٥٩
الأصل الرابع: مخالفة السلف.....٣٥٩
الأصل الخامس: امتحان الناس بشيء لم يتكلم فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.....٣٥٩
الأصل السادس: تعطيل المساجد والجوامع.....٣٥٩
الأصل السابع: أوهنوا الإسلام.....٣٦٠
الأصل الثامن: عملوا في الفرقة.....٣٦٠
الأصل التاسع: خالفوا الآثار.....٣٦٠
الأصل العاشر: تكلموا في المنسوخ.....٣٦٠
الأصل الحادي عشر: احتجوا بالمتشابه.....٣٦١
الأصل الثاني عشر: شككوا الناس في آرائهم وأديانهم.....٣٦٢

الأصل الثالث عشر: اختصموا في ربهم..... ٣٦٢
الأصل الرابع عشر: أنكروا السمعيات..... ٣٦٢
الأصل الخامس عشر: زعموا أن الجنة والنار لم تخلقا..... ٣٦٢
الأصل السادس عشر: أنكروا كثيرا مما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.... ٣٦٣
الأصل السابع عشر: رد آيات الكتاب..... ٣٦٣
خصائص وسمات المبتدعة..... ٣٦٤
الْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُمْتَحَنٌ..... ٣٧٠
دور الهمج الرعاع في نشأة البدع وتثبيتها..... ٣٧١
بقاء الحق والسنة مهما انتشرت البدع وعمت الضلالة..... ٣٧٣
العالم من اتبع السنن وإن كان قليل العلم والكتب..... ٣٧٨
ذم القياس في أمور العقائد..... ٣٨١
مصدر التلقي عند أهل السنة..... ٣٨٣
الاقتصار في محاجة البدع على السنة..... ٣٨٥
الدين العتيق ما كان قبل الفرقة والاختلاف..... ٣٩٠
اتفاق الأمة إلى مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٣٩٠
أصول البدع أربعة أبواب..... ٣٩٥
الوقوف عند السنن وعدم التجاوز منجاة من البدع..... ٤٠٥
نواقض الإسلام..... ٤٠٦
كل ما ورد في كتاب شرح السنة للبربهاري مأخوذ عن الكتاب والسنة
أو عن السلف أو عن أحدهم..... ٤١١

شروط الشهادة.....٤١٩
الموقف من الفتن.....٤٢٣
النظر المذموم في النجوم.....٤٢٨
ذم النظر في علم الكلام.....٤٣٢
لزوم الآثار وأهل الآثار.....٤٣٥
عبادة الله بالخوف والرجاء لا بالمحبة وحدها.....٤٣٦
الحذر من الجلوس مع الصوفية.....٤٣٨
التوفيق للإسلام وحسن الخاتمة فضل من الله.....٤٤١
الكف عما شجر بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.....٤٤٤
التورع عن أموال الناس.....٤٥١
طلب المكاسب والاستغناء عما في أيدي الناس.....٤٥٤
حكم الصلاة خلف الجهمية.....٤٥٧
الإيمان بأن الشيخين مدفونان في حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....٤٥٩
وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....٤٦٣
تعميم السلام بين المسلمين.....٤٦٨
ترك الجمع والجماعات من سمات المبتدعة.....٤٧١
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير خروج بالسيف.....٤٧٥
الأصل في المسلم السلامة ما لم تظهر له ريبة.....٤٧٧
كل علم في أمور الدين ليس في الكتاب والسنة فهو بدعة.....٤٧٨

حكم هبة المرأة نفسها لرجل..... ٤٨٠
الطعن على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علامة على الهوى..... ٤٨٢
الطعن على الآثار أو ردها من سمات أهل الأهواء والبدع..... ٤٨٧
جور السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله..... ٤٨٧
الدعاء على السلطان من علامات الهوى والبدعة..... ٤٨٨
الدعاء للسلطان من السنة..... ٤٨٩
الدعاء للسلطان مصلحة للأمة..... ٤٨٩
عقيدة أهل السنة في أمهات المؤمنين..... ٤٩٠
تعاهد الفرائض في جماعة علامة على السنة..... ٤٩١
ضوابط معرفة الحلال والحرام والشبهة..... ٤٩٤
المستور والمهتوك..... ٤٩٥
من علامات أهل الأهواء أنهم ينبزون أهل السنة..... ٤٩٦
عدم جواز الأخذ والتلقي عن أهل البدع في بدعهم..... ٥٠٠
من سمات أهل السنة محبة علماء السنة..... ٥٠٢
التحذير من مجالسة أهل الأهواء..... ٥٠٩
من علامات الزندقة رد الأثر تذرعًا بأن القرآن كاف..... ٥١٢
الأهواء كلها ردية تدعو إلى السيف وإلى التعطيل..... ٥١٣
الطعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إيذاء للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ٥١٥
البدعة أخطر من المعصية..... ٥١٥
سبب التحذير من المبتدع أشد منه من العاصي الفاجر..... ٥١٧

التحذير من جماعة التبليغ.....٥٢٠
فتوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جماعة التبليغ....٥٢١
فتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جماعة التبليغ.....٥٢١
قاعدة التعامل مع رءوس أهل الأهواء.....٥٢٧
الامتحان في الإسلام والسنة.....٥٣١
التحذير من الكلام وأهله.....٥٣٣
الحث على اتباع الآثار وأصحابها.....٥٣٦
الوقوف عند المتشابه.....٥٣٨
لا يرد على أهل البدع إلا من كان متمكنًا وإلا فليسكت.....٥٤٣
من سمات المبتدعة التعطيل بذريعة التنزيه.....٥٤٦
آداب مناظرة أهل البدع والتعامل معهم.....٥٤٨
التفريق بين من يسأل مسترشدا ومن يسأل متعنتا.....٥٤٨
كراهة السلف للجدال.....٥٥٥
متى يكون المرء صاحب سنة.....٥٥٩
التزكية لا تكون إلا عن علم.....٥٥٩
أصول الفرق الضالة.....٥٦٠
الأصول التي من قال بها واعتقدها فهو سني.....٥٦٥
أصول الرافضة التي خرجت بها من الملة.....٥٦٨
الفارق بين السني والشيعي والرافضي.....٥٧٠
اعتقاد أهل السنة في العشرة المبشرين بالجنة.....٥٧٢

الجمع بين الصلاة والسلام خاص بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.....٥٧٣
قتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مظلومًا.....٥٧٥
إطراء المؤلف لكتابه.....٥٧٥
حكم من جحد حرفًا من القرآن أو السنة أو شك فيه.....٥٧٦
من السنة عدم الإعانة على معصية.....٥٧٧
وجوب التوبة.....٥٧٩
الشهادة بالجنة، أو النار عند أهل السنة والجماعة.....٥٨٢
حث السلف على التزام السنة.....٥٨٥
تحذير السلف من البدع والتشديد على المبتدعة.....٥٩٢
الخاتمة.....٦٠١
فهرس المراجع.....٦٠٢
فهرس الموضوعات.....٦٥١

تم بحمد الله